

ديوان

السيد الشريف الميرضي

شرح
د. محمد التونجي

المجلد الأول



دار الحديث
بيروت



دِيَوَانُ
الشَّيْخِ الْمُتَزَيُّنِ
المجلد الأول

دِيَوَانُ

الشَّيْخِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَرْصُي

المجلد الأول

شرح

د. محمد التونجي

دار الحديث

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِذَارِ الْجِيلِ

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

القسم الأول:

ترجمته

ترجمته

١ - عصره:

عاصر الشريف المرتضى عددًا من خلفاء العصر العباسي من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن الخامس، إبان ضعف الخلفاء وتسلب ملوك بني بويه والوزراء. ومن أبرز من عاصر من الخلفاء الطائع لأمر الله، والقادر، والقائم بأمر الله. كما أنه عقد صداقة وطيدة مع الطائع، وله فيه وغيره من الخلفاء مدائح طويلة وعديدة. كما أن أخاه الشريف الرضي له في بعضهم - كالقادر - مدائح أيضًا.

وقد كان بنو بويه متسلطين على زمام الأمور في بغداد، وكانوا فرسًا شيعة، يحكمون بلاد فارس ويتحكمون في مصائر الخلفاء وإدارة البلاد. وقد عاصر الشريف المرتضى عددًا من ملوكهم، ومن أهمهم بهاء الدولة، وابنه شرف الدولة، وسلطان الدولة بن بهاء الدولة، وجلال الدولة، وغيرهم. وله كذلك في بعضهم وبعض أتباعهم مدائح. وقد قرّبه بنو بويه لمذهبهم أولاً، ولأنهم ميالون إلى العلم والأدب ثانيًا.

كما أن الشريف المرتضى كان على علاقة وصداقة مع بعض وزراء الدولة مثل فخر الملك، وأبي منصور بن مافئة، وأبي علي الرخّجي، وأبي الفتح، وأبي طالب، وأبي سعد بن عبد الرحيم. وغيرهم كثير من أعيان الدولة. ولم نعرف شاعرًا اتصل بهذا العدد الكبير من أعيان عصره. وله في جميعهم مدائح، وفي بعضهم رثاء أو إخوانيات.

كما أن علاقاته امتدت إلى بعض أدباء زمانه كأبي إسحاق الصابئ، وأبي الحسين البّتي، والشاعر العنبري، والشيخ المفيد.

٢- اسمه ونسبه :

هو أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم، العلوي الموسوي البغدادي، من أحفاد الحسين بن علي رضي الله عنهما. ومن ألقابه: علم الهدى، ذو المجدين، السيد، الشريف، المرتضى، علامة المفسرين، شيخ الأدباء.

ولد في خلافة المطيع بدار أبيه في محلة «باب المحوّل» من الكرخ ببغداد سنة ٣٥٥ في شهر رجب. وتوفي لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ ببغداد، وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها. ثم نقل جثمانه إلى تربة كربلاء إلى جانب قبر أخيه الشريف الرضي.

وأعقب ولدًا سماه أبا جعفر محمدًا، وتعددت كناه وألقابه، حتى وهم بعض المؤرخين أن له أكثر من ولد. لكنه أعقب أكثر من بنت. وقد كان ثريًا؛ فيروى أنه حين توفي ترك خمسين ألف دينار عدا الضياع والمتاع.

٣- أسرته :

نشأ الشريف المرتضى في أسرة شيعية تعد من الأسر العريقة في بغداد، والتي كان لها اتصال مباشر بقصر الخلافة، تبعًا لمكانتها وقرابتها من آل البيت.

فقد كان والده الشريف أبا أحمد الحسين، والذي لقبه بهاء الدولة البويهى بالطاهر الأوحى ذي المناقب؛ لجمعه مناقب عديدة. وهو علوي النسب، هاشمي الأرومة، نقيب الطالبين، ذو مكانة مهيبة، وجرأة كبيرة. وقد عاصر الخليفة القادر بالله كما عاصره ابنه، وكان له عنده مكانة كبيرة، وعلى صلة وثيقة بأعيان القصر وأعيان بغداد.

ساند أبو أحمد الحسين بختيار بن معز الدولة البويهى ضد ابن عمه عضد الدولة. حتى إذا استتب الأمر لعضد الدولة، وتسلم عرش آل بويه سجن الشريف الحسين في شيراز سنة ٣٦٩. وظل في سجنه حتى توفي عضد الدولة سنة ٣٧٣هـ. فأطلق شرف الدولة بن عضد الدولة سراحه، وأكرمه

وأعاد إليه نقابة الطالبين، وعينه على الحج، ولقبه بالطاهر الأوحـد ذي المناقب.

وظلّ الحسين مرموق الجانب حتى فقد بصره وتوفي ببغداد سنة ٤٠٠هـ، ودفن في داره. ثم نقل رفاته إلى مشهد الحسين بـكربلاء، ليـدفن إلى جانبـه ولـداه تـباعاً فيما بعد. وقد رثاه عدد من الشعراء كأبي العلاء المعري، ومهيار الديلمي. إضافة إلى ولديه الرضي والمرضى.

أما والدته فقد كانت أيضاً من آل البيت، واسمها فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير بن أحمد بن محمد الحسن الناصر الكبير. وينتهي نسبها إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. وتوفيت سنة ٢٨٥، حين كان المرتضى في سن الثلاثين.

وخاله هو الشريف أبو الحسين أحمد بن الحسن الناصر الصغير. فالأسرة عريقة النسب العلوي الطالبـي. والمرضى جمع شرف النسب إلى الحسين من والديه.

٤- الأخوان الرضي والمرضى:

كان الرضي، واسمه أبو الحسن محمد بن الحسين، أصغر من أخيه المرتضى؛ فقد ولد في بغداد سنة ٣٥٩، أي بعد أربع سنوات من ولادة المرتضى، وقال الشعر صغيراً وعمره خمس عشرة سنة، ومنحه بهاء الدولة لقب الشريف. وبعدئذ غدا نقيباً مكان أبيه حتى توفي سنة ٤٠٦، فتسلمها أخوه بعده حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ. وكان كذلك مسؤولاً عن الحج والمظالم.

كان الرضي شديد الطموح، حتى إنه توقع أن تنقل الخلافة إليه. وكان جريئاً قوي الجنان، يحسب الأعيان حسابه. وهكذا نلاحظ أن الرضي كان أكثر ميلاً إلى المناصب، في حين أن أخاه المرتضى كان أكثر ميلاً إلى العلم.

وكانا على صلة وثيقة بينهما، إلا أنهما كانا يختلفان قليلاً، ثم يعودان

إلى المودة الصافية . وقد قال ابن بطوطة فيهما : « ولم يُرَ أخوان مثلهما شرفاً وفضلاً ونبلاً وجلالة ورئاسة وتواداً » . وكان المرتضى شديد الحب له ، حتى إنه حين توفي أخوه الرضي لم يستطع الصلاة عليه جزعاً وحزنًا .

٥ - نقابته ومذهبه :

المفروض بنقيب الطالبين أن يكون من آل البيت ، وأن يكون بالتالي فقيه الشيعة الإمامية . وكان المرتضى كذلك ؛ ولهذا كانت نسبته « العلوي » ، أما نسبته « الموسوي » فترجع إلى جده موسى الكاظم . وقد تسلم نقابة الطالبين سنة ٤٠٦ وعمره إحدى وخمسون سنة . ولقب بالسيد ، لأنه من نسل النبي (ﷺ) ، وكذا كل من ينتسب إلى الحسين يلقب بالسيد حتى اليوم . أما « المرتضى » فمن ألقاب الإمام علي رضي الله عنه .

وإلى جانب كونه إماميًا كان معتزليًا حر الرأي ، أصوليًا صادقًا ، ومن أهل العدل ، ومن لا يعبأ بالأخبار الضعيفة . ولكنه ميال إلى الأدلة العقلية مع ما يتفق مع الكتاب والسنة .

٦ - شيوخه :

درس السيد المرتضى على خيرة أساتذة عصره علومًا شتى . فقد قرأ العربية وعلومها على ابن نباتة السعدي (ت ٤٠٥) ، والفقه والأصول على الشيخ المفيد (ت ٤١٣) ، والحديث والفقه على ابن بابويه القمي (ت ٣٨١) ، والأدب والشعر على المرزباني الكاتب (ت ٣٨٤) .

٧ - صفاته ومكانته :

كان المرتضى كريمًا ، واسع الصدر ، صاحب بر وصدقة . ميالًا إلى الزهد في الدنيا ، راغبًا عن بهرجتها . ومع أنه نقيب الطالبين ، وفقه الشيعة الإماميين ، إلا أنه لم يكن متطرفًا في مذهبه ، فأحبه الناس ، وأحب الناس من غير اعتبار لأديانهم ومذاهبهم ؛ فيروى أنه كان صديقًا لأبي إسحاق الصابئ ، وكريمًا على بعض اليهود .

ولهذا كانت مكانته رفيعة لدى الخاصة، مقرباً من الخلفاء وأمرء بني بويه ووزرائهم، وورثاؤه لهم دليل وفائه وصدق أحاسيسه نحوهم. وكان يدخل عليهم من غير حرج، ويقدم لهم النصيح والرأي. كما كانت مكانته حبيبة إلى العامة والأصدقاء، يتسابقون إلى كسب رضاه ومودته.

ومن البديهي لمن يتصف بهذه الصفات، ويتحلى بمحبة الخاصة والعامة، أن يكون له حساد وخصوم. وهم كثيرون، يتضح ذلك من شعره فيهم، ولا سيما حين يتنكر الزمان له، ويتضايق من سوء معاملة الأصدقاء. فقد كانوا يجرحونه، ويصفونه بصفات ليست فيه كالبخل والترفع.

٨- ثقافته وعلومه :

وجهته بيئته منذ صغره نشأة دينية؛ فكان منذ طفولته يتلو القرآن الكريم ويحفظه، ويتابع علوم العربية والفقه والحديث والأدب، حتى غدا إماماً في علوم الشريعة وفنون الأدب. وكان يحفظ شعر الفحول القدماء، ويحضر المجالس الأدبية وينظر فيها ويبرز في آرائه ويفوق أقرانه. وعدّ شيخاً في النحو ورواية الشعر.

وفي أماليه ما يدل على مقدرته في كثير من العلوم. وله براعة خاصة في الفلسفة. ومع أنه درس علم الفلك، إلا أنه يستخف بعلم التنجيم وبالمنجمين. ولعل نظرة واحدة إلى مؤلفاته، تتضح لنا معالم ثقافته وآفاق علومه.

٩- تصانيفه :

تذكر كتب الأدب أن للمرئضي ما يقرب من سبعين مصنفًا. وقد عني بعضهم بالتنويه بها كالنديم وابن الجوزي. وقد ضاع كثير منها، ومما بقي بين أيدينا:

- الأمالي، وأصل اسمه «الغرر والدرر» (مطبوع).

- الشهاب في الشيب والشباب (مطبوع).

- الشافي في الإمامة (مطبوع).
 - تنزيه الأنبياء (مطبوع).
 - الانتصار، في الفقه (مطبوع).
 - المسائل الناصرية، في الفقه (مطبوع)^(١).
 - تفسير القصيدة المذهبة (مطبوع).
 - إنقاذ البشر من الجبر والقدر (مطبوع).
 - الرسائل (مطبوع).
 - طيف الخيال (مطبوع).
 - مقدمة في الأصول الاعتقادية (مطبوع).
 - أوصاف البروق.
 - شرح قصيدة للسيد الحميري.
 - المقنع، في الغيبة.
- كما يعزى إليه وضع «نهج البلاغة» وليس الشريف الرضي، وقد قال الذهبي: «وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين».

١٠ - مكتبته:

أجمع المؤرخون على كثرة عدد الكتب التي ضمت مكتبته، ولكنهم اختلفوا في عدد المجلدات التي احتوت عليها؛ فبعضهم يرى أن مكتبته ضمت قرابة ثمانين ألف كتاب، بينما الغالبية على أن عددها بلغ ثلاثين ألفاً. فقد كان شغوقاً بجمع الكتب، مغرمًا بإهداء بعض ما يشتري. ويروى أنه اشترى مرة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار. وهو أول من جعل مكتبته داراً للعلم يؤمها طالبو المعرفة من شتى مللهم ونحلهم. ويكفي لمن عنده

(١) هي غير «الرسالة الناصرية» لنجم الدين الزاهري (ت ٦٨٥هـ).

مثل هذه المكتبة أن يكون عالمًا بالعلوم التي تضمها؛ بشكل عميق أو بشكل سطحي .

١١ - المصادر عنه :

الكتب التي ترجمت للشريف المرتضى كثيرة، أهمها:

- روضات الجنات - الخوانساري
- ميزان الاعتدال
- مجلة العرفان
- معجم الأدباء - ياقوت الحموي
- المنتظم - ابن الجوزي
- الانساب - السمعاني
- ذيل تجارب الأمم - أبو شجاع
- تاريخ الطبري - الطبري
- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي
- رحلة ابن بطوطة
- لسان الميزان
- جمهرة الأنساب
- الفهرست - الطوسي
- وفيات الأعيان - ابن خلكان
- إنباه الرواة - الأنباري
- الكنى والألقاب - عباس القمي
- بغية الوعاة - السيوطي
- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد
- عمدة الطالب -

- الذريعة -

- أعيان الشيعة -

١٢ - ديوانه :

يعتبر ديوان الشريف المرتضى من الدواوين الضخمة من حيث عدد الأبيات، وهو أشبه بالبحري وأبي تمام. ويذكر أن ديوانه قديمًا كان يضم قرابة عشرين ألف بيت لم يبق منها إلا أقل من أربعة عشر ألف بيت. بينما ذكر ياقوت أن ديوانه ضخم يضم أكثر من عشرة آلاف بيت.

وقد حققه رشيد الصفار ونشره في مصر عام ١٩٥٨. واهتم بتقويم معوجه بالاستناد إلى النسخ الخطية ومؤلفات المرتضى وكتب الأدب. ولما كانت الحاجة ضرورية إلى هذا الديوان، ويعوز طبعة الصفار كثير من الشروح فقد عكفنا على إخراج الديوان إخراجًا علميًا حديثًا، وشرحنا كل كلمة غريبة، وشرحنا أبيات الديوان بيتًا بيتًا، لا نذكر أننا أغفلنا إلا النادر جدًا. ولم نجد في شعره أبياتًا مغلقة كالتي وقعنا عليها أثناء شرحنا لديوان البحري. ومع جهدنا الذي بذلناه لا ندعي الإحاطة؛ فالشعر ذوق ووجدان، كما أن بعض المعاني تظل حكرًا على صاحب الديوان، لا يباح بها تمامًا أحيانًا؛ ولا سيما عندما يحس بأنه يضطر إلى المدح، فينبش المعاني نبشًا، ويصطنع الوجدان فلا ينساق له. ومع ذلك فإننا نكرر بأن المعاني الغامضة قليلة جدًا عند المرتضى، ولا تقارن بغيره من الشعراء.

١٣ - شاعريته :

اشتهر شاعرنا بأنه عالم أكثر منه شاعرًا، بينما اشتهر أخوه بشاعريته أكثر منه. وشعره صورة دقيقة لأخلاقه، ومرآة صادقة لنفسيته الصافية العفيفة. فهو أحد الأئمة في الدين، والعارفين لواقع الحياة التي يعيشها أمثاله. وتمثل عفته في الغزل النقي، ولا سيما ما كان على طريق الطيف.. لأنه لم يكن يريد واقعًا لغزله.

وتبدو عفته كذلك في هذه المقدمات الغزلية، التي تبدو فيها المحبوبة راحلة أو صائدةً دومًا من غير لقاء، سوى لقاء النظر المحتشم، من غير ذكر للمفاتن إلا ما يستدعيه الموقف. ولا نجد في شعره غزلًا لغلام، لكنه قد يستخدم الضمير المذكر في غزله. كما لا نجد وصفًا للخمرة، إلا ما جاء منها رمزًا.

وهو نظم في أكثر أغراض الشعر المعروفة في عصره. وأكثر أغراضه في ديوانه هي قصائد المدح؛ فقد مدح الخلفاء، وبني بويه، وعددًا من الوزراء والأعيان. كما مدح بعض العلويين، ولا سيما من عقد معهم صداقة ومودة، ومن أشهرهم النقيب أبو الحسن محمد بن علي الزينبي (ت ٤٢٧هـ)، وخاله الشريف أبو الحسين.

وقد كان صادقًا في مدحه لأن من مدحهم يمتّون إليه بصلة القرابة أو المودة، وهو لم يمدح تكسبًا ولا متصنّعًا مضطرًا إلا نادرًا. ودليل صدقه في مدائحه أنه رثى أكثر من كان مدح.

وهو كثير الفخر بنفسه وحسبه ونسبه العلوي، ويدمج فخره غالبًا بدم الحساد والجائرين عليه ومن يراعاهم ويهتم بهم، في حين أنهم يتنكرون له ويتناسون فضله. وهو يتكرم عليهم حينًا بالعون وحينًا بالمال، على حسب الحاجة. وهو لم يكن كثير المال دومًا؛ فيبدو من شعره أن ذات اليد تضيق به حينًا، لكن الغنى حالفه، ولا سيما في أواخر عمره.

ومن الأغراض التي أخذت مكانتها في ديوانه شعر الشيب. وهو غرض يجيء عنده منفردًا كثيرًا، ومرتبطًا مع غزل الصدف كثيرًا أيضًا. ولعله من أجمل ما قيل في الشيب لارتباطه بحالة نفسية تندّ عند من بلغ الخمسين، ولا خلاص من أذى هذا البياض، لأنه إيذان بأفول شباب الحياة وحياة الشباب. ويتلوه في الأهمية شعر الطيف أو طيف الخيال. لكن شعر الشيب عنده يأتي متضارب المعاني متفاوت المفهوم؛ على حسب نفسيته من جهة، وعلى حسب ناطقه: أهو المرتضى نفسه أم محبوبته، ولكن على لسانه؟ ومن شعره الوجداني أيضًا ما يستوحيه من زيارته للمقابر. فمن عادته أن

يزور القبور - وهذا كثير عند الشيعة - فيستلهم العبر والعظات من الذين سبقوه، فيرسل لونا مميزا من العظات، يضيفه إلى غرض برع فيه وهو شعر الموعظة. وله فيه باقة استوحى أغلبها من تجربته، وإيمانه، وعلاقته بإخوانه المخلصين وغير المخلصين.

والغالب على قصائده طول النفس الشعري، ولا سيما في رثائه لأهل البيت أو الافتخار بهم، حيث إنه يجد نفسه منطلقة تمام الانطلاق. كما أن نفسه طويل في قصائد المدح. وقد نجده ينظم بعض القصائد على لسان غيره، كما فعل للوزير أبي الحسن علي بن حمد، كي يرسلها الوزير باسمه إلى بهاء الدولة. ومن حسن الحظ أن هذه القصائد دُوت في ديوانه، ولم تُضَع.

كما أنه يستجيب لمن يحثه على نظم الشعر في مناسبة معينة، أو بنقض بعض قصائد الشعراء، كتنقضه شعر جرير أو القصيدة اليتيمة.

وهو نظم على أغلب الأبحر العروضية التامة والمجزوءة، ولم يجد عسرا في نظمه على الأبحر الطويلة، لشاعرية متمثلة فيه منذ صغره. وهو يعتني بانتقاء الألفاظ المناسبة لكل غرض أو معنى، لكن الغالب عليه فخامة المفردات، وروح البداوة ولا سيما في المقدمات الغزلية.. إلا أنه أحيانا، ولا سيما في الغزل والطيف والشيب يذوب رقة وعاطفة، وترتمي الألفاظ الناعمة السلسلة الموسيقية بين يديه مطواعة.

وبهذا القدر كفاية، والديوان بشرحه الكامل بين أيدي القراء هو خير رسول لكم، وخير مرآة لشاعرية الشريف المرتضى، وخير معبر عن الجهد الذي بذلناه.

الكويت ١٨/١٠/١٩٩٦

محمد التونجي

القسم الثاني:

ديوانه

قافية الهمزة

- 1 -

قال يرثي الشريف أبا عليّ عمر بن محمد بن عمر المتوفى في رجب سنة ٤١٣هـ^(١): [من الطويل]

على مثله تُذري العيون دماءً فلا يحتشمُ بالكِ عليه بُكاءُ^(٢)
وَقُلْ للذي سَجَّتْ شُؤُونُ دموعِهِ: دَعِ الدمعَ يجري كيفَ شئتَ وِشاءُ^(٣)
ولا تَمْنَعِ الأَجْفَانُ سَحًّا فكلُّما هَرَقْنَ الذي فيهنَّ عُدْنَ مِلاءُ^(٤)
فما اليومُ إلَّا يومُ حزنٍ ولوعةٍ فخلُ حِرَانًا في الأُسَى وإِباءُ^(٥)
وإن كنتَ طَوْعًا للحَيَاءِ فلا تُطغِ بِحَدِّكَ في هذا المصابِ حَيَاءُ^(٦)

(١) هو عمرو بن محمد بن عمر، ينتهي نسبه إلى الإمام علي (رضي). سكن بغداد، واشتغل بالحديث، وتوفي بها سنة ٤١٣هـ. وقد استولى السلطان على أمواله بعد وفاته، وكان ثريًا.

(٢) المفردات: تذري: من الفعل ذرى؛ أذرت العين دمعها: صبته.
المعنى: إن مقام الشريف جعل العيون تذرف دماء عوضًا عن الدمع، ولم يعبأ الرجال من البكاء عليه.

(٣) المفردات: سَجَّ: سَخَّ. الشؤون: مفرداها الشأن؛ وهو العرق الذي تجري منه الدموع.
المعنى: خاطب من سالت دموعه من مآقيها، لا تمنع سيل الدمع، بل دعه يجري كما يشاء.

(٤) المفردات: هرق الماء: صبه، ومثلها هراقه، أصلها أراقه، فأبدلت الهمزة هاء.

المعنى: لا تحلّ دون سيل الدموع، لأنك كلما سكبت الدمع عادت العيون إلى امتلائها.

(٥) المفردات: حزن بالمكان: لزمه ولم يفارقه. والحران: الاستعصاء؛ للخليل وغيرها.

المعنى: وإن استمرارك بالبكاء أمر مهم لأن هذا اليوم هو يوم عزاء وأسى، فلا تقسُ على نفسك وخفف من حدّتك.

(٦) المعنى: وإن كان من طبعك أن تكون حيًّا، فاعصِ طبعك لقاء هذا المصاب الجليل.

ونادِ نَصِيحًا: لا أَحَبُّ نَصِيحَةً وَقُلْ لِمُعَزٍّ: لا أريدُ عَزَاءً^(١)
أَمِنْ بَعْدِ فَجَعِ الْمَوْتِ بَابِنِ مُحَمَّدٍ وَكَانَ كَصَدْرِ الْمَشْرِفِيِّ مَضَاءً؟^(٢)
أَرْحِي بِأَوْطَانِ الْعَدَامَةِ ثَرَوَةً وَأَمَلٌ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بَقَاءً؟^(٣)
دَفَنْتُ الْإِخَاءَ الْعَذْبَ لَمَّا دَفَنْتُهُ فَلَسْتُ بِبَاغٍ مَا حَيْثُ إِخَاءٌ^(٤)
وَمَا كَانَ إِلَّا حَامِلًا ثِقْلَ قَوْمِهِ إِذَا أَظْلَمُوا يَوْمًا عَلَيْهِ أَضَاءٌ^(٥)
وَلَمْ يَكْ خَوَارًا وَلَا كَانَ عُودُهُ إِذَا عَجَمُوهُ بِالنُّيُوبِ أَبَاءً^(٦)
يُعِلُّونَهُ مَا يُجْتَوَى وَيَعْلَهُمْ صَفَاءٌ عَلَى تَرْزِيقِهِمْ وَوَفَاءً^(٧)
وَيُسْرَعُ نَهَاظًا بِمَا آدَ ثِقْلُهُ إِلَيْهِمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَيْهِ بِطَاءً^(٨)

(١) المعنى: وارفض عظة ناصح، وعزاء معز.

(٢) المفردات: المشرفي: صفة للسيوف المصنوعة في بعض قرى العرب من مشارف الشام أو من مشارف اليمن. الفجع: الوجع. مضى مضاء في الأمر: نفذ فيه الأمر وأتمه. ومضى السيف مضاء: قطع.

المعنى: البيت مرتبط بالذي بعده من حيث المعنى.

(٣) المعنى: وكيف تريدني أملُ ثراء من ديار العدم، وحياة في دار الفناء بعد أن فجعني الموت بالشريف عمر بن محمد، وقد كان مثل السيف المشرفي قطعاً؟ العدامة: الفقر.

(٤) المفردات: باغ: اسم فاعل من الفعل بغى بمعنى طلب.

المعنى: ابن محمد هذا أخ أثير علي، وبموته دفنت الإخاء الصادق، ولن أنشد بعده أخوة أخرى.

(٥) المعنى: ويأخذ بتعداد مآثره؛ فقد كان الشريف الفقيد متحملاً أعباء أهله. وكلما اعتراهم الحزن والأسى خفف عنهم، وأنار لهم طريقهم.

(٦) المفردات: الخوار: الضعيف الجبان. عجم العود: عضه ليعلم صلابته من رخاوته. النيوب: مفردا الناب: وهو السن بعد الرباعية (من نيب). الأباء: القصب، مفردا الأباءة.

المعنى: وهو لم يكن واهن العظم، ولا كان عوده المجرب قصبة.

(٧) المفردات: علّ يعلّ: (بضم العين وكسرهما) شرب ثانياً أو تباعاً. يجتوى: يستكره. الترنيق: التكدير؛ من الرنق وهو الكدر.

المعنى: يسقونه ما يستكره، أما هو فلا يسقيهم إلا الصفاء والوفاء.

(٨) المفردات: آد الحمل: أثقله. البطاء: مفردا البطيء.

المعنى: إن قوته مشهود بها؛ فهو يتحمل كل ما حيل على غيره حمله، ولا يسرعون إليه.

وممّا شَجَا أَنِّي رُزْتُكَ بَغْتَةً وقد كُنْتُ مملوءَ الفُؤَادِ رَجَاءً^(١)
 وودَّ رجالٌ لو فَدَوْكَ، وقلّما تقبَّلَ وُزَادُ الحِمَامِ فِدَاءً^(٢)
 ألا إنَّ قومي بعد بأسٍ وكثرةٍ قَضَوْا بفنونِ الحَادِثَاتِ قَضَاءً^(٣)
 رَدُّوا بعد أن كانوا سَدَادَ عَظِيمَةٍ وكانوا لأوجاعِ الزَّمانِ شِفَاءً^(٤)
 وولَّوا كما انقَضَتْ نجومٌ دُجْنَةٌ وقد أَتَرَعُوا صُحُفَ الرُّوَاةِ ثَنَاءً^(٥)
 ولَمَّا مَضَوْا يَهُوُونَ فِي سَنَنِ الرَّدَى أحالوا صَبَاحَ المَكْرُمَاتِ مَسَاءً^(٦)

- 2 -

ركب جلال الدولة في عيد الفطر سنة ٤١٩هـ إلى مشهد العتيقة، وركب
 هو معه. فطلب إليه أن ينشد في المناسبة، فقال بديهة^(٧): [من الخفيف]
 يا ملك الوري ومن عقد الدُّهُ بِإِقْبَالِهِ العَزِيزِ لَوَاءً^(٨)
 والذي أَخَجَلَ الملوِك قَدِيمًا وحديثًا تَكْرُمًا وَمَضَاءً^(٩)

- (١) المفردات: شجا وأشجى: أحزن. الرزية: المصيبة.
 المعنى: والذي أحزني وآلمني أنني أصبت بك فجأة، بعد أن كنت لي كل الرجاء.
 (٢) المفردات: الواردون على الماء، مفردها الوارد. الحمام: الموت.
 المعنى: وتمنى أناس أن يفتدوك بأرواحهم، ونادراً ما يُقبَل فداء الموت.
 (٣) المعنى: إن أهلي ذوو قوة وعدد، وهم قادرون على تخطي المصائب مهما تنوعت.
 (٤) المفردات: ردَى وردى: سقط وهلك.
 المعنى: وبموت الشريف هلكوا وقد كانوا أهلاً للمصائب، ودواء لكل داء.
 (٥) المفردات: الدجنة: الظلمة. أترعوا: ملؤوا. انقضّ: سقط وهوى.
 المعنى: لكنهم سقطوا كما هوت نجوم ليلة مظلمة، وملؤوا صحف الرواة إشادة بهذا الرجل.
 (٦) المفردات: السّنن: الطريق. الردى: الموت.
 المعنى: وهم حين تساقطوا في طرق الموت جعلوا نور فعل الخير مظلمًا.
 (٧) جلال الدولة من أمراء الدولة البويهية. والعتيقة: محلة ببغداد في الجانب الغربي، سميت
 بذلك لأنها كانت قبل بناء بغداد، وكانت قرية تدعى «سونايا». وبني فيها مسجد للشيعة
 منسوب إلى الإمام علي؛ فقد روي أنه مر بالمنطقة وصلى فيها.
 (٨) المعنى: يخاطب جلال الدولة بأنه ملك الخلق، وأن الله عقد له لواء بعد أن رآه ذا إقدام.
 (٩) المفردات: المضاء: السرعة في القطع.

إِنَّ قَرْنَاهُمْ إِلَيْكَ جَمِيعًا كُنْتَ صُبْحًا لَنَا وَكَانُوا مَسَاءً^(١)
 أَيُّ شَيْءٍ أَبْقَيْتَ؟ مَا كُنْتَ إِلَّا سَابِقًا أَوَّلًا وَكَانُوا وَرَاءَ^(٢)
 أَنْتَ أَوْلَى بِهِمْ بِنَاصِيَةِ الْفَضْلِ لِي وَأُخْرَى وَلَمْ يَكُونُوا بِطَاءً^(٣)
 فَهَنِيئًا بِالْعِيدِ وَاسْتَأْنِفَ الْفِطْرِ بِمَا شِئْتَ مِنْ سُرُورٍ وَشَاءَ^(٤)
 وَتَيَقَّنْ أَنَّ الصَّيَامَ الَّذِي مَا زِلْتَ فِيهِ تَجَانِبُ الْأَهْوَاءَ^(٥)
 رَفَعَتْهُ لَكَ الْمَلَائِكَةُ حَيْثُ الـ عَرْشُ وَاحْتَلَّ قُلَّةً عَلِيَاءَ^(٦)
 فَدَحِ الْفِكَرَ فِي الْأَعَادِي فَإِنَّ الـ لِمَهُ يَكْفِيكَ وَحْدَهُ الْأَعْدَاءَ^(٧)
 طَالَمَا خَابَ مَنْ تَعَاطَى بِجَهْلِ وَاعْتَرَارٍ أَنْ يَلْمَسَ الْجُوزَاءَ^(٨)
 إِنْ أَعَدُّوا غَدْرًا فَإِنَّكَ أَعَدُّ تَ حُلُومًا «رَزِينَةً» وَوَفَاءَ^(٩)
 قَدْ أَسَاؤُوا، وَاللَّهُ يُخْزِي، سَرِيعًا مَنْ إِلَى مُحْسِنٍ صَنِيعًا أَسَاءَ^(١٠)
 مَا رَأَيْنَا مِنَ الْمُلُوكِ أَوْلَى الْحُدُ حِكَةٍ إِلَّا مِنْ يَحْمَدُ الْإِبْقَاءَ^(١١)

=المعنى: وجلال الدولة أخجل أنداده بكرمه وسرعة حزمه؛ سواء القدماء والمحدثون منهم.

- (١) المعنى: هؤلاء الملوك هم أدنى منك في كل شيء؛ فإن كنت صباحًا كانوا أمامك مساءً.
- (٢) المعنى: لم تترك لهم شيئًا يفخرون به، فأنت السباق وهم خلفك.
- (٣) المفردات: الناصية: مقدم الرأس، أو شعر مقدم الرأس إذا طال.
- المعنى: أنت أفضل من الملوك الآخرين كي تُمسك بشرف الفضل، وأخرى بأن تسبقهم، وإن لم يكونوا بطيئين ولا مقصرين.
- (٤) المعنى: فاهنا بعيد الفطر، وتابع سرورك الذي تحب.
- (٥) المعنى: واعلم أنك في صيامك لشهر رمضان كنت بعيدًا عن الأهواء.
- (٦) المفردات: القلة: القمة.
- المعنى: وثوابك في هذا الصوم أبلغته الملائكة إلى سدة العرش، لأنه صيام لله وحده.
- (٧) المعنى: ولا تعبأ بأعدائك وخصومك، فالله وحده يكفيك شر أذاهم.
- (٨) المعنى: لقد انقطع أمل من اغتر بقوته، وظن جهلاً أنه يبلغ برج الجوزاء في كبد السماء.
- (٩) المفردات: الحلوم: العقول.
- المعنى: وهم إن أعدوا العداوة ضدك غدراً، فإنك تقابلهم بالعقل الرصين والوفاء الصادق.
- (١٠) المعنى: أخزاهم الله على تسرعهم في الإساءة إليك، وأنت صاحب الإحسان.
- (١١) المعنى: لم نجد من الملوك ذوي الخبرة والتجربة، إلا وهم يحمدون بقاءك بينهم.

أَنْتَ تَجْزِي عَفْوًا وَصَفْحًا فَإِنْ أَحَدٌ رَجْتَ أَجْرَيْتَ بِالسَّيْفِ الدَّمَاءَ^(١)
 فِي مَقَامٍ يَزُورُ فِيهِ نَجَاءٌ عَنْ يَمِينٍ إِذَا طَلَبْتَ نَجَاءَ^(٢)
 مَا تَرَى إِنْ رَأَيْتَ إِلَّا رُؤُوسًا هَابِطَاتٍ فِي التُّرْبِ أَوْ أَعْضَاءَ^(٣)
 وَوُجُوهًا بِلَا حَيَاءٍ لَدَى الْحَزِّ بِ وَيَقْطُرْنَ يَوْمَ سِلْمٍ حَيَاءَ^(٤)
 وَخِيُولًا يَلْبَسْنَ بِالطَّعْنِ فِي الْإِقْدَامِ وَالضَّرْبِ مِنْ نَجِيعِ مُلَاءَ^(٥)
 وَضِرَابًا يَسْتَقْدِمُ النَّصْرَ مِنْ شَخْ طِ وَطَعْنَا يَفْرُجُ الْغَمَّاءَ^(٦)
 فَابَقَ فِينَا مُمْلَكًا ذِرْوَةَ الْمَدِّ كِ طَوِيلًا حَتَّى تَمَلَّ الْبَقَاءَ^(٧)
 وَاسْتَمِعْ مِنِّي الثَّنَاءَ فَمَا زَا لَ جَمِيلُ قَوْلِي يَفُوتُ الثَّنَاءَ^(٨)
 كُلُّ مَدْحٍ وَإِنْ تَأَنَّقَ ذُو الْإِحْسَانِ فِيهِ أَرْضٌ، وَكُنْتَ سَمَاءَ^(٩)

- 3 -

وله في التسلية عن الشيب والاعتذار بحلوله: [من الطويل]

أَمَاوِيُّ إِنْ كَانَ الشَّبَابُ الَّذِي انْقَضَتْ لِيَالِيهِ عَنِّي شَابَ مِنْكَ صَفَاءَ^(١٠)

(١) المعنى: اشتهر عنك العفو والمغفرة، ولكنك لا تتورع عن سفك الدماء إن تطلب الأمر ذلك.

(٢) المفردات: يزور: يعدل وينحرف. نجاء: نجاة.

المعنى: في مقام ينحرف فيه طريق النجاة عن قسم أقسمته إن أردت الحل منه.

(٣) المعنى: فإن نظرت حولك، فلا ترى إلا رؤوسًا مجندلة ملطخة بالتراب، وأعضاء متناثرة.

(٤) المعنى: وفي ساعة الضرب ترى أناسًا انعدم منهم الحياء، في حين أنهم كانوا أيام السلم في غاية من الحياء والأدب أمامك.

(٥) المفردات: النجيع: الدم. الملأ: مفردها ملأة، وهي ثوب ذو لفقين.

المعنى: وخيلك تتضخخ بالدماء أثناء الإقدام والطعان، وكأنها ارتدت ثيابًا من دمائهم.

(٦) المفردات: الشحط: البعد.

المعنى: وإن طعنك فيهم يطبق الآفاق، ويستدعي النصر من بعيد. ويزيح طعنك الغم عن النفوس، ويفرج كربها.

(٧) المعنى: ولا نريد منك إلا أن تبقى مملوكًا فينا أمداً مديداً، حتى تمل البقاء ولا نملّه.

(٨) المعنى: وهأنذا أمتدح فيك شمائلك فاستمع إلى كلامي الجميل وهو يعدد مآثر.

(٩) المعنى: ويظل المدح، أي مدح، دون مقامك. فإن كان مدحي أرضاً كنت أنت السماء.

(١٠) المفردات: مآوي: محبوبة الشاعر الرمزية، وهي منادى على لغة من لا ينتظر، أصلها =

وما إن عَهِدنا زائلاً حانَ فَقْدُهُ وإن كَانَ مَوْقُوفاً أَزَالَ إِخاءَ^(١)
فما الذَّنْبُ لي في فاحمِ حالَ لوْنه بياضاً، وقد حالَ الظلامُ ضِياءَ؟^(٢)
ولو كَانَ فيما يُحدثُ الدَّهرُ حيلةً أبَيْتُ على هذا المَشِيبِ إِباءَ^(٣)
فلا تُنْكَري لوْنا تَبَدَّلْتُ غَيْرَهُ كمستَبْدِلٍ بَعْدَ الرُّدَاءِ رِداءَ^(٤)
فإني على العهدِ الَّذي تَعْهَدِيْنه حِفْظاً لِمَا اسْتَحْفَظْتَنِي ووفاءَ^(٥)
مَشِيبٌ كَفَتَقِ اللَّيْلِ في مُدْلهِمَّةٍ أَتاكِ يَقيْنَا أو أَزَالَ مِراءَ^(٦)
كَأَنَّ اللَّيالي عنه لَمَّا رَمَيْتَنِي جَلَوْنَ صَداءَ أو كَشَفْنَ غِطاءَ^(٧)
فلا تَجْعَلي ما كَانَ مِنْكَ مِنَ الْأَذَى عِقَاباً لِمَا لَمْ آتِهِ وَجِزاءَ^(٨)
وَعُدِّي بياضَ الرّأْسِ بَعْدَ سِوادهِ صَباحاً أَتى لَمْ أَجْنِهْ ومساءَ^(٩)

=ماوية.

المعنى: البيت مرتبط بالمعنى بالذي يليه. أيا ماوية إن كان شبابي قد ولت أيامه، فسبب ذلك أن الشيب بدا صافياً.

(١) المعنى: إذ إنه ليس ذنبي أن يتحول سواده إلى بياض، وأن يغدو الظلام نوراً.

(٢) المعنى: فما نعلم شيئاً أزف زواله - وليس منا - يسبب إنهاء المودة بيننا.

(٣) المعنى: ولو أن الأمر بيدي، وأنني أستطيع أن أمنع الدهر مما هو مقدم عليه لمنعت الشيب من أن يهاجمني.

(٤) المعنى: فلا تؤاخذيني على تغير لون شعري، ولا تستنكري هذا اللون الجديد. ومثلي مثل من يبدل ثوباً بثوب، ويبقى جوهره هو هو.

(٥) ومع تغير لون شعري أظل ثابتاً على عهدي الذي تعرفينه، وعلى وفائي المعروف.

(٦) المفردات: المدلّهة: الليلة الظلماء. المراء: الجدل والمنازعة.

المعنى: وهذا الشيب جميل، إنه أشبه بانبلاج الفجر في ليلة حالكة السواد. وقد بدا لك صحيحاً أو أزاح عنك شكاً وتساؤلاً.

(٧) المفردات: جلون: كشفن وصقلن. صدؤ الحديد صداءة: علاه الصدا.

المعنى: كأن هذه الليالي والأحداث حين دهنتني أزاحت طبقة الصدا عني، أو أزاحت غطاء الأحزان، فبدت بياضاً ناصعة.

(٨) المعنى: فلا يكن منك عقابٌ على جريرة لم أقم بها، ولا جزاء لما آت به.

(٩) المعنى: وما عليك إلا أن تعتبري حلول بياض شعري بعد سواده صباحاً حلٌ بعد زوال المساء، وليس في يدي الأمران.

ولا تَطْلُبِي شَيْئًا يَكُونُ طِلَابُهُ وقد ضَلَّ عَنْهُ رائدوه عَنَاءً^(١)
فإنَّكَ إنْ ناديتِ غِبَّ تَلْهُفٍ شبابًا - وقد وَلَّى - أَضْغَتِ نِدَاءً^(٢)

- 4 -

قال يذكر مصرع جده الحسين عليه السلام^(٣) : [من الطويل]
أُسْقَى نَمِيرَ المَاءِ ثُمَّ يَلْدُ لِي ودُورُكُمْ آلَ الرَّسُولِ خَلَاءٌ؟^(٤)
وَأَنْتُمْ كَمَا شَاءَ الشَّتَاتُ وَلَسْتُمْ كَمَا شِثْتُمْ فِي عَيْشَةٍ وَأَشَاءُ^(٥)
تُذَاوِذَنَ عَنِ مَاءِ الْفُرَاتِ وَكَارِعُ بِهِ إِبِلٌ لِلْغَادِرِينَ وَشَاءُ^(٦)
تَنْشُرُ مِنْكُمْ فِي الْقَوَاءِ مَعَاشِرُ كَأَنَّهُمْ لِلْمُبْصِرِينَ مُلَاءُ^(٧)
أَلَا إِنَّ يَوْمَ الطَّفِّ أَذْمَى مَحَاجِرًا وَأَدْوَى قُلُوبًا مَا لَهَنَ دَوَاءُ^(٨)

(١) المعنى: ولا تقهريني على طلب لا أستطيع على عنائه قوة، وقد ضل غيري عن إتيانه.

(٢) المفردات: غب: بُعيد، وهي في الأصل: الإتيان يومًا وتركه يومًا.

المعنى: لأنك إن دعوت الشباب بُعيد شوق إليه، وقد مضى هذا الشباب، ما كان لندائك جدوى.

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ٤هـ. تخلف عن مبايعة معاوية ثم يزيد. وقد خرج إلى العراق بدعوة منهم لمساندته، لكن جيش الأمويين كان له بالمرصاد. فقتل في كربلاء يوم الجمعة العاشر من محرم سنة ٦١هـ.

(٤) المفردات: النمير: الزاكي من الماء ومن الحساب.

المعنى: كيف أشرب الماء العذب ويطيب لي طعمه، ودياركم يا آل النبي خالية؟

(٥) المعنى: وأراكم تعيشون عيش الشتات والفرقة، ولستم كما تتمنون لأنفسكم، أو كما أتمنى لكم.

(٦) المفردات: ذاد الإبل عن الماء: طردها. الكارع: كل خائض ماءٍ شرب أو لم يشرب.

المعنى: أو تُمنعون عن ورود الماء الغزير الصافي، في حين أن الغادرين ممّا هبّ ودبّ يجوسون هذا الماء وينهلون منه؟

(٧) المفردات: القواء: قفر الأرض والخلاء، والأرض التي تُمطر، وتكسر قافها.

المعنى: توزع كثير منكم في القفار، كأنهم ثوب يغطي المبصرين.

(٨) المفردات: الطف: فناء الدار، وما أشرف من الأرض؛ يريد يوم مقتل الحسين (ع).

المحاجر: مفردا المحجر (بفتح الميم وكسرهما) من العين: ما دار بها.

المعنى: لقد بكت العيون دماء في تلك المعركة، وأوقعت قلوبًا في داء لا دواء له.

وإنَّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ وَرُبَّ مُصَابٍ لَيْسَ فِيهِ عَزَاءٌ^(١)
أَرَى طَخِيَّةً فِينَا فَأَيْنَ صَبَاحُهَا؟ وَدَاءٌ عَلَى دَاءٍ فَأَيْنَ شِفَاءٌ؟^(٢)
وَبَيْنَ تَرَاقِينَا قُلُوبٌ صَدِيقَةٌ يُرَادُّ لَهَا لَوْ أُعْطِيَتْهُ جَلَاءٌ^(٣)
فِيَا لَائِمًا فِي دَمْعِي أَوْ مُفَنِّدًا عَلَى لَوْعَتِي وَاللُّومُ مِنْهُ عَنَاءٌ!^(٤)
فَمَا لَكَ مِنِّي الْيَوْمَ إِلَّا تَلْهُفٌ وَمَا لَكَ إِلَّا زَفْرَةٌ وَبُكَاءٌ^(٥)
وَهَلْ لِي سُلُوانٌ وَآلٌ مُحَمَّدٍ شَرِيدُهُمْ مَا حَانَ مِنْهُ ثَوَاءٌ^(٦)
تُصَدُّ عَنِ الرُّوحَاتِ أَيْدِي مَطِيَّهِمْ وَيُزَوَّى عَطَاءٌ دُونَهُمْ وَحِبَاءٌ^(٧)
كَأَنَّهُمْ نَسْلٌ لَغَيْرِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ شَعْبِهِ أَوْ حَزْبِهِ بُعْدَاءٌ^(٨)
فِيَا أَنْجَمًا يُهْدِي إِلَى اللَّهِ نَوْرُهَا وَإِنْ حَالَ عَنْهَا بِالْغَبِيِّ غَبَاءٌ^(٩)
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ وَصَلَةٌ لَجَهَنَّمَ فَأَنْتُمْ إِلَى خُلْدِ الْجَنَانِ رِشَاءٌ^(١٠)

(١) المعنى: ما أكثر المصائب في هذه الحياة، وإن بعض هذه المصائب لا يقبل فيها العزاء.

(٢) المفردات: الطخية: الظلمة.

المعنى: حلت بنا ظلمة حالكة لا صباح لها، وداهنا داء لا أرى له شفاء!

(٣) المفردات: التراقي: مفرداها الترقوة، وهي العظم الذي في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق.

المعنى: إن في صدورنا أفئدة خشية الصدا، نرجو أن تُصقل لو سُمح لنا بذلك.

(٤) المفردات: فنَّده: خطأ رآه وضعفه.

المعنى: وأنت يا من تلومني على بكائي وتخطئني على لوعتي، ليس لومك إلا عناء لي.

(٥) المعنى: ليس في قدرتي في هذا الزمان أن أقدم لك سوى لهفتي الحرى، وبكائي وآهاتي.

(٦) المفردات: السلوان: النسيان. الثواء: المقام.

المعنى: وكيف لي أن أتناسى همومي وأحزاني، والمشتردون من آل النبي (ﷺ) لم يقرُّ

لهم قرار بعدد؟

(٧) المفردات: يزوى: يُنمى. حباء: عطاء.

المعنى: إنهم يُمنعون وتُمنع مطاياهم من السير، ويُحرمون العطاء والهبات.

(٨) المعنى: يُمْنعونهم ويحرمونهم كأنهم من نسل آخر، أو كأنهم بعيدون عن أهله وحزبه.

(٩) المعنى: يشبه الشاعر أفراد آل البيت بالنجوم الساطعة فيقول: إن هذه النجوم ذات نور، تهبُّ

نورها إلى الله جلَّ وعلا، ومن المضحك أن بعض الأغبياء يحول دون انبثاق هذا النور.

(١٠) المفردات: الرشاء: الحبل.

المعنى: والناس صنفان؛ صنف أعداء إلى الله متصلون بجهنم، وصنف من أهل الجنة

يتصلون بحبالها، وأنتم يا آل النبي منهم.

دَعَا قَلْبِي الْمَحْزُونُ فَيُكْمُ يَهِيْجُهُ صَبَاحٌ عَلَى أُخْرَاكُم مَّسَاءُ^(١)
فَلَيْسَ دَمَوْعِي مِنْ جُفُونِي، وَإِنَّمَا تَقَاطَرْنَ مِنْ قَلْبِي فَهَنْ دَمَاءُ^(٢)
إِذَا لَمْ تَكُونُوا فَالْحَيَاةُ مَنِيَّةٌ وَلَا خَيْرَ فِيهَا وَالْبَقَاءُ فَنَاءُ^(٣)
وَأَمَّا شَقِيَّتُمْ فِي الزَّمَانِ فَإِنَّمَا نَعِيْمِي إِذَا لَمْ تَلْبَسُوهُ شَقَاءُ^(٤)
لَحَا اللَّهُ قَوْمًا لَمْ يَجَازُوا جَمِيلَكُمْ لَأَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ وَأَسَاؤُوا^(٥)
وَلَا اِنْتَشَهُمْ عِنْدَ الْمَكَارِهِ مُنْهَضٌ وَلَا مَسَّهُمْ يَوْمَ الْبَلَاءِ جَزَاءُ^(٦)
سَقَى اللَّهُ أَجْدَاثًا طَوِيْنَ عَلَيْكُمْ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِهِنَّ رِوَاءُ^(٧)
يَسِيرُ إِلَيْهِنَّ الْغَمَامُ وَخَلْفَهُ زَمَاجِرُ مِنْ قَعْقَاعِهِ وَخُدَاءُ^(٨)
كَأَنَّ بَوَادِيهِ الْعِشَارُ تَرَوْحَتْ لَهْنٌ حَنِينٌ دَائِمٌ وَرُعَاءُ^(٩)
وَمَنْ كَانَ يُسْقَى فِي الْجَنَانِ كَرَامَةً فَلَا مَسَّهُ مِنْ ذِي السَّحَابِ مَاءُ^(١٠)

- (١) المعنى: فاتركوا فؤادي على هواه من الأحزان المعتلجة عليكم وعلى ما ستؤولون إليه.
(٢) المعنى: فما هذه دموع تنبثق من مآقي، وإنما هي نابعة من قلبي المحزون، فهي دماء قانية.
(٣) المعنى: فإن أنتم لستم في هذه الحياة فالموث المحتم، ولا أرى في هذه الدنيا خيرا، وكل ما عليها فان.
(٤) المعنى: أو هو الشقاء بعينه في هذا الزمان، وإذا لم تتحلوا بالسعادة التي أرجوها لكم شقيت.
(٥) المفردات: لحا الله فلاناً: قبحه ولعنه.
المعنى: قبح الله من لم يعترف بجميلكم ولم يجاز عليه، فأنتم المحسنون وهم المحسينون.
(٦) المفردات: انتاشهم: استخرجهم وأنقذهم.
المعنى: ويتابع الدعاء على أعداء آل البيت بقوله: فلا أنهضهم الله ولا أنقذهم أحد من مصائبهم، ولا حالقهم عون يوم بليتهم.
(٧) المفردات: الأجداث: القبور، مفردا الحدث.
المعنى: من عادة العرب أن يدعوا لمن يحبون بسقاية قبورهم. رحم الله أناسا وسقى أجداثهم التي احتوتهم، وأبقى الغيث على قبورهم يهطل.
(٨) المعنى: ووجه الغيوم نحو قبورهم، وخلف الغيوم رعود مزمجرة وأهازيج من المطر.
(٩) المفردات: العشار: النوق أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر. مفردا العُشراء.
الرغاء: صوت ذات الخف.
المعنى: وكان بواكير هذه الغيوم نوق حوامل تنن باستمرار، وترغي بأصواتها. . صفة للغمام الراعد.
(١٠) المعنى: أما من كان في جنان الخلد منعما بالشرب فيها، فلا يحتاج إلى ماء هذه السحب.

وقال : [من الكامل]

ومن السَّعادة أن تموتَ وقد مضى من قبلك الحُسَّادُ والأعداءُ^(١)
فبقاء من حُرِّمَ المرادُ فناؤُهُ وفناء من بلغ المرادُ بقاءُ^(٢)
والناسُ مختلفون في أحوالهم وهُم إذا جاء الرَّدَى أكفاءُ^(٣)
وطِلابُ ما تَفْنَى وتتركُهُ على من ليس يشكرُ ما صنعتَ عَناءُ^(٤)

وقال في العتاب : [من المتقارب]

لو أَنَّكَ عرَّجْتَ في منزلٍ يهونُ العزيزُ بأرجائه^(٥)
وبيءِ المواردِ لا يَسْتَفِيقُ به القلبُ والجسمُ من دائِهِ^(٦)
جفاهُ النِّعيمُ فما إنْ به لقاطنِهِ غيرُ بأَسائِهِ^(٧)
فياقُربَ ما بينَ إضحاكِهِ لسنُّ وما بينَ إيكائِهِ^(٨)
كأني فيه أخو قَفْرةٍ يُزجِي كَلِيلاتِ أنْضائِهِ^(٩)

(١) المعنى : من سعادتك أن تستقبل الموت، بعد أن ترى حسادك وأعداءك ما توا قبلك.

(٢) المعنى : فلا هناة ببقاء من حرم أمنيته وهذا موته، ويخلد اسم من بلغ أمنيته وإن عاجلته
المنية ومات.

(٣) المعنى : والناس لا يتشابهون في حياتهم وأحوالهم، ولكنهم سواسية إذا جاءهم الموت.

(٤) المعنى : وإن سعيك المضي لتقديمه لمن لا يقدره عذاب لنفسك وضياع لهما.

(٥) المعنى : أنت إن توجَّهت نحو ديار يذلُّ في جنباتها عزيز القوم.

(٦) المفردات : الوبىء : المكان يكثر فيه الوباء. الموارد : مواضع الشرب.

المعنى : ومياه هذه الديار وخيمة، يظل قلبك وجسمك مصابين بالأدواء.

(٧) المعنى : وهذا المنزل حُرِّم نفسه من السعادة، فلا تجد سكانه إلا تعساء بائسين.

(٨) المفردات : يا هنا ليست أداة نداء، بل هي علامة تعجب.

المعنى : فما أقرب ما بين ضحك القاطن وبكائه في هذه الديار!

(٩) المفردات : يزجي : يسوق. الكليلات : المرهقات. الأنضاء : الإبل الهزيلة، مفردها النُّضو.

المعنى : وكان هذا القاطن المعنى ساكن في ديار قفرة وحيداً، يسوق أمامه نوقاً متعبة هزيلة.

وسارٍ على سَغَبٍ في القواءِ بلا زاده وبلا مائه^(١)
 وذو سَقَمٍ ملَّه عائدو ه وفات علاج أطبائه^(٢)
 فقل للذي ظنَّ أنني حَفَدْتُ بضوضائه يومَ ضوضائه^(٣)
 ومَن لا أبالي احتقارًا له بإصباحه وبإمسائه: ^(٤)
 نجوت، ولكنْ بنقصٍ كما أجمَّ الغديرُ لأقذائه^(٥)
 وذمُّ الفتى مثلُ مدحِ الفتى لأشكاله ولأكفائه^(٦)

- 7 -

وقال يعزِّي أبا الحسن علي شهفيروز^(٧) عن أخيه، وكان صديقه: [من
 مجزوء الكامل]

ما نحنُ إلَّا للَفْناءِ وإنْ طَمِعْنَا في البقاءِ^(٨)
 نُعطى ويسلبُنَا الذي أعطى التمتعَ بالعطاءِ^(٩)
 والموتُ داءٌ ماله عندَ المداوي من دواءٍ^(١٠)

-
- (١) المفردات: السغب: الجوع. القواء: القفر لم يصبها مطر.
 المعنى: يسير في هذه القفرَاء جائعًا ليس معه زاد ولا ماء.
- (٢) المعنى: وقد حلت به الأمراض التي لا أمل فيها بالشفاء، حتى إن عائديه ملؤا من كثرة زيارتهم له وهم يعلمون استحالة علاجه وعجز أطبائه.
- (٣) المعنى: هذا البيت والذي يليه جوابهما في البيت العاشر. فأخبر هذا الذي يثير الصخب، ويعتقد أنني تأثرت بهذا الصخب.
- (٤) المعنى: ذلك الذي لا أهتم به صباحًا ومساءً احتقارًا له وازدراءً.
- (٥) المفردات: أجمَّ الماء: تركه يجتمع، وتجمَّت البئر: تجمع ماؤها وكثر.
 المعنى: أخبره أنك نجوت وظفرت بالنقص، كما جمع الغدير لأقذاره.
- (٦) المعنى: لا يختلف ذم المرء عن مدحه؛ فنحن في كليهما نعدد مآثره ونصف أنداده.
- (٧) شهفيروز: معناه ملك الانتصار، أصل كتابتها «شاه: ملك» و«پروز: منتصر»
- (٨) المعنى: كلنا يطمع بالخلود في الحياة، في حين أننا خُلِقنا للَفْناء.
- (٩) المعنى: يعطينا الذي يمنعنا، وهو واهب العطاء والمنع.
- (١٠) المعنى: وما الموت إلا داء عُضال لا دواء له عند الطبيب.

والنَّاسُ فِينَا كُلُّهُمْ مَا بَيْنَ يَأْسٍ أَوْ رَجَاءٍ^(١)
 أَيْنَ الَّذِينَ سَقَتْهُمْ الـ أَيَّامُ كَاسَاتِ الرُّخَاءِ؟^(٢)
 وَتَمَلَّكُوا رَبَّقَ الْوَرَى وَعَلَوْا عَلَى قُمَّمِ الْعَلَاءِ؟^(٣)
 وَتَرَى بَعْقُوهَ دَارِهِمْ مَجْنَى الْحَمِيَّةِ وَالْإِبَاءِ^(٤)
 وَالسَّاحِبُونَ عَلَى قَنَا نِ الْمَلِكِ هُدَابَ الْمُلَاءِ^(٥)
 وَالْمُرْتَوُونَ مِنَ النِّعِيمِ، كَمَا تَمَنُّوْا، وَالثَّرَاءِ^(٦)
 وَالسَّائِرُونَ وَحَوْلَهُمْ أَسْدُ الشَّرَى تَحْتَ اللِّوَاءِ^(٧)
 وَالْهَاجِمُونَ عَلَى الرَّدَى وَالْيَوْمُ يَجْرِي بِالذَّمَاءِ^(٨)
 لَمْ يَقْنَعُوا فِي مَغْرَمٍ سَيِّقُوا إِلَيْهِ بِاللِّقَاءِ^(٩)
 مِنْ كُلِّ مَمْلُوءٍ الْأَسْرِ رَّةَ وَالْجَبِينِ مِنَ الْحَيَاءِ^(١٠)
 تَجْرِي يَدَاهُ بِكُلِّ مَا يَهْوَى الْمُؤْمَلُ مِنْ سَخَاءِ^(١١)

- (١) المعنى: والناس محتارون بين رجاء في الحياة، ويأس فيها.
 (٢) المعنى: هل تجد من عاش سعيداً في الزمان الغابر؟ استفهام معناه النفي.
 (٣) المفردات: الربق: مفردها الريقة، وهي الحبل الذي تربط به الشاة.
 المعنى: هؤلاء الذين تملكوا زمام الناس، وارتقوا الأمجاد، أين هم؟
 (٤) المفردات: العقوة: الساحة حول الدار والمحلة. الحمية: الأنفة.
 المعنى: والذين تراه في ساحة ديارهم قد حازوا الإباء والأنفة.
 (٥) المفردات: القنان: القمم، مفردها القنة. الهداب: مفردها الهدب، وهو ما يتدلى من
 خيوط القماش. الملأ: مفرده الملاءة، وهو الإزار، وكل ثوب يلبس على الفخذين.
 المعنى: هؤلاء الذين سخت الدنيا عليهم، فحسبوا أذيالهم الملكية خلفهم.
 (٦) المعنى: والذين شربوا من ماء الحياة صافيتها، وغنموا وأثروا كما كانوا يتمنون.
 (٧) المفردات: الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل، فيقال: هو كأسد الشرى.
 المعنى: هؤلاء الأقوياء كأساد الشرى، يمشون والألوية فوقهم ترفرف.
 (٨) المعنى: والجريثون الذين يخوضون معامع الحروب والدماء تجري، غير هتايين من الموت.
 (٩) المفردات: المغرم: الغرامة.
 المعنى: من لم تكفهم هذه الغرامات التي جاءتهم من الحروب.
 (١٠) المفردات: الأسرة: مفردها السرار، وهي الخطوط في الوجه.
 المعنى: من كل من يبدو على وجهه وجبينه معالم الحياة.
 (١١) المعنى: يبذل بسخاء قدر هواه وأمنيته.

وتراه كالصَّقرِ الَّذي
ما ضَلَّ قَطُّ وَإِنْ هُمْ
وَرُمُوا إِلَى ظَلَمِ الصِّفَا
دَخَلُوا وَلَكِنْ فِي الَّذي
وَمَتَّى دَعَوْتَهُمْ فَهُمْ
وَبَغَوْا نَجَاءً حِينَ سُدَّ
وَنَأَوْا كَمَا اقْتَرَحَ الْجَمَا
وَتَرَاهُمْ فِي ضَيْقٍ أَلٍ
وَتَطَايَرُوا بِيَدِ الْبَلَى
وَالْقَيْظُ عِنْدَهُمْ وَقَدْ
مَا فِي الرَّدَى، مَا فِي سِوَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجَمَا
لَمَحَ الْقَنِيصَةَ مِنْ عِلَاءٍ^(١)
غَدَرُوا بِهِ طُرُقَ الْوَفَاءِ^(٢)
نَحَّ فِي صَبَاحٍ أَوْ مَسَاءٍ^(٣)
لَا يَرْتَضُونَ مِنَ الْخِلَاءِ^(٤)
صُمُّ الْمَسَامِعِ مِنْ دُعَاءٍ^(٥)
دَثَّ دُونَهُمْ طُرُقُ النَّجَاءِ^(٦)
مُ عَنِ التَّنْعَمِ وَالشَّقَاءِ^(٧)
أَقْطَارٍ مِنْ ذَاكَ الْفَضَاءِ^(٨)
خَلَفَ الْجَنَادِلَ كَالْهَبَاءِ^(٩)
سَلَبُوا الْمَشَاعِرَ كَالشَّتَاءِ^(١٠)
هُ مِنْ التَّنَازَعِ وَالْمِرَاءِ^(١١)
مَ فَمَا لَعَيْنِكَ مِنْ غِطَاءٍ^(١٢)

(١) المعنى: هذا السخني يبحث عن المناسبة للعطاء كالصقر في كبد السماء باحثاً عن صيده لينقض عليه.

(٢) المعنى: إنه لا يخطيء في كرمه ولا يضل بعطائه، وإن حاول الآخرون الغدر بوفائه.

(٣) المفردات: الصفائح: حجارة رقاق، مفردها الصفيحة.

المعنى: وقد وقع هؤلاء الغادرون في ظلم القبور في كل آن.

(٤) المعنى: وها هم قد ركنوا، ولكن في غير ما يرتضون من المواقع.

(٥) المعنى: وإذا ناديتهم رأيتهم صُمًا لا يسمعون النداء.

(٦) المعنى: وحاولوا النجاة، ولكن لا تـ حين مناص؛ فسبل النجاة مغلقة دونهم.

(٧) المعنى: ويعدوا عن أسباب الحياة بلذائدها وعنائها، . . بعدوا بالموت.

(٨) المعنى: وإذا بك تراهم في أجدائهم الضيقة.

(٩) المفردات: الجنادل: الصخور. الهباء: الغبار.

المعنى: وإذا بهم قد تناثروا بفعل الهلاك، ووقعوا خلف الصخور والأتربة.

(١٠) المعنى: وتساوت الأمور عندهم، وفقدوا كل إحساس بموتهم، فشتاؤهم كصيفهم.

(١١) المعنى: تساوت الأمور بموتهم بغيره من سبل النزاع والخصام.

(١٢) المعنى: بإمكانك أن ترى الموت بأم عينيك، فبصرك غير محجوب.

خَلُّ التَّعَجُّبِ مِنْ قَذَى وَخُذِ التَّعَجُّبَ مِنْ صَفَاءِ^(١)
 يَا قُرْبَ مَا بَيْنَ الْهَنَا بِمَا يَسْرُكُ وَالْعَزَاءِ!^(٢)
 خَفُضْ عَلَيْكَ وَدَعْ تَتَبَ بَعْ مَا مَضَى بِيَدِ الْقَضَاءِ^(٣)
 وَإِذَا بَقِيَتْ فَقُلْ لَنَا: أَيْعِشُ مَيِّتٌ بِالْبُكَاءِ؟^(٤)
 وَالخَوْفُ صِرْفٌ - رِيبٌ غِي رُكٌ - إِنَّمَا هُوَ لِلنِّسَاءِ^(٥)
 وَأَخُوكَ أَفْنَاهُ الَّذِي كَانَ السَّبِيلَ إِلَى الْإِخَاءِ^(٦)
 أَغْرَاكَ مَنْ قَدَمًا كَسَا وَحَبَاكَ مُرْتَجِعُ الْحَبَاءِ^(٧)
 لَيْسَ التَّهَالُكُ فِي الْمَصِي بَةِ بِالْحَمِيمِ مِنَ الْوَفَاءِ^(٨)
 وَسِوَى التَّجَلُّدِ فِي الشَّدِيدِ مَدَّةٍ إِنْ أَتَيْتُكَ مِنَ الْعِنَاءِ^(٩)
 وَعَلَى التَّجَارِبِ بَانَ نَبْ عٌ تَجْتَنِيهِ مِنْ أَبَاءِ^(١٠)
 وَإِذَا بَقِيَتْ فَلَا تَلُمُ مَنْ خَصَّ غَيْرَكَ بِالْفَنَاءِ^(١١)

- (١) المفردات: القذى: ما يعلق العين من قش وغيره.
 المعنى: ولا تعجب أن ترى ما يؤدي العين، بل أعجب من الصفاء إن رأيته.
- (٢) المعنى: فما أقرب المسافة بين الهناء والعزاء!
- (٣) المعنى: ولا تثر ولا تغضب، ودع ما ترى إلى حكم القضاء.
- (٤) المعنى: وقل لنا إن بقيت حيًا، وهذا محال: ألا يموت المرء إذا بُكي عليه؟
- (٥) المعنى: والخوف كل الخوف من خصائص النساء، وقد ارتاب غيرك به.
- (٦) المعنى: وما مات أخوك إلا بطريق الإخاء.
- (٧) المفردات: الحباء: العطاء.
- المعنى: إن الذي خلع عنك ثيابك هو الذي كساك في الماضي، ومنحك من استرجع عطاءه، ويقصد بذلك الله الخالق.
- (٨) المفردات: الحميم: الأخ والصديق.
- المعنى: لا تظن أن الارتقاء على المصائب نوع من الوفاء الصميمي.
- (٩) المعنى: ولا الصبر على الشدائد إن هي داهمتك بعنفها.
- (١٠) المفردات: الأباء: القصب، مفردا الأباء. النبع: شجر تتخذ منه السهام والقسي.
- المعنى: وبكثرة تجاربك يتبين لك الشجر القاسي من القصب الهش.
- (١١) المعنى: وإن ظللت حيًا - إلى حين - فلا تلم إذا جاء أحدهم الموت.

وَسَقَى الَّذِي وَارَى أَخَاكَ مِنَ الثَّرَى سَحْ الرِّوَاءِ^(١)
صَخْبُ التَّرْنَمِ حَالِكُ الْفُطْرَيْنِ مَمْلُوءُ الرِّوَاءِ^(٢)
وَلَرَحْمَةً مَصْبُوبَةً خَيْرٌ لَهُ مِنْ فَيْضِ مَاءٍ^(٣)

- 8 -

وقال في النسب: [من الخفيف]

زُرْتُ هَذَا وَمِنْ ظِلَامٍ قَمِيصِي لَا بُوْعِدْ، وَمِنْ نَجَادٍ رِدَائِي^(٤)
وَاعْتَنَقْنَا وَبَيْنَنَا جَفْنٌ مَاضٍ فِي فَرَّاشِ الرُّؤُوسِ أَيُّ مَضَاءٍ^(٥)
وَتَجَافَتْ عَنْهُ وَلَيْسَ لَهَا إِنْ أَنْصَفْتُ عَنْ جِوَارِهِ مِنْ إِبَاءٍ^(٦)
إِنَّهُ حَارِسٌ لَنَا غَيْرَ أَنْ لِي سَ عَلَيْنَا مِنْ جُمْلَةِ الرُّقْبَاءِ^(٧)
لَكَ فِي النَّحْرِ مِنْ عَيُونٍ تَمِيمٍ فَاحْسَبِيهِ تَمِيمَةَ الْأَعْدَاءِ^(٨)
هُوَ سَاهٍ عَنِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ حَدِيثٍ وَقِيلَةٍ وَاشْتِكَاءٍ^(٩)

-
- (١) المعنى: وسقى دفين الأرض تحت الثرى بغزير مائه.
(٢) المعنى: هذا المطر الغزير ذو صوت صاخب، دلالة على كثرته، جعل كل ما حوله أسود من اكفهرار الجو.
(٣) المعنى: وأرى أن الرحمة إذا حلت عليه أفضل ألف مرة من فيض المياه عليه.
(٤) المفردات: النجاد: حمائل السيف.
المعنى: لقد زرت محبوبتي هذا في جنح الظلام، مخففاً من ثيابي.
(٥) المفردات: فراش الرؤوس: عظام قحف الرأس الخفيفة. المضاء: الحدة.
المعنى: وتعانقنا، والسيف الرقيق الحاد يفصل بين رأسينا، كناية عن عفتها. وهي صورة سبقه إليها أخوه الرضي.
(٦) المعنى: لكن محبوبتي أبت أن يظل هذا السيف (العفاف) حاجزاً بينها وبينني. ولو أنها عدلت وأدركت لما رفضت جواره.
(٧) المعنى: هذا السيف يحرسنا، وليس رقيباً عزولاً.
(٨) المفردات: التمية: خرزة يتقى بها من العين؛ رقية.
المعنى: اعتبر به في رقبتك رقية من عيون الحاسدين الأعداء.
(٩) المفردات: القيلة: النوم وقت الظهيرة، وهو يعني النوم مطلقاً هنا.
المعنى: هذا السيف لا يعي ما نحن فيه من لذة الحديث والإغفاء وتبادل الشكوى.

وَدَعَيْنِي طِوَالَ هَذَا التَّدَانِي نَاعِمًا لَا أَخَافُ غَيْرَ التَّنَائِي^(١)
فَلْتُنْ مَسًّا فِيهِ بَعْضَ عَنَاءٍ فَعَنَاهُ مُسْتَثْمَرٌ مِنْ عَنَائِي^(٢)

- 9 -

وقال عند توجهه الوزير أبي علي^(٣) الى واسط يودّعه: [من الطويل]
ولَمَّا اسْتَقَلْتُ بَابِنِ حَمْدِ رِكَابُهُ وَأَشْعَرْتُ نَفْسِي مِنْ نَوَاهِ بِنَائِهَا^(٤)
ذَهَلْتُ فَمَا أُدْرِي وَنَفْسِي دَرِيَّةٌ أَفِي أَرْضِهَا وَدَعْتُهُ أُمَ سَمَائِهَا^(٥)
وَقُلْتُ لِحَادِيهِ: هُبِلْتُ! فَإِنَّمَا رَمَيْتَ صَحِيحَاتِ الْقُلُوبِ بِدَائِهَا^(٦)
كَأَنِّي، وَقَدْ فَارَقْتُهُ، ابْنُ رَكِيَّةٍ رَجَاها فَزَلَّتْ كَفُّهُ عَنْ رِشَائِهَا^(٧)
حَرَامٌ عَلَى عَيْنِي الْكَرَى بَعْدَ بُعْدِكُمْ وَحَلَّ لِعَيْنِي أَنْ تَجُودَ بِمَائِهَا^(٨)
وَكَمْ عِبْرَةٌ كَفَكَفْتُ مِنْهُ تَجْمُلًا فَلَمَّا أَبَتْ مَرَّتْ عَلَى غُلَوَائِهَا^(٩)
وَعَاذِلَةٌ هَبَّتْ تَهَوُّنٌ بَيْنَكُمْ وَهِيَهَاتَ مِنْ سَمْعِي قَبُولُ نَدَائِهَا^(١٠)

-
- (١) المعنى: فاتركيني هانئًا بما أنا فيه، لا يقلقني سوى البعاد عنك.
(٢) المعنى: وإن أحسن هذا السيف بما يُضنيه، فما هذا إلا من بعض ما في من عناء.
(٣) هو أبو علي الحسن بن الحسين الرُّخْجِي، وزير لشرف الدولة البويهية سنة ٤١٣هـ، ثم عزل بعد سنتين، وتوفي سنة ٤٣٠هـ. وواسط: من مدن العراق.
(٤) المفردات: النوى: البعد، ومثلها النأي، وكلٌّ من مادة.
المعنى: حين استعد ابن أحمد للرحيل، وأحسستُ بابتعاده عني.
(٥) المفردات: ذهل (بكسر الهاء): غاب عن رشده. درية: مخففة من دريئة، بمعنى مندفة.
المعنى: فغاب عن رشدي، وتساءلتُ أأودعته في أرض أو سماء؟
(٦) المفردات: الحادي: الذي يسوق الإبل. هبلت: دعاء عليه.
المعنى: لا وفقك الله أيها الحادي بسوقك إبل صديقي، فقد أمرضت الأفتدة السليمة.
(٧) المفردات: الركية: البثر القليلة الماء. الرشاء: حبل البثر.
المعنى: إنني حين ودعته وابتعد عني، كان أشبه بساحب الماء من البثر، وقد فقد الماء حين فقد الحبل ولم يستطع الإمساك به.
(٨) المعنى: أقسم ألا ترى عيناى النوم بعد رحيلكم، وقد أفلتُ زمام الدموع تجود بما تريد.
(٩) المفردات: الغلواء: الطيش.
المعنى: وقد حاولتُ أن أمتنع عيني ذرف دمعها، حتى إذا خارت قواي تركتها على هواها.
(١٠) المعنى: وقد حاول العذول أن يخفف من مقامك ويهون الأمر عليّ. لكن سمعي أبى الإصغاء إليها.

قافية الباء

- 10 -

وقال يمدح أباه، ويعرّض ببعض أعدائه: [من المنسرح]
 - غروض المطيِّ مُغْتَرِبًا فلم يَفْزُ طالبٌ وما ذأبا^(١)
 ٢- دَرَّ في الناس دَرٌّ مُقْتَصِدٍ يأخذُ من رزقه الذي اقْتَرَبَا^(٢)
 يتركُ أن يحميَ الذمارَ إذا ضِيمَ ويحمي اللّجينَ والذهبَا^(٣)
 لله دَرٌّ الإباءِ أعوزَه في جانبِ الذلِّ عزّه فَنبَا^(٤)
 وما مُقامُ الكريمِ في بلدٍ يُنفقُ فيه الحياءَ والأدبا^(٥)
 مالي أرى المَكْرُماتِ عاطلةً والفضلَ خَلَوَ الفِئاءِ مُجْتَنِبَا؟^(٦)
 تفرّقَ دائمٌ فإنْ عرَضَتْ دَنِيَّةٌ طِيرَ نحوَهَا عُصْبَا^(٧)

- (١) المفردات: الغروض: مفردها الغَرَض، وهو حزام الرجل.
 المعنى: احزم رباط مطاياك واغترب عن البلاد، فالفوز بالمطلوب لم يتحقق.
 (٢) المفردات: لا دَرٌّ دره: لا كثر خيره.
 المعنى: لا أكثر الله خير البخلاء من الناس، ذلك الذي يتناول ما دنا من رزقه.
 (٣) المفردات: الذمار: كل ما يلزمك حمايته والدفاع عنه. اللجين: الفضة.
 المعنى: هذا الذي يتهاون في حمى الوطن وكل عزيز، ويُقبل على حماية أمواله.
 (٤) المفردات: أعوزَه: تعذّر عليه. نبا: تجافى. لله دره: لله ما خرج منه من خير.
 المعنى: ما أفضل الإباء! لكنه تعذر عليه، فأقبل على الذل بعد أن جفاه العز.
 (٥) المعنى: لا مكان للكريم في بلد يفقد فيه حياه وأدبه.
 (٦) المعنى: لماذا ألقى صفات الكرم والإباء معطلة، والفضل مُزاحًا عن ساحة الديار؟
 (٧) المفردات: العصب: مفردها العُصْبَة، وهي جماعة الناس والخيول والطير.
 المعنى: هم متفرقون أبدًا وغير مجتمعين على خير. حتى إذا عرضت لهم قضية سيئة طاروا نحوها زرافات.

هل لي في الدهر من أخي ثقة
مُمتَعضِ الأنفِ إنْ أهْبَتْ بهِ
رُبَّ مُقامٍ دَخَضِ ثَبْتُ بهِ
وساعةٍ للعيوبِ كاسيةٍ
وحالكِ الجانبينِ مُلتَبَسِ
وأزمةٍ للحمومِ عارقةٍ
ومُفتِرِ برِّحِ الزَّمانِ بهِ
وصاحبِ يَمْتَرِي النِّوافِلَ في
يَرْضَى بِسُخْطِي على الزَّمانِ، فإنْ
يحتقرُ الحادثاتِ والنُّوبا؟^(١)
شَنَّتْ في صحنِ وجهِهِ الغُضْبَا^(٢)
ولو خَطَاهُ غيرُ الجوادِ كَبَا^(٣)
نَفَضْتُ فيها من بُرْدِي الرِّيبَا^(٤)
أَطَعْتُ فيه كواكِبَا شُهْبَا^(٥)
عَقَرْتُ في عُقْرِ دارِها السَّعْبَا^(٦)
سَبَقْتُ فيه إلى اللُّها الطَّلْبَا^(٧)
ودِّي ولم يَفْتَضِنِي الَّذي وَجَبَا^(٨)
رضيتُ يومًا عن صَرْفِهِ غُضْبَا^(٩)

(١) المعنى: أليس بين هؤلاء في هذا الزمان أخ صدوق يستكره المصائب والنوائب في سبيل الصحبة؟

(٢) المفردات: الممتعض: الغاضب، والصدر كناية عن أنفة هذا الصديق.

المعنى: أبي عفيف، سريع في تليتي إن استجدت به، ويقدم بحمية وغضب.

(٣) المفردات: دحضت رجله: زلقت، والدحض: الزلق.

المعنى: ويتقل إلى الفخر بنفسه، فيصف نفسه بالثبات أمام المنزلات التي يعسر الوقوف عندها إلا على جياذ الخيل.

(٤) المفردات: الريب، مفردها الريبة، وهي الشك.

المعنى: ورب ساعة اعترتني فيها العيوب، استطعت أن اتخلّى فيها عن كل ريبة اعترتني.

(٥) المفردات: التبس علي الأمر: اختلط واشتبه وأشكل.

المعنى: وأصابني حادثة شديدة التبس علي أمرها، فاستطعت أن أرسل عليها الكواكب الحارقة.

(٦) المفردات: الأزمة: الشدة. عرق العظم: أزال ما عليه من بقايا اللحم. عقر الدار: وسطها. السغب: الجوع.

المعنى: ورب شدة عنيفة حلت بي استأصلت شأفتها، وأزلتها من طريقي.

(٧) المفردات: المقتر: الفقير المعسر. اللها: العطايا، مفردها اللّهُة.

المعنى: ورب فقير هذه الزمان، فأقبلت عليه بكرمي قبل أن يطلب العطاء.

(٨) المفردات: يمتري: يستخرج. النوافل: الهبات الفائضة، مفردها النافلة.

المعنى: ورب صديق طالبي بالعطايا الزائدة عن حد الفريضة، ولم يحثني على واجبي.

(٩) المعنى: هذا الصديق يسعده أن أثور على الزمان، ولكن إن رأيته تهاونت دونه غضب.

كأَنَّمَا الضُّغْنُ بَيْنَ أَضْلَعِهِ يُضْرَمُ نَارًا إِذَا أَقُولُ: خَبَا^(١)
لَا يَنْتُهُ كِي يَرَى الْجَمِيلَ وَلَمْ أَنْحَثْ بِكَفِّي مِنْ عُودِهِ النَّجْبَا^(٢)
وَكُنْتُ إِمَّا مَشْقُفًا خَطَلًا مِنْهُ، وَإِمَّا مُدَاوِيًا جَرَبَا^(٣)
وَكَمْ سَقَانِي الطَّرْقُ الْأَجَاجُ فَجَا زَيْتُ زُلَالًا تَخَالَهُ ضَرَبَا^(٤)
لَا تُغْطِنِي بِالزَّمَانِ مَعْرِفَةً قَدْ ضَاقَ بِي مَرَّةً وَقَدْ رَحُبَا^(٥)
أَيُّ خَطُوبٍ لَمْ تَشْفِنِي عِظَةً وَأَيُّ دَهْرٍ لَمْ أَفْنِهِ عَجَبَا!^(٦)
سَاعَاتُ لَهْوٍ تَمُرُّ مُسْرَعَةً عَنَّا وَتُبْقِي الْعَنَاءَ وَالتَّعْبَا^(٧)
لَا تَطْمَعُ النَّفْسُ أَنْ تَمْتَعَ بِالْـ آتِي وَلَا تَسْتَرُدَّ مَا ذَهَبَا^(٨)
وَكُلُّ حَيٍّ مَنَا يَجَادِبُ حَبْدَ لَمْ الْعَمْرِ أَيَّامَهُ لَوْ انْجَذَبَا^(٩)
وَكَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاةَ مُقْتَنَصٌ يُغْرَمُ مِنْهَا ضِعْفَ الَّذِي كَسَبَا؟^(١٠)
إِنِّي مِنْ مَعَشِرٍ إِذَا نُسِبُوا طَابُوا فُرُوعًا وَأَنْجَبُوا حَسَبَا^(١١)

(١) المعنى: وهذا الحقد الكامن في صدره ينفث نارًا، إذا ظننته خبا شره.

(٢) المفردات: النَّجْب: لحاء الشجر وقشره.

المعنى: وكنت معه لينا عطوفاً كي يرتاح بعده إلى الجميل، من غير أن أكون معه قاسياً.

(٣) المفردات: الخطل: الحرق، والكلام الكثير الفاسد.

المعنى: وكنت إما أن أقوم حمقه وفساده، وإما أعالج داءه.

(٤) المفردات: الطرق: الماء الذي خاضت فيه الإبل وبالت ورمت بعرها فيه. الأجاج:

الملح المر. الضرب: العسل.

المعنى: هذا الصديق، رغم عوني له، كم عذبنى؛ إذ سقاني الماء الملوث بالملح، وكنت

لطيفاً معه، حيث أردت سيئه بجميلي؛ فأسقيه الماء الصافي العذب الشبيه بالعسل.

(٥) المعنى: لا تمنحني معرفة بما جرىات الأيام، فقد ضاقت السبل بي مع اتساعها.

(٦) المعنى: ولقد علمتني المصائب ووعظتني، حتى استطعت أن أجابه كل المخاطر.

(٧) المعنى: تمر بنا ساعات الهناء والمسرات بسرعة خاطفة، بينما تتلأأ المتاعب بنا.

(٨) المعنى: نفوس غير عابثة بما مضى ولا بما هو آت.

(٩) المعنى: وكل واحد منا يحاول شد حبال العمر إليه إن استطاع.

(١٠) المعنى: وكيف يأمل العيش منتهز الفرص ألزم بأداء ضعف مربيحه؟

(١١) المعنى: وإنني من نسل عريق أثيل عزيز الفروع نجيب الأحساب.

لا يجدُ الذَّمُّ في حريمهم إذا رَضُوا أو سَعَوْا الوری نَعَمًا
أو رَكِبُوا الهولَ قالَ قائلهم: كلُّ جريءِ الجنانِ إن هَتَفَتْ
ومَدَّ فيها ذراعَ قَسْوَرةٍ إلى متى أحملُ الهمومَ ولا
تَزورُ عني الحقوقُ مُعرضةً نهضًا إليها؛ إِمَّا عَلَوْتُ لها
إن لم أثرها مثلَ القطا الكذريِّ لا تنصاعُ مثلَ النعامِ جافلةً
فلا دعوتُ الحينَ يُحرزُ لي مَسْعَى ولا العائبون مُضْطَرَبًا^(١)
أو سَخِطُوا أو سَعَوْهُمُ نُوبًا^(٢) أكرمنا من حياته وهبًا^(٣)
يومًا بهِ حومةُ الوغى وثبًا^(٤) تردُّ صدرَ القناةِ مُخْتَضِبًا^(٥)
ألفى مدى الدهر بالغًا أربًا؟^(٦) متى أُرْمَهُنَّ فُتْنَنِي هَرَبًا^(٧)
دَقْنِي رَكوبٍ أو مَرَكِبًا حَدْبًا^(٨) تعرفُ إلَّا الرُسيمَ والخَبِيبًا^(٩)
تتركُ أقصى مُرادِها كَثِبًا^(١٠) حرَّ المَعالي يومَ الفَخارِ أبا^(١١)

- (١) المعنى: لا يجرؤ أحد على مسّ نسائنا بمذمة، ولا يجد العائبون فينا عيبًا.
(٢) المعنى: إن رضينا غمرنا الناس بخيرنا، أو غضبنا أحللتنا بهم البأساء.
(٣) المعنى: ونحن شجعان غير هيايين، إن أقدمنا على الأهوال تسابقنا إلى الموت.
(٤) المفردات: الجنان (بفتح الجيم) القلب. حومة الوغى: ساحة الحرب.
المعنى: ومنا الأبطال الذين لا يهابون ساحات الحروب، السريعون إلى تلبية النداء وثبًا.
(٥) المفردات: القسورة: الأسد.
المعنى: لهم سواعد حديدية يحملون بها الرماح، فيضربون العدو فترتد إليهم مضمخة بدمائه.
(٦) المعنى: فإلى متى تبقى الهموم على كاهلي، ولا أرى لها مخرجًا في هذه الحياة؟
(٧) المعنى: يتعد عني ما أستحقه في هذا الزمان، وكلما قصدت ما أبغي وأستحق هرب مني؟
(٨) المفردات: نهضًا: مصدر منصوب مفعول مطلق.
المعنى: فلأستعد لحقوقي مطالبًا بها، فإما نصر وإما موت دونها.
(٩) المفردات: الكذري: ضرب من القطا غُبر الألوان رقص الظهور. الرسيم والخبيب: ضربان من العدو.
المعنى: البيت واقع جوابه في الرقم (١١). فإن لم أهب بحقوقي كالقطا الهائج الذي لا يعرف إلا السرعة والركض.
(١٠) المفردات: تنصاع: تفرق. الكشب: القريب.
المعنى: وتفرق القطا كما يتفرق النعام الخائف، تاركة أملها - وهو يبيضها - قريبًا.
(١١) المعنى: أنا إن لم أنهض مطالبًا بحقي فلا رجوت جدي الحسين أن يحقق لي نسبًا ساميًا =

قَرَمَ إِذَا حَفَّتِ الْخُطُوبُ بِهِ نَزَعْنَ عَنْ آخِذٍ لَهَا أَهْبًا^(١)
مُجْتَمِعُ الرَّأْيِ بَيْنَهُنَّ وَكَمْ شَعَبْنَ آرَاءَ غَيْرِهِ شُعْبًا^(٢)
يَأْبَى وَتَأْبَى لَهُ حَفِيزَتُهُ يَرْكَبَ أَمْرًا إِلَّا إِذَا صَعُبًا^(٣)
أَوْ يَبْتَغِي فِي نَجَاحِ حَاجَتِهِ إِلَّا ظُبَا الْبَيْضِ وَالْقَنَا سَبَا^(٤)
وَكَمْ لَهُ مِنْ غَرِيبٍ مَأْثَرَةٌ تُعْجِبُ مَنْ لَيْسَ يَأْلَفُ الْعَجْبًا^(٥)
يَكُونُ قَوْلُ الَّذِي تَأْمَلُهَا: لَيْسَ الْمَعَالِي وَنَيْلُهَا لَعِبًا^(٦)
مَكَارِمٌ لَا تَزَالُ غَالِبَةً عَلَى مَحَلِّ الْفَخَارِ مَنْ غَلَبَا^(٧)
لَا يَرْهَبُ الْوَاصِفَ الْبَلِغَ وَإِنْ أَفْرَطَ فِيهَا عَيْبًا وَلَا كَذِبًا^(٨)
وَأَنْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَعْرَكَةٌ تُمَطِّرُ مِنْ سَحَبٍ نَقَعِهَا الْعَطْبَا^(٩)
إِمَّا جَبِينًا بِالثَّرْبِ مُتَعَفِّرًا أَوْ وَدَجًا بِالنَّجِيعِ مُنْسَكْبَا^(١٠)

=يوم الفخار.

(١) المفردات: القرم: السيد الشجاع. الأهب: مفردا الأهبة، وهي الاستعداد. المعنى: وجدني سيد شجاع غير هَيَّاب، فإذا تحالفت عليه المصائب أعد لها العدة الظافرة.

(٢) المفردات: شعبن: صدغن.

المعنى: وهو حازم الرأي صائبه، في حين أن الآخرين آراؤهم متفرقة.

(٣) المفردات: الحفيظة: الحمية. يركب: أسقط الشاعر (أن) الناصبة ضرورة.

المعنى: ترفض حميته، كما يرفض هو، أن يقدم على أمر إلا إذا كان جلالاً.

(٤) المعنى: ويأبى على نفسه إذا ابتغى الفوز في مطلبه إلا أن يجعل سبيله حد السيوف والرماح.

(٥) المعنى: وللحسين مكرمات حميدة تثير إعجاب من لم يعتد العجب.

(٦) المعنى: ومن يتأمل مكرماته يؤخذ بها ويعلن أن كسب المعالي ليس بالأمر السهل.

(٧) المعنى: وتظل شمائله مترجحة على المفتخر الغائب.

(٨) المعنى: وموقفه هذا لا يعجز واصفها البارع من أداء الوصف الدقيق، وإن غالى في عيبه وفي كذبه.

(٩) المفردات: النقع: غبار الحرب. العطب: الهلاك.

المعنى: وأنت يا جدي تقف في كل معركة وقفة البطل، فتثير سحبا من غبار الحرب، وتوقع الهلاك في أعدائك.

(١٠) المفردات: الودج: عرق في الرقبة. النجيع: الدم.

المعنى: فإما أن تعفر الجبين بالتراب، أو تسكب الدماء من الأوداج.

أَوْ لِمَّةً نَشَرْتَ غَدَائِرُهَا عَلَى نَوَاحِي قُنَاتِهَا عَذْبًا^(١)
لَوْلَاكَ كَانَتْ جَدَاءَ حَائِلَةً تُمَسِّحُ أَخْلَافُهَا وَلَا حَلْبًا^(٢)
وَمَنْ عَجِيبَ الزَّمَانِ أَنْ يَدَّعِي شَأُوكَ فَشَلَّ لَمْ يَغْدُ أَنْ كَذَبًا^(٣)
لَمْ يَذِرِ وَالْجَهْلُ مِنْ سَجِيَّتِهِ أَنْكَ أَحْرَزْتَ قَبْلَهُ الْقَصْبَا^(٤)
وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ رَأْسًا عَلَى أَلْأَقْوَامِ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ذَنْبًا^(٥)
وَوَصْمَةً فِي الرِّجَالِ أَنْ يَطُؤُوا عَقَبَ امْرِئٍ كَانَ بَيْنَهُمْ عَقِبًا^(٦)
أَوْ يَتَّبِعُوا سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ مَنْ كَانَ لِمَنْ شِئْتَ تَابِعًا حَقِبًا^(٧)
وَأِنْ جَرَوْا كُنْتَ أَنْتَ غُرَّتَهُمْ سَبَقًا وَكَانَ الْحِزَامَ وَاللَّبَّابَا^(٨)
وَقَدْ ذَرَى كُلُّ مَنْ لَهُ بَصَرٌ أَنْكَ سُدَّتَ الْعُجَيْنِمَ وَالْعَرَبَا^(٩)
وَقُدَّتَهُمْ نَاشِئًا وَمُنْتَهِيًا وَنُبْتَ عَنْهُمْ تَكْهُلًا وَصِبَا^(١٠)

(١) المفردات: اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. العذب: مفردها العذبة، وهي طرف الشيء. القنات: مفردها القنة، وهي أعلى كل شيء.

المعنى: أو قبضة من شعرك توزعت خصله على أطراف أعاليه.

(٢) المفردات: الجدء: ليس في ضرعها لبن. الحائلة: المتغيرة. الأخلاف: الضروع، مفردها الخلف.

المعنى: ولولاك ولولا همتك لكنت أخلافها جافة بلا لبن.

(٣) المفردات: الشأو: القصد والغاية. الغسل: الضعيف لا مروءة له ولا جلد.

المعنى: وإنني لأعجب أشد العجب أن أرى من يدعي أنه نذك وهو ضعيف خوار كذاب.

(٤) المعنى: وهو لا يعلم أنك سبقتك إلى المجد بأشواط، لأنه جاهل بمقامك.

(٥) المعنى: وكيف يطمح أن يكون رئيسًا على قومه، وهو آخرهم وأحطهم قدرًا؟

(٦) المعنى: ومن العار على الرجال الأشاوس أن يهينوا المهان بينهم.

(٧) المفردات: الحقب: المرء خر أو المردف.

المعنى: أو أن يقبلوا - ولو إلى حين - التبعية لمن هو في العقب أصلًا.

(٨) المفردات: اللبب: سير من الجلد يشد في رقبة الدابة ليمنع استئثار الرحل. الغرة: شريف القوم، أو أول الشيء، أو البياض في جهة الجواد.

المعنى: وهم إن أقدموا كنت أنت شريفهم المقدم، ولم يكن هو أكثر من الحزام والرقبة.

وهو يقارن بين جده الحسين، ويزيد بن معاوية.

(٩) المعنى: ويدرك كل ذي بصيرة أنك سيد العرب والعجم.

(١٠) المعنى: وأنت قائد الجمع منذ أول حياتك حتى نهايتها، وترأستهم شابًا وكهلاً.

وإن دَجَوْا كُنتَ فِيهِمْ قَبَسًا أو خَمَدُوا كُنتَ فِيهِمْ لَهَبًا^(١)
وإن عَلَا بَيْنَهُم تَشَاوَرُهُمْ سَلَلْتَ لِلْقَوْلِ مِقْوَلًا ذَرْبًا^(٢)
يَأْتِي بِفَصْلِ مَنْ الْخَطَابِ لَهُمْ يَقْطَعُ ذَاكَ اللَّجَاجَ وَاللَّجْبَا^(٣)
كَلْهَذِمِ الرُّمَحَ عِنْدَ طَعْنَتِهِ وَالسَّهْمَ أَضْمَى وَالسَّيْفَ إِنْ ضَرَبَا^(٤)
وَكُنتَ فِيهِمْ مَمَّنْ يَحَاوِلُهُمْ حِصْنًا حَصِينًا وَمَغْقَلًا أَشْبَا^(٥)

- 11 -

وقال يتشوق إلى نجد: [من الطويل]
أَحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَنَجْدٌ بَعِيدَةٌ أَلَا حَبْدًا نَجْدٌ وَإِنْ لَمْ تُفِذْ قُرْبًا^(٦)
يَقُولُونَ: نَجْدٌ لَسْتُ مِنْ شَعْبِ أَهْلِهَا - وَقَدْ صَدَقُوا - لَكُنِّي مِنْهُمْ حُبًّا^(٧)
كَأَنِّي وَقَدْ فَارَقْتُ نَجْدًا شَقَاوَةً فَتَى ضَلَّ عَنْهُ قَلْبُهُ يَبْتَغِي قَلْبًا^(٨)

- 12 -

وقال متغزلًا، وهي من أوائل شعره: [من الطويل]

-
- (١) المفردات: دجوا: أظلموا. القبس: الشعلة.
المعنى: وقد كنت في أيامهم الظلماء نبراسًا، وإن اعتراهم الخمود كنت فيهم لهبًا.
- (٢) المفردات: المقول: اللسان. الذرب: الفصيح.
المعنى: وإن اختصم الناس وتعالَت أصواتهم بززتهم بفصاحتك وبلاغتك.
- (٣) المفردات: اللجج: الخصومة. اللجب: الصياح والجلبة.
المعنى: وهو صاحب فصل الخطاب الذي يحسم كل قول، ويقطع الخصومات والجلبة.
- (٤) المفردات: اللهزم: الماضي من السيوف والأستة. أضمى: أسرع.
المعنى: وهو كالرمح القاطع والسهم المارق والسيف الضارب.
- (٥) المفردات: الأشب: الوعر والمحضن.
المعنى: وأنت بين رجالك حصن حصين ومقل وعر أمام من يتناول عليهم.
- (٦) المعنى: إن قلبي واقع في هوى نجد مع أنها نائية عني. وما أحبها إليّ، وإن لم يفدني قريبا.
- (٧) المعنى: وهم يعتبون علي ويدعون أنني من غير أهلها، وما دروا أن حبي مستقر في نجد.
- (٨) المعنى: وغدوت، بعد فراقني لنجد شقيًا، مثل فتى فقد حبه، فراح يبحث عنه.

أما آنَ للسَّلوانِ أنَ يردَعَ الصَّبَا
لقد أنكرَ الدَّهرُ العَثورَ صَبَابِي
ولمَّا وَقَفْنَا للوداعِ انتَضَتْ لَنَا
فأبصرتُ عِزًّا بَيْنَ بُرْدِيهِ مَاتَمَ
وقد كنتُ أخشى وثبَّةَ الدَّهرِ بَيْنَنَا
فكيفَ وقد خاضَ الوُشاةُ حَدِيثَنَا
سقى اللهُ أكنافَ اللوى مُرْجِحِنَةً
وأطلقَ أنفاسَ النِّسيمِ بجوهِه
فعهدي بِهِ لا يَهْتدي البينُ طُرْقَه
ولا لدنوِّ الهجرِ أنَ يُبعدَ الحُبَّ؟^(١)
وقد كانَ ألقى مُهجتي للهوى حَرْبًا^(٢)
يُدُ البينِ بَدْرًا مَزَّقَتْ دُونَهُ السُّخْبَا^(٣)
وأوليتُ بِرًّا عادَ عِنْدَ التَّوى ذُنْبًا^(٤)
ونحنُ مِنَ الإِشفاقِ نَسْتوعِرُ العَثْبَا^(٥)
وأضحوا لَنَا من دونِ أترابنا صَحْبًا^(٦)
سَحَابًا يَظُلُّ الهَضْبُ من جوده خَضْبًا^(٧)
فكم كَيْدِ حَرَى تَهَشُّ إِذَا هَبَّا^(٨)
ولا تَطْرُقُ الأحزانُ مِنَ أهله قَلْبًا^(٩)

- (١) المعنى: ألم يأن للذي نسي حبه أن يردع العاشق عن عشقه، والأي سيلي الحب قرب الهجر؟
(٢) المعنى: وما هو ذا الدهر العاثر ينكر عليّ حبي، وقد رمى روعي بحرب الهوى.
(٣) المفردات: انتضت: استخرجت.
المعنى: حتى إذا توقفنا لساعة الوداع فضحتنا ساعات الفراق بأن كشفت البدر من بين السحب الممزقة.
(٤) المعنى: وفي وقفة الوداع رأيته عروسًا في مظهره حزينًا في باطنه، وخلفت ورائي صلاحًا حتى إذا ابتعدت غدا ذنبًا.
(٥) المفردات: استوعر الطريق: وجده وعرا.
المعنى: كلانا في غاية اللطف، أما أنا فكنت أخاف هجمة الدهر ليفرقنا، في حين أننا نستصعب طريق العتاب الرقيق.
(٦) المعنى: كيف لا أخاف والوشاة عاثوا فسادًا بيننا، وأكثروا من الحديث عنا، وتظاهروا بصحبتنا أكثر من أحبائنا كي يجمعوا أخبارنا.
(٧) المفردات: الكنف: الجانب. اللوى: ما التوى وانعطف من الرمل أو مسترقه. المرجحن: الثقيل. الخضب: الأخضر.
المعنى: يدعو الشاعر لأطراف الرمال حيث ديار محبوبته بالسقيا، بسحب ماطرة تجعل الهضاب دائمة الخضرة.
(٨) المفردات: جاءت كلمة الخزامى في موضع النسيم على رواية.
المعنى: وبعث الله النسائم العطرة تلتطف أجواء الديار، وتهديء من حرارة أكباد محترقة متلوعة حبًا.
(٩) المعنى: كنت أظن أن تلك الديار النائية لا يهتدي البعاد إليها، ولا يعترى قلوبها الأحزان.

حَمَتُهُ اللَّيَالِي عَنْ مُطَالِبَةِ الرَّذَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ يَجْعَلُهُ نَهْبًا^(١)
وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفْتَقُ الدَّهْرُ رَبْقَهُ وَلَا تُنْزَلُ الدُّنْيَا بِسَاحَتِهِ خَطْبًا!^(٢)
بِرُّكَ يَا مُزْجِيِ الْمَطِيَّةِ هَلْ رَعَتْ رِكَابُكَ فِي سَفْحِ الْحِمَى ذَلِكَ الرُّطْبَا؟^(٣)
وَهَلْ كَرِعَتْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيِّ كَرْعَةً فَقَدْ طَالَمَا شَرَّدَتْ عَنِّي بِهِ كَرْبَا؟^(٤)
وَهَلْ لَعَبَتْ أَيْدِي السِّيُولِ بِحَزْنِهِ وَهَلْ سَفَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ سَهْلِهِ الثُّرْبَا؟^(٥)
غَرَامِي بِأَهْلِ الْجَزْعِ مِنْكَ بِنَجْوَةٍ وَلَوْ جُزَّتْهُ أَعْيَا الرِّكَائِبِ وَالرَّكْبَا^(٦)
شَرِبْتُ خَلِيطَ الْوَدِّ مِنْهُمْ وَمَخْضِهِ فَلَسْتُ أَبَالِي إِنْ سَقَوْا غَيْرِي الضَّرْبَا^(٧)
وَفِيهِنَّ بِيضَاءُ الْعَوَارِضِ لَمْ تَلُثْ خِمَارًا وَلَمْ تَعْرِفْ مَنَاكِبُهَا الْعَضْبَا^(٨)

(١) المعنى: نشرت الأيام حمايتها على هذه الديار خوفًا من الموت، وفاجأني الزمان بانتهابها وإفلاق راحة أهلها.

(٢) المفردات: ربقه ربقًا: شدّه في الربق. والرّبق: حبل فيه عدة عرى، كل عروة فيه ربقة.

المعنى: وبديهي أن يصيب الدهر الناس، فيحلّ من قوتهم، ويُنزَل بهم بعض مصائبه.
(٣) المفردات: مُزْجِيِ الْمَطِيَّةِ: سائقها. الرطب: ضد اليابس.

المعنى: ويوجه الشاعر خطابه نحو سائق الأظعان، فيستحلفه بالله أن يوجه الأظعان نحو تلك الديار، ويدعها ترعى من عشبها الأخضر النابت على روايبها.

(٤) المفردات: كَرِعَتْ (ويفتح الراء) في الماء: مدت أعناقها وتناولت الماء بفيها.

المعنى: ويدعوه كذلك إلى أن يتوقف في الحي، ويطلب من سكانه جرعة ماء. وهو إن فعل هذا أزاح عن نفسه الأحزان وأسعده.

(٥) المفردات: الحزن من الأرض: ضد السهل. الأرواح: من جموع الريح.

المعنى: ويسأله: وفي طريقك ألم تر السيول القوية قد جرفت الصخور؟ وألم تهب الرياح على السهول فتسقى أثربتها؟

(٦) المفردات: الجزع: منعطف الوادي، وهو اسم موضع بعينه أيضًا. النجوة: الربوة. جزته: سرت فيه وقطعته.

المعنى: إنني يا ساكن الأظعان واقع في هوى بعض أهل الجزع من الذين سكنوا إحدى هذه الروابي. وإن أنا مررتُ به أثقلت أحزاني المسافرين ودوابهم.

(٧) المفردات: الضرب: العسل.

المعنى: ولقد شربت من هذه الحمى الرنق والصافي وأنا سعيد بذلك. ولا أهتم إن شرب غير العسل.

(٨) المفردات: العوارض: الأسنان الأمامية في الفم. لاث العمامة على رأسه: لفها وعصبها.

المعنى: ومن بين سكان الحمى فتاة حسناء بيضاء الأسنان، صغيرة السن لم تعصب رأسها =

أَبَحْتُ هَوَاهَا مِنْ سَرَارَةِ مُهْجَتِي حِمَى لَوْ حَمَمْتُهُ هَمَّتِي لَمْ أَكُنْ صَبًّا^(١)
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَمْحَلْنَ وَضَلَّنَا فَإِنَّ بَقْلِي مِنْ تَذَكُّرِهَا خِضْبًا^(٢)
عَذِيرِي مِنْ مُسْتَعْذِبِ صَابٍ بِغَضَّتِي وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُ الصَّرَى مِنْهَلًا عَذْبًا^(٣)
تَحَكَّمْ مِنْهُ الضُّغْنُ لَمَّا رَعِيَتْهُ رِيَاضَ حُلُومٍ لَمْ يَكُنْ نَبْتُهَا عُشْبًا^(٤)
كَأَنَّ اللَّيَالِي كَافَلَاتُ بِعُمَرِهِ فَإِنْ قَلْتُ: قَدْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ شَبًّا^(٥)
إِلَى كَمْ أَغْضُ الطَّرْفَ مِنْهُ عَلَى الْقَدَى وَأَهْنَأُ مِنْ حِلْمِي قَلَائِصَهُ الْجَزْبَى؟^(٦)
وَهَبْتُ لَهُ صَبْرِي عَلَى هَفَوَاتِهِ وَلَوْلَا عَطَائِي مَا تَمَلَّكَهَا كَسْبًا^(٧)
وَأَقْسَمُ أَنِّي لَوْ مَدَدْتُ لَهُ يَدِي لَطَالَ عَلَى حَوْبَاءَةٍ تَسْكُنُ الْجَنْبَا^(٨)
أَيَا حَاسِدِي كَسَبَ الْعُلَا اِكْتَسَبَ الْعُلَا فَإِنَّ الْمَعَالِي لَيْسَ تَأْخُذُهَا غَضْبًا^(٩)

=بِخَمَارِهَا بَعْدُ، بَلْ لَمْ تَعْرِفْ أَكْتَافَهَا التَّلُفُّعَ.

(١) المفردات: سرارة مهجتي: خالص روحي.

المعنى: أمكنت حبها من أعماق قلبي. ولو كنت قدرت لما وقعت في هذا الحب.

(٢) المعنى: ولو أن توالي الأيام حرمتني من الوصال بها فإن قلبي يظل بها عالقًا مُتَرَعًّا بذكرها.

(٣) المفردات: صابه: أصابه (هنا). الصدى: (وتكسر صاده) الماء يطول مكثه.

المعنى: من يعذرني أن طلبت السرور أزيح به البغضاء؟ حين بلغت خيول الماء الراكدة النبع العذب.

(٤) المفردات: الضغن: الحقد.

المعنى: فلقد تجمع على هذا المحبوب حقد اللائمين، بينما كنت أراعاه رعاية الرياض الجذباء لعلها تثمر بالحب الذي أتمنى.

(٥) المعنى: وقد ظن أن توالي الأيام يطيل عمره، فإن قلت: ولكنه شاب شعره عاد لشبابه ثانية.

(٦) المفردات: أهنا: أطليه بالقطران وهو الهناء. القلائص: مفردا القلوص، وهي الناقة الفتية.

المعنى: وكثيرًا ما كنت أتهاون في تصرفه، وأخفف على نفسي سوء معاملته. ويشبه الشاعر نفسه بالناقة الجرباء التي تُطلى بالقطران لتشفى.

(٧) المعنى: وكم كنت أسامحه على تقصيره. ولولا أنني كنت أمنحه هذا التسامح ما استطال علي.

(٨) المفردات: الحوباءة: النفس.

المعنى: وأقسم إنني لو أعطيته الرخيص لطالب بالغالي؛ لو أنه بلغ يدي لأراد أن يستملك روحي الدفينة بين ضلوعي.

(٩) المعنى: ويخاطب حاسده فيقول: أيا من يحسدني على كسب المجد، إن المعالي تأتيني لأنني أستحقها، وهي لا تأتي هكذا غضبًا.

ركبت له والخيْلُ منك بريئةٌ وأخْصَبَ في رَبْعِي وكنتَ له جَدْباً^(١)
وقلّبتَ أطرافَ القَنَا في طِرَادِهِ وقلْبُكَ في شُغْلٍ بتقليبه القُلْبَا^(٢)
إذا المرءُ لم تستصحبِ الحزمَ نفسهُ أقامت سَجَايَاهُ على نفسه إلبَا^(٣)
وليسَ ينالُ المجدَ إلّا ابنُ همّةٍ أثبتَ أن يكونَ الصُّعْبُ في نفسه صَعْباً^(٤)
وكم لائمٌ في المجد لا نصَحَ عنده جعلتُ جوابي عن ملامته تَبّاً^(٥)
يلومُ على أني أحِزُّ إلى النَّدَى وليس لمن عابَ النَّدَى عندي العُتْبَى^(٦)
وما المالُ إلّا ما سبقتُ به ردِّي فأعطيتُهُ أو ما شفيتُ به صَبّاً^(٧)
وعندي لمن رامَ ابتلائي همّةٌ ترى بُغْدَ طُرُقِ المَكْرُمَاتِ هو القُرْبَا^(٨)
مُهْذَمَةٌ لا يخطُبُ الهزلَ جدُّها ولا تملأُ الرُّوعَاتُ ساحتَها رُعباً^(٩)

- (١) المعنى: أراك تنشُدُ المعالي وأنت لا تجيد ركوب طريقها، وقد رَحَّبت بي وأهلّت بينما لم تلق في ديارك أرضاً صالحة.
- (٢) المفردات: القَنَا: الرماح. القلب: سوار المرأة، وتلاعب هنا بالجناس «بتقليبه القلب». المعنى: وبينما كنتَ تطارد المحبوب لتكسب وده، كان قلبك مشغولاً بتقليب الذهب الذي هو المحبوبة.
- (٣) المفردات: الإلب: الجمع. المعنى: على المرء أن يستجمع كامل قوته، وهو إذا لم يحزم أمره، انهالت طباعه انهياراً عاماً.
- (٤) المعنى: ذلك أن المجد لا يبلغه إلّا صاحب الهمة العلية؛ لأن الصعْب ليس صعباً عليه.
- (٥) المفردات: تبّ: هلك وقطع، ويجوز أنه أراد الاقتباس من قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد الآية ١).
- (٦) المعنى: أما الذي يلومني على طلب المجد، فهو غير ناصح، وجوابي على لومه القطع وعدم الانصياع إليه.
- (٦) المفردات: العتبي: الرضا. المعنى: ومن لومه لي أنني أميل إلى الكرم، ولومه لي على كرمي غير مقبول قطعاً.
- (٧) المعنى: وبذل المال وحده ردِّي عليه، أو هو الذي أرضي به محتاجاً إليه.
- (٨) المعنى: أما من أراد أن يختبرني فجوابي ما أتحملي به من همّة تُدني سبل المكرمات مهما بُعِدَت.
- (٩) المفردات: المهذمة: صفة للسيوف القاطعة. المعنى: وإني أمتلك السيوف القاطعة التي لا تعرف الهزل في ضربها، وهي لا تثير الرعب في ميدانها.

لها شفرة لا يكهم الدهر غربها ولن تترك الأيام في شفرة غزبا^(١)
وليل كأن البدر في جنباته أخو خفر يذني إلى وجهه سببا^(٢)
خرقت حواشيه بخرقاء جصرة ترى الصدق في عينك ما وجدت كذبا^(٣)
مسهدة لا يطعم النوم جفنها ولا تبلغ الغايات من صبرها العقبي^(٤)
إذا ما استمرت في الشكيم تلوكه كسا مشفراها عاريات الربا عطبا^(٥)
أقول إذا أقنى الذؤوب تجلدي: ألا رب تصديع ملكت به الشعبا^(٦)
ولا بد لي من نهضة في لبانة أميت القنا فيها وأخبي به النخبأ^(٧)
فإن أبلغ القصوى فشيمة ماجد وإن تنب أسيافي فلن أدع الضربأ^(٨)

- (١) المفردات: كههم السيف: كل وتثلم. الغرب: حد السيف.
المعنى: وليسفي حد لا يكل من الضرب، مع أن السيوف تكل. يريد أن له همة لا تشيها
الحادثات، بعكس همم الآخرين التي يعتريها الخور.
- (٢) المفردات: الخفر: الحياء. السب: شقة كتان رقيقة، العمامة. وقد تطلق على الثوب.
المعنى: ورب ليل منير كالبدر بتمامه وهو يضيء كل ما حوله، يشبه حييا يحاول غطاء
وجهه بخماره.
- (٣) المفردات: الخرقاء: الحمقاء. الجصرة: الناقة القوية.
المعنى: واستطعت أن أخترق أطراف نور القمر بناقة فتية هوجاء، تلحظ جدي ولا ترى
كذبي.
- (٤) المعنى: وناقتي هذه يقظة لا ترى طعم النوم، ولا ترضى إلا بالغاية المنشودة.
- (٥) المفردات: الشكيمة: الحديدية تعترض فم الفرس. العطب: القطن، مفردا العطبة.
المعنى: استعار الشاعر الشكيمة التي للجواد ووضعها في فم الفرس. وناقتي هذه من
شدة ما تلوك شكيمتها تغطي مشفراها بالزبد الذي يشبه القطن.
- (٦) المفردات: الذؤوب: المثابة والتعب.
المعنى: فإذا أرهقني التعب وأقنى تصبري قلت: قد أبلغ الديار بعد الإرهاق.
- (٧) المفردات: اللبانة: الحاجة والقصد. القنا: الرماح. النخب: الموت.
المعنى: وعلي إعداد العدة لبلوغ قصدي، ولو كسرت الرماح وأحييت الموات.
- (٨) المعنى: فإن تحققت أمنيته فهذه صفات الرجل الماجد، وإن كلت سيوفي توقفت عن
الضرب. يريد: وإن اعتراني الإرهاق أحجمت.

وقال وقد سأله الوزير أبو علي الحسن بن حمد عمل قصيدة عنه يذكر فيها الملك السعيد بهاء الدولة بحقوق دولته، ويتبرأ إليه من قروف أعدائه:
[من الوافر]

إِيَابَا أَيُّهَا الْمَوْلَى إِيَابَا فَعَبْدٌ إِنْ أَسَاءَ فَقَدْ أَنَابَا^(١)
أَطَاعَكَ وَالشَّبَابُ لَهُ رِدَاءٌ فَكَيْفَ تَرَاهُ إِذْ خَلَعَ الشَّبَابَا؟^(٢)
وَكَانَ عَلَى الْهُدَى حَدَّثًا فَأَنَّى تَظُنُّ بِهِ الضَّلَالَةَ حِينَ شَابَا؟^(٣)
أَبْعَدَ نَصِيحَةٍ فِي الْغَيْبِ غِشٌّ؟ أَحْزَرًا بَعْدَ كَوْرٍ وَانْقِلَابَا؟^(٤)
أَلَا قُلْ لِلأُلَى زَمُوا الْمُطَايَا وَعَالَوْهَا الْهُوَاجِ وَالْقَبَابَا^(٥)
وَقَادُوا الْخَيْلَ عَارِيَةَ الْهُوَادِي وَمَا أَوْكُوا مِنَ الْعَجَلِ الْعِيَابَا:^(٦)
خُذُوا مِنَّا التَّحِيَّةَ وَاقْرَؤُوهَا وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا عَنْهَا جَوَابَا^(٧)

- (١) المفردات: أناب: رجع. إيابًا: مصدر منصوب مفعول مطلق. المولى: السيد والعبد. المعنى: عد أيها السيد عد؛ فالعبد إن أخطأ تراجع.
- (٢) المعنى: لقد أطاعك سيدك (يريد نفسه) وأنت ترفل في حلية الشباب، وكيف تظنه حين يشيب؟
- (٣) المعنى: كان سليم السبيل وهو فتى، فكيف يضل وهو شائب؟
- (٤) المفردات: الحور: الرجوع والنقصان بعد الزيادة. الكور: الزيادة. المعنى: أيمن أن يغش بعد أن وصلته النصيحة في الغيب؟ هل يجوز تراجع وانقلاب بعد زيادة؟
- (٥) المفردات: زموا: شددوا أزمتها. عالوها: رفعوا عليها. المعنى: أعلم من استعدوا للرحيل وربطوا الأحزمة، ورفعوا الهوادج والقباب على ظهور الإبل.
- (٦) المفردات: الهوادي من الخيل: أعناقها. أوكوا: شدوها بالحبال. العياب: مفردا العيبة، وهي وعاء جلدي يملأ به المتاع. المعنى: وقد كانوا مستعجلين، حتى إنهم لم يلجموا الجياد، ولم يربطوا المتاع بالحبال.
- (٧) المعنى: قل لهم: تقبلوا منا التحيات وأبلغوها، ولو لم تسمعوا منهم جوابها. ملاحظة: خطأ أن يتعدى فعل «قرأ» بنفسه، فلا يقال: اقرؤوها، بل يقال: اقرؤوا عليها السلام.

على مَلِكٍ تَنْزَهُ أَنْ يُحَابِي وأَغْنَتْهُ المحامدُ أَنْ يُحَابِي^(١)
ولَمَّا أَنْ تَحَجَّبَ بالمعالي على أعدائه رَفَعَ الحجابا^(٢)
وقولوا للَّذِينَ رَضُوا زَمَانًا فَرَدَّهُمُ الوشاةُ بنا غِضابا^(٣)
عَدَّتْنَا عن ديارِكُمْ العوادي ورَابَ مَنْ الزَّيَارَةُ ما أَرابا^(٤)
فلا جَوْ نَشِيمٍ بهِ بُرُوقًا ولا أرضُ نَشْمٍ لها تُرابا^(٥)
وما كُنَّا نَخَافُ وإن جَنِينَا بأنَّ الهَجَرَ كانَ لنا عِقابا^(٦)
أَقِيلُونَا الذَّنُوبَ؛ فَإِنَّ فيكُمْ وعندَكُمْ لمجرمَكُمْ مَتابا^(٧)
ولا تَسْبِتَدْعُوا خطأَ المِوالي فَإِنَّ العَبْدَ يُبَدِّعُ إنَّ أَصابا^(٨)
بَعُدْنَا عَنْكُمْ ولنا أَعَادٍ يَزِيدُهُمْ تَبَاعَدُنَا اقْتِرَابا^(٩)
فَرَوْنَا بِالشُّفَارِ فما أَكَلُوا لهم في فَرِينَا ظُفْرًا ونابا^(١٠)

(١) المفردات: يحابي: يداري.

المعنى: اقرؤوا مني السلام على ملك ترفع عن المداراة، ومحامده تغنيه عن ذلك.

(٢) المعنى: حتى إذا تحصن واتخذ مقامه العالي، رفع الحجب لخصومه.

(٣) المعنى: أخبروا من وافقونا في حين من الزمان، والوشاة والنمامون هم الذين حولوا عقولهم.

(٤) المفردات: العوادي: العوائق. راب: أوقع في الريبة، ومثلها أراب.

المعنى: حالت دون زيارتكم في دياركم موانع، أوقعنا في شك.

(٥) المفردات: نشيم: نرى.

المعنى: فلم نر أنواء ذات بروق، ولا أرضًا شممتا ترابها.

(٦) المعنى: لم نكن نخاف بأن نعاقب بالهجر، وإن كنا ارتكبنا خطأ.

(٧) المفردات: أقيلونا: اصفحوا عنا.

المعنى: فاصفحوا عن أخطائنا؛ فإننا نعهد فيكم المغفرة للخاطئين.

(٨) المفردات: استبدع الشيء: استغربه.

المعنى: ولا تستغربوا من خطأ العبيد؛ فالخطأ من طبعه. وهو حين يصيب يأتي بالعجب.

(٩) المعنى: واضطربنا إلى الابتعاد عنكم، وظل الأعادي يحيطون بنا. وكلما ابتعدنا عنكم زادوا قربًا منا.

(١٠) المفردات: الشفار: مفردها الشفرة، وهي حد السيف. الفري: الشق.

المعنى: فقطعناهم بحد السيوف فلم يتراجعوا ولم يهن منهم عزم.

وكنّا إذ أمّناهم علينا
أيا ملك الملوك أصيخ لقول
تُسَكِّنني المهابة عنه طورًا
ولولا أنّ حلمك عدل رضى
خدمتك حين أسلمك الأداني
وكنت أخوض فيما ترتضيه
أخاف الموت قدامًا وخلفًا
وأكرع من عدوك كل يوم
وكم جذب السعاة عليك ضنعي
ألا لا تغبننّ الحلم رأيًا
رعاة البهّم إذ أمّنا الذئاب^(١)
أجلّك أن يكون لكم عتاب^(٢)
ويؤمنني وفاؤك أن أهابا^(٣)
فرقتك أن أراجعك الخطاب^(٤)
وخلّى الجار نصرتنا وهابا^(٥)
على الأعداء أيامًا صعبا^(٦)
وأرقبه مجيئًا أو ذهابا^(٧)
وما استسقيته صبرًا وصابا^(٨)
فما أوسعهم إلا جذابا^(٩)
صوابًا في امرئ غبن الصوابا^(١٠)

- (١) المعنى: وحين أمّناهم على أنفسنا، كانوا كالذئاب التي أمّنت على رعي البهائم والأنعام.
(٢) المعنى: ويوجه خطابه نحو ممدوحه، وينعته بصفة ملك الملوك، ويطلب إليه أن يصغي إلى قوله من غير أن يكون في قوله عتاب.
(٣) المعنى: عندما أخاطبك يعتريني السكوت مهابة لك حينًا، وحينًا يحثني وفاؤك على الجراءة.
(٤) المفردات: رضى: اسم جبل. فرقتك: خفتك.
المعنى: إن حلمك رزين يعادل ثقل جبل رضى، وهذا الذي يدفعني إلى مخاطبتك دون خوف.
(٥) المعنى: تشرفت بخدمتك حين تهاون بك المقرّبون، وتخلّى الجيران عن نصرتنا وهابونا.
(٦) المعنى: وكنّت أنفذ ما تريده مني نحو الأعداء مهما كانت الأمور عسيرة.
(٧) المعنى: على أنني أرهب وفود الموت علي من كل جانب، وأتوقع إقبالها علي في كل حال.
(٨) المفردات: أكرع: أمد عنقي في الماء لأشرب. الصاب: عصارة شجر مر.
المعنى: وكنّت في كل يوم أسقي عدوك، ولم أسقه غير الشراب المر.
(٩) المفردات: الضبع: العضد. جذابًا: بعدًا.
المعنى: وكثيرًا ما حاول النمامون أن يفتوا من عضدي، ولم يجدوا مني إلا البعد والاحتقار.
(١٠) المفردات: غبن في البيع أو الشراء: نقصه في الثمن، وغبن الشيء وعنه: لم يفتن له.
المعنى: فلا تتجاهلني وتقصر في حلمك علي بتقديم الرأي السديد، فأنا امرؤ قصر الصواب عندي.

وقل للمُجلبين عليّ: مهلاً فقد أدركتُم فيه الطُّلاباً^(١)
 أسخطاً بعد سُخطٍ وازوراراً ونأيًا بعد نأيٍ واجتناباً؟^(٢)
 وأنتَ أرئتنا في كلِّ باغٍ غفرتَ ذنوبه العَجَبُ العُجَاباً^(٣)
 فما لي لا تُسويني بقومٍ رَقُوا في كيدِ دولتك الهَضاباً؟^(٤)
 ودَرُّوا بعدَ ما رشحوا فأضحوا وقد ملؤوا من الشرِّ الجِراباً^(٥)
 هنيئًا يا ملوكَ بني بُويه بأنَّ بهاءكُم ملكَ الرُّقابِ^(٦)
 وحازَ المُلكَ لا إرثًا ولكنَّ بحدِّ السَّيفِ قَسْرًا واغتصاباً^(٧)
 ولَمَّا أن عوى بالسيفِ كَلْبٌ وجرَّ إلى ضلالتِه كِلاباً^(٨)
 وظنَّكَ لاهِيًا عنه ويُرْمى قديمًا بالغباوةِ مَنْ تَغابى^(٩)
 رأى لِينًا عليه فظنَّ خَيْرًا ويلقى اللَّينَ مَنْ لمسَ الحُباباً^(١٠)

- (١) المفردات: المجلب: المتوعَّد بالشر. مهلاً: مصدر بمعنى فعل أمر «أمهّل»، وهو مصدر نائب مناب فعله، يستوي فيه المذكر والمؤنث، مفردًا ومثنى وجمعًا.
 المعنى: أطالب أصحاب الشر بأن يتمهلوا عليّ، فقد نلتُم ما أردتم.
- (٢) المعنى: أتقذفونني بسخط تلو سخط، وبانحراف، وابتعاد، واجتناب؟
- (٣) المعنى: وأنت أيها الممدوح ماذا فعلت بالباغين من عجب بعد أن غفرت لهم أخطاءهم.
- (٤) المعنى: فلماذا لا تعاملني معاملتهم، ولا تجعلني في سويّة من كادوا لك، ومع ذلك غنموا رضاءك؟
- (٥) المفردات: الجراب: كلمة فارسية معناها وعاء قماشي، ثم استخدمت للقدم.
 المعنى: هؤلاء الذين غنموا رضاك نضحوا وأكثروا، واشتدوا على الشر.
- (٦) الألفاظ: بنو بويه: أمراء فرس تحكموا في الخلافة العباسية، وملكوا بلاد فارس، وبهاء الدولة منهم.
- (٧) المعنى: أهنئكم أيها البويهيون الملوك ببهاء الدولة الذي ملك الأنام.
- (٨) المعنى: مع أن بهاء الدولة ورث العرش عن أبيه، إنما أراد الشريف أن يقول إن قوة بهاء الدولة هي التي مكّته من السيطرة على العرش، وإن حد السيف تحكّم في تربيته.
- (٩) المعنى: جعل الشريف المعارض لحكم بهاء الدولة كلبًا يعوي في وجه السيف المصلت، أي أنه لا قدرة له على المجابهة. ولم يتسنَّ له أن يضلَّ معه بعض الكلاب.
- (١٠) المعنى: وظن هذا الكلب أنك لم تدرك مراميّه، أو أنك كنت لاهيًا عن تحركاته. وظن المسكين أن من تغابى كان غيبًا.
- (١٠) المفردات: الحباب: الحيّة.

دَلَفَتْ إِلَيْهِ فِي عُصَبِ الْمَنِيَا إِذَا أُمُّوا طِعَانًا أَوْ ضِرَابًا^(١)
 وَجُوهًا فِي نَدَى تُلْقَى رِقَاقًا وَعِنْدَ رَدَى تَلَاقِيهَا صِلَابًا^(٢)
 وَأَبْصَرَهَا عَلَى «الْأَهْوَازِ» شُعْنًا تَخَالُ بِهِنَّ مِنْ كَلْبٍ ذَابًا^(٣)
 عَلَيْهَا كُلُّ أَرُوعٍ شَمْرِيَّ يَهَابُ مِنَ الْحَمِيَّةِ أَنْ يَهَابًا^(٤)
 فَوَلَّى فِي رُهِيطٍ كَانَ دَهْرًا يُمْنِيهِمْ فَأَوْرَدَهُمْ شَرَابًا^(٥)
 وَتَخَسَّبُهُمْ وَقَدْ زَحَفُوا لُيُوثًا فَلَمَّا أُجْفِلُوا حُسِبُوا ذُنَابًا^(٦)
 أَعَدَّهُمْ لَهُ صَخْبًا فَكَانُوا هُنَالِكَ فِي مَنِيَّتِهِ صِحَابًا^(٧)
 فَأَصْبَحَ لَا يَرَى إِلَّا ابْتِسَامًا وَأَمْسَى لَا يَرَى إِلَّا انْتِحَابًا^(٨)
 وَبَاتَ مُعَلَّقًا فِي رَأْسِ جِذَعٍ إِهَابًا لَوْ تَرَكْتَ لَهُ إِهَابًا^(٩)

=المعنى: وهو حين لمس اللين من جانبك ظن أن حبله على غاربه، ونسي أن جلد الثعبان أملس، ولكنه سام قاتل.

(١) المفردات: دلف: مشى كالْمَقِيدِ وقارب الخطو في مشيه. أموا: قصدوا. العصب: الجماعة.
 المعنى: وتقدّمت نحو هذا الخصم وأنت تحمل له ألوانًا من الموت، حين قصد الحرب.
 (٢) المعنى: إن وجوه بني بويه في السّلم رضية سخية، ولكنها حين الغضبة الكبرى تراها عنيدة.

(٣) المفردات: الأهواز: من أقاليم الدولة العباسية، وهو في إيران اليوم مع أن سكانه عرب، ويدعى «خوزستان». والكلمة عربية بالحاء. الشعث: مفردها الأشعث، وهو المغبرّ الشعر. الذّآب: الذي يشبه الذئب.

المعنى: ورأى أن الأهواز متفرقة بالأعداء، وإذا بهم تذأبوا دهاء وافتراسًا بعد أن كانوا كلابًا.
 (٤) المفردات: الأروع: الشهم. الشمري: المجدّ المجرب. الحمية: الأنفة.

المعنى: على تلك الديار رجال أشاوس وذوو شهامة وتجربة، يأنفون أن يهابوا.
 (٥) المعنى: وهرب في عدد قليل، كان هذا الكلب يعدهم منذ أمد طويل بالخير والمير.
 (٦) المفردات: جفل البعير: نفر وشرد، ونفروا (هنا): هربوا مسرعين.

المعنى: وهم حين كانوا متوجهين في حربهم كانوا أشبه بالآساد الهصورة، وسرعان ما تحوّلوا بعد الخسارة إلى ذئاب هاربة واجفة.

(٧) المعنى: كان هذا الزعيم يمّني أصحابه بأنه صاحب لهم، وفي ساحة الحرب، حين رأوا أنه لا شيء وأن موتهم دأب تعاونوا على إهلاكه.

(٨) المعنى: وكان في بدء أمره لا يقابل إلا بالترحاب، إذا به في النهاية لا يسمع إلا نحيبًا.
 (٩) المفردات: الإهاب: الجلد.

وَحَلَّقَ شَاحِبَ الْأَوْصَالِ حَتَّى
تَعَاثُ الطَّيْرُ جِيفَتَهُ وَتَأْبَى
وَمَا تَرَكَ انتِقَامُكَ فِيهِ لِمَا
فَدُمَ يَا تَاجَ مُلْكِ بَنِي بُؤْيِهِ
وَلَا مَلِكَ الْأَنَامِ سِوَاكَ مَوْلَى
وَضَلَّتْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ جَمْعًا
وَطَابَتْ لِي حَيَاتُكَ ثُمَّ طَالَتْ؛
عُقَابُ الْجَوِّ تَحْسِبُهُ عُقَابًا^(١)
عِرَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ سِغَابًا^(٢)
سَطَوْتَ بِهِ طَعَامًا أَوْ شَرَابًا^(٣)
تَخْطَأُكَ الْمَقَادِيرُ أَنْ تُصَابًا^(٤)
وَلَا قَصَدُوا سِوَى نُعْمَاكَ بَابًا^(٥)
شِعَابِكَ أَنْ تُلَمَّ بِهَا شِعَابًا^(٦)
فَخَيْرُ الْعِيشِ مَا إِنْ طَالَ طَابًا^(٧)

- 14 -

وقال عند قدوم بعض أصحابه من سفر طويل : [من الخفيف]
يَا سَقَى اللَّهِ لَيْلَتِي لَيْلَةَ السَّبِّ تِ زُلَالًا، لَا بَلْ سَقَاها شَرَابًا^(٨)
لَيْلَةَ قَرَّبْتُ بَعِيدًا وَأَعْطَتْ مُتَمَنَّى وَأَقْدَمَتْ غُيَابًا^(٩)

=المعنى : أما نهايته فهو الصُّلب على إحدى الشجرات ، لم يبق منه إلا الجلد ، لو تركته له .

(١) المفردات : الشاحب : المتغير اللون . الأوصال : الأعضاء .

المعنى : وهو حين غُلِقَ في أعلى الشجرة بدا مبدل اللون مما برز من أعضائه ، فخيَّل لعقبان الجو الجارحة أنه واحد منها .

(٢) المفردات : تعاف : تكره . العراقة : تنقية اللحم من العظم . سغابًا : جياغًا .

المعنى : كانت الطيور التي تعيش من أكل الجيف تكره الدنو من جثته وترفض أن تأكل منها شيئًا ، مع أنها كانت جائعة .

(٣) المعنى : فأنت حين هاجمته وانتقمت منه جفَّ جلده ولم يبق منه شيء .

(٤) المعنى : أدامك الله علينا تاجًا بُويهيًا معززًا ، محميًا من كل أذى .

(٥) المعنى : ولم ينعم الناس بسيد لهم غيرك ، ولا استرفدوا باب ملك آخر .

(٦) المفردات : النائبات : المصائب .

المعنى : وأرجو من الله أن تتيه نوازل الزمان جميعًا عن ديارك ، ولا يحل بها تفرقة .

(٧) المعنى : وقد سعدت بطيب عيشك وطوله ، والمعلوم أن أفضل العيش الذي يطيب بطوله .

(٨) المعنى : ما كان أسعدني بليلة السبت التي قدم بها صاحبي ، سقى الله الليلة ماء عذبًا ، لا بل شرابًا .

(٩) المعنى : هذه الليلة عزيزة علي لأنها أدنت من كان نائيًا عني ، ومنحتني أمنيته بقدوم هذا الغائب .

وَارْتَجَعْنَا زَمَانَنَا وَكَأْنَا بَعْدَ شَيْبٍ مَّا ارْتَجَعْنَا الشَّبَابَا^(١)

- 15 -

وقال ارتجالاً، وقد كاتبه الوزير أبو علي من واسط، بخبر الأمير أبي الغنائم^(٢)، وبعث بها إليه: [من الوافر]

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ لِلرُّزْءِ دَفْعًا فَصَبِّرَا لِلرَّزِيَةِ وَاخْتِسَابَا^(٣)
فَمَا نَالَ الْمُنَى فِي الْعَيْشِ إِلَّا غَبِيُّ الْقَوْمِ أَوْ فَطِنٌ تَغَابَى^(٤)
هِيَ الدُّنْيَا تُغَزُّ بِهَا خَدَوَعَا وَتُورَدُّهَا عَلَى ظَمٍ سَرَابَا^(٥)
وَهَذَا الدَّهْرُ يُصْبِحُ ثُمَّ يُمَسِي يَقُودُ إِلَى الرَّدَى مَّا صِعَابَا^(٦)
وَهَلْ أَحْيَاؤُنَا إِلَّا تَرَابٌ بظهِرِ الْأَرْضِ يَنْتَظِرُ التُّرَابَا؟^(٧)
صَدَعَتْ بِمَا كَتَبَتْ صَمِيمَ قَلْبِي عَلَى عَجَلٍ فَلَمْ أُطِقِ الْجَوَابَا^(٨)
فَلَوْ أَتَيْتُ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ وَحَدِي وَلَمْ أَهْبِ الْأَذَى عَنْكَ الْمُصَابَا^(٩)
وغيرُكَ مَنْ نَعْلَمُهُ التَّعْزِي وَنُذَكِّرُهُ - وَقَدْ ذَهَلَ - الثَّوَابَا^(١٠)

(١) المعنى: وتقابلنا، وتجاوزنا أطراف الأحاديث، واستعدنا الماضي العزيز، وكأننا في هذه الذكريات نستعيد شباباً بعد حلول شيب.

(٢) الأمير أبو الغنائم هو محمد بن فريد الأسدي، أمير من ذوي البسالة. صاهر بني ديبس، وهم الذين قتلوه في إحدى المعارك سنة ٤٠١ هـ.

(٣) المعنى: إذا لم تقدر على دفع المصائب عنك، فاصبر عليها واحتسب بالله.

(٤) المعنى: فالمرء العاقل، مصاب، ولم يسعد في عيشه إلا اثنان، غبي لا يدرك ما يجري في الحياة، أو ذكي يتناسى ويتظاهر بالغباء.

(٥) المفردات: السراب: الآل، وهي كلمة فارسية مركبة من «سر: رأس» و«آب: ماء».

المعنى: الدنيا تغرنا وتخدعنا، ونأتيها عطاشى فلا نلقى فيها إلا السراب.

(٦) المعنى: وهذا الدهر يتوالى زمانه، وهو ينقلنا إلى مآهات الموت.

(٧) المعنى: فمن ولى منا غدا تراباً، والأحياء منا سيؤولون إلى تراب على وجه البسيطة.

(٨) المعنى: كانت كتابتك سبباً في شرح شغاف قلبي بسرعة خاطفة، فاستحال عليّ الجواب.

(٩) المعنى: كنت أتمنى أن أتحمل وحدي حتى لا يصيبك أي أذى.

(١٠) المعنى: أنت خير لا تحتاج إلى تعليم، ونحن إنما نعلم غيرك كيف يتقبل العزاء، ونذكره بأن المؤمن مصاب وله ثواب، لكن هذا ذهل فلم يتحمل.

فلو حابي الزَّمانُ سِواكَ خَلَقًا لَكَانَ سَبِيلُ مِثْلِكَ أَنْ يُحَابِي^(١)

- 16 -

وقال في الغزل: [من الوافر]

على شجرِ الأراكِ بكيتُ لَمَّا مررتُ به فجاوِذْتُ السُّحَابا^(٢)
وكم ناديتُ فيه من حبيبٍ عَهدتُ به فلم أسمعَ جَوابا^(٣)
فَوَاهَا لِلأراكِ مَقِيلَ صَبٍّ فَقَدْتُ به الأَحَبَّةَ والشُّبابا^(٤)
وأكنافًا لغانيةٍ رِحابًا وأفنائًا لناعمةٍ رِطابا^(٥)
وسَقِيًا لِلأراكِ مَسَاءَ يَوْمٍ نزلتُ به فطبتُ له وطابا^(٦)

- 17 -

وقال في غرض له: [من الوافر]

إذا ساءَ لَتَنِي فَخُذِ الجَوابا فكم فَتَحَ الكلامُ عليَّ بابا!^(٧)

(١) المفردات: حابي الرجل: مال إليه.

المعنى: إن مقامك رفيع في هذا الزمان. فلو أنه يتمكن من مناصرة أحد من الناس لما توانى عن الميل إليك ومناصرتك.

(٢) المفردات: الأراك: الشجر الذي تصنع المساويك من فروعه. جاوِذَ: فاخر.

المعنى: حين مررتُ بشجر الأراك بكيت، وهطلت دموعي مدرارًا فاخرتُ بها السحاب.

(٣) المعنى: وفي هذا المكان بحثت عن حبيبي وناديته مرارًا، فلم أسمع منه جوابًا.

(٤) المفردات: وَاَهَا: كلمة تعجب وتلهّف. المَقِيل: اسم مكان للقيولة، وهي الاستراحة ظهرًا.

المعنى: أسفي على منبت شجر الأراك، حيث كان محبوبي يتقيل فيه. هنا كان لي ذكرى أثيرة؛ هي ذكرى حبيبي وذكرى شبابي.. وقد أَفَلَا.

(٥) المفردات: الأكناف: النواحي. الأفنان: الأغصان، أراد بها أنامل محبوبته على سبيل الاستعارة.

المعنى: وفقدتُ في هذه النواحي الرحبة أيضًا أنامل محبوبتي النديّة؛ أطلق الجزء وأراد الكل.

(٦) المعنى: أدعو لهذه الأشجار بالسقيا في أمسية، نزلتُ بينها فسرّرتني وسرّرت بي.

(٧) المعنى: إن أنت سألتني أعطيتك جوابي؛ فالبدء بالكلام يطلق لساني.

عَبْتُ، وما اجْتَرَمْتُ إِلَيْكَ جُرْمًا
وما كُنْتُ اسْتَرَبْتُ وَإِنْ أَرَثْنِي
فُجِعْتُ، وَقَدْ تَخَذْتُكَ لِي خَلِيلًا،
ولو أَتَيْ قَطْعُكَ لَمْ أُعْنَفْ
ولَمَّا أَنْ ظَمِئْتُ إِلَيْكَ يَوْمًا
فَإِنْ تَشَحَّطُ فَمَا أَهْوَى اقْتِرَابًا
ولسْتُ بِمُبْصِرٍ مَنِّي رَسُولًا
أَلَا قَبَّحَ إِلَالَهُ وَجْوهَ قَوْمٍ
أَرَاقُوا مِنْ وَجُوهِهِمْ حَيَاءً
وَهُمْ مِنْ لُؤْمِهِمْ فِي قَعْرِ وَهْدٍ
وَمَنْ يَكُ عَارِيًّا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ
فَأَحْمَلْ فِيهِ مِنْكَ لِي الْعِتَابَا^(١)
صُرُوفُ الدَّهْرِ عِنْدَكَ مَا أَرَابَا^(٢)
بِجْرَمِي أَوْ حُرِمْتُ بِكَ الصَّوَابَا^(٣)
ولم أَقْرَعْ لِقَرِيبِي مِنْكَ نَابَا^(٤)
وَرَدْتُ وَلَمْ أَرِذْ إِلَّا سَرَابَا^(٥)
وَإِنْ تَرَحَّلْ فَمَا أَرْجُو إِيَابَا^(٦)
ولسْتُ بِقَارِيءٍ عَنِّي كِتَابَا^(٧)
أَذْلُوا فِي طِلَابِهِمُ الرُّقَابَا^(٨)
وما أَخَذُوا بِهِ إِلَّا تُرَابَا^(٩)
وَإِنْ رَفَعُوا بِدُورِهِمُ الْقِبَابَا^(١٠)
فَمَا يُغْنِيهِ أَنْ لَبَسَ الثِّيَابَا^(١١)

(١) المعنى: أراك تعتب علي من غير ما جرم وقعت به. وما دمت لم أخطيء فلا حاجة إلى عتابي.

(٢) المعنى: مع أن تقلبات الزمان أوقعت في نفسي الريبة، إلا أنني لم أرتب منك.

(٣) المعنى: ولقد اتخذت منك خليلًا، إلا أنني فجعت بخطئي معك، أو أنني انحرفت عن جادة الصواب.

(٤) المعنى: وإنني لو هجرتك لم يعتب علي أحد، ولم أصب بمكروه منك مع قربي منك.

(٥) المعنى: أنا لا أنكر أنني احتجت إليك يومًا، ولكنني حين دنوت منك لم أرمك ما يجدي.

(٦) المفردات: تشحط: تبتعد.

المعنى: فأنت إن أردت النأي فلست بالمقبل عليك، وإن رغبت في الرحيل فلا أرجو لك عودة.

(٧) المعنى: ولا تتوقع أن أبعث إليك برسول يرتجيك، ولن تطمح مني بكتاب خاص.

(٨) المعنى: ما أبأس أن ألقى وجوه أناس أذلوا أنفسهم من أجل طلبهم.

(٩) المعنى: فهؤلاء أراقوا ماء وجوههم، ولم يجنوا من بذل حياتهم شيئًا.

(١٠) المعنى: ومع أنهم سكنوا دورًا عالية ذات قباب، إلا أن مقامهم في قعر المنحدر للؤمهم.

(١١) المعنى: والثياب وحدها لا تستر المرء، ولا يستره إلا عمل الخير، وهم عراة من خيرهم.

وقال في النسب: [من الكامل]

أَسْخَطْتَنِي فَرَضِيْتُ مِنْ كَلَفٍ وَلرَبِّمَا رَضِيَ الَّذِي غَضِبَا^(١)
وَبَسَمْتُ يَوْمَ الْبَيْنِ مِنْ عَجَبٍ فَأَرَيْتَ مِنْ بَرْدِ اللَّمَى شَنَبَا^(٢)
وِظَلَمْتُ فِي هَجْرِي بِلَا سَبَبٍ وَلَقَدْ طَلَبْتَ «فَلَمْ تَجِدْ» سَبِيبَا^(٣)
وَلَقَدْ وَهَبْتُ فَمَا رَجَعْتُ لَكُمْ قَلْبِي وَكَمْ رَجَعَ الَّذِي وَهَبَا^(٤)
وَبَلَّغْتُمْ عِنْدِي مَا رَبَّكُمْ عَفَوَا وَلَمْ أَبْلُغْ بِكُمْ أَرْبَا^(٥)
وَأَعَنْتُمْ عَمْدًا وَعَنْ خَطَا غَيْرَ الزَّمَانِ عَلَيَّ وَالنُّوبَا^(٦)
وَوَصَبْتُ مِنْكُمْ ثُمَّ مِنْ يَدُكُمْ طَوَلَ الزَّمَانِ وَلَمْ أَكُنْ وَصِبَا^(٧)
وَإِذَا التَّفْتُ إِلَى سَمَائِكُمْ تَهْمِي عَلَيَّ وَتُمْطِرُ الْعَجَبَا
أَلْفِيْتُ صَفْوِي كُلَّهُ كَدِرًا وَوَجَدْتُ جِدِّي كُلَّهُ لَعِبَا^(٨)

(١) المفردات: الكلف: الوله والحب الشديد.

المعنى: لم تكن محسنًا معي، فأغضبتني. وأظل راضيًا لأنني أحبك. وقد يرضى الغاضب العاشق.

(٢) المفردات: اللمى: سمرة متحسنة في الشفة. الشنب: حدة الأسنان وبياضها.

المعنى: وحين أرف مولى الرحيل رسمت بسمه عجيبة برزت فيها برودة شفئك السمرابين، وبياض أسنانك.

(٣) المعنى: لكنك ظلمتني في هجرى إياي من غير ما جرم. وبحث عن تقصير يدفعك إلى هجرى فلم أجد سببًا.

(٤) المعنى: وقبل رحيلك وهبتك قلبي، فلم أظفر بالرجعة إليكم، وكثيرًا ما يؤوب الواهب.

(٥) المعنى: وكان أن ظفرتم ببغيتكم عندي بسهولة، في حين أنني لم أصل إلى هدفى منكم.

(٦) المفردات: غير الزمان: صروفه. النوب: مفرداها النائة، وهى المصيبة.

المعنى: وكنتم سندًا للمصائب ولأحداث الزمان المتواكبة على، عمدًا منكم أو عن غير قصد.

(٧) المفردات: وصبت: مرضت.

المعنى: وكنتم سببًا لمرضى مع توالى الأزمان، ولم يكن بي مرض.

(٨) المعنى: وتحول صفو حياتى إلى أحزان، وغدا جدى معكم لهوا ولعبًا.

وقال يرثي الحسين عليه السلام في عاشوراء سنة ٤٢٩هـ: [من مجزوء

الرم]

مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَقَامٍ لَمْ أَجِدْ مِنْهُ طَبِيبًا؟^(١)
وَهُمُومٌ كَأَوَارِ النَّارِ يَسْكُنُ الْقُلُوبَا^(٢)
وَكُرُوبٌ لَيْتَهُنَّ الْيَوْمَ أَشْبَهْنَ الْكُرُوبَا^(٣)
وَحُطُوبٌ مُغْضِلَاتٍ بِثَنٍ يُنْسِينَ الْخُطُوبَا^(٤)
شَيَّبَتْ مِنِّي فَوْدِي وَلَمْ آتِ الْمَشِيبَا^(٥)
وَرَمَتْ فِي غُصْنِي الْيَبْسَ سَ وَقد كَانَ رَطِيبَا^(٦)
بَانَ عَنِّي وَتَنَاءَى كُلُّ مَنْ كَانَ قَرِيبَا^(٧)
وَتَعَرَّيْتُ مِنَ الْأَخْبَابِ فِي الدُّنْيَا عُزُوبَا^(٨)
وَسَقَانِي الدَّهْرُ مِنْ قُرْبَةٍ مَنْ أَهْوَى ذَنْوبَا^(٩)
إِنَّ يَوْمَ الطُّفِّ يَوْمٌ كَانَ لِلدِّينِ عَصِيبَا^(١٠)

(١) المعنى: من يعذرني من داء لم يجد الطبيب له دواء؟

(٢) المعنى: ومن هموم حطت في فؤادي وغدت كلهيب النيران.

(٣) المعنى: وأحزان ليتها تشبه الأحزان.

(٤) المعنى: ومصائب عويصة تُنسي أخواتها.

(٥) المفردات: الفود: ناحية الرأس مما يلي الأذن، وهما فودان.

المعنى: شيب هذا المصائب شعر رأسي قبل أن يحين أوان مشيبي.

(٦) المعنى: وأبيست ما كان أخضر من أغصاني الفتية.

(٧) المعنى: ولقد ابتعد الأقرباء عني وهجروني.

(٨) المفردات: العزوب: الاعتزال.

المعنى: ولم يبق حولي أحد من الأحباب، واعتزلوني.

(٩) المفردات: الذنوب: الدلو ذات الذنب.

المعنى: ونجم عن هجرة الأحباب أن سقاني الدهر آلاماً عريضة يبعد من أهوى، وهو الحسين.

(١٠) المفردات: يوم الطف: يوم مقتل الحسين. والطف: الشرف من الأرض.

المعنى: لقد أثرت هذه المعركة في الدين تأثيراً جسيماً.

لم يدغ في القلب مني للمسرات نصيباً^(١)
 إنه يوم نحيب فالتزم فيه النحيباً^(٢)
 عط تامورك واترك مفسراً عطوا الجيوباً^(٣)
 واهجر الطيب فلم يثرك لنا عاشور طيباً^(٤)
 لعن الله رجلاً أترعوا الدنيا غصوباً^(٥)
 سالموا عجزاً فلما قدروا شئوا الحروباً^(٦)
 في المعرات يهبو ن شمالاً وجنوباً^(٧)
 كلما ليموا على عي بهم ازدادوا غيوباً^(٨)
 ركبو أعودنا ظل ما وما زلنا ركوباً^(٩)
 ودعونا فرأوا من نا على البعد مجيباً^(١٠)
 يقطع الحزن ويطوي في الدياجير السهوباً^(١١)

- (١) المعنى: حتى إنني نسيْتُ بها كل ألوان المسرات، وخلا قلبي من السرور.
- (٢) المعنى: غدا هذا اليوم يوم عزاء وبكاء. فلأبك به؛ يخاطب نفسه بصيغة الأمر.
- (٣) المفردات: التامور: غشاء القلب. عط: شق، وماضيه عط وعطط.
- المعنى: وما عليك في هذا اليوم إلا أن تمزق غشاء فؤادك، بينما هناك أناس اكتفوا بشق ثيابهم.
- (٤) المعنى: وما عليك في هذا اليوم الحزين؛ يوم عاشوراء إلا أن تدع العطر، وأين منه في هذا اليوم؟
- (٥) المفردات: أترعوا: ملؤوا. الغصوب: القهر.
- المعنى: ما أقبح من ملأ الدنيا قهراً؟
- (٦) المعنى: فقد تظاهروا بالسلم حين كانوا عاجزين، حتى إذا قويت زنودهم أعلنوها حرباً.
- (٧) المفردات: المعرات: الآثام.
- المعنى: وهم سريعون إلى قذف الناس بآثامهم في كل جانب.
- (٨) المعنى: وإذا عوتبوا على ما يقتربون ازدادوا شططاً.
- (٩) المعنى: سطوا علينا، وتعالوا علينا ظلماً، وما زالوا.
- (١٠) المعنى: وهم تظاهروا بالود، فدعونا إليهم، فليتنا الدعوة على بعد الشقة.
- (١١) المفردات: الحزن: الغليظ من الأرض. الدياجير: الظلمات، مفردها الديجور.
- السهوب: الفلوات.
- المعنى: لبي سامع النداء، فعدا نحوهم غير عابىء بالصخور ولا بظلمات الليل.

بمطئٍ لا يُبالي نَ على الأَينِ الدُّؤِبا^(١)
لا ولا ذُقنَ على البُغِ دِ كَلالًا ولُغوبا^(٢)
وخيولِ كَرئالِ الذِ دُو يَهزُزُنَ السَّيبا^(٣)
فأَتُونَا بجموعِ خالها الرّاؤونِ رُوبا^(٤)
بوجوهٍ بعدَ إشفاءٍ رِ تَبَرَقَعَنَ العُطوبا^(٥)
فَنَشِيبُنَا فيهِمُ كُرِ هَا وما نَهَوَى النُّشوبا^(٦)
بقلوبٍ ليسَ يعرفُ نَ خُفوقًا ووَجيبا^(٧)
ولقد كانَ طويلُ الباعِ طَعانًا ضَروبا^(٨)
بالظُّبا ثمَّ القَنَا يَفِ ري وريدًا وتَريبًا^(٩)

-
- (١) المفردات: الأين: التعب. الدؤوب: السعي.
المعنى: لبي النداء وقد امتطى جوادًا غير هباب من الإرهاق والمثابة.
- (٢) المفردات: الكلال: الملل. اللغوب: التعب.
المعنى: ولم يحفل بما يحل به من ملل وإرهاق.
- (٣) المفردات: الرئال: مفردها الرئل، وهو فرخ النعام. الدو: المفازة. السيب: شعر عرف الفرس.
- (٤) المعنى: على خيل سريعة سرعة فراخ النعام، ومن سرعتها يتطاير شعر عرفها.
- (٥) المفردات: الروب: مفردها الروبة، وهي القطعة من الليل.
المعنى: وتوافدت الجموع المعادية، وكانت كثرتهم وجموعهم أشبه بقطع الليل... وهاجمونا بكل عنف.
- (٦) المفردات: العطوب: الهلاك.
المعنى: وحين برزوا أمامنا (يقصد أمام الحسين وآله) رأيناهم قد صمموا على الإهلاك الذي تبرقعوا به.
- (٧) المفردات: النشوب: التعلق.
المعنى: والتحمنا معهم في الحرب، وما من عادتنا الحرب.
- (٨) المعنى: ومع كرهنا للحرب، أقبلنا عليهم بجرأة غير هتابين.
- (٩) المفردات: طويل الباع: كناية عن الحسين (رضي).
المعنى: وقد كان الحسين شجاعًا خبيرًا بفنون الطعن والضرب.
- (٩) المعنى: كان يطعن بحد السيف، وبالرماح، ويشق الصدور (التريب)، ويقطع الأوردة.

لا يُرى والحربُ تُغلى قَذَرُهَا مِنْهَا هَيُوباً^(١)
 فَجَرى مِنَّا وَمِنْهُمْ عَنَدُمُ الطَّعَن صَبِيباً^(٢)
 وَصَلِينَا مِنْ حَرِيقِ الطِّ طَعَنٍ وَالضَّرْب لَهِيْباً^(٣)
 كَانَ مَرْعَانَا خَصِيباً فِيْهِمْ عَادَ جَدِيباً^(٤)
 لَمْ نَكُنْ نَأْلَفُ لَوْلَا جَوْرُهُمْ فِيْنَا خُطُوباً^(٥)
 لَا وَلَا تُبْصِرُ عَيْنٌ فِي ضَوَاحِينَا نُدُوباً^(٦)
 طَلَبُوا أَوْتَارَ بَذْرِ عِنْدَنَا ظُلْمًا وَخُوباً^(٧)
 وَرَأَوْا فِي سَاحَةِ الطَّفِ فِي وَقْدِ فَاتِ الْقَلِيبِ^(٨)
 قَدْ رَأَيْتُمْ فَأَرُونَا مِنْكُمْ فَرْدًا نَجِيباً^(٩)
 أَوْ تَقِيًّا لَا يُرَائِي بِتَقَاهُ أَوْ لَبِيباً^(١٠)
 كُلَّمَا كُنَّا رُؤُوسًا لِلوَرَى كُنْتُمْ عُجُوباً^(١١)

- (١) المعنى: واحتدمت الحرب واشتدت، والتهب أوارها من غير أن يعتريه تراجع أو تهيب.
- (٢) المفردات: العندم: خشب نبات يصبغ به، ويسمى دم الأخوين والبقم.
- المعنى: وسالت دماؤنا ودماؤهم لدى الطعن، وكانت الدماء حمراء كعصارة العندم.
- (٣) المعنى: وشويت أجسادنا من لهيب الطعن والضرب.
- (٤) المعنى: يصف الشاعر حياة آل البيت؛ كيف كانوا قبل المعركة سعداء، وشبه حياتهم بالمرعى الخصيب، ثم كيف غدوا بعد، فصار مرعاهم قاحلاً.
- (٥) المعنى: ما كنا نتوقع لحياتنا صلفاً يوماً، لولا ما جاروا علينا به.
- (٦) المعنى: حتى إننا لم نظن يوماً أن ستصاب أطرافنا بجروح.
- (٧) المفردات: الأوتار مفردها وتر، وهو الثار. بدر: يريد بثر بدر بن قريش، حيث جرت المعركة الكبرى.
- المعنى: إن بني أمية من قريش، وهم الذين حاربوا المسلمين في بدر. يتصور الشريف أن حرب الأمويين للحسين من أجل الثار لقتلى بدر.
- (٨) المفردات: القلب: البئر المذكور في البيت السابق، حيث رمى النبي قتلى المشركين فيه.
- المعنى: وتصوروا في ساحة معركة الطف القلب وقتلاه.
- (٩) المعنى: هذا نحن وقد عرفتم مكانتنا، فهل بينكم امرؤ أصيل نجيب؟
- (١٠) المعنى: وهل بينكم تقي مؤمن لا يقبل بالمراءاة، أو ذكي حصيف؟
- (١١) المفردات: العجوب مفردها العجب، وهو العقب أو العجز.

ما رأينا منكم بالـ حقٌ إلا مُستَريباً^(١)
 وصَدوقاً فإذا فثـ تَشْتَهُ كانَ كَذوباً^(٢)
 وخَلِيعاً خَالِياً عنـ مَطْمَعِ الخَيْرِ عَزوباً^(٣)
 وبعيداً بمخازيـ ٤ وإن كانَ نَسيباً^(٤)
 ليتَ عُوداً من غَشومٍ حَقَّنَا كانَ صَلِيباً^(٥)
 وبودِي أن مَن يَأْ صَلُّنَا كانَ ضَرِيباً^(٦)
 في غَدٍ يَنْضُبُ تِيَا رُ لَكُمْ فينا نُضُوباً^(٧)
 ويقيءُ البَارِدَ السَّلَّ سَالَ مَن كانَ عَبوباً^(٨)
 ويعودُ الخَلْقُ الرِّثْ ثُ مَن الأَمْرِ قَشِيباً^(٩)
 والذي أَضْحَى وأَمْسَى ناكِباً يُضْحِي نَكِيباً^(١٠)
 آل ياسينَ وَمَن فَضْ لَهُم أَعْيَا اللَّبِيبِ^(١١)

=المعنى: نحن جميعاً ذوو مقام رفيع، وما أنتم إلا أذئاب وأراذل.

(١) المعنى: ولم نرَ منكم أحداً سليم الطوية، كل واحد منكم يرتاب بالحق، ويشك فيه.

(٢) المعنى: ونراكم في الظاهر أصدقاء محبين، ولكن عند التجربة ما أنتم إلا كاذبون.

(٣) المفردات: الخليع: المستهتر. العزوب: البعيد.

المعنى: ومنكم المستهتر الذي لا يبالي بعمل الخير، البعيد عن الصلاح.

(٤) المعنى: قد نجد منكم قريباً نسيباً لنا، لكنه مصرّ على فعل المخازي.

(٥) المعنى: كنت أتمنى أن أجد فيكم رجلاً قوياً وإن كان يغمطنا حقنا.

(٦) المفردات: ياصلنا: يستأصلنا. الضريب: الشبيه.

المعنى: كنت أتعشّم أن أرى ممن يستأصل شأفتنا ويفنينا واحداً فقط شبيهاً بنا.

(٧) المفردات: النضوب: النفاذ.

المعنى: فلا تعثوا في الأرض مرحاً، فعن قريب ينفذ جمعكم كله.

(٨) المفردات: العبوب: الكثير العب، وهو الشرب.

المعنى: ولسوف تنتهي سعادتكم، وتلفظون النعماء لفظاً.

(٩) المعنى: ويعود إلى إIraq ما ييس منا، ويجد ما كان خَلَقاً.

(١٠) المعنى: ولن تدوم حياة الرغد لكم، وسينكب من كان ناكباً.

(١١) المفردات: آل ياسين: هم آل محمد (ﷺ)، والكلمة للنداء بأداة نداء محذوفة.

المعنى: يا آل النبي (ﷺ)، يا من فضلهم عميم يعجز الحصيف عن حصره.

أَنْتُمْ أَمْنِي لَدَى الْحَشْرِ (١) إِذَا كُنْتُ نَخِيبًا (١)
 أَنْتُمْ كَشَفْتُمْ لِي بِالتَّبَاشِيرِ الْغُيُوبَا (٢)
 كَمْ رَدَدْتُمْ مِخْلَبًا عَنِّي خَدِيثًا وَنُيُوبَا (٣)
 وَبِكُمْ أَنْجُو إِذَا عُو جِلْتُ مَوْتًا أَنْ أَنْوَبَا (٤)
 وَإِلَيْكُمْ جَمَحَانِي مَا حَادَا الْحَادُونَ نِيبَا (٥)
 وَعَلَيْكُمْ صَلَوَاتِي مَشْهَدًا لِي وَمَغِيبَا (٦)
 يَا سَقَى اللَّهِ قُبُورًا لَكُمْ زِنُّ الْكَثِيبَا (٧)
 حُزْنَ خَيْرِ النَّاسِ جَدًّا وَأَبَا ضَخْمًا حَسِيبَا (٨)
 لَقِيَ اللَّهُ وَظَنَّ النَّاسُ أَنْ لَاقَى شَعُوبَا (٩)
 وَهُوَ فِي الْفِرْدَوْسِ لَمَّا قِيلَ قَدْ حُلَّ الْجُبُوبَا (١٠)

(١) المفردات: النخيب: الخائف.

المعنى: يعتقد الشيعة أن النبي (ﷺ) وآله سيشفعون لهم يوم القيامة، فيقول الشاعر: يوم الحشر وهو يوم الخوف سيكون آل النبي أمانًا لي وضمانًا.

(٢) المعنى: أنتم يا آل النبي أريتموني الغيب، وقدمتم لي البشارات.

(٣) المفردات: الحديد: الحاد. النيوب: مفردا الناب، وهو السن بعد الرباعية.

المعنى: أنتم رددتم عني الخصوم الألداء، من ذوي المخالف الحادة، والأنياب القاطعة.

(٤) المفردات: أنوب: أرجع.

المعنى: ويرضاكم عني سأنجو إذا دهمني الموت، ونشرت ثانية.

(٥) المفردات: الجمحان: القصد والركوب. النيب: النوق المسنة، مفردا الناب.

المعنى: وهأنذا أركب إليكم ناقة قوية، وأدافع عنكم كلما دعا الداعي.

(٦) المعنى: وإنني أصلي عليكم دومًا في حضوري وغيابي.

(٧) المعنى: سقى الله قبوركم الكثيرة كثرة الكثبان وبوزنها.

(٨) المعنى: وأفضل هذه القبور خير الناس نسبًا وحسبًا في جده محمد (ﷺ) وأبيه علي (ع).

(٩) المعنى: توفي هذا العظيم - وهو الحسين - فظن الناس أنه مات.

(١٠) المفردات: الجبوب: مفردا الجب، وهي الحفرة، ويريد بها القبر.

المعنى: وما دروا أنه سعيد في الجنة خير الشهداء، وهم يعتقدون أنه حل في قبره ولم يصعد الجنة.

وقال في الشيب والغزل: [من مخلص البسيط]

- في كل يوم أرى عجيبا جَرَّ على مَفْرِقي المَشِيبا^(١)
ومن خطوبٍ يَزُزْنَ قلبي شَبْتُ وما أَن أن أَشِيبا^(٢)
أرى بَغِيضًا إذا تَمَنَّتْ عَيْناي أَن تُبَصِّرَ الحَبِيبا^(٣)
مالي ياقومُ والليالي يَغْمِزْنَ لي عُودِي الصُّلِيبا؟^(٤)
يُزْجِلْنِي عن قَرا أَمونٍ أَرَدْتُ وحدي لها الرُّكُوبا^(٥)
ولم أَغف سَلَمَها فَلِمَ ذي تُشِبُّ ما بيننا الحَروبا؟^(٦)
وكَلِّما تُبْنَ من ذُنُوبٍ إِلَيَّ جَدَّدَها ذُنُوبا^(٧)
كَأَنِّي مُخْطِئٌ بِشيءٍ ما كُنْتُ به إِلَّا مُصِيبا^(٨)

وقال في الشيب: [من مجزوء المجث]

- ليسَ المَشِيبُ بذَنْبٍ فلا تُعْذِّيه ذَنْبا^(٩)
غَصِبْتُ شَرَخَ شَبابي بالليلِ والصُّبْحِ غَضبا^(١٠)

- (١) المعنى: إنني في كل يوم أفاجأ بشيء عجيب، كان سبباً في ايضاض مفرق شعري.
(٢) المعنى: وشبت بمصائب تحل في فؤادي، قبل أن يحين أوان شيبتي.
(٣) المعنى: وكم كنت أمل أن أرى من أحب، ولكنني أفاجأ بمن أبغض.
(٤) المعنى: إنني لأعجب أيها الناس من الأيام التي تطعن في قوتي!
(٥) المفردات: الأمون: الناقة القوية المأمونة المثار. القرا: الظهر.
المعنى: تزيحني هذه الليالي عن ظهر الناقة، وكنت أطمح أن أركبها بنفسي وحدي.
(٦) المعنى: أنا أرحب بالسلم معها، فلماذا تثير الحروب بيننا؟
(٧) المعنى: وهي كلما تابت وثابت عادوا إلى إثارتها.
(٨) المعنى: وبدا لي أنني مخطيء خطأ ما، والحق أنني كنت على حق.
(٩) المعنى: الشيب ليس جريمة، فلماذا تعذبه كذلك؟
(١٠) المعنى: فقدت ريعان شبابي بتوالي الأيام والليالي غصباً عني.

فَشَبَّ شَيْبُ عِذَارِي كَمَا اشْتَهَى الدَّهْرُ شَبًّا^(١)
 إِنْ كُنْتُ بُدِّلْتُ لَوْنًا فَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا^(٢)
 أَوْ كُنْتُ بَوَعَدْتُ جِسْمًا فَمَا تَبَاعَذْتُ قَلْبًا^(٣)
 فَكَلَّمَا شَابَ رَأْسِي نَمَا غَرَامِي وَشَبًّا^(٤)
 يَامُرَةُ الظُّلَمِ طَغَمًا وَحُلُوءَ الظُّلَمِ شِرْبًا^(٥)
 رَضِي مُحِبُّكَ قَسْرًا بِأَنْ تَزُورِيهِ غَبًّا^(٦)
 وَمَا يُبَالِي وَسِلْمٌ وَادِيكَ مَنْ كَانَ حَرْبًا^(٧)

- 22 -

وقال في الشيب: [من مجزوء الرمل]

صَدَّ عَنِّي كَارِهَا قُرْ بِي وَإِنْ كَانَ حَبِيبًا^(٨)
 وَرَأَى فِي الْفَاحِمِ الْجَفْدَ بِدِ مِنْ الرَّأْسِ مَشِيبًا^(٩)
 كَشِهَابٍ غَابَتْ الشُّهُبُ بِي وَيَأْبَى أَنْ يَغِيبًا^(١٠)
 أَوْ كِنَارٍ تَحْمُدُ النَّارُ وَيَزْدَادُ لَهِيْبًا^(١١)

-
- (١) المعنى: فالتهب شعر رأسي كما أراد له الزمان أن يلتهب.
 (٢) المعنى: إنَّ تبديل لون شعري لا يبدل من قدر حبي.
 (٣) المعنى: وإن ابتعد محبوبي عني جسمًا، فما زال قلبي منه دنيًا.
 (٤) المعنى: بل إنني كلما أحسست بياض شعري ازداد أوار حبي لهيبًا.
 (٥) المفردات: الظلم: بريق الأسنان.
 المعنى: أنت يا محبوبتي تتصفين بأن طعمك في الظلم مر، ولكن رشف رحيقك حلو.
 (٦) المفردات: الغب: الزيارة بين الفينة والفينة، وليس دومًا.
 المعنى: قبل محبك غصبًا عنه أن تخففي من زيارتك له.
 (٧) المعنى: ولا يهمني من يحاربني، المهم أنك مسالمة معي.
 (٨) المعنى: أهملني حبيبي، وعزف عن لقائي، مع أنه عزيز علي.
 (٩) المعنى: فقد لا حظ أن شعري الجعد الأسود قد شاب.
 (١٠) المعنى: وغدا كالشهاب. ومع أن الشهب لم تعد ترى إلا أن شهاب رأسي يرفض أن يغيب.
 (١١) المعنى: أو أن هذا الشيب مثل النار، تخدم النيران كلها، ويستمر لهيب رأسي مشتعلًا.

كُنْتُ غُرِيَانَا بِلَا عَيْبٍ فَأَهْدِي لِي عُيُوبَا^(١)
 قُلْتُ: مَا أَذْنِبْتُ بِالشَّيْبِ بِلَا إِلَيْكُمْ فَأَتُوبَا!^(٢)
 هُوَ دَاءٌ حَلَّ جِسْمِي لَمْ أَجِدْ مِنْهُ طَبِيبَا^(٣)
 لَمْ تَجِدْ ذَنْبًا وَلَكِنْ أَنْتَ لَفَقْتَ ذُنُوبَا^(٤)

- 23 -

وقال ضَجْرًا: [من الخفيف]

لَا تَسَلَّنِي عَمَّا أَرَاهُ فَإِنِّي كُلَّ يَوْمٍ أَرَى بِعَيْنِي عَجِيبَا^(٥)
 كُلُّ دَاءٍ فِي الْقَلْبِ مَنِّي وَفِي الْجَسَدِ مَعِي عَلَى أَنَّنِي عَدِمْتُ الطَّبِيبَا^(٦)
 أَتَمَنَّيْ لَوْ بَاتَ مَنِّي بَعِيدًا كُلُّ مَنْ كَانَ فِي جَوَارِي قَرِيبَا^(٧)
 يَا خَلِيلِي عَلَى الرُّخَاءِ وَفِي الْبُؤْسِ أَصِخْ لِي أَشْكُو إِلَيْكَ الْخُطُوبَا^(٨)
 وَسِيَهَامًا أَصَبَنَ جِسْمِي فَلَمَّا لَمْ تَضِرْنِي أَصَبَنَ مِنَّا الْقُلُوبَا^(٩)
 لَا أَرَى إِذْ رَأَيْتُ إِلَّا مَعِيبَا وَهُوَ مَعَ ذَاكَ طَالِبٌ لِي عُيُوبَا^(١٠)

-
- (١) المعنى: كنت خاليًا من أي عيب، فمنحني الشيب كل العيوب.
 (٢) المعنى: فقلت لمحبوبيتي: إن الشيب ليس ذنبي، فلماذا أتوب لكم؟
 (٣) المعنى: ما هذا الشيب إلا مرض عُضال ليس منه شفاء.
 (٤) المعنى: الحقيقة يا حبيبي أنك بحثت كثيرًا عن عيب تصمني به، فاخترعت هذا الذنب.
 (٥) المعنى: لماذا تسألني عما وقع تحت عيني؟ إن أحداثًا عجيبة تتراءى لي كل يوم.
 (٦) المعنى: إن ما يبدو عليّ من أوجاع في ظاهر جسمي وفي داخل قلبي يشير إلى فقدانني لمن يشفيني.
 (٧) المعنى: أمنيته الآن أن يدعني وشأني ويرحل عني من كان يحيا قربي.
 (٨) المعنى: فاستمع إليّ يا خلّي، أريد أن أبثك ما يعتلج في حياتي من أحداث ونوائب؛ المحزون منها والمبشر.
 (٩) المعنى: لقد رُمي جسمي بسهام. ولما لم تجد السهام مقتلًا في جسمي أثخنت قلبي.
 (١٠) المعنى: إن من هو قابع أمامي يلاحظني ويعيب علي. وهو نفسه الذي يريدني أن أقع في العيوب.

وَمِلاءٌ مِّنَ الذُّنُوبِ سَجَايَاهُ وَيَنْعَى بُطْلَاءَ عَلِيٍّ الذُّنُوبِ^(١)

- 24 -

وقال في غرض له: [من الطويل]

قَرَنْتُكَ بِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أَرَدْتُ بِكَ الْحُسْنَى فَعَدْتُ الْمُخْيِبَا^(٢)
وَمَا كُنْتُ فِيمَا جِئْتُ أَوَّلَ صَادِقٍ أَسَاؤُوا بِهِ ظَنًّا فَكَانَ الْمَكْذِبَا^(٣)
فَلَا تَطْمَعُوا مِن ذِي حِجَا بِنظِيرِهَا فَكُلُّ أَمْرٍ يُدْعَى إِلَى مِثْلِهَا أَبَى^(٤)

- 25 -

وقال في الغزل: [من الكامل]

عَادَتْ إِلَيَّ بَغِيضَةً فَتَوَدَّدْتُ هَيَّاهُ مَن جَعَلَ الْبَغِيضَ حَبِيبَا!^(٥)
عَادَتْ إِلَيَّ فَخِلْتُ أَنَّ شَبِيبَتِي خُلِسْتُ وَأَبْدَلَهَا الزَّمَانُ مَشِيبَا^(٦)
فَكَأَنَّنِي أَبْصَرْتُ مِنْهَا بَغْتَةً يَوْمَ الْوَصَالِ مِنَ الْحَبِيبِ رَقِيبَا^(٧)
وَوَدِدْتُ أَنَّ طُلُوعَهَا مَقْلِيَّةٌ مَثْنِيَّةٌ فِي النَّاسِ كَانَ غُرُوبَا^(٨)
قَدْ كُنْتُ لِي دَاءٌ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ دَاءٍ سَقَمِكَ فِي الرِّجَالِ طَبِيبَا^(٩)

(١) المعنى: إنه العيب نفسه، غارق في ذنوبه وهذا طبعه، ويلقاني لئيرز لي عيوباً من غير حق.

(٢) المعنى: لقد حاولت أن أقربك مني وأقرب منك، وأيم الله كان هدفي خيراً، لكنك أبيت ورددني خائباً.

(٣) المعنى: ولم أكن في إخلاصي هذا أول من يُنعت بالبهتان مع عميق صدقي.

(٤) المعنى: ولن أعود إلى محاولتي ثانية، فالعاقل لا يقع في الخطأ مرتين.

(٥) المعنى: كان لي حبيبة فكرهتها، فعادت إلي اليوم تتقرب مني. كيف أقبل حبيباً من أكرهه؟

(٦) المعنى: هي عندما أصرت على العودة إلي سئمت وظننت أن قدومها أفقطني شبابي، والبسني مشيبي.

(٧) المعنى: وبقدومها أحسست بالرقيب يلاحقني ويقلقني بلقائي مع حبيبي.

(٨) المفردات: المقلية: المبغضة، والمثنية مثلها.

المعنى: كنت أتمنى أن تبعد عن الناس وينعدم وجودها وهي بهذه الصفات المبغضة.

(٩) المعنى: كنت لي داءً غُضالاً، داء لم أجده له شافياً.

ولحبذا زمنٌ مضى ما كان لي
يا ليت من قدر التلاقي بيننا
زمنٌ إذا قاطعتنا؛ مُتَبَسِّمٌ
وكأن قلبي وهو غير مُقلِّلٍ
لو لم تكوني في الزمانِ عَجِيبَةً
وخلوتُ عمري كله من ذنبه
وخلفت في جلدي ولم يكْ دهره
ولقيتُ فيك من العناء غرائباً
وتركت قلبي لا يفيقُ كآبةً
وكأنني لما أخذتُك كارهاً
قُربُ إليك وكنتُ منك سَلِيباً^(١)
جعلَ الفراقَ من اللقاءِ قَرِيباً^(٢)
ضافٍ وإن واصلتِ كان «قَطوباً»^(٣)
ملئتُ بِقُربِكَ حافَتاهُ وَجِيباً^(٤)
ما أبصرتُ عينايَ فيه عَجِيباً^(٥)
فجعلتُ منك له إليّ ذنوباً^(٦)
إلا السَّلِيمَ جَرائِحاً ونُدوباً^(٧)
وأخذتُ من أدهى البلاءِ ضُروباً^(٨)
وجفونَ عَيني لا تَمَلُّ نَحِيباً^(٩)
قَسَمي حُرمتُ وما أخذتُ نَصِيباً^(١٠)

- (١) المعنى: ما أجمل ذلك الزمان الذي كنتُ فيه سعيداً بعيداً عنك، محرراً من وجودك.
(٢) المعنى: يا رب، يا من كنت سبباً في هذا اللقاء، حقق لي فرقاً بيني وبينها.
(٣) المفردات: ضافٍ: كثير فائض. القطوب: العابس.
المعنى: أنا في زمان ذي صفتين معك: فإن نأيتُ عنا وقاطعتنا أحسننا فيه بالسعادة الكبيرة، وإن عدتُ إلينا واتصلت بنا عبس وزمجر.
(٤) المفردات: الوجيب: الخفقان. المقلقل: المتحرك بسرعة.
المعنى: وإن دنوتُ مني غدا قلبي الهادي الطيبي يخفق خفقاناً مزعجاً.
(٥) المعنى: أنت من أهم عجائب الدنيا، ولو لم أرك لم أر عجباً في هذا الزمان.
(٦) المعنى: لم أعرف ذنباً اقترفته في حياتي حتى عرفتُك، فإذا بي ممتلئ ذنوباً.
(٧) المعنى: كنت والحمد لله في صحة وعافية، ولم أكن أعرف داء حتى عرفتُك، فتركتُ في جلدي ندوباً لا تندمل.
(٨) المفردات: الضروب: الأشكال.
المعنى: وحلت بي المصائب، وتزاحمت عليّ أفانين البلاء بسبك.
(٩) المعنى: وبقربك مني وقع قلبي في كآبة، وملت عينا من البكاء.
(١٠) المفردات: القسم: النصيب.
المعنى: كل امرئ يسعد بنصيبه ويقنع به، أما أنا فقد جتني غصباً عني، فأحسستُ أنني لم يُقسم لي.

لو كنتَ عَيًّا واحدًا صَبَرْتُ له نفسي ولكن كنتَ أنتَ عُيُوبًا^(١)

- 26 -

وقال ناصحًا: [من الكامل]

قولوا لمن غلَطَ الزَّمانُ به فأنالَهُ ما لم يَكُنْ حَسِبَهُ: ^(٢)
لا تفرحَنَّ بما أتاكَ به فالذَّهرُ يسلُبُ كلَّ ما وهَبَهُ ^(٣)
إنَّ الزَّمانَ أرادَ طُرفَتَنَا فأرى بما أعطاكهُ عَجَبَهُ ^(٤)

- 27 -

وقال في غرض له: [من مجزوء المجث]

زَعازُعُ ثم نُكَبُ! خَطْبُ لَعَمْرُكَ صَغْبُ ^(٥)
قولوا لمن هو مُغَرَّى بذِي الرِّياسَةِ صَبُّ: ^(٦)
أما تَراها خَبوطًا تزلُّ طَوْرًا وتُكَبُّو؟ ^(٧)
لها عُيُوبٌ عليها يحبُّها من يُحبُّ ^(٨)
تَبَرَّجَتْ ليس عنها يومًا لعينيك حُجْبُ ^(٩)

(١) المعنى: إن ضيقي ليس لأنك عيب واحد، بل لأنك أنت مجموعة عيوب لا تحتمل.

(٢) المعنى: قال ينصح من أخطأ الزمان معه فمنحه ما لم يكن يتمنى:

(٣) المعنى: أنصحك أيها الإنسان ألا تكثر من أفراحك بما منحك به الزمان، لأن الزمان من عادته أن يعطي ثم يستعيد ما أعطى.

(٤) المعنى: أعتقد أن الزمان أحب أن يداعبنا ويخفف عنا، فأرانا إعطاءه لك من العجائب.

(٥) المفردات: الخطب: الحدث الجليل.

المعنى: إنه لأمر عظيم وصعب الحل، بل هو إقلاق ونكبات.

(٦) المعنى: أعلموا الذي يهوى الرئاسة العاشق للزعامة:

(٧) المفردات: الخبوط من الخيل: الذي يخطب الأرض برجله.

المعنى: ألم تدرك أن الرئاسة تسير خبط عشواء، وكثيرًا ما توقع وكثيرًا ما تهمل؟

(٨) المعنى: والرئاسة ذات عيوب عديدة، يُقبل عليها من يحب العيوب.

(٩) المعنى: يشبه الشاعر الرئاسة بالحسنة التي تظهر مفاتها، وتجذب النظر إليها.

تَذْنُو وَتَنَأَى وَتَبْدُو طَوْرًا هُنَاكَ وَتَخْبُو^(١)
 وَلِلدَمْعِ عَلَيْهَا سَخٌّ وَقَطْرٌ وَسَكْبٌ^(٢)
 كَأَنَّهَا جِذْلٌ رَاعٍ وَمِنْ حَوَالِيهِ جُزْبٌ^(٣)
 رَوْحٌ لَعَمْرُكَ فِيهَا لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَرْبٌ^(٤)
 وَكَيْفَ يُلْتَذُّ سِلْمٌ يَثْلُو أَخِيرَاهُ حَرْبٌ؟^(٥)
 مِنْ أَيْنَ خِلٌ وَفِيَّ حُلُو الْمَذَاقَةِ عَذْبٌ؟^(٦)
 لَا عُجْبَ فِيهِ وَلَكِنْ فِيهِ لِقَلْبِي عُجْبٌ^(٧)
 كَالسَّيْفِ لَيْسَ بِنَابٍ وَالسَّيْفُ بِالضَّرْبِ يَنْبُو^(٨)
 وَالطَّرْفُ لَيْسَ بِكَابٍ وَالظَّرْفُ بِالرَّكْضِ يَكْبُو^(٩)
 إِيَّاكَ إِنْ كُنْتَ يَوْمًا تُحِبُّ مَا لَا يُحِبُّ^(١٠)
 وَالضَّرْعَ لَا دَرَ فِيهِ فَلَيْسَ يَنْفَعُ حَلْبٌ^(١١)

- (١) المعنى : والرئاسة كثيرة الميسان ؛ فهي تقترب منك حينًا وحينًا تبتعد ، وتظهر ثم تغيب .
 (٢) المعنى : أما عشاقها فكثيرو البكاء عليها والنحيب عند فقدها .
 (٣) المفردات : الجِذْل : عود ينصبه الراعي الأجر ليحك به جسمه وجسم كل أجرب .
 المعنى : يُحسن الشاعر بتشبيهه الرئاسة بالعود المثبت على الجدار الذي يحتك به الجربى .
 (٤) المفردات : الرُّوح : الراحة . لعمرُك : قسم ، والعين مفتوحة مع اللام .
 المعنى : أقسم لك بأن الرئاسة أولها راحة وسعادة ، وآخرها حزن وعناء .
 (٥) المعنى : وهي توقع في الحرب ، وكيف تظن السعادة بالسلم وأنت تعلم أن نهايتها حرب ؟
 (٦) المعنى : ويتقل إلى وصف الصديق المخلص الحلو الحديث ، وهو لا يرى له وجودًا في هذه الحياة .
 (٧) المفردات : العجب : الغرور .
 المعنى : أين هذا الصديق الذي لا يتكبر علي ، وهو عندي مثال للاعتزاز والكبرياء ؟
 (٨) المعنى : أريد صديقي كالسيف الذي لا يتلئم بالضرب ، وهذا نادر .
 (٩) المفردات : الطرف : الجواد الأصيل .
 المعنى : أريد صديقًا كالجواد الأصيل لا يتعثر في سيره ، لكن الجواد يتعثر عادة .
 (١٠) المعنى : إياك أن تميل إلى ما لا يحبه الناس ، بل يكرهونه .
 (١١) المعنى : وإياك أن تكون ضرعًا لا لبن فيه ، فلا يجدي حلبه .

والرُّزْقُ يَأْتِي شَعُوبًا وَإِنْ خَلَا مِنْهُ شَعْبٌ^(١)
 مَا اجْتُرَّ رِزْقٌ بِحَرَصٍ سَيَّانٍ: مَشْيٍ وَوَثْبٌ^(٢)
 كَمْ طَائِرٍ صُدَّ عَنْهُ وَنَالَهُ مَنْ يَدُبُّ^(٣)
 وَنَالَ رَجُلٌ بِطَاءٍ مِنْهُ وَأَخْفَقَ رَكْبٌ^(٤)
 لَوْ أَنْصَفْتَنَا اللَّيَالِي وَكَانَ لِلدَّاءِ طِبٌّ^(٥)
 مَا كَانَ بَغْيٍ وَغَضَبٌ وَلَا ابْتِزَارٌ وَسَلْبٌ^(٦)
 أَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ طَافَتْ بِهِ جَحَاجِحُ غُلْبٌ^(٧)
 سَرَتْ وَأَدْنَتْ إِلَيْهِ بِهِمْ جِيَادٌ وَنُجْبٌ^(٨)
 شُعْتُ سِغَابٌ وَمِنْ تَخْ تِهِمْ ظِمَاءٌ وَسُغْبٌ^(٩)
 مَاضِرُهُ وَهُوَ يُطَوَّى إِلَيْهِ سَهْبٌ فَسَهْبٌ^(١٠)
 وَلِلْمَلَائِكِ مِنْ حَوْ لِهٍ خَفِيفٌ وَقُرْبٌ^(١١)

- (١) المعنى: أو أن تكون رزقًا موزعًا شتاتًا لا يفيد أحدًا.
 (٢) المعنى: لا يستفاد من المال بالبخل والحرص، فهذا أشبه بالعدو والقفز في مكانك.
 (٣) المعنى: كثيرًا ما نرى الطائر يستحيل عليه تناول رزقه على الأرض، لأن الحيوان الذي يدب على الأرض يسبقه إليه.
 (٤) المفردات: الرجل: الماشي. الركب: الراكب.
 المعنى: وقد ينال الرزق ماش ببطء، بينما يتعذر على الراكب السريع.
 (٥) المعنى: آه من هذه الدنيا التي لا تنصف، فلو أعطتنا حقنا، وتمكنا من معالجة ما يحل بنا.
 (٦) المعنى: لما بقي في الدنيا ظلم ولا غضب ولا نهب... ولا أي نوع من أنواع الظلم.
 (٧) المفردات: الجحاجح: مفردا الجحاجح، وهو السيد الكريم. الغلب: مفردا الأغلب وهو الشجاع.
 المعنى: ولقد أقسمت بالكعبة التي طاف بها السادة الكرام والشجعان.
 (٨) المعنى: سعت إلى هذا البيت وطافت حوله، وحملتهم خيرة الجياد.
 (٩) المفردات: الشعث: مفردا الأشعث، وهو مغبر الرأس. السغب: مفردا الأسغب وهو الجائع.
 المعنى: يصف ما حل بهم من وعاء السفر أنهم وخيولهم مغبرو الرؤوس جائعون.
 (١٠) المعنى: ما يمنع والناس تطوي السهول والغلوات كي تصل إليه مشتاقة (تابع ما بعدها)
 (١١) المعنى: والملائكة تحف بالبيت وتحوم حوله.

أَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْهِ لِلْعَيْنِ وَشْيٌ وَعَضْبٌ^(١)
 وبِالَّذِي هَرَقُوهُ مِنْ الدَّمَاءِ وَصَبُّوا^(٢)
 والبائتينَ بَجَمْعٍ لَهُمْ أَوَارٌ وَشَبُّ^(٣)
 جَبُّوا العَلائِقَ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا الْإِثْمُ جَبُّوا^(٤)
 لَا ابْتِغَتْ ذُلًّا بَعَزٌ وَفِي يَمِينِي عَضْبٌ^(٥)
 وَلَا أَقْضَرُ عَلَى مَا صَنَعْتُهُ لِي جَنْبٌ^(٦)
 وَلَا تَرَكْتُ لِسَانًا يَقُولُ لِي: لَكَ ذَنْبٌ^(٧)
 أَذَلُّ رَبِّي قَوْمًا لَهُمْ مِنَ الذَّلِّ شِرْبٌ^(٨)
 رَأَوْا قَذَى لَمْ يُبَالُوا بِهِ فَأَغْضَوْا وَعَبُّوا^(٩)
 قِيدُوا بَبَارِقِ نَفْعٍ كَمَا يُقَادُّ الْأَجَبُ^(١٠)
 كَمْ ذَا التَّمَادِي وَعُمُرٌ يَجْرِي بِنَا وَيُخْبُ؟^(١١)

- (١) المفردات: العصب: ضرب من البرود.
 المعنى: ما يمنع ألا يكون مزينا مغطى بالأقمشة الجميلة؟
 (٢) المعنى: وأن تذبح الذبائح وتراق الدماء من أجله؟
 (٣) المفردات: البائتون بجمع: الذين يمضون ليلتهم في المزدلفة. الأوار: اللهب.
 المعنى: هؤلاء الذين حلوا بمزدلفة قرب مكة يبدو عليهم الشوق الحار كالنار المندلعة
 (٤) المفردات: جبوا: قطعوا. العلائق: الخصومات
 المعنى: وهم حين تسامحوا فيما بينهم، وأنهم الخصومات، إنما قطعوا دابر الإثم عنهم.
 (٥) المفردات: العضب: السيف. أقض المضجع: تترّب وخشن.
 المعنى: ينتقل الشاعر إلى نفسه مفتخرًا بأنه لم يستبدل عزًا بذل ما دام يحمل سيفًا قاطعًا.
 (٦) المعنى: ولا أفلقني فراش ما دمتُ بنيتُ مكانتي بنفسي.
 (٧) المعنى: ولم أخطيء في حياتي، ولا أسمح لأحد أن يصمني بذنب.
 (٨) المعنى: وهناك أناس أذلهم الله لأنهم اعتادوا أن يقعوا في الذل.
 (٩) المعنى: فهم رأوا عيبًا، وعرفوا أنه عيب، فلم يردعوا أنفسهم عن التمادي فيه.
 (١٠) المفردات: الأجَب: الجمل المقطوع السنام لإرهاقه.
 المعنى: هم مساكين؛ فقد توقعوا أن يتفعوا، فسيقوا إليه مرهقين كما يقاد الجمل المقطوع السنام.
 (١١) المعنى: إلى متى وهم يتهافون ويسرعون ويَجْرون؟

فإن عتبتُ على الدهر رِ ضاعَ مِنِّي عَثْبُ^(١)
أرعى الأمانِي غُمري مَرعى لَعْمُركَ جَذْبُ^(٢)
وليس بالرُّمَح طَعْنُ وليسَ بالسَّيفِ ضَرْبُ^(٣)
أبغى وما العودُ رَطْبًا ما كانَ والعودُ رَطْبُ^(٤)
وكانَ رأسي ليلًا ما فيه للعينِ شُهْبُ^(٥)
فالآنَ ليلي صُبْحُ يزورُ عنه المحبُ^(٦)

- 28 -

وقال يمدح فخر الملك^(٧): [من الكامل]

سائلٌ يثربُ هل ثرى الرِّكبُ أم دونَ مَثَواهُمُ به السَّهْبُ؟^(٨)
ولقد كتمتَهُمُ هوايَ بهم والحُبُّ داءٌ كظْمُهُ صَغْبُ^(٩)
يا صاحبيٍّ ومِنْ سعادةٍ مَنْ حملَ الصَّبابةَ أنْ له صَحْبُ^(١٠)

-
- (١) المعنى: وإن جاتهُتُ الزمانَ بعتابي على تغريره بالناس، ضاع كلامي هباءً.
(٢) المعنى: أمّني النفس طول حياتي، والأمنيات برقُ خَلْبٍ.
(٢) المعنى: فلا شيء ملموس ولا نتيجة محسوسة، إنها كالرمح لا طعن فيه، والسيف لم يضرب.
(٤) المعنى: أريد الخير، أريد أن أعتصر العود، ولكنه لا يمنحني نسغه، مع أنه رطب.
(٥) المعنى: ولا جدوى مما أتمناه، فلا ترى عيناى الشهب التي تلمع في السماء.
(٦) المفردات: يزور: ينحرف.
المعنى: وغدا هذا الليل صباحًا، يهرب منه المحب، المعتاد على الزيارة ليلًا.
(٧) فخر الملك هو الوزير أبو غالب محمد بن علي، وهو من ممدوحيه. وكان وزير بهاء الدولة البويهى ثم وزير أبي شجاع فَنّا خسرو. له فضل على الأدباء، وباسمه ألف الكرخي كتابه «الفخري». قتله أبو شجاع سنة ٤٠٧ هـ.
(٨) المفردات: ثوى: أقام. السهب: الفلاة.
المعنى: اسأل هل حلّ الركاب في يثرب، أم أنهم حلوا في ديار دونها فلوات؟
(٩) المعنى: كتمتُ حبي لهم ولم أبح به. وكتمان الحب في القلب عسير.
(١٠) المعنى: تغير المخاطب؛ فبعد أن كان مفردًا صار مثني، فيخاطب صديقيه ويعلمهما سعادته بهما، ولا يهنأ العاشق إلا إذا كان له أصدقاء.

لا تأخذاً بدمي، متى أخذت	نفسي سِوَايَ فما له ذنبٌ ^(١)
مِنْ عند طرفي يومَ زرتُكُمْ	نفذَ الغرامُ وزارني الحِيبُ ^(٢)
وَإِذَا رَأَيْتُ الحَسَنَ عِنْدَكُمْ	دُونَ الخلائقِ كَيْفَ لَا أَصْبُو؟ ^(٣)
يَجْنِي عَلَيَّ وَلَا أَعَاتِبُهُ	مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَهُ الْعَثْبُ ^(٤)
وَيَصُدُّ عَنِّي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ	مُتَيَقِّنٌ أَنِّي بِهِ صَبٌّ ^(٥)
وَوَشَى إِلَيْهِ بِصَبَوَتِي مَذِقٌ	نَغْلُ المَوَدَّةِ صِدْقُهُ كِذْبُ ^(٦)
وَشَجَاهُمْ أَنِّي فَضَّلْتُهُمْ	وَعَلَى الفضائلِ يَحْسُدُ النَّذْبُ ^(٧)
أَتَرُونَ أَنِّي مِنْكُمْ كَثِبٌ؟	هَيْهَاتَ مَا إِنَّ بَيْنَنَا قُرْبُ ^(٨)
الْغَابُ يُضْمِرُنِي مَكَامِئُهُ	مَا لَيْسَ يُضْمَرُ مِثْلُهُ الزَّرْبُ ^(٩)
كَلَّا وَلَا الْأَعْضَاءُ وَاحِدَةٌ	وَالرَّأْسُ لَيْسَ يُعَدُّ وَالْعَجَبُ ^(١٠)

- (١) المعنى: لا تقسوا علي فما أجرمتُ حين اتجهت نفسي نحو غيري.
- (٢) المعنى: يوم زرتكم وزارني الحبيب نفذ غرامي من قبل نظري.
- (٣) المعنى: وكيف تريدون ألا أحسن بالعشق، وقد رأيت الجمال في دياركم يفوق كل جمال؟
- (٤) المعنى: يقسو علي ويؤلمني ولا أعاتبه، وسبب ذلك أن العتاب معه لا يجدي.
- (٥) المعنى: ويهملني ويهجرني ولا يعأ بي لأنه يعلم أنني واقع في هواه.
- (٦) المفردات: بصبوتي: جاءت في رواية «بسلوتي». المذق: من لا يصدق في وداده. النغل: الفاسد.
- المعنى: والذي باح بحبي وأفشاه غير ودود في حبه، ولا يعرف الصدق.
- (٧) المفردات: شجا: أثار (هنا).
- المعنى: وقد هيجهم وأثارهم بادعائه أنني فضلتهم على غيرهم. ومن عجب أن هذا الرسول يحسدني على حسن تقديري.
- (٨) المفردات: الكثب: (اسم فاعل) القريب.
- المعنى: أعتقدون أنني قريب منكم؟ ما أبعد هذا الرأي! فأنا مع الأسف لا أحسن بالقرب.
- (٩) المفردات: يضمّر: يُخفي. الزرب: حظيرة الحيوانات.
- المعنى: ربما تمكنت الغابة من أن تخفيني في مخابثها، أكثر من الحظيرة.
- (١٠) المفردات: العجب: أصل الذنب.
- المعنى: أبداً، لا تستوي الأعضاء فيما بينها، وفرق شاسع بين الرأس والذنب.

وإلى فخارِ الملك أُصْدِرُهَا كَلِمًا تَسِيرُ بِذِكْرِهَا الْكُتُبُ^(١)
وبها على أكوارِ ناجيةٍ نَصْرُ الْمَنَازِلِ عَنِّي الرِّكْبُ^(٢)
والكأسُ لولا أنها جَذِبَتْ سُمَارَهَا مَا ذَاقَهَا الشَّرْبُ^(٣)
شَبَّوْا سَنَاها مُفْسِدِينَ لَهَا فَكَأَنَّ مِسْكَ لَطِيْمَةٍ شَبَّوْا^(٤)
ملك إذا بصر الرِّجالُ به عَنَّتِ الْوُجُوهُ وَقُبِّلَ الثَّرْبُ^(٥)
وإذا احتبى في رَجْعِ مَظْلَمَةٍ فَوَقَارُهُ لَمْ يُعْطِهِ الْهَضْبُ^(٦)
مَنْ ذَا الَّذِي نَالَ السَّمَاءَ كَمَا نَالَتْ يَدَاكَ فَفَاتَهُ الْعُجْبُ؟^(٧)
وَمَنْ الَّذِي مَا حَلَّ مَوْضِعَهُ عُجِمَ بِذِي الدُّنْيَا وَلَا عُربُ؟^(٨)
وَمَنْ الَّذِي لَمَّا عَلَا قِسَمَ الثَّ تَدْبِيرِ دَانَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبُ؟^(٩)
يَا مَنَ تُعَزُّ بِهَزِّ رَاحَتِهِ سُمْرُ الرِّمَاحِ وَتَفْخَرُ الْحَرْبُ^(١٠)
وَيُضِيءُ فِي إِظْلَامٍ دَاجِيَةٍ مَا لَا تُضِيءُ لَنَا بِهِ الشُّهْبُ^(١١)

(١) المعنى: يتحول الشاعر إلى فخر الملك، ويعلن أنه يرسل كلماته هذه مدحًا يطير في الآفاق ويتنقل عبر الكتب.

(٢) المفردات: الأكور: مفرد الكور وهو الهودج. الناجية: صفة للناقة السريعة التي تُنجي من المفاز. نص المنازل: بحث فيها ونقش.

المعنى: وأخذ الركب يبحثون عني بين المنازل، وهم يركبون نوقًا سريعة.

(٣) المعنى: فالكأس يتلف عليها الشاربون لأنها جذبتهم إليها.

(٤) المفردات: اللطيمة: المسك.

المعنى: لقد أفسدوها إذ أثاروا ضياءها، وكأنهم أشعلوا المسك والعنبر.

(٥) المفردات: عنت: خضعت وذلت.

المعنى: إذا طلع فخر الملك على الرجال انكبوا أمامه ينحنون ويقبلون الأرض.

(٦) المفردات: احتبى: دنا.

المعنى: إن وقاره يسمو على الهضاب، يدل ذلك حين يُقبل على دراسة المظالم.

(٧) المعنى: إن من بلغ سموك ومرتبك أخذه العجب والزهو.

(٨) المعنى: كل فرد من عرب ومن عجم حل مقامه الطبيعي.

(٩) المعنى: ومن مثلك أحسن إدارة بلاده وخضع له المشرقان؟

(١٠) المعنى: عندما تهز كفك تتباهى الرماح وتعتز الحرب.

(١١) المعنى: وتشرق الدنيا بك بما يفوق ضياء الشهب.

وإذا ذكرناه فلا وجلٌ يُخشى ولا همٌ ولا نصبٌ^(١)
وتُذاذُ أدواءِ الزمانِ بهِ عنا ويُطرَدُ باسمه الجذبُ^(٢)
ولقد بلوكَ خلالَ مُعضلةِ دَهَمَتْ يُقَضُّ بمثلها الجنبُ^(٣)
حيثُ استرثتُ كلَّ مُحكمةِ من عَقْدِهِ وتزايِلِ الشَّغْبِ^(٤)
ففرَجَتْها وعلى يديكَ - بلا بَشَرٍ يُعينكَ - نُفْسُ الكَرْبِ^(٥)
قد كان قبلك مَنْ لَهُ سَيْرٌ عَوْجُ المتونِ ظُهورُها حُذْبُ^(٦)
دَرَسْتُ فلا خَبَرٌ ولا أثرُ مثلَ الهشيمِ هَفَّتْ بهِ الثُّكْبُ^(٧)
فالآنَ قد ساسَ الأمورَ فتى بمراسِها وعلاجُها طَبُّ^(٨)
أَلَقْتُ عَصَاهَا فهي آمنةٌ ولغيرِها التَّخويفُ والرُّعْبُ^(٩)
ونأثُ فقرَّبَها على عَجَلٍ من راحتيكَ: الطَّعْنُ والضَّرْبُ^(١٠)
قد عبَّ فيها الشاربون على ظَمًا ولولا أنتَ ما عبُّوا^(١١)
وتلاعَبوا فيما أبْرَتْ لهم والجِدُّ يوجدُ بعده اللَّغْبُ^(١٢)

(١) المفردات: النصب: التعب.

المعنى: بل إن مجرد ذكرنا لاسمه يزول عنا ما قد يعترينا من الخوف والهم والتعب.

(٢) المعنى: وبذكره نطرد ما يداهمنا الزمان به، وتخصب الأرض على اسمه.

(٣) المعنى: ولقد اختبروك بقضية عصبية تتكسر لها الأضلاع.

(٤) المفردات: استرث: بلي. تزايل: تباين. الشعب: الصدع والشق.

المعنى: وأمام هذه القضية يلى كل عزم وينفج الصدع.

(٥) المعنى: وقمت وحدك تحلها، فأزحت الغمة عن الناس.

(٦) المعنى: وقد حاول فيها غيرك ممن له خبرة فعجز وانحنى متنه.

(٧) المفردات: الهشيم: النبات اليابس المتكسر. النكب: مفردها النكباء، وهي الرياح المنحرفة عن مهاب الرياح.

المعنى: وضاعت القضية ولم يبق لها أثر، وكأنها ريح عاتية هبت على الهشيم.

(٨) المعنى: أما الآن فقد أقبل عليها رجل حاذق استطاع أن يدبرها ويحسن قيادها.

(٩) المعنى: وهذه المعضلة ذلت أمامه وانصاعت مطمئنة، بينما حل الرعب في غيرها.

(١٠) المعنى: ووقفت بعيدة عنك، لكن طعنك وضربك قرباها بسرعة خاطفة.

(١١) المعنى: وبفضلك فقط نهل الناهلون منها بعد أن كانوا عطشى.

(١٢) المعنى: واعتراهم الحبور حين أصلحت لهم من أمر الملك، وبعد الصبر ظفر، كما بعد =

وتَراهُمُ يَتَمَعَّكونَ بها أنتَ الَّذي أوليتَ مُبتدئًا وأتيتَ مُعتذرًا إلى زمنٍ ما أنسَ لا أنسَ اهتزازكَ لي في مجلسٍ لي فيه دونَهُم وعلى الأسرَّة منك بذرُ دُجى فاسعَدَ بهذا «المِهْرَجانِ» وذُم وتَهَنَّا الأيَّامَ آنفَةَ وأطالَ عُمرَ «الأشرفين» لنا حتى تَرى لهما الَّذي نظرتَ

أَشْرًا كما يَتَمَعُّكَ الجُزْبُ^(١) نِعَمًا يطيشُ ببعضِها اللَّبُّ^(٢) فكأنَّما لكَ عندَهُ الذَّنْبُ^(٣) واليومُ تُرْفَعُ دونَهُ الحُجْبُ^(٤) سَعَةُ المَحَلَّةِ منك والرُّخْبُ^(٥) لي منه عندَ وسادِهِ القُربُ^(٦) أبداً تنيرُ لنا ولا تَخْبُو^(٧) فاليومَ فيكَ لأمِّهِ القُربُ^(٨) وكَفاهُما ووقاهُما الرَّبُّ^(٩) عيناكَ منك فإنَّهُ حَسْبُ^(١٠)

- 29 -

وقال في النسيب: [من الخفيف]

=الجد لهو.

- (١) المفردات: يتمعك: يتمرغ. الأشر: البطر.
- المعنى: وراحوا يتمرغون مسعدين كما يلتذ الأجرب بحك جسمه.
- (٢) المعنى: وقدمت لهم منذ بدء حكومتك النعم العظيمة التي أذهلتهم.
- (٣) المعنى: ومع ذلك أبديت عذرَكَ في التقصير، كأنك مذنب وترغب في منحهم أكثر.
- (٤) المعنى: ولن أنسى يوم ترحابك بي، وأمرك برفع الحجب عني.
- (٥) المعنى: وأحللتني مقامًا رجبًا علا على مقام الآخرين.
- (٦) المعنى: ولمحت على السرير شخصك كالبدرف في الليلة الظلماء، وأدنتني من مجلسك.
- (٧) المفردات: المهرجان: عيد الخريف عند الفرس ويبدأ في ٢٢ أيلول (سبتمبر).
- المعنى: فاهنا بعيد المهرجان، ودم لنا معزًا مشرقًا.
- (٨) المعنى: واسعد بالأيام الماضية، وهذا اليوم أصل السعادة.
- (٩) المفردات: الأشرفان: ولد فخر الدولة الأشرف والأعز، وثناهما على التغليب.
- المعنى: يدعو الشاعر لولديه بطول العمر والحماية من الله.
- (١٠) المعنى: يطول عمرهما حتى يبلغا في حياتك ما بلغته من مقام.

لا تُلْمَنِي فَإِنِّي لِهَوَى النَّفْسِ سِ مَطِيعٌ فِي حَبٍّ مِّنْ لَا يُحِبُّ^(١)
 قد جَرَتْ عَادَتِي بِأَنْ أُعَشِّقَ الْبَيْدَ ضَ، وَتَبْدِيلُ مَا تُعَوِّدُ صَعْبُ^(٢)
 إِنَّمَا تَعْدُلُ الَّذِي يَلْجُ الْعَدُوَّ لُ إِلَى قَلْبِهِ وَمَالِي قَلْبُ^(٣)
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذَّنْبِ إِلَّا أَنَّ قَلْبِي يَهْوَى فَمَالِي ذَنْبُ^(٤)

- 30 -

وقال في النسب: [من الطويل]

مَرَزْنَا عَلَى سِرْبِ الظَّبَاءِ عَشِيَّةً فَلَمْ يَعِدُنَا حَتَّى تَقْنَصَنَا السَّرْبُ^(٥)
 وَكُنَّا نَظُنُّ الْقُرْبَ يَشْفِي سَقَامَنَا فَلَمْ يَكُ إِلَّا كُلُّ أَدَوَائِنَا الْقُرْبُ^(٦)
 وقالوا: أَلَمَّا تَنَّهُ قَلْبَكَ عَنْ هَوَى؟ فَقُلْتُ: وَهَلْ لِي بَعْدَ بَيْنِهِمْ قَلْبُ؟^(٧)

- 31 -

وقال في النسب: [من الطويل]

إِذَا كُنْتُ أَزْمَعْتُ الرَّحِيلَ فَإِنَّا سَتَرْحَلُ مِنَّا أَنْفُسُ وَقُلُوبُ^(٨)
 وَإِنْ تَبْعَدِي عَنَّا فَلِلْعَيْنِ أَدْمَعُ تَصُوبُ وَلِلْقَلْبِ الْمَشُوقِ وَجِيبُ^(٩)
 وَمَا لِحَيَاةٍ بَعْدَ فَقْدِكَ لَذَّةً وَلَيْسَ لِعَيْشٍ بَعْدَ بَيْنِكَ طِيبُ^(١٠)

-
- (١) المعنى: لا تعاتبني على ما أنا فيه، فإنني أحب من لا يحبني، وهذا أمر خاص بي.
 (٢) المعنى: وعادتي أن أعشق الحسنات البضات، ومن الصعب تغيير عادتي.
 (٣) المعنى: ويحق لك أن تلوم ولكن يقع اللوم على من يدخل قلبه، وليس لي قلب يتسع للوم.
 (٤) المعنى: وإذا كان ذنبي الوحيد أنني أحب، فهذا لا يعد ذنباً.
 (٥) المعنى: مررنا بقطيع من الغزلان ذات مساء، ولم نشعر إلا أننا وقعنا في أحبل هذا القطيع.
 (٦) المعنى: وكنا نعتقد أن شفاءنا يتم بقربهن، وما درينا أن الأسقام بهذا القرب.
 (٧) المعنى: وعاتبونا ونهونا عن السماح لقلوبنا أن تقع في العشق. وهل يبقى لي قلب إذا دنوت منهن؟
 (٨) المعنى: إن أنت قررت أي ترحلي، فاعلمي أنني ساموت وتغيب نفسي.
 (٩) المفردات: الوجيب: خفقان القلب.
 المعنى: فإن نأيت سالت دموعي وخفق قلبي.
 (١٠) المعنى: ولا أرى بفقدك للحياة طعمًا ولا لذة.

وَمَنْ قَالَ : إِنَّ الْبَيْنَ يُسْلِي عَنِ الْهَوَى جَهُولٌ بِأَسْبَابِ الْغَرَامِ كَذُوبٌ^(١)

- 32 -

وقال في الغزل : [من الكامل]

ضَنْتُ عَلَيْكَ بَوْضُلَهَا لَكَ زَيْنُ^(٢) وطلبتَ لَمَّا عَزَّ مِنْهَا الْمَطْلَبُ^(٣)
وَأَرْتَكَ بَرْقًا لَامِعًا مِنْ وَعْدِهَا لَكِنَّهُ بَرْقٌ لَعَمْرُكَ خُلْبُ^(٤)
وتقولُ لي جهلاً بِأَسْبَابِ الْهَوَى : كَيْفَ الْهَوَى وَالرَّأْسُ مِنْكَ الْأَشِيبُ؟^(٥)
وَالْحَبُّ دَاءٌ لِلرِّجَالِ تَبَاعَدُوا عَنْ شَيْبَةٍ وَشَبِيبَةٍ وَتَقَرَّبُوا^(٦)

- 33 -

وقال في النسب : [من الطويل]

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالرَّقِيبُ بَنَجْوَةٍ وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ مَغِيبُ^(٧)
أَبْخُنَا الْهَوَى مَا شَاءَ مَنَّا، وَرُؤِيتُ عَيُونُ ظِمَاءٍ فِي الْهَوَى وَقُلُوبُ^(٨)
فَلَمْ تَكْ إِلَّا سَاعَةً ثُمَّ زَعَزَعَ اللَّهُ تَلَاقِي شِمَالٍ لِلنُّوَى وَجَنُوبُ^(٩)
وَلَوْلَا النُّوَى مَا كَانَ لِلدَّهْرِ زَلَّةٌ وَلَا لِلَّيَالِي الْمَاضِيَاتِ عَيُوبُ^(١٠)

(١) المعنى : إن من أعلن أن الابتعاد يُنسي الحب جاهل فيه كاذب .

(٢) المعنى : إن محبوبتك (ويعني نفسه) بخيلة عليك بلقائها رغم طلبك للقاءها .

(٣) المفردات : البرق الخلب : البرق الكاذب لا يعقبه مطر . لعمر : قسم .

المعنى : إن زينب كاذبة أيضاً في مواعيدها ، فهي تعدك ولا تأتي ، كالبرق يلمع ولا يُنزل مطراً .

(٤) المعنى : وتسخر مني قائلة : كيف تطلب مني أن أحبك وأنت أبيض الشعر؟ وجوابها يدل على جهلها بالحب .

(٥) المعنى : إن الحب يا عزيزتي داء يعتري الرجال غير عابئين بشيب أو شباب .

(٦) المعنى : حين التقيتُ بمحبوبي على تلة عند الأصيل .

(٧) المعنى : تبادلنا الحب قدر طاقتنا ، فرويت عيوننا وقلوبنا الظامنة إلى الحب .

(٨) المعنى : ولم نحس بالوقت حتى أزف موعد الفراق فهزَّ سعادتنا ، كما تفعل رياح الشمال المصطدمة بالجنوب .

(٩) المعنى : ولولا هذا البعد لم يشعر أحد بنوائب الزمان ، ولا بعيوب الليالي الماضية .

وقال في الشكوى: [من الطويل]

يقولون لي: لِمَ أَنْتَ بِالذُّلِّ رَاكِدٌ؟
نَضًا الْعِزُّ مِنْ أَكْنَافِهِ مَنْ تَرَوْقُهُ
وَعِيشِي بَيْنَ الْأَغْيَاءِ غَضَاضَةً
وَبَيْنَ ضُلُوعِي غَيْرَ أَنْ لَمْ أَبُخْ بِهِ
وَلِلدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَلِي كُلُّ دَاءٍ قَاتِلٍ ثُمَّ لَيْسَ لِي

فَقُلْتُ: لَأَتِّي فِي الْحَيَاةِ رَغُوبٌ^(١)
حَيَاةً وَتَخْلُولِي لَهُ وَتَطْيِبُ^(٢)
وَلِي مِنْ عَيُوبِ الْأَقْرَبِينَ عَيُوبٌ^(٣)
أَوَارٌ عَلَى قَوْتِ الْمُنَى وَلَهِيْبٌ^(٤)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي الْعِتَابُ ذُنُوبٌ^(٥)
مَنْ الدَّاءِ فِي كُلِّ الرَّجَالِ طَيِّبٌ^(٦)

وقال في الشيب: [من الطويل]

نَصِيبِي مِنْكَ الْيَوْمَ هَجْرٌ وَبِغْضَةٌ
وَقَلْبُكَ مِنْ حُبِّي صَحِيحٌ مُسَلِّمٌ
وَرَابِكُ مَنِّي . قَبْلَ أَنْ تَتَبَيَّنِي
وَعَاقِبِي ظُلْمًا وَكَمْ مِنْ مُعَاقِبٍ

وَمَالِكٍ إِلَّا فِي الْوُدَادِ نَصِيبٌ^(٧)
وَقَلْبِي فِيهِ مِنْ هَوَاكِ نُدُوبٌ^(٨)
بَأَنْ لَيْسَ لِي أَمْرٌ عَلَيْهِ . مَشِيبٌ^(٩)
وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبٌ^(١٠)

(١) المعنى: يعتبرون علي قبولي الذل، وما علموا أن السبب هو حبي الحياة.

(٢) المفردات: نضا: خلع. الأكفاف: مفردا الكنف، وهو الجانب.

المعنى: خلع من يحب الحياة وتحلو له ثوب العز عن نفسه.

(٣) المعنى: أحس بالمذلة حين أحيا بين الأغبياء، ومن حولي مفرقون في عيوبهم.

(٤) المعنى: ويعتمل بين ضلوعي لهيب محرق مكبوت بسبب فقدي ما أتمنى.

(٥) المعنى: وقد اكتشفت للدهر ذنوبًا متوالية، وإن كنت لا أعاتبه عليها.

(٦) المعنى: وجسمي مفعم بالأمراض القاتلة، ولا أجد بين الناس واحدًا حاذقًا يشفيني.

(٧) المعنى: لا أرى منك اليوم إلا البغض والهجران، ويبقى لك في قلبي كل الحب والولاء.

(٨) المعنى: وفي الوقت الذي لا تحسّن بأي عناء من حبي، يكون قلبي امتلأ بهذا الحب جراحًا.

(٩) المعنى: والذي أوقعك في الشك بحبي هذا المشيب الذي اعتلاني، من غير أن تتبينني عدم تأثيره.

(١٠) المعنى: وعاقبني قلبك ظلمًا وعدوانًا، وكثير من الرجال عاقبهم الحسان من غير جرم اقترفوه.

وليس عجيبًا شَيْبُ رأسي وإنما صُدودُك عن ذاك المشيبِ عجيبٌ^(١)
 هَبِيهِ نهارًا بعدَ ليلٍ وروضةً تَصاحكُ فيها النَّورُ وهي قَطوبٌ^(٢)
 ولا تطلبي شرخَ الشَّبابِ وقد مضى فذلك شيءٌ ما أراه يَثوبُ^(٣)

- 36 -

وقال في يوم الغدير: ^(٤) [من الطويل]

على مثل هذا اليوم تُحنى الرُّواجِبُ وتُطوى بفضلٍ حيزَ فيه الحقائقُ^(٥)
 حُبِينا وأمَرنا به فبيوتُنا لَدُنْ قِيلَ ما قد قِيلَ فيه الأهاضِبُ^(٦)
 وطارت بما نلناه أجنحةُ الوري وسارت به في الخافقينِ الرِّكائبُ^(٧)
 وقال أناسٌ هالَهُم ما رأوا لنا: ألا هَكَذا تأتي الرِّجالَ المواهبُ^(٨)
 ظَفَرْتُمْ بما لم نَحْظَ منه بَنَهْلَةٍ ولذَّتْ لكم دونَ الأنامِ المشارِبُ^(٩)

(١) المعنى: ليس يوقعني في العجب ما يَبْضُ شعري، لكن الذي يوقعني فيه نفورك هذا منه.
 (٢) المعنى: فلماذا لا تعتبرينه نهارًا جميلًا بعد ليل حالك، أو لماذا لا تعدِّينه تفتُّ الأزهار
 والأنوار في الرياض بعد جذب لها؟

(٣) المعنى: لا تبحْثي عن شباب ولى، فهذا مما يستحيل أن يعود.

(٤) يوم الغدير من الأيام المهمة عند الشيعة الإمامية؛ فهم يعتقدون أن النبي (ﷺ) قرر في هذا
 اليوم (١٨ ذي الحجة) من عام حجة الوداع تكليف الإمام علي (رضي) بالإمامة والخلافة
 والولاية. ولهم فيه مؤلفات وأشعار.

(٥) المفردات: الرُّواجِب: مفردُها الراجبة، وهي السَّلامية من الإصبع.

المعنى: إنه في هذا اليوم الأغرُّ تُطاطأُ الأنامل احترامًا، ويُستعد له الاستعداد الكامل.

(٦) المفردات: حَبِينا: قُرْبنا. لَدُنْ: ظرف زماني ومكاني بمعنى عند، واستعمله الشاعر للزمان.
 ومع أنه لا يستعمل إلا في الحاضر فإن المرتضى ارتضى له الماضي. الأهاضِب: المتكلمون.
 المعنى: في هذا اليوم ارتفع مقامنا وعِيتا أمراء للمسلمين. ومنذ حُدود وقيل فيه غدت بيوتنا
 ذات الكلمة.

(٧) المعنى: وأشاد الناس بما كسبناه، وتناقله الركبان في الآفاق.

(٨) المعنى: وأعجب عدد من الناس بما وهبه الله لنا، فقالوا: هكذا يوهب الرجال.

(٩) المفردات: النهل: أول الشرب، والنهلة: الشربة.

المعنى: وهبكم الله ما لم يهيننا إياه، فهنيئًا بما غنمتم من دون الناس.

وبؤاكمُ الشعبَ الذي هو ساكنٌ فلما مضى مَنْ كان أمرنا لكم فقلْ لأناسٍ فآخرونا ضلالةً متى كنتم أمثالنا؟ ومتى استوت فلا تذكروا قُربى الرّسولِ لتدفعوا ومن بعد يومِ الطّفِّ لا رحمٌ لنا وكنا جميعًا فافترقنا بما جرى ونحنُ الرؤوسُ والشّوى أنتم لنا لنا دونكم «عباسنا» و«علينا» ولو أننا لم نُثِّعْ عنكم أتتكم رسولٌ له أمرٌ على الخلق واجبٌ^(١) أتتنا كما شاء العقوقُ العجائبُ^(٢) وهم غرباءُ من فخارٍ أجنبٍ^(٣) بنا وبكم في يومٍ فخرٍ مراتبُ؟^(٤) مُنازعكم يومًا، فنحنُ الأقاربُ^(٥) تئبطُ ولا شعبٌ يرجيه شاعِبُ^(٦) وكم من لصيقٍ باعدته المذاهبُ^(٧) ومن دوننا أتباعنا والأصاحبُ^(٨) ومن هو نجمٌ في الدُّجَنَةِ ثاقِبُ^(٩) سِراعًا بنا مقانبُ وكتائبُ^(١٠)

(١) المفردات: بؤاكم: مخففة من بؤاكم، بمعنى أملككم وأنزلكم.

المعنى: يشير إلى شعب أبي طالب الذي حل فيه النبي (ﷺ) وآله، وهو الذي وجبت طاعته.
(٢) المعنى: ولكن حين انتقل النبي (ﷺ) إلى جوار ربه، ومات الذي قرّر لنا إمارة القوم، حل بنا العقوق والرفض.

(٣) المعنى: فاسمع يا من أراد مفاخرتنا جهلاً منه، وهو غريب عن مبدأ الفخار وأجنبي:

(٤) المعنى: متى كنتم أندادنا في المفاخر؟ ومتى شابهتمونا؟

(٥) المعنى: فلا تتباهوا بقربابتكم من النبي (ﷺ) لتؤكدوا ادعاءكم بالحق، لأننا نحن أقرباؤه.

(٦) المفردات: يوم الطّفِّ: المكان الذي جرت فيه معركة شهادة الحسين قرب كربلاء.

الأطيط: الحنين. الشعب: الصدع. الشاعِب: المصلح.

المعنى: أعلن الشاعر صراحة أن يوم عاشوراء هو يوم الفصل الذي لم يعد بعده رحمة وحنين، ولا صدع ومصلح له.

(٧) المعنى: وقبل يوم الطّفِّ كنا متكاتفين، حتى إذا جرى ما جرى انفصل ما كان لصيقًا، وهذه حال الدنيا.

(٨) المفردات: الشوى: الأطراف.

المعنى: فنحن السادة بلا منازع وأتباعنا وأصحابنا يأتون بعدنا، أما أنتم فمجرد أطراف.

(٩) المفردات: الدجنة: الظلمة.

المعنى: وممن نفخر به تجاهكم العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والشباب المنيرون كالنجوم في الليالي الحالكة.

(١٠) المفردات: المقانب: مفردها المِقْنَب، وهم جماعة الفرسان دون المثة.

وقومٌ يخوضون الرّدى وأكفهم	تُناطُ ببيضٍ لم تَخُنْها المضاربُ ^(١)
إذا طُلبوا لم يَزْهبوا من بسالةٍ	ومَن طُلبوا ضاقت عليه المذاهبُ ^(٢)
فما بَيْننا سِلْمٌ ومَن كانَ دهره	يَكْتُمُ ضِغْنًا في حشاهُ محاربُ ^(٣)
وقيلَ لنا: للحقِّ وقتٌ معيّنٌ	يفوزُ بهِ باغٌ وينجحُ طالبُ ^(٤)
فلا تَطْلُبوا ما لم يَحِنْ بعدُ حينُهُ؛	فطالبُ ما لم يَقْضِهِ اللهُ خائبُ ^(٥)
فإنْ دَوَّلَ منكمُ مشينٌ تَبَخَّرَا	زمانًا فقد تَمْشَى الطَّلَاحُ اللِّوَاغِبُ ^(٦)
وإنْ تركبوا أثباجَ كلِّ مُنيْفَةٍ	فكم حُطٌّ من فوقِ العَلِيَّةِ راكبُ ^(٧)
فلا تَأْمَنُوا مَن نامَ عنكمُ ضرورةً	فمُقْعٌ إلى أنْ يُمكنَ الوثْبَ واثبُ ^(٨)
كأنِّي بهنَّ كالدِّبَا هَبَّتْ الصُّبَا	به في الفلا طَوْرًا وأخرى الجنائبُ ^(٩)

=المعنى: وقد استعد لحربكم جنودنا بكتائبهم وجماعاتهم، ولكننا مُنعنا عن ذلك.

(١) المفردات: تناط: تعلق. المضارب: السيوف، أو مواقع ضربها.

المعنى: ورجالنا الأشاوس يترمون على الموت غير هَيَّابِينَ، وأكفهم ممسكة بالسيوف التي لا تخطيء أهدافها.

(٢) المعنى: وهم يتصفون بالجرأة والقوة، ومن يلاحقونهم يتصفون بالذعر والهرب.

(٣) المفردات: الضغن: الحقد.

المعنى: والآن بيننا وبينكم سلم، ولكن هذا السلم مفعم بالحقد الذي يحتفظ به المحارب في نفسه.

(٤) المعنى: وقد أعلمنا شيوخنا أن مطالبة الحق لها أوان، ينتصر فيه صاحب الحق، ويفوز الطاغية بالموت.

(٥) المعنى: ونعلمكم أن وقت المطالبة لما يحن، وإن أقدمنا في غير الإبان خاب أملنا.

(٦) المفردات: الطلاح: مفردها الطَّلَح، وهو البعير الهزيل. اللواغب: مفردها اللاغب وهو المتعب.

المعنى: فلا تمشوا في الأرض متبخرين فرحًا؛ فالبعير الهزيل يستطيع المشي مع تعب.

(٧) المفردات: الأثباج، مفردها الثَّبَج، وهو أعلى الظهر مما يلي الكتفين. المنيفة: العالية.

المعنى: وإن تيسر لكم الآن ركوب الظهور العالية، فكثير من الناس سقطوا من فوق المكان العالي.

(٨) المفردات: المقعي: الجالس على أليتيه مع نصب الفخذين تحفُّزًا.

المعنى: ولا تطمئنوا إلى نومنا عنكم مضطرين، ففي العادة يقعي من هو متحفز للوثوب.

(٩) المفردات: الدِّبَا: صغار الجراد قبل أن يطير. الصبا: ريم تهب من الشرق. الجنائب:

= مفردها الجنوب، وهي الريح الجنوبية.

يَحْكُونَ أَطْرَافَ الْقَنَا بِنُحُورِهِمْ كَمَا حَكَّتِ الْجِذَلَ الْقِلَاصُ الْأَجَارِبُ^(١)
أَيُّونَ مَا حَلُّوا الْوَهَادَ عَنِ الرُّبَا وَمَا لَهُمْ إِلَّا الذُّرَا وَالْغَوَارِبُ^(٢)
وَكَمْ مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ الْحَرْبِ سَالِبٌ وَكَمْ فِيهِمْ فِي حَوْمَةِ الْجِذْبِ وَاهِبٌ^(٣)
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَعِيشَ إِلَى الَّتِي تُحَدِّثُنَا عَنْهَا الظَّنُونُ الصَّوَائِبُ^(٤)
فَتُقْضَى دِيُونُ قَدْ مُطْلَنَ وَتَنْجَلِي دِيَا جِرُّ عَنْ أَبْصَارِنَا وَغِيَاهِبُ^(٥)
وَتَجْرِي مِيَاهُ كَنْ بِالْأَمْسِ نُضْبًا وَتَهْمِي كَمَا شِئْنَا عَلَيْنَا السَّحَائِبُ^(٦)
وَتُدْرِكُ ثَارَاتُ وَتُقْضَى لُبَانَةٌ وَتُنَجِّحُ آمَالُ وَتُؤْتِي مَارَبُ^(٧)

- 37 -

وقال في الافتخار: [من مجزوء الرمل]

مَنْ لِدَاعٍ لَا يَجَابُ وَشِفَاءٍ لَا يُصَابُ؟^(٨)

=المعنى: وهؤلاء النائمون المستعدون كثيرو العدد أشبه بالجراد الزاحف وقد هبت عليه ريح الشرق طورًا وطورًا ريح الجنوب.

(١) المفردات: الجذل: عود ينصب للجربى لتحك به. القلاص: مفردها القلوص، وهي الناقة. المعنى: يقفون متحفزين وهم يحكون رقابهم برماحهم كما تحك النوق الجربى جلودها بالأعواد المنصوبة.

(٢) المفردات: الغوارب: مفردها الغارب، وهو أعلى الظهر مما يلي العنق. المعنى: وهم أصحاب أنفة وكبرياء، لم ينزلوا من مقاماتهم العالية، إذ ليس لهم إلا القمم العالية مكان.

(٣) المعنى: وهم يتصفون بصفيتين يعتز بهما العرب: هم مغاوير يسلبون الأرواح في الحروب، وأسخياء في ساحات الكرم.

(٤) المعنى: وأمنيته أن أظل حيًا إلى أن أرى ما نتوقه ونعتقد أنه الصواب.

(٥) المعنى: وبذلك نصفي ما علينا من ديون متراكمة، وتنكشف سحب الظلام ويظهر النور.

(٦) المفردات: النضب: مفردها الناضب وهو الفائض من الماء.

المعنى: وتعود المياه إلى مجاريها بعد أن كانت غائرة، وتهطل السحب الماطرة كما تمنيناها.

(٧) المفردات: اللبانة: الحاجة والهدف.

المعنى: ونسترد ثارنا المسلوب، وتحقق آمياتنا، ويستجاب لمقاصدنا.

(٨) المعنى: لماذا لا يستجاب صاحب الدعوة، ولا يحل الشفاء؟

وَمُعَنِّي مَالَهُ عِنْدَ دَكُّمُ إِلَّا الْعَذَابُ؟^(١)
 فِي الْحَشَا مِنْهُ نُدُوبٌ وَزَفِيرٌ وَالتَّهَابُ^(٢)
 رَأَيْتُ قَلْتُ وَلِلْمَشْرِخُوفِ فِي الْأَمْرِ ارْتِيَابُ^(٣)
 زَالَتِ الْأَرْوَاحُ أَمْ زَا لَتْ حُدُوجُ وَقِبَابُ؟^(٤)
 يَا حَلِيفَ الْهَجْرِ هَلْ لَدِّي حَبْلٌ مَوْصُولًا إِيَابُ؟^(٥)
 كُنْتُ لِي أَزْيَا فَكَمْ عِنْدِي مَذًى فَارَقْتَ صَابُ^(٦)
 كَيْفَ أَزْوَى وَالْبَعِيدَا تُ ثَنَائِكَ الْعِذَابُ؟^(٧)
 إِنَّ فِي الْأَظْعَانِ قَوْمًا أَحْضَرُوا الشُّوقَ وَغَابُوا^(٨)
 وَإِذَا عَاتَبْتَ مِنْهُمْ مُذْنَبًا ضَاعَ الْعِتَابُ^(٩)
 كُلُّ يَوْمٍ لَكَ بَيْنُ لَمْ يَصِخْ فِيهِ غُرَابُ^(١٠)
 وَبِعَادٍ مِنْ حَبِيبٍ لَمْ يَحْنُ مِنْهُ اقْتِرَابُ^(١١)
 وَمَلَالٌ مِنْ «خَلِيٍّ» وَنُبُوٍّ وَاجْتِنَابُ^(١٢)

- (١) المعنى: ولماذا ليس للمعذب عندهم إلا أن تعذبوه؟
 (٢) المعنى: وأحشائي تنضح بالزفير والالتهاب، وقد انتشرت فيها القروح.
 (٣) المعنى: واعتراني، أنا المشغوف، ارتياب، فقلت:
 (٤) المفردات: الحدوج: الأحمال، مفردها الحدج.
 المعنى: وهل استوصلت الأرواح أم اختفت الأحمال والقباب؟
 (٥) المعنى: يا محبًا للهجر، ألا تقبل أن تعيد الوصل؟
 (٦) المفردات: الأزى: العسل. الصاب: عصارة شجر مر.
 المعنى: حين كنت معي كنت لي حلاوة وعسلًا، وحين هجرتني لم أذق غير المرارة.
 (٧) المعنى: كيف أرتوي وفمك العذب بعيد عني. وقد استعاض عن الفم بالأسنان الجميلة.
 (٨) المعنى: إن من بين الظعائن طعينة حضرت فحضر الشوق معها، ثم غابت عني.
 (٩) المعنى: وأنت لا تستطيع عتاب المذنب الذي غاب، لأن عتابك لا جدوى منه.
 (١٠) المعنى: إنك تغيب عني كل يوم، مع أن غراب البين لم ينقو إيدانًا بالفراق.
 (١١) المعنى: ولك في كل يوم ابتعاد عن الحبيب، ولم تر للاقتراب حينًا.
 (١٢) المفردات: الخلي: من لا زوجة له، يريد البعيد عن المحبوب، أو لعلها خليل. =

حَبْذَا أَيَّامُ سَلْعٍ وَسَقَاهُنَّ السَّحَابُ^(١)
 كَيْفَ شَكَوَايَ زَمَانًا كَانَ لِي فِيهِ الشَّبَابُ؟^(٢)
 وَكَرَامٌ لَهُمْ مِنْ وَرَقِ الْعِزِّ ثِيَابُ^(٣)
 وَثَنَايَا فِي ذُرَا الْمَجْدِ عَلَى الرَّاقِي صِعَابُ^(٤)
 لَا يَرِيبُونَ وَإِمَا رَابَهُمْ يَوْمَ أَرَابُوا^(٥)
 كُلَّمَا مَرَّ زَمَانٌ عَذَّبُوا فِيهِ وَطَابُوا^(٦)
 وَإِذَا مَا نَكَلَ الْقَوْمُ عَنِ الْأَمْرِ وَهَابُوا^(٧)
 وَطَمَا الْمَدُّ الَّذِي فِيهِ مِنْ الْمَوْتِ عُجَابُ^(٨)
 هَجَمُوهُ مِثْلَمَا انْقَضَ ضَتٌّ مِنَ الْجَوِّ عُقَابُ^(٩)
 ثُمَّ سَأَلْتُ مِنْهُمْ بِالطَّعْنِ عَنِ الضَّرْبِ شِعَابُ^(١٠)
 قُلْ لِحَسَادِي: أَفِيقُوا فَاتَّكُمُ عِنْدِي الطُّلَابُ^(١١)

=المعنى: وليس إلا الملل والنبوّ والاجتناب من الخليل أو من الوحيد.

(١) المفردات: سلع: جبل بالمدينة.

المعنى: ما أحلى أيامًا كانت لنا بسلع، وسقاها المطر.

(٢) المعنى: وكيف أتشكى من زمان، وكنت أحيًا فيه أيام الشباب؟

(٣) المعنى: كنت أحيًا فيه أنا وسادة كرام يرفلون بثياب العز.

(٤) المعنى: ومراقٍ عسيرة تصعب على صاعدها لكي يصل إلى قمة المجد.

(٥) المعنى: وهم لا يعترهم شك، ولقد يشكون يوم وقع الشك.

(٦) المفردات: كلما: ظرف يفيد معنى التكرار ولا يكرر.

المعنى: ومن طبعهم أن يطيبوا نفسًا مع تداول الزمان.

(٧) المفردات: يقع جواب إذا بعد بيتين رقم (٩).

المعنى: وإذا ما أحجم الناس عن أمرهم واعترتهم الرهبة.

(٨) المعنى: وازداد منسوب الماء وهاج معظم الماء الذي فيه الموت.

(٩) المعنى: انقضوا عليه كما تنقض عقاب من أعلى الجو.

(١٠) المفردات: الشعاب: بطون الوديان.

المعنى: وهجموا بعنف ضربًا وطعنًا، كما تسيل المياه إلى الوديان.

(١١) المعنى: وليعلم الحاسدون بعد غفوتهم أنهم لن يظفروا بي.

عَبْتُمْ مَنْ لَيْسَ فِيهِ لِلَّذِي عَابَ مَعَابُ^(١)
 وَلَهُ عِرْضٌ نَقِيٌّ زَالِقٌ عَنْهُ السَّبَابُ^(٢)
 عَامَرُ الرَّبْعِ وَفِي الْأَعْدَاءِ مَا شِئْتُمْ خَرَابُ^(٣)
 مَنْ لَكُمْ مِثْلِي إِذَا عُنْدَ طِعَانٍ أَوْ ضِرَابُ؟^(٤)
 وَدَفَاعٌ وَنَزَالٌ وَسُؤَالٌ وَجَوَابُ؟
 وَغِلَابٌ لِأَعَادِيكُمْ وَمَا يُرْجَى الْغِلَابُ؟^(٥)
 وَجِدَابٌ لِلَّذِي يَهْدِي إِلَى الْقَضَاءِ وَوَنَاقِلٌ إِنْ قَلَّ الْجِدَابُ؟^(٦)
 وَالَّذِي يَهْدِي إِلَى الْقَضَاءِ بِدَقْدَقِ الصُّوَابِ^(٧)
 فِي مَقَامٍ لَيْسَ إِلَّا أَسَدٌ فِيهِ وَغَابُ^(٨)
 وَجَرِيحٌ وَقَتِيلٌ لَا يَوَارِيهِ التَّرَابُ^(٩)
 لَكُمْ مَنِّي ظَفَرٌ فِي الْمُلِمَّاتِ وَنَابُ^(١٠)
 وَصَبَاحٌ كُلَّمَا أَظْهَرَ لَمْ يَخْطُبْ وَشَهَابُ^(١١)
 لَسْتُمْ السِّيفَ فَلِمَ أَنْ تُمْ بِلَا سِيفٍ قِرَابُ؟^(١٢)
 مَا اسْتَوَى فِي عَطْنِ الْقَوْمِ صِحَاحٌ وَجِرَابُ^(١٣)

(١) المعنى: وصمتوني بالعيب وليس في شيء منه.

(٢) المعنى: وعرضي طاهر لا تؤثر فيه السباب.

(٣) المعنى: وعرضي هذا عامر، ولغيري عرض مصدع.

(٤) المعنى: ولن تجدوا ندًا لي إذا أزعجت وقت للحرب.

(٥) المعنى: وستجدوني غالبًا منتصرًا على أعدائكم، ويستحيل على أحد النصر علي.

(٦) المعنى: وتجدون منازل من يرغب في منازلتي حين تقل المنازلة.

(٧) المعنى: وتجدوني هاديًا إلى سواء السبيل، وقد انعدم وجود الصواب.

(٨) المعنى: في وقت لا يبرز فيه إلا الأسود القوية.

(٩) المعنى: ووقت يكثر فيه الجرحى والقتلى في العراء.

(١٠) المعنى: وستجدوني في الساعات الحرجة قويًا لا يشيني عزم.

(١١) المعنى: وستجدوني صباحًا مشرقًا إذا أدلهم خطب جليل.

(١٢) المعنى: أنتم لستم أهل حرب فلماذا تستعدون؟ لستم سيفًا فلما ذا أنتم قرابه الخالي؟

(١٣) المفردات: العطن: مبرك الإبل ومريض الغنم حول الماء.

لا	ولا	عَادَلَتِ	النَّيْبِ	بِ	المُسْنَتِ	السَّقَابُ ^(١)
وإذا	لم	يَكُنِ	الرُّسْدِ	لُ	فَمَا	يُغْنِي
يا	خليلي	إنما	الدَّهْرِ	رُ	مَجِيءٌ	وَذَهَابُ ^(٢)
وَعَطَاءٌ	خَلَفَهُ	مِنْهُ	وَسَلِيمٌ	وَلَدِيْعٌ	وَمُؤَقَّيْ	وَمُصَابُ ^(٣)
احذرِ	الدَّهْرَ	فَلِلدَّهْرِ	وَدَعَ	الْحَرَصَ	لِقَوْمٍ	وَأَنْقِلَابُ ^(٤)
وَدَعَ	الْحَرَصَ	لِقَوْمٍ	مَا	إِلَى	الذُّلِّ	سِوَى
كُلُّ	شَيْءٍ	أَنْشَأَتْهُ	صِ	عَلَى	الْأَمْوَالِ	بَابُ ^(٥)
وإذا	فُزْنَا	بِصَدَقِ	تَرْبَةُ	الْأَرْضِ	تُرَابُ ^(٦)	
وَاطْلُبِ	الْعِزَّ	فَمَا	دُو	مَدَى	الْعِزِّ	حِجَابُ ^(٧)
بِأَنَاسٍ	كَلِمَا	تُو	دَوَا	لِمَعْرُوفٍ	أَجَابُوا ^(٨)	
لَيْسَ	تُنْسِيهِمْ	عَنِ	الْهَمِّ	حِرَابُ	وَحِرَابُ ^(٩)	
وَكُنِ	الْمُقَدَّمُ	فَالْمَغْفَرِ	بَوْنُ	فَيْنَا	مَنْ	يَهَابُ ^(١٠)

=المعنى: إنه لا يستوي الصحاح والجري في مقام الناس.

(١) المفردات: النيب: مفردها الناب، وهي الناقة المسنة. السقاب: مفردها السَّقْب، وهو ولد الناقة.

المعنى: ولا تتساوى النوق المسنة وأولادها.

(٢) المفردات: الرُّسْل: اللبن.

المعنى: إذا لم يكن في الضرع لبن فلماذا الحلب؟

(٣) (٤) المعنى: يا صاحبي إنما الحياة وجود وعدم، وعطاء وسلب.

(٥) المعنى: تحاش يا صاحبي الدهر؛ ففيه انحراف وانقلاب.

(٦) المعنى: اترك البخل لمن انعدم عندهم الإدراك وخسروا.

(٧) المعنى: لن تجد طريقاً إلى الذل سوى طريق الخوف على المال.

(٨) المعنى: كل ما أخرجته الأرض تراب.

(٩) المعنى: وإذا غنيا فغناها وهم بَرَّاق.

(١٠) المعنى: وطريق الرشاد هو العز، فإن نشرته لم تجد دونه مانعاً.

(١١) المعنى: واتخذ للعز أناساً يلبون طلب المعروف.

(١٢) المعنى: وكن الرجل المقدم، فالمخدوع هو الهَيَّاب.

وقال في النسيب: [من الطويل]

حرامٌ على قلبي السُّلُو وقد بدا لعيني عند الرِّقْمَتَيْنِ قُضيبٌ^(١)
قُضيبٌ قضى اللهُ المقدَّرُ أنَّه إلى كلِّ ألبابِ الرُّجالِ حبيبٌ^(٢)
وما كانَ عندي أنَّ قلبي يقوِّدُهُ إليه ويدعى نحوه فيجيبُ^(٣)

وقال في الغزل: [من الطويل]

أتَسِينُ يا لمياءُ شَمْلِكَ جامِعًا وإذ أنا في صبغ الدُّجَى منك أقربُ؟^(٤)
وقد لَفْنَا ضيقُ العناقِ وبيننا عِتَابٌ كَعَرَفِ الْمَسْكِ أو هو أطيبُ^(٥)
وإذ عَلَنِي من ريقِهِ ثم عَلَنِي على ظمإٍ مُسْتَعَذَبُ الرِّيقِ أَشْنَبُ^(٦)
كَأَنَّ عَلَيْهِ آخِرَ اللَّيْلِ قَهْوَةٌ مُعْتَقَةٌ «ناجودُها» يتصوَّبُ^(٧)
أُحِبُّكَ يا لمياءُ مِنْ غيرِ رِيبةٍ ولا خَيْرٍ فيما جاءه المَتْرِيبُ^(٨)

(١) المفردات: الرقمتان: موضع.

المعنى: لا يجوز لقلبي أن ينسى محبوبي، وقد بدا بعض الأمل عند الرقمتين إذ رأيت محبوبي.

(٢) المعنى: ومحبوبي الأهيف كالقضيبي جذب عقول الرجال بقدره الله.

(٣) المعنى: وما كنت أظن أن قلبي يحوله إلي، ويدعوه إليه فيستجيب.

(٤) المعنى: يذكر الشاعر محبوبته لمياء بأيام اجتماعهما معاً في ليلة حالكة.

(٥) المفردات: العرف: الرائحة.

المعنى: ساعة كنا غارقين بعناق عفيف، وراحت أحاديثنا تعتب بكلام كعير المسك أو أطيب.

(٦) المفردات: علني: سقاني. الشنب: برودة الريق وطيبه.

المعنى: حين كانت تسقيني من ريقها العذب، وتكرر السقيا من ريقها العطر.

(٧) المفردات: القهوة: من أسماء الخمرة. الناجود: وعاء الخمرة يغرف منه الشاربون. يتصوب: ينسكب.

المعنى: ويزداد ريقها عذوبة في آخر الليل، حتى يغدو كالخمرة المعتقة الذي ينصب من الناجود.

(٨) المعنى: أصرّح لك يا لمياء بحبي، وهذا ما لا يشك به أحد، ولا أهمية لما ينفثه المرتاب.

وَيُطْرِبُنِي إِنَّ عَنْ ذِكْرِكَ مَرَّةً وَلَسْتُ لشيءٍ غَيْرَ ذِكْرَاكَ أَطْرِبُ^(١)
 وَفِي الْمَعْشَرِ الْغَادِينَ بَدْرُ دُجْنَةِ عُلُوقُ بِالْبَابِ الرُّجَالِ مُحَبَّبُ^(٢)
 يَدِلُّ فَلَا تَأْبَى الْقُلُوبُ دِلَالَهُ وَيُلْقِي بِأَسْبَابِ الرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ^(٣)

- 40 -

وَقَالَ فِي النَّسِيبِ: [مِن الطَّوِيلِ]
 وَفِي النَّفَرِ الْغَادِينَ وَجْهٌ أَحَبُّهُ وَمَا كُلُّ وَجْهِ فِي الرِّفَاقِ حَبِيبُ^(٤)
 يَنْوِبُ مَنَابَ الْبَدْرِ لَيْلَةً تَمُّهُ وَيُغْنِي غَنَاءَ الشَّمْسِ حِينَ تَغِيبُ^(٥)
 وَلَمَّا دَعَانِي لِلْغَرَامِ أَجْبَنُّهُ وَمَا كَانَ قَلْبِي لِلْغَرَامِ يُجِيبُ^(٦)
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا فِيهِ لِلْحَبِّ طَائِعًا وَمَا لِسَوَاهُ فِي الْفَوَادِ نَصِيبُ^(٧)

- 41 -

وَقَالَ فِي الشَّيْبِ: [مِن الْخَفِيفِ]
 شَعْرٌ نَاصِعٌ وَوَجْهٌ كَثِيبُ إِنَّ هَذَا مِنَ الزَّمَانِ عَجِيبُ^(٨)
 يَا بِيَاضَ الْمَشِيبِ لَوْنُكَ إِنَّ أَزْ صَفَ رَائِيكَ حَالِكَ غَرِيبُ^(٩)

(١) المعنى: وكم يسعدني حين يعرض ذكرك أمامي، ولا شيء يسعدني كما يسعدني ذكرك.

(٢) المفردات: الدجنة: الظلمة.

المعنى: ومن بين من يرحل محبوبتي الشبيهة ببدر الظلام، تعلق به عقول الرجال وتعشقه.

(٣) المعنى: تتغنج وتتثنى فتؤخذ القلوب بدلالها، ويرضون عنها وإن غضبت.

(٤) المعنى: أعشق وجهها من بين من رحلوا. وإنني أخص هذا الوجه لأنه ما كل وجه يُحب.

(٥) المعنى: يحل هذا الوجه محل البدر الكامل، وفي النهار يحل محل الشمس وقت غيابها.

(٦) المعنى: وأسعدني حين أبدى رغبته في حبي، ولم يكن من عادتي أن أقع في الحب.

(٧) المعنى: ولم أكن أطيع هذا المحبوب إلا في الحب، ولم يدخل قلبي غيره.

(٨) المعنى: إنه من عجائب الأمور أن أرى وجهها مشرقاً ووجهها عابساً.

(٩) المفردات: الغريب: الأسود الحالك، وأكثر ما يجيء تأكيداً.

المعنى: يا أيها الشعر الشائب، إن لونك بالنسبة إليّ حالك السواد.

صَدُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُمَلَّ وَمَا أَذْ كَرَّ شَيْئًا سِوَاكَ عَنِّي الْحَبِيبُ^(١)
 يَا مُضِيئًا فِي الْعَيْنِ تَسْوَدُّ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ جَوَانِحُ وَقُلُوبُ^(٢)
 لَيْسَ لِي مُذْ حَلَلْتَ يَا شَيْبُ فِي رَأْسِي كَرَهَا، عِنْدَ الْغَوَانِي نَصِيبُ^(٣)
 وَلَخَيْرٌ مِنْ لَوْنِكَ الْيَقَقِ الْمَشْدُ رَقٍ عِنْدِي وَعِنْدَهُنَّ الشُّحُوبُ^(٤)
 رُحْنٌ يَدْعُونَنِي مَعِيبًا وَيَنْبِذُ نَ عُهُودِي وَأَنْتِ تَلِكِ الْعِيُوبُ^(٥)
 كَيْفَ أَخْشَى الرَّقِيبَ وَالشَّيْبُ فِي وَجْهِ هِيَ عَلَى الْغَانِيَاتِ مِنِّي رَقِيبُ؟^(٦)

- 42 -

كتب إلى صديقه أبي سعد علي بن خلف^(٧)، وقد قدم من سفره، فقال،
 وهو من أوائل شعره: [من الخفيف]

حَلَّ ذَاكَ الْكِنَاسَ ظَنِّي رَيْبُ عَاصَتِ الصَّبْرَ فِي هَوَاهُ الْقُلُوبُ^(٨)
 غَاضَ فِيهِ حَلْمُ الْوَقُورِ وَأَكْدَتِ قُلُوبُ الرَّأْيِ وَاسْتُزِلَّ اللَّيْبُ^(٩)

(١) المعنى: مع أن لونه صَدَنِي فإنه لم يملني، في حين أن حبيبي لم ينكر مني شيئاً إلا هذا اللون.
 (٢) المعنى: ويخاطب شعره المضيء في عينيه وفي عيني غيره، بسببه غدا كل شيء أسود.
 (٣) المعنى: أيها الشعر الأبيض منذ حطت رحالك على رأسي غصباً عني لم يعد لي نصيب عند من أحبه.

(٤) المفردات: اليقق: الشديد البياض.

المعنى: كنت أرجو أن ألقى الشحوب في وجهي على لونك الشديد البياض.

(٥) المعنى: وعدني الصبايا ذا عيب، وعزفن عن أيامي وعهودي، وأنت كل عيوبي.

(٦) المعنى: لم أعد أخشى الرقباء، لأن شبيبي كان رقيبني مع الغانيات.

(٧) علي بن خلف النيرماني من كتاب بني بويه ببغداد ومن فضلاء زمانه، ينسب إلى قرية «نيرمان» قرب همدان. توفي سنة ٤١٤. وقد ورد ذكره في الدمية واليتيمة وتاريخ بغداد..

(٨) المفردات: الكناس: مأوى الغزال. الريب: العربي.

المعنى: يشير الشاعر إلى أن محبوبه الذي هو كالغزال المهذب استوطن دياراً، وهو الذي ذلت القلوب في هواه وعصيتها الصبر.

(٩) المفردات: القُلب: مفردا القلب وهو البثر قبل أن تُرصف الحجارة حولها. أكدت: قلّ ماؤها.

المعنى: يقف وقار الحليم إن وقف أمام هذا الطيبي، ويجف نبع آرائه، ويخطيء الذكي الحصيف.

يا محلاً أبلّته هُوجُ الليالي وگرامي بساكنيه قَشيبُ^(١)
 واطمأنت بك المحاسنُ حتّى شرّدتها عني وعنك الخطوبُ^(٢)
 طالما رَوّضت رُباك الغواني وتنوّرت والزّمانُ جديبُ^(٣)
 وتمشّت بك السّحائبُ يجرُزُ نَ بُرودًا تخيّرُتها الجنوبُ^(٤)
 جادَ جفني ثراكَ وهو جهامُ وألّنت الفؤادَ وهو صليبُ^(٥)
 ساءَ عهدي لقاطنيكَ متى أذُ ريتُ دمعا من مُقلتي لا يَصوبُ^(٦)
 لستَ فردًا فيما دَهته الليالي كلُّ شيءٍ في كَرهِنٍ سَليبُ^(٧)
 أيها القادمُ الذي أقدَمَ النّأ رَ لقلبٍ جَنى عليه المغيبُ^(٨)
 إن يَكُنْ شخصُك استمرَّ به النّأ يُي فحبّيك في الفؤاد قريبُ^(٩)
 لو «بِغَس» رحلتُها ما بقلبي عاقها عن مَدَى القِلاصِ اللُّغوبُ^(١٠)

- (١) المعنى: فني قلبي بهواه، في حين أن غرامي به جديد غير بال.
 (٢) المعنى: كمل الجمال بك فأذهلتنا الأحداث عنه.
 (٣) المفردات: تنورت: نبت فيها الثور وهو الزهر. الجديب: المحمل.
 المعنى: زين جمالك الرياض فغدت زاهية مزهرة، بعد أن كانت جدباء قاحلة.
 (٤) المعنى: حتى السحب الممطرة قصدتك فوراً هي وذيلوها، وريح الجنوب قادتها إلى ديارك.
 (٥) المفردات: الجهام: السحاب لا ماء فيه.
 المعنى: أما أنا فقد سالت دموعي على أرضك بعد أن كانت حروناً، ولان فؤادي أمامك وليس من طبعه.
 (٦) المفردات: أذرى: صب. يصبوب: يسقي.
 المعنى: منذ انصبت دموعي بلا جدوى أحسست بأن الوضع ساء بيني وبين ساكني ذاك المحل.
 (٧) المعنى: ويوجه الشاعر الخطاب إلى نفسه، فيخفف عليها مصابها، فما أحد عاش هذا الزمان إلا نكب.
 (٨) المعنى: يا من قدم علينا فجلب ثاراً لقلبي وقتله.
 (٩) المعنى: إن أصررت على البعد عني فإن حبي إليك ثابت قريب.
 (١٠) المفردات: الغنس: النوق الصلبة. القلاص: مفردها القلوص وهي الناقة الفتية.
 اللغوب: التعب.
 المعنى: لو أنني بعثت إليها ما بقلبي من جوى على ظهر ناقة عنيدة لم تحتمل الناقة أحمالها وتعبت.

لَا تَقْلِنِي إِنْ بَعَثْتَ غَيْرَكَ وَدًّا وَقَفَّته عَلَيْكَ نَفْسٌ عَرُوبٌ^(١)
 خُلِقَ مَرْهَفُ الْحَوَاشِي وَعِزْضٌ شَامَخَ مَا دَنَتْ إِلَيْهِ الْغُيُوبُ^(٢)
 رَوَّقَتْهُ الْأَيَّامُ وَالْخُلُقُ الْأَخْ لَمَقُ فِينَا مُمَنِّعٌ مَحْجُوبٌ^(٣)
 مَدَّ ضَنْبِي إِلَيْكَ مَجْدٌ وَسَاعٌ وَثَرَى طَيْبٌ وَسِنْخٌ نَجِيبٌ^(٤)
 وَمَعَالٍ تَكْنَفَتْ حَوْمَةً الْعِزُّ طَوِيلُ الْكِرَامِ عَنْهَا رَعِيبٌ^(٥)
 إِنْ وَجَدِي كَمَا عَهَدْتَ صَرِيحٌ مَا بَخَلَقِ سِوَاكَ فِيهِ نَصِيبٌ^(٦)
 ثَقَفَتْهُ الدُّهُورُ وَهُوَ رَطِيبٌ وَجَلَاهُ الزَّمَانُ وَهُوَ قَشِيبٌ^(٧)
 جَادَ تِلْكَ الْعُهُودَ صَوْبُ عَهَادٍ مِنْ وَدَادِي هَامِي الْجَفُونِ سَكُوبٌ^(٨)
 نُلْنِي الْقَرَبَ قَدْ أَمَلَّنِي الْبُعْدُ دُ وَصِلَ ذَا الطَّلُوعِ طَالَ الْغُرُوبُ^(٩)
 إِنْ تَجَدَّنِي سَمَحَ الْقِيَادِ فِي قَدْ بَ زَمَانِي مِنْ حَرِّ نَارِي وَجِيبٌ^(١٠)
 كَيْفَ أُعْطِيَ الزَّمَانُ صَبُوءَ قَلْبِي وَاعْتَزَامِي عَلَى هَوَايَ رَقِيبٌ؟^(١١)

- (١) المفردات: لا تقلني: لا تعفني من البيع الملزم به. العروب: المرأة المتحبة إلى زوجها. المعنى: لا تعفني مما أنا ملزم به نحوك من الحب، فلقد قصرت نفسي الأثرة حبها نحوك.
- (٢) المعنى: إن أخلاقك التي تتحلّى بها حساسة رقيقة، وعرضك رفيع لا يرقى إليه مأخذ.
- (٣) المعنى: أصفته الأيام، وخلقنا الرقيق منيع مستور.
- (٤) المفردات: الضبع: العضد. السنخ: الأصل.
- المعنى: والذي قواني إليك وعضدني ما تتحلّى به من مجد عريض وأصل طيب وعراقة ماثورة.
- (٥) المفردات: الرعيب: المرعوب.
- المعنى: وأنت ذو معال أحاطت بساحة العز الذي يتهيب له ذو الشمائل العديدة.
- (٦) المعنى: إن حبي صادق نحوك كما تعلم، لا يعادله حب لآخر.
- (٧) المعنى: وحبي هذا قوّمته مسيرة الأيام علماً أنه لين لا ينكسر، وكشفه الزمان وهو جديد.
- (٨) المعنى: وقد سقى تلك العلاقة ما أوليتني من عطف كصوب المطر، أغذيه بدموع الفرح.
- (٩) المعنى: فامنحني الدنو منك، فقد أتعبني البعد، واسخُ علي بالإطلاة فقد طال بعدك عني.
- (١٠) المفردات: الوجيب: الخفقان.
- المعنى: وأنت إن رأيتني لينا في أتباعك فلأني متحرق متشوق كثير الاضطراب.
- (١١) المعنى: وكيف تريدني أن أمنح الزمان عنفوان قلبي، وهناك من يراقب حبي إليك؟

هَانَ فِي مَقْلَتِي الَّذِي رَاقَ فِيهِ فَكَأَنَّ الشَّبَابَ فِيهِ مَشِيبٌ^(١)
سَدَلْتُ خَبْرَتِي سُجُوفَ ابْتِسَامِي قَلَمًا يُعْجِبُ الْعَجِيبَ عَجِيبٌ^(٢)
وَكَفَفْتَنِي تَجَارِبِي نَائِبَاتٍ مَا أَبَالِي فِي أَيِّ حِينٍ تَنُوبُ^(٣)
وَبَلَوْتُ الزَّمَانَ حَتَّى لَوْ ارْتَبَدْتُ لَكُثِّفْتُ مَا تُجْنُ الْغُيُوبُ^(٤)
لَيْسَ يَدْرِي الْوَرَى بِمَاذَا غَرَامِي مَا تَمَارَوْا فِيهِ إِلَيَّ حَبِيبٌ^(٥)

- 43 -

قال في شهر ربيع الآخر سنة ٤١٧ هـ عُقِيبَ اجتماعه بعز الأئمة أبي سعد
أحمد بن حمزة بن إبراهيم في الدار العزيزة، حين انتقل إليها في فتنة
«الكرخ»^(٦)، مستوحشاً لفراقه، ويخبره عما كان عليه من الأنس بمجاورته،
ويعدّد مآثر البيت النبوي الكريم: [من الخفيف]

لَيْسَ لِلْقَلْبِ فِي السُّلُوفِ نَصِيبٌ يَوْمَ رُحْنَا وَالْبَيْنُ مَنَا رَقِيبٌ^(٧)
وَدَّعْتَنِي وَزَادَهَا طَرَبُ اللَّهِ وَوَزَادِي تَلْهُفٌ وَنَحِيبٌ^(٨)
وَرَأَتْنِي أَذْرِي الدَّمُوعَ فَقَالَتْ: أَبْكَاءُ أَرَاهُ أَمْ شَوْبُوبٌ؟^(٩)

(١) المعنى: ذل ما استهواه قلبي، حتى غدا شبابه مشيباً.

(٢) المفردات: السجوف: مفردا السجف.

المعنى: لقد غطت تجربتي ستائر بسمتي، فصار عسيراً أن يعجب البديع.

(٣) المعنى: وما مرّ بي من تجارب في حياتي كان كفيلاً لأن تمنحني الخبرة، فلم أعد أعبأ بما يطراً عليّ.

(٤) المفردات: تجن: تخفي وتستر.

المعنى: ومن قدر ما خبرت الزمان استقرأت الغيب حين أرتاب منه.

(٥) المفردات: تماروا فيه: شكوا به وتجادلوا فيه.

المعنى: لا يعلم الأنام ما أحبه ولو تجادلوا بشأنه.

(٦) الكرخ: حي في بغداد كان الشيعة يسكنونه. وكانت الفتن بين سكانه والسكان المسلمين السنة تقع فيه.

(٧) المعنى: لا يمكنني أن أنسى يوم التقينا والوداع قريب منا رقيب علينا.

(٨) المعنى: وبعدها ودعتني حاملة سعادتها زاداً لطريقها، بينما كنت غارقاً بالبكاء والأسى.

(٩) المفردات: الشؤبوب: الدفعة من المطر.

إِنَّمَا الْبَيْنُ لِلْبَدْوِ الْمُنِيرَا تِ كَسُوفٌ وَلِلشُّمُوسِ غُرُوبٌ^(١)
 وَالتَّوَى كَالرَّدَى، وَفَقْدُ كَفَقْدِ غَيْرَ أَنْ غَائِبُ الرَّدَى لَا يُوُوبُ^(٢)
 وَلَقَدْ قُلْتُ لِلْمَلِيحَةِ وَالرَّأ سُبُصْبَغِ الْمَشِيبِ ظُلْمًا خَضِيبُ^(٣)
 لَا تَرِيهِ مُجَانِبًا لِلتَّصَابِي لَيْسَ بِدَعَا صَبَابَةٍ وَمَشِيبُ^(٤)
 قُلْ لِمَنْ حُلٌّ فِي الْفَوَادِ وَهَلْ يَسْ كُنْ حَبُّ الْفَوَادِ إِلَّا الْحَبِيبُ؟^(٥)
 أَيْنَ أَيَّامُنَا اللَّوَاتِي تَقْضِي نَ وَفِي الْقَلْبِ بَعْدَهُنَّ نُدُوبُ^(٦)
 وَاجْتِمَاعُ نَمَحُو بِهِ أَثَرَ الْهَمِّ مَ وَيَحْلُو مَذَاقُهُ وَيَطِيبُ^(٧)
 تَشْمِئُزُ الْأَحْزَانُ مِنْهُ وَتَزُورُ رُ إِذَا قَارِبَتْهُ عَنْهُ الْكُرُوبُ^(٨)
 قُمْ بِنَا نَشْكُرِ الزَّمَانَ فَلَمْ يَبْ قَ لَنَا فِي الزَّمَانِ إِلَّا الْعَجِيبُ^(٩)
 ظُلُمَاتٌ مُسْوَدَّةٌ، وَأُمُورٌ مَشْكَلَاتٌ يَحَارُ فِيهَا اللَّيْبُ^(١٠)
 وَشُؤُونَ تَبْيِضُ مِنْهَا شُؤُونَ وَانْقِلَابٌ تَسْوَدُ مِنْهُ قُلُوبُ^(١١)

=المعنى: وعجبت مودعتي من كثرة دموعي، وظلته دفعة من المطر.

(١) المعنى: يشبه الشاعر محبوبته بالكواكب النيرة، وبالشمس. ويرى أن بعدها بمثابة كسوف الكواكب وغروب الشمس.

(٢) المعنى: إن البعد يا حبيبتى كالموت، وفقدك كالضياع... والفرق بينهما أن الميت لا يُنشر.

(٣) المعنى: وخاطبت هذه الحسنة حين ظلمني الشيب فداهمني بصبغه.

(٤) المعنى: لا تظني أنه بهذا الشيب صار بعيداً عن الهوى، فليس غريباً أن يجتمع عشق وشيب.

(٥) المعنى: أقول لمن تربّع على عرش قلبي، وهو الحبيب طبعاً:

(٦) المعنى: أين تلك الأيام الخالية السعيدة؟ أنا لم أنسها وما هي ذي ندوبها متشبثة في سويداء قلبي.

(٧) المعنى: أتمنى أن أحظى بلقاء أزيل به همومي، وأطيب مذاق أيامي.

(٨) المفردات: تزور: تنحرف وتعدل.

المعنى: بهذا الاجتماع تتضايق الأحزان وينحرف الأسى.

(٩) المعنى: فما علينا إلا أن نشكر الأيام التي سهلت لنا هذا اللقاء، ولم يبق مما لم نره إلا النادر.

(١٠) المعنى: إن في هذا الزمان أحداثاً جساماً يصعب على الحصيف التخلص منها.

(١١) المفردات: الشؤون: مفرداتها الشأن وهو الأمر العظيم. والشؤون الثانية: مجاري الدمع.

المعنى: إنها لأحداث جسام تبيض منها مجاري الدموع، وتحول أليم تسود منها الأفئدة.

وأراها بالظن كالجمره الحم ووشيكًا يكون ذاك فما بغ
وكأنني بها معرقة الأو وعليهن كل أزوع لا يز
إن عنت أزمه فكف وهوب ورجال شم العرائين وثا
أينما ضاربوا، فهم فليق ليس منهم إلا الغلوب وما في
أنت عز لنا فإن قيل في غي وإذا ميّزت سجايا أناس

راء أذكى لها الأوار مُذِيبُ^(١)
مد شرار الزناد إلا اللهيبُ^(٢)
صال قد شقها السرى والدؤوبُ^(٣)
وبه إلا التّخيم والتّطيبُ^(٤)
أو عرت خشية فنضلّ ضروبُ^(٥)
بون نحو الردى شاب وشيبُ^(٦)
ونجيع من الكماة صبيبُ^(٧)
هم مدى الدهر كله مغلوبُ^(٨)
رك هذا فالقول قول كذوبُ^(٩)
بان عود رخو وعود صليبُ^(١٠)

- (١) المعنى: وأظن أن هذه الأحداث كجمره النار الملتهبة، أذكاها وألهبها أمر جلل.
- (٢) المعنى: وهذا ما سيحدث حتمًا؛ فأول الشرر إيذان باللهيب.
- (٣) المفردات: المعرقة: العظام التي أكل لحمها. الأوصال: الأعضاء، مفردها الوصل (وبضمها). الدؤوب: التعب.
- المعنى: وأرى الأحداث شديدة هي أشبه بالعظم المعرق من لحمه، وقد أنهكها السير ليلًا والتعب.
- (٤) المفردات: الأروع: الحسن المنظر. التّطيب: ربط الخيمة بالطنب والتي هي الحبال.
- المعنى: ومهما كانت الأحداث قاسية فإنني أحتملها ولا يرضيني إلا أن أحطّ قبالتها.
- (٥) المعنى: فإن حلت بي معضلة فيدي ذات عزيمة لها، أو داهمني ما يخشاه الناس فليس لي إلا أن أضربها بسيف قاطع.
- (٦) المفردات: العرائين: مفردها العرينين، وهو أعلى الأنف.
- المعنى: ولست وحدي في رد المعضلات فمعي رجال كرام شيب وشبان، لا يهابون الموت.
- (٧) المعنى: وهم حيثما حاربوا رأيت منهم رقابًا مقطوعة ودماء مصبوبة، من رماة النبال والرماح.
- (٨) المعنى: لا ترى هؤلاء إلا غاليين، ولن تجد مغلوبًا واحدًا منهم.
- (٩) المعنى: يعود الشاعر إلى مدح أبي سعد، فيعده عزًا لآل البيت، وإن نسب هذا العز لغيره فكلام الكاذبين.
- (١٠) المعنى: والأعواد إن عُجمت وضع الرخو منها والصلب، وكذلك إن خُبر الناس اتضح من منهم القوي ومن هو الضعيف.

وَلَبَيْتٌ حَلَلْتُ لَمْ يُرَ فِيهِ
وَوَلَوْعٌ بَطِيبُ الذِّكْرِ لَا يُزْ
إِنَّ آلَ الْأَجَلِ آلِي وَشَعْبِي
وَهُمْ أُسْرَتِي وَمِنْ سِرِّ «مُوسَى»
وَإِذَا حُصِّلَ الْوِدَادُ تَدَانِي
قَارَعُوا عَنِّي الْخُطُوبَ وَقَدْ هَمُّ
وَتَلَاَفُوا جَرَائِرَ الدَّهْرِ حَتَّى
كَمْ لَهُمْ دُونَ نُصْرَتِي نَهَضَاتٌ
وَعَصُوفٌ يُكِنُّنِي وَرُكُودٌ
وَدِفَاعٌ عَنِّي الْعِدَا وَنِزَاعٌ
لَسْتُ أَنْسَى حَقُوقَكُمْ عِنْدِي الْبِيْدِ
وَاعْتَصَامِي بِكُمْ وَأَنْتُمْ لِرَحْلِي
قَطُّ إِلَّا نَجَابَةٌ وَنَجِيبٌ^(١)
ضِيَهُ إِلَّا التَّجْهِيرُ وَالتَّأْوِيبُ^(٢)
مِنْهُمْ الْيَوْمَ تَسْتَبِينُ الشُّعُوبُ^(٣)
بِالْمُودَاتِ وَالصَّدِيقُ نَسِيبُ^(٤)
ذُو بَعَادٍ وَبَانَ عَنْكَ الْقَرِيبُ^(٥)
مَتَّ وَكَادَتْ تَجْنِي عَلَيَّ الْخُطُوبُ^(٦)
مَا لِدَهْرِ بِهِمْ إِلَيَّ ذُنُوبُ^(٧)
وَمَقَامُ ضَنْكَ وَيَوْمَ عَصِيبُ^(٨)
وَمَجِيءٌ يَجِيئُنِي وَذُهُوبُ^(٩)
أُرْتَضِيهِ وَهُدْنَةٌ وَحُرُوبُ^(١٠)
ضَ إِذَا كَانَ فِي الزَّمَانِ الشُّحُوبُ^(١١)
حَرَمٌ آمِنٌ وَوَادٍ خَصِيبُ^(١٢)

(١) المعنى: وأنت من أسرة لا يُعرف في أفرادها إلا الأصالة والنجابة.

(٢) المفردات: التأديب: الإعادة.

المعنى: وأنت مرحب بالذكر الحسن لا ترضى إلا أن تجاهر بالخير وتعيده.

(٣) المعنى: وهو يشيد بالمدوح لأنه من نسله ومذهبه، وأهله منهم، وهذا واضح للناس أجمعين.

(٤) المفردات: موسى: هو موسى الكاظم (ع) وهو جده.

المعنى: وأبو سعد أسرتي التي أعتر بها، وهو قريب من موسى، والصديق نسيب لنا.

(٥) المعنى: وإذا وقعت المودة بين اثنين قُرب البعيد وبعد القريب.

(٦) المعنى: وهم الذين أراحوا عني المصائب التي كادت تدهمني.

(٧) المفردات: الجرائر: مفرداتها الجريرة، وهي الذنب.

المعنى: وهم الذين أبعدوا عني مصائب الأيام، حتى نقوا كل ما داهمني.

(٨) المعنى: وناصروني بمواقفهم المشرفة، وخففوا عني كل معضلة.

(٩) المفردات: يكتني: يسترني ويخفيني.

المعنى: وهم ستروني، وأكرموني، وراقبوني في كل حال.

(١٠) المعنى: ودافعوا عني الأعداء، ووقفوا إلى جانبي في كل نزاع وهدنة وحرب.

(١١) المعنى: ولن أنسى فضلكم العميم عليّ حين كنت في ضيق وكان الزمان شحيحاً.

(١٢) المعنى: وإنني ألوذ بكم لأنكم حماة مخلصون، تضمنون لي الأمن والرخاء.

كم فرجتم من ضيقة وكشفتم
وتخلصتم ثراء رجال
لا مشت في دياركم نوب الده
وإذا خيفت الغيوب فلا خي
وقداكم من الأداة رجال
كلما أخفت السعود عيوباً
كرباً لا يطيقها المكروب^(١)
من يد الفقر، والبلاء يصب^(٢)
ولا ارتبتم بشيء يريب^(٣)
فت عليكم مدى الزمان الغيوب^(٤)
دنسات ذيولهم والجيوب^(٥)
منهم استيقظت ولاحت عيوب^(٦)

- 44 -

وقال في العتاب: [من الوافر]

أذم إليك كلما ليس يؤسى
وداء ليس يعرفه الطبيب^(٧)
ودهرًا لا يصيح إلى نصيح
وعيشًا لا يلد ولا يطيب^(٨)
وكم لي من أخ أوليه نضحي
ومالي في نصيحتي نصيب^(٩)
له مني البشاشة في التلاقي
ولي منه البسارة والقُطوب^(١٠)

(١) المعنى: وأنتم الذين خففت عني وطأة الضيق والمواقف الحرجة العسيرة.

(٢) المفردات: تخلصتم: أنقذتم.

المعنى: وكنتم لمال الأثرياء عوناً مخافة فقر، حين كانت البلايا تنصب عليهم.

(٣) المعنى: يدعو المرتضى لهم بعدم حلول النوائب عليهم، وبعدم وقوعهم بما يريب.

(٤) المعنى: وإذا كان الغيب مظلمًا ويحمل لهم ما يخشى عليهم، فلا أحلّ عليهم ضرر من هذا الزمان.

(٥) المعنى: وأنقذكم الله من أذى الأشرار المعتادين على الأذى.

(٦) المعنى: فهؤلاء الأشرار معتادون على الأذى، وكلما هدؤوا في أذاهم عادوا إلى عادتهم من جديد.

(٧) المعنى: أشكو إليك يا صديقي جرحًا لا يداوى، ومرضًا صعب كشفه على الطبيب.

(٨) المفردات: يصيح: يصغي.

المعنى: وزمانًا لا يتصح، وحياة لا طعم فيها ولا هناء.

(٩) المعنى: وأشكو الأصدقاء؛ أنا أهبهم نصائح وإخلاصي، وهم لا يتجاوبون معي بالمثل.

(١٠) المفردات: البسارة: العيوس.

يَعِيبُ تَجَنُّيًا وَالْعَيْبُ فِيهِ
أَلَا هَرَبًا مَنِ الْإِخْوَانِ جَمْعًا
وَلَوْلَاهُمْ لَمَا قَذِثْتُ جُفُونِي
وَلَا طُويْتُ عَلَى أَوْدٍ قَنَاتِي
وَلَا خَرَقْتُ مِنَ الْأَيَّامِ جِلْدِي
وَلَا عَرَفْتُ مَسَاكِينِي الرَّزَايَا
وَلَمَّا أَنْ أَبِي حُكْمِي وَأَلْوَى
وَأُخْرِسَنِي عَنِ الشُّكُوى وَمَنِي
غَفَرْتُ ذَنْبَهُ حَتَّى كَأَنِّي
وَقَدْ نَادَتْ فَأَسْمَعْتَ الْعَيُوبُ^(١)
فَمَا لَكَ مِنْهُمْ إِلَّا التُّدُوبُ^(٢)
وَلَا سَيِّقْتُ إِلَى قَلْبِي الْكُرُوبُ^(٣)
وَعَلَّسْتُ فِي مَفَارِقِي الْمَشِيبُ^(٤)
أُظَافِرُ لَا تَقْلَمُ أَوْ نُيُوبُ^(٥)
وَلَا اجْتَازْتُ عَلَى رَبْعِي الْخُطُوبُ^(٦)
وَشَبَّتْ بَيْنَنَا مِنْهُ الْحُرُوبُ^(٧)
لِسَانٌ لَا يَفَارِقُهُ كَذُوبُ^(٨)
عَلِقْتُ بِهِ وَلَيْسَ لَهُ ذُنُوبُ^(٩)

=المعنى: أنا أرحب بهم وتنفرج أسارى تجاههم، في حين أنهم يجابهوني بالعبوسة والتقطيب.

- (١) المعنى: هم يفترون عليّ ويدعون كذبًا، والعيوب بارزة فيهم.
(٢) المعنى: ونصيحتي لك أن تترك إخوانك وأصدقاءك وتعيش بعيدًا عنهم، فلن تجد منهم إلا ما يجرح.
(٣) المعنى: فلو كنت أحيًا بعيدًا عنهم لما تفرحت جفوني ولا تواكبت علي الأحزان.
(٤) المفردات: الأود: الإعوجاج. غلّس: دخل في الغلس، وهو ظلمة آخر الليل. ولعله يريد أوغل.
المعنى: ولا انحنى ظهري من الأحزان والآلام، وأوغل الشيب في رأسي.
(٥) المعنى: ولا تجرح جلدي بأظافرهم وأنيابهم مع مرور الأيام.
(٦) المعنى: ولا حلت المصائب في ديارى، ولا أحاطت النوائب بي.
(٧) المفردات: ألوى بحقه: جحده إياه.
المعنى: وإنه حين رفض رأبي وجحدني، واستعرت الحروب بيننا،
(٨) المعنى: ومنعني من أن أشتكى، وهو ذو لسان كثير الكذب،
(٩) المعنى: رأيت الصواب أن أغفر ذنوبه نحوي، وكنت في النتيجة كأنني مضطر إلى صحبته، وهو إنسان خالٍ من كل ذنب.

وقال يعزي الخليفة القادر العباسي^(١) في ولده: [من الكامل]

ما في السُّلُو لنا نصيبٌ يُطلبُ الحزنُ أقهرُ والمصيبةُ أغلبُ^(٢)
 لك يارزيةً في فؤادي زفرةٌ لا تُستطاعُ ومن جفوني صيبُ^(٣)
 قد كانَ عيبًا أنْ جرى لي مَذْمَعٌ فاليومُ إنْ لم يجرِ دَمْعٌ أعيبُ^(٤)
 ولطالما كان الحزينُ مؤنبًا فالان مُدرِّعُ العزاءِ مؤنبُ^(٥)
 طرقتُ أميرَ المؤمنين رزيةً والرُّزءُ فينا طارقٌ لا يُخجَبُ^(٦)
 لم ينجُ منها شامخٌ مترفعٌ أو مدخلٌ مُتمنِّعٌ مُتصعَّبُ^(٧)
 لو كان يُدفعُ مثلُها ببسالةٍ لحمى عواليها الكماةُ الغلبُ^(٨)
 الضاربون الهامَ في رَهجِ الوغى والسُّمُرُ تُلطخُ بالنَّجيعِ وتُخضبُ^(٩)
 والهاجمون على المنية دارها وقلوبهم كالصَّخر لا تتهيبُ^(١٠)
 قومٌ إذا حَمَلوا القنا وتنمَّروا ركبوا من العزاء ما لا يُركبُ^(١١)

(١) تولى القادر بالله الخلافة سنة ٣٨١هـ. بعد أن خلع الطائع. وسيأتي مدحه بالمدال المكسورة.

(٢) المعنى: ليس لنا أن نحظى بالنسيان، لأن الأحزان والمصائب أقسى من أن تُنسى.

(٣) المفردات: الصيب: المطر.

المعنى: أثبك حرقه قلبي العميقة أيتها المصائب، وأسقيك من دموعي الحزى.

(٤) المعنى: كنت أشعر بالخجل إن ذرفت لي دمعة، أما اليوم فعيب علي ألا أبكي.

(٥) المعنى: وكم كانوا يعاتبون الحزين، أما الآن فالمصاب والمفؤود هو الذي يعاتب ويعاقب.

(٦) المعنى: حلت بأمير المؤمنين مصيبة، والمصائب تطرق أبوابنا من غير استئذان.

(٧) المعنى: ولا ينجو من هذه المصائب أحد مهما كان عنيًا رفيعًا ممتنعًا.

(٨) المفردات: العوالي: الرماح أو القسم الذي يلي سنانها، مفردها العالية. الكماة:

الشجعان، مفردها الكمي. الغلب: الشجعان الغليظو الرقة. مفردها الأغلب.

المعنى: لا أحد يستطيع دفعها بقوته، ولو كان كذلك لصدها الشجعان الأقوياء.

(٩) المفردات: الرَّهَج: الغبار. السمر: صفة للرماح المتينة. النجيع: الدم.

المعنى: هؤلاء الشجعان هم الذين يقطعون الرقاب بين مئثار النقع، ويلطخون الرماح بالدماء.

(١٠) المعنى: وهم الذين يداهمون الموت في عقر داره وقلوبهم متينة كالجلمود جراءة.

(١١) المفردات: العزاء: الشدة.

المعنى: رجال أباة بلغوا من العنف أن خاضوا المستحيل واستسهلوا الشدائد.

أو أقدموا في معركٍ لم يَنكُصوا
 رُزءٌ بِمُفْتَقِدٍ أَرَانَا فَقْدُهُ
 والأَرْضُ بعدَ نضارَةٍ ما إنْ لها
 والنَّاسُ إمَّا واجِمٌ مُتَخَشِّعٌ
 إنْ يَمُضِ مَقْتَبِلَ الشَّبَابِ فَإِنَّهُ
 وَرَعٌ نَبَا عَنْهُ الرِّجَالُ وَعَفَّةٌ
 قُلْنَا وَقَدْ عَالُوهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ
 ووراءَهُ الشُّمُّ الكَرَامُ فَنَاشِجٌ
 مَنْ ذَا لَوَى هَذَا الهُمَامَ إِلَى الرَّدَى
 صَبْرًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فلم نَزَلْ
 أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ بِالسُّلُوكِ عَنِ الرَّدَى
 أو غَالِبُوا فِي مَبْرَكٍ لَمْ يُغْلِبُوا^(١)
 أَنَّ الْعُلَا وَالْمَجْدَ قَفَرٌ سَبَسَبُ^(٢)
 إِلَّا الْأَدِيمُ الْمُقَشَّعُ الْمُجْدِبُ^(٣)
 أو ذَاهِلٌ خَلَعَ الْحِجَا مُتَسَلِّبُ^(٤)
 نَالَ الْفَضَائِلَ لَمْ يَنْلُهَا الْأَشِيبُ^(٥)
 لَمْ يَسْتَطْعِهَا النَّاسِكُ الْمُتَجَنِّبُ^(٦)
 يَطْفُو عَلَى قُلُلِ الرِّجَالِ وَيَرْسُبُ^(٧)
 يُذْرِي مَدَامَعَهُ وَآخِرُ يَنْدُبُ^(٨)
 فَأَطَاعَهُ؟ أَمْ كَيْفَ قَيْدَ الْمُضْعَبِ؟^(٩)
 بِالصَّبْرِ مِنْ آدَابِكُمْ نَتَأَدَّبُ^(١٠)
 وَأُرِيْتُمْ فِي الْخُطْبِ أَيْنَ الْمَذْهَبُ^(١١)

(١) المفردات: نكص: أحجم ورجع.

المعنى: وهم إذا خاضوا المعركة لم يتراجعوا، ولم يُغلبوا.

(٢) المفردات: السبب: المفازة.

المعنى: لقد حل بنا مصاب أدر كنا من ورائه أن كل مصاف الفخار قفر لا حياة فيه.

(٣) المعنى: وأمحلت الأرض بعد أن كانت خصبة، ولم يبق عليها إلا وجهها القاحل.

(٤) المفردات: الواجم: الحزين. الحجا: العقل.

المعنى: والناس في رأيه فئتان: فئة حزينة ذليلة، وفئة عاقلة ذهب عقها وسلب إدراكها.

(٥) المعنى: وإن توفي ابنك في ريعان شبابه فقد حقق حلمه في المجد كما لم يصل إليه الكبار.

(٦) المعنى: وابنك يتحلى بورع فاق به الرجال، وبعفة قصر عنها المتعبد المنزوي.

(٧) المعنى: وهم حين رفعوه على سرير الموت فاق قمم الرجال العالية.

(٨) المفردات: الناشج: الغاص بالبكاء.

المعنى: ويسير خلفه أيتون كرام، وهم يكون ويندبون.

(٩) المعنى: من قاد هذا السيد إلى الموت؟ وكيف أطاعه؟ بل كيف استجاب وهو العنيد؟

(١٠) المعنى: عليك بالصبر يا أمير المؤمنين، فنحن إنما نستهدي بكم في التحلي بالصبر.

(١١) المعنى: فأنتم وجهتمونا كي ننسى الموت، وهديتمونا إلى الطريق السليم ونحن نلقى المصائب.

وركبتم أثباج كل عزيمة
 ووردتم الغمرات في ظل القنا
 حوشيتم أن تُنقصوا أنواركم
 وإذا بقيتم سالمين من الأذى
 شاطرت دهرك واحدًا عن واحد
 ما ضرنا وسيوفنا مشحودة
 والشمس أنت مقيمة في أفقها
 وإذا البحور بقين فينا منكم
 ولئن وهى بالرزء منا منكب
 نجمان؛ هذا طالع إيماضه
 أو نعمتان؛ فهذه متروكة
 إذ قل ركب وعز المركب^(١)
 والطعن في حافاتها يتلهب^(٢)
 أو تبخسوا من حظكم أو تُنكبوا^(٣)
 فدعوا الأذى في غيركم يتقلب^(٤)
 فغلبته، والدهر غيرك يغلب^(٥)
 مصقولة إن قل منها المضرب^(٦)
 وهدي لنا من كل شمس كوكب^(٧)
 مملوءة فدع المذانب تنضب^(٨)
 فلقد نجا من ذاك فينا منكب^(٩)
 ملأ العيون، وذاك عنا يغرب^(١٠)
 مذخورة أبدًا وأخرى تُسلب^(١١)

- (١) المفردات: الأثباج: مفردها الثُّبَج، وهو القسم العالي من ظهر الدابة.
 المعنى: وأنتم علوتم كل داهية دهياء حين تهيب لها الشجعان.
- (٢) المعنى: ونزلتم إلى ساحات الوغى والقنا تتضارب والطعن جاذ في ضربه.
- (٣) المعنى: نحن على يقين من إصراركم بالحفاظ على مقامكم الرفيع أو أن تُنقصوا من مكانتكم، أو أن تقبلوا الضيم.
- (٤) المعنى: وإن حفظكم الله من الضرر، فاتركوا غيركم يتلوّى بلهيب الأذى.
- (٥) المعنى: يشير الشاعر إلى وفاة ابنه ولي العهد وبقاء ابنه الآخر عبدالله، وهو الذي خلفه باسم القائم بأمر الله. ذلك أن الدهر لم يغلبك تمامًا فعينت واحدًا بعد الآخر فانتصرت عليه، بينما لم يقدر غيرك على الدهر فغلب.
- (٦) المعنى: ولماذا يعترينا الخوف ما دامت سيوفنا مصقولة حادة، وإن ثلّمت رؤوسها.
- (٧) المعنى: أنت شمسنا التي لا تغيب، وبك نهتدي من كل كوكب في السماء.
- (٨) المفردات: المذانب: مفردها المذنب، وهو مسيل الماء إلى الحضيض. تنضب: تغور وتجف.
- المعنى: وإذا كان كرمكم طاغيًا دائمًا علينا، فلا يهمنّا أن تجف السواقي.
- (٩) المعنى: ونحن نفديك بكل قوتنا؛ فإن شلّ منا كتف فدينك بالكتف الآخر.
- (١٠) المعنى: ولداك نجمان نيران؛ واحد غرب، وآخر يملأ العيون نورًا.
- (١١) المعنى: أو هما نعمتان لنا؛ سُلبت منا واحدة، وما زالت الأخرى محفوظة مدخرة.

أَصْلٌ لَهُ غَصْنَانِ؛ هَذَا ذَابِلٌ ذَاوٍ، وَهَذَا نَاضِرٌ مَتَشَعِّبٌ^(١)
أَوْ صَعْدَةٌ فُجِعَتْ بِبَعْضِ كُعُوبِهَا وَلَهَا كُعُوبٌ بَعْدَ ذَاكَ وَأَكْعُبٌ^(٢)
أَوْ أَجْدَلٌ مَاسِلٌ مِنْهُ مِخْلَبٌ فَاجْتُثَّ إِلَّا نَابَ عَنْهُ مِخْلَبٌ^(٣)
مَاذَا التَّنَافُسُ فِي الْبَقَاءِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَارِضٌ مَاضٍ وَبِرْقٌ خُلْبٌ^(٤)
ذَاقَ الْحِمَامَ مَبْذُورٌ وَمُقْتَرٌ وَأَتَى إِلَيْهِ مَبْغُضٌ وَمَحَبَّبٌ^(٥)
فَمَعَجَلٌ لِحَمَامِهِ وَمَوْجَلٌ وَمَشْرِقٌ بِطُلُوعِهِ وَمَغْرِبٌ^(٦)
وَنُعَاتِبُ الْآيَامَ فِي فُرْطَاتِهَا لَكِنْ نُعَاتِبُ سَادِرًا لَا يُعْتَبُ^(٧)
لَا نَافِعٌ إِلَّا وَمِنْهُ ضَائِرٌ أَوْ مَرْغَبٌ إِلَّا وَفِيهِ مُرْهَبٌ^(٨)
وَمَتَى صَفَا خَلَلَ الْحَوَادِثِ مَشْرَبٌ عَذْبٌ تَكْدَّرُ عَنْ قَلِيلٍ مَشْرَبٌ^(٩)
فَخَرًّا بَنِي عَمِّ الرَّسُولِ فَأَنْتُمْ أَزْكَى الْمَغَارِسِ فِي الْأَنَامِ وَأَطْيَبُ^(١٠)

- (١) المعنى: أو هما غصنان لأصل واحد، ذوى أحدهما، وما زال الآخر على نضارته وازهراره.
(٢) المفردات: الصعدة: القناة المستوية.
المعنى: أو هما قناة للرمح، تكسرت بعض كعوبها، وما زالت سائر الكعوب قوية متينة.
(٣) المفردات: الأجدل: الصقر.
المعنى: أو هما صقر تثلم منه مخلب فقطع، وظل المخلب الآخر بارزاً عنيذاً.
(٤) المفردات: العارض: الغمام يعترض الأفق. البرق الخلب: لا مطر فيه.
المعنى: ولماذا التنافس على البقاء، فما الحياة إلا غيم يعترض السماء، يعقبه برق لا جدوى منه.
(٥) المعنى: الموت لا يُبقي على أحد، وهو سينال السخي والبخيل، ويذوقه المحبوب والمبغوض.
(٦) المعنى: فالناس سيأتيهم الموت إن عاجلاً وإن آجلاً، في أي مكان حلوا.
(٧) المفردات: الفرطات، مفردا فرطة، وهي ما وقع من إساءة أو غيرها. السادر: المتحير.
المعنى: ونحن نخطئ إذ نعتب على الأيام ضرباتها، وإنما يجيء عتابنا على المتحير الذي لا يرضى.
(٨) المعنى: لا شيء في الدنيا ينفع إلا وفيه ضرر، أو محبب إلا وهو مخيف.
(٩) المعنى: وإن صفت أيام من بين الأحداث إلا تكدّرت بعد ذلك.
(١٠) المعنى: يخاطب بني العباس، ويذكرهم بأنهم أبناء عم النبي (ﷺ)، يعني أبناء عبد الله ابن العباس، وبأنهم من محدث أئيل زكي.

إِثْرُ النَّبِيِّ لَكُمْ وَدَارُ مَقَامِهِ وَالْبُرْذُ فِيكُمْ وَالْقَضِيبُ وَأَنْتُمْ أَلْأَبْرُذُ وَأَبْوَكُمْ سَقَى الْأَنَامَ بِسَجْلِهِ خُتِمَتْ خِلَافَتُهُ بِكُمْ وَعَلَيْكُمْ هِيَ هَضْبَةٌ لَوْلَاكُمْ لَا تَرْتَقَى حَكَمَ إِلَهُ بِأَنَّهَا خَلَعَ لَكُمْ كَمَ طَامِعٍ مِنْ غَيْرِكُمْ فِي نَيْلِهَا وَمُؤْمَلِينَ وَلُوجَ بَعْضِ شِعَابِهَا جَنَّاكَ نَمَتَاخُ الْعِزَاءِ فَهَبْ لَنَا وَارْفُقْ بِقَلْبٍ حَامِلٍ ثِقْلَ الْوَرَى وَاسْلُكْ بِنَا سُبُلَ السُّلُوكِ فَإِنَّا

وَالْوَحْيُ يُتْلَى بَيْنَكُمْ أَوْ يُكْتَبُ^(١) أَدْنُونَ مِنْ أَغْصَانِهِ وَالْأَقْرَبُ^(٢) وَأَحْلَهُ وَالْعَامُ عَامٌ مُجْدَبُ^(٣) إِشْرَافُهَا أَبَدَ الزَّمَانِ مُطَنَّبُ^(٤) أَوْ صَعْبَةٌ بِسَوَاكُم لَا تُرْكَبُ^(٥) لَا تُنْتَضَى وَبَنِيَّةٌ لَا تُخْرَبُ^(٦) فَارَقْتُ مَفَارِقَهُ السُّيُوفُ الْوُثْبُ^(٧) لَمْ يَبْلُغُوا ذَاكَ الرَّجَاءِ وَخُيَّبُوا^(٨) مِنْكَ الْعِزَاءُ فَمَثَلُ ذَلِكَ يُوْهَبُ^(٩) وَالْكَلَمُ يَوْسَى وَالْمُضَايِقُ تَرْحُبُ^(١٠) بِكَ نَقْتَدِي وَإِلَى طَرِيقِكَ نَذْهَبُ^(١١)

- (١) المعنى: ورثتم ميراثكم عن النبي وخلفتموه، وفيكم نزل الوحي وعندكم دُون القرآن.
(٢) المعنى: وأنتم ورثته في برده وقضيه، وأنتم أهله الأذنون.
(٣) المعنى: ويشير إلى الرفادة التي كان العباس يتولاها؛ فقد كان يسقي الحجيج بدلوه (بسجله) ولا سيما الأيام الجذب.
(٤) المفردات: إشرافها: علاؤها. المطنب: المشدود بالطنب، وهو جبل الخيمة.
المعنى: وتسلمتم خلافته، وعليكم المحافظة عليها بجد مدى الدهر.
(٥) المعنى: والخلافة نجوة لا يمكن ارتقاؤها إلا بحمايتكم، أو هي ناقة حرون تأبى أن يركبها أحد إلا برعايتكم.
(٦) المعنى: أمر من الله أن تكون لكم؛ أنتم ترتدونها، أو هي بناء لا يخرب.
(٧) المعنى: وقد طمع بها الطامعون، وقد حُسم أمرهم بحد السيف.
(٨) المعنى: كانوا يأملون كسب بعض جوانبها، لكن خاب فآلهم واستحال الرجاء عليهم.
(٩) المفردات: نمتاخ: نطلب ونستجدي.
المعنى: وها نحن ذاك نبذل عزاءنا، فامنحنا عزاءك بولدك، وأنت جدير بالهبة.
(١٠) المفردات: الكلم: الجرح. يؤسى: يعالج.
المعنى: وكن رفيقاً بقلبك الكبير الذي يحمل أعباء الناس، ولا تنس أن الجرح يعالج، والنوائب تنقضي.
(١١) المعنى: وكن سبيلنا إلى النسيان، فانت أمثولتنا وقدوتنا.

وقال من قصيدة مدح أباه بها: [من الطويل]

ولي صاحب لا يصحب الضيم ربُّهُ له في دماء الدارعين قراب^(١)
 وأسمرُ عسَّالُ الكعوبِ سِنَانُهُ رسولُ المنايا في يديه كتاب^(٢)
 إذا ما وجا أوداجَ قَرْنِ مُصَمِّمٍ أعادَ مشيبَ الوجهِ وهو شباب^(٣)
 ملاني فخراً أنَّكَ اليومَ والدي وأنتَ طَوْدِي والأناُمُ شِعَاب^(٤)
 أَلَسْتَ مِنَ القومِ الذين إذا دَنَوْا لحربٍ تدانَتْ أَرْؤُسُ ورقاب^(٥)؟
 سيوفُهُمُ أَلحَاطُهُمُ وقناتُهُم سواعِدُهُم مَهما استَحَرَّ ضِرَاب^(٦)

قال في الفخر والعتاب: [من الطويل]

عَشِيتُ العُلا لا أَبْتَغِي بَدَلاً لها ولا عِوضاً والعاشقون ضُروب^(٧)

(١) المفردات: الصاحب (هنا): السيف. رب الشيء: مالكه.

المعنى: يفخر الشاعر بقوته فيقول إنه لا يقبل بالظالم، ولسيفه قراب هو أفئدة الشجعان الدارعين.

(٢) المفردات: الأسمر العسَّال: الرمح اللدن المهتر.

المعنى: ولي رمح لذن الكعوب، ظباه رسول الموت المحتم.

(٣) المفردات: وجا: مخففة من وجأ، أي طعن. الأوداج: مفردا الودج، وهو عرق جانب ثغر النحر.

المعنى: إذا طعن هذا الرمح اللدن في رقبة العدو أرهبه وجعل رأسه يشيب وهو بعد شباب.

(٤) المفردات: الطود: الجبل. الشعاب: مفردا الشَّعب، وهو الطريق في الجبل.

المعنى: وإنني لملتئى بالفخر لأنك والدي، وأنت ملاذي العالي، وسائر الناس شعاب في الوديان.

(٥) المعنى: وأنت بطل، هابتك الرؤوس في الحرب وطأطأت لك.

(٦) المعنى: وهم ليسوا أهل حرب؛ فهم يحتمون منك بعيونهم خوفاً، ورماحهم أيديهم يدفعون بها مهما كانت الحرب شديدة.

(٧) المفردات: ضروب: أشكال.

المعنى: أنا أطمح للعالي ولا أرضى بديلاً لها، وكل امرئٍ وهواه.

فمالي بغير المآثرات صبايةً ومالي إلا المآثرات حبيب^(١)
وأخطأت لما أن جعلتك صاحبي وذو الحزم يُخطي مرةً ويصيب^(٢)
وأنت بعيدٌ من مكانٍ مودّتي وإن مزاراً بيننا لقريب^(٣)
وما هي إلا زلةٌ أنا بعدها أعوجُ عليها نادماً فأتوب^(٤)
فيا من لعيني كلَّ يومٍ وليلةٍ قذاةٌ بها أو للنفود كروب^(٥)
ولولاه ما كنتُ لدهرٍ جنايةً عليّ ولا منه إليّ ذنوب^(٦)
ولا مزّقتُ جلدي الغداةَ أظافرٌ وهيهاتُ أدعى بعدها فأجيب^(٧)
أجبتك لما أن دعوتُ اغترارةً وهيهاتُ أدعى بعدها فأجيب^(٨)

- 48 -

وقال يفخر بنفسه: [من الطويل]

عجبتُ من الأيام كيف تروّعي ومن عزماتي تستمدُّ الثّوابُ؟^(٩)
وكيف ارتجّت عندي بلوغُ إرادةٍ وما مالٌ مني في الغواية جانبُ؟^(١٠)

-
- (١) المفردات: المآثرات: مفرداتها المآثرة، وهي المكّمة.
المعنى: ولا أعشق غير المكارم. وليس لي حبيب غيرها.
- (٢) المعنى: ويحوّل كلامه إلى عتاب صاحبه، ويلوم نفسه على ذلك، لكن المرء يخطيء مرةً ويصيب مرةً.
- (٣) المعنى: ومع أن دارينا قريبتان إلا أن المودة بيننا بعيدة.
- (٤) المعنى: وخطأ واحد آخر يقع منك يجعلني أعتزلك وأمضي حياتي ندماً.
- (٥) المعنى: فأنت في كل يوم وليلة تؤذيني وتجرحني.
- (٦) المعنى: ولولا هذا الصديق المزعج لما أحسستُ لحياتي زلة ولا أخطأت.
- (٧) المعنى: ولا انتابني ما يؤلمني وينهش جسدي.
- (٨) المفردات: الاغترارة: الغفلة.
- المعنى: حين طلبت مني أن أصادقك لبيت طلبك على حين غرة مني، ولن أعود لمثلها يوماً.
- (٩) المعنى: أعجب من هذا الزمان الذي تستمد فيه المصائب من قوتي، ومع ذلك يحاول إخافتي.
- (١٠) المعنى: بل كيف حاولت النيل مني ولم يُغويني من هذا الزمان شيء؟

لقد هذبت صَرفُ اللَّيالي بصيرتي وأنسُ شيءٍ بالفؤادِ المصائبُ^(١)
إذا كنتُ أَسْتَعلي بنفسي عزيزةً فلا قامَ أنصارٌ ولا هبَّ صاحبُ^(٢)
ورُبَّ حَسودٍ يَزْدريني بقلبه إذا رامَ نطقًا أخرستهُ المناقبُ^(٣)
تسربلَ سِرْبَالِ اللَّيالي وما درى بأنَّ مكاني ما مَشَى فيه عائبُ^(٤)
وفارقتُ أخلاقَ الزَّمانِ وأهله فقد عجبتُ أنْ لم تَنلني المعائبُ^(٥)
ومارستُ مِن أحوالهم ما بطرفه أشاهدُ ما تُفْضي إليه العواقبُ^(٦)
إذا لم يَكُنْ بالسَّيفِ سَعْيُكَ للعلا فلا دانَ مطلوبٌ ولا ثارَ طالبُ^(٧)
وكنْتُ إذا حاولتُ قومًا تَسْفَهُتْ حلومُهُم حَتَّى حَفَنِي السَّحائبُ^(٨)
كأنَّ الرَّدَى ما حُمَّ إِلَّا لِصَلوتي ولا خُلقتُ إِلَّا لأجلي العجائبُ^(٩)

- 49 -

وقال في الحماسة: [من الطويل]

تُطالبُني نفسي بما غَيرُهُ الرِّضا وأيُّ الرِّجالِ نفسُهُ لا تُطالبُهُ؟^(١٠)

-
- (١) المفردات: هذبت كذا رجَّحها المحقق، وهي في الأصل: هَوَّنت. المعنى: إن توالي الأحداث علي هذبت عقلي وقوّته، وقد اعتاد قلبي على تقبُّل المصائب.
- (٢) المعنى: إن عزمت على النهوض بنفس أبية فلا يهمني عون من صاحب أو نصير.
- (٣) المعنى: وقد أصادف حَسودًا يحتقرني في ذات نفسه، وهو إذا فتح فاه أَعَيْتَه شمائلِي عن الكلام.
- (٤) المعنى: وحاول النيل مني متخفيًا، وما علم أن أحدًا لم يعبني عيبًا قط.
- (٥) المعنى: وهأنذا بلغت من العمر ما بلغت لم تشب حياتي شائبة.
- (٦) المعنى: وخضت أحوال الناس وأبصرت نتائج الأمور.
- (٧) المعنى: إذا لم تشدَّ مجدك بالسيف فلا قيمة للحياة ولا للقيم.
- (٨) المفردات: الحلوم: العقول.
- المعنى: وكلما حاولتُ مصادقة قوم خَفْتُ موازينهم، حتى سحب السماء ابتعدت عني.
- (٩) المفردات: الصَّلوة والصلاة: الدعاء والتسبيح. حُمَّ الأمر: قضي.
- المعنى: حتى كأن الموت ما قدّره الله إلا لدعائي، وما خلقت جلائل الأمر إلا لأجلي.
- (١٠) المعنى: تدفعني نفسي إلى المجد وعدم القناعة، ومن منا لا يستحبه المجد؟

وما زلت مغلوبَ الهوى، وسفاهةً
ولم تكُ إلّا في جميلِ مآربي
وأعلمُ أنّ المرءَ يطويه لَحْدُهُ
وليسَ بمَيِّتٍ مَنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
ومَنْ لم تهذّبْه تجارِبُ دهرِهِ
وأقنعُ من خَلِيٍّ بظَاهِرِ وُدِّهِ
وإنِّي ممَّنْ إنْ نَبَا عنه منزلٌ
ولستُ بمُسْتَبَقٍ صَدِيقًا تَجْهَمَّتْ
ولا عاتبٌ يومًا عليه؛ فإنّما
ولا خيرَ في مَوْلى يعاطيك بِشِرِّهِ
ولا صاحبٌ لي إنْ كَشَفْتُ ضَمِيرَهُ
وفضْلُ الفتى ما كَانَ منه وَفَضْلُهُ
على عاقلٍ أنّ الهوى منه غَالِبُهُ^(١)
ومَنْ ذا الذي لا تُسْتَرَلُ مَارِبُهُ؟^(٢)
ومنشورة سَقَطَاتُهُ وَمَعَايِبُهُ^(٣)
ولمّا تَمَّتْ آثَارُهُ وَمَنَاقِبُهُ^(٤)
فما ضرَّه إلّا تكونَ تجارِبُهُ^(٥)
وليسَ بِخَلِيٍّ ما تَضُمُّ تَرَائِبُهُ^(٦)
نَبَا ونجَتْ عنه عُجَالًا رَكَائِبُهُ^(٧)
نواحي مُحِيَّاهُ أوِ ازورَّ جانبُهُ^(٨)
صديقُكَ مَنْ صاحِبَتُهُ لا تُعَاتِبُهُ^(٩)
وفي صدرِهِ غِلٌّ تَدِبُّ عَقَارِبُهُ^(١٠)
وِدِدْتُ وِدَادًا أَنَّنِي لا أَصَاحِبُهُ^(١١)
على مجده، آبَاؤُهُ وَمَنَاسِبُهُ^(١٢)

- (١) المعنى: لكن الهوى ما زال يواكبني، وعيب على العاقل أن تميله الأهواء.
(٢) المفردات: المآرب: المطالب.
المعنى: وهواي منصب على مطالبي الحسنة، ومن منا لا تزلقه المطالب؟
(٣) المعنى: يموت المرء ويَطْوَى جثمانه في قبره، ويظل الناس يعدّدون سقطاته.
(٤) المعنى: لكن المرء ذا المناقب الحميدة، وإن مات، يستمر ذكره عاطرًا.
(٥) المعنى: ومن لم يصقله توالي الأحداث، فلتصقله تجاربه الخاصة.
(٦) المفردات: الترائب: مفرداتها التربة، وهي عظم الصدر.
المعنى: يكفيني من صديقي ما يُظهر من مودة، ولا يهمني ما تُخفي الصدور.
(٧) المعنى: فإن جفاني منزلي نأيتُ عنه، وأنقذني جوادي بسرعة.
(٨) المعنى: وإنني لا أبقى على صديق عبس للقائي أو جفاني.
(٩) المعنى: ولا أعاتبه على تصرفه، لأن الصديق الصدوق لا يعاتب.
(١٠) المفردات: المولى: السيد أو العبد، ويريد هنا مجرد الصديق. عاطى: ناول.
المعنى: هذا البيت يناقض البيت السابع. فهو لا يرى خيرًا في صديق يظهر لك المودة، لكن صدره ينضح بالحق.
(١١) المعنى: ولا أعتز بصداقة من يكنُّ لي حقدًا.
(١٢) المعنى: ويعرف المرء مما يبدر منه، ويزيده حسبه ونسبه.

خَلَصْتُ خُلُوصَ التَّبْرِ ضَوْعَفَ سَبْكُهُ وطاحت به أقذاؤه وشوائبُهُ^(١)
لِيَ الشَّاهِقَاتِ الْبَاسِقَاتِ مِنَ الذُّرَا في مَحْتَدِي هَامَاتِهِ وَغَوَارِبُهُ^(٢)
وَكَمْ طَالِبٍ لِي فُتُّهُ وَسَبَقَتُهُ ولم يَنْجُ مِنِّي هَارِبٌ أَنَا طَالِبُهُ^(٣)
وَرَاقِبَنِي كُلُّ الرُّجَالِ بِسَالَةٍ وما فِيهِمْ مَنْ بَتَّ يَوْمًا أَرَاقِبُهُ^(٤)
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَمَّا عَرَاهُمْ مِنَ الدَّهْرِ خَطْبٌ لَا تُرَدُّ مَخَالِبُهُ^(٥)
وَضَلَّتْ وَجْوهُ الرَّاْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَبْنِ لِرَاكِبِهِ بِالرُّغْمِ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ^(٦)
بَأَنِّي فِيهِ الرُّمْحُ بَلْ كَسَنَانِهِ أَوِ السَّيْفُ لَا تَنْبُو عَلَيْهِ مَضَارِبُهُ^(٧)
وَكَمْ مَوْقِفٍ فِي نَصْرِهِمْ قَمْتُ وَسَطُهُ وما زَالَ مَسْدُودًا عَلَيَّ مَهَارِبُهُ^(٨)
وَسَيْلٍ مِنَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ حَمِيَّتُهُمْ شَذَاهُ وَقَدْ سَالَتْ عَلَيْهِمْ مَذَانِبُهُ^(٩)

- 50 -

وقال يرثي صديقًا: [من الطويل]

أَلَا يَا لِقَوْمِي لَاغْتَنَانِ النَّوَائِبِ وَلِلْغُصَنِ يُرْمَى كُلُّ يَوْمٍ بِشَاذِبِ^(١٠)

- (١) المفردات: التبر: الذهب. الأقذاء: مفردها القذى، وهي الوسخ.
المعنى: وإنني عَفَّ طاهر الذيل من العيوب، كأنني سبيكة الذهب ذُوبت عدة مرات حتى خلصت من كل شائبة.
- (٢) المفردات: المحتد: الأصل. الغوارب: مفردها الغارب، وهو الكاهل أو ما بين الظهر والعنق.
المعنى: أعلى قمم المجد لي، وفي أصلي أعلى ما يطمح المرء إليه.
- (٣) المعنى: ومرَّ بي عشاق للمجد فسبقتهم، ولم يهرب من قبضتي من أطلبه.
- (٤) المعنى: وكان القوم ينظرون بإعجاب إلى قوتي، وما كنت أعبا بأحد.
- (٥) المعنى: جواب هذا البيت يأتي في الرقم (٧). حين داهم الناس داهية عنيدة.
- (٦) المعنى: وحارت حلومهم في كيفية التخلص منها.
- (٧) المعنى: أيقنوا حينئذ بأني السلاح الماضي، كأنني الرمح بل ظباه، أو السيف الذي لا يرتد ضربه.
- (٨) المعنى: وكثيرًا ما نصرتهم حين تعذر عليهم النصر، ووقفت وسطهم أحيمهم.
- (٩) المفردات: الزوام: السريع. المذانب: مفردها المذنب، وهو سيل الماء في الحضيض.
المعنى: وقد أنقذتهم من موت خاطف محتم، بعد أن كاد يتناولهم.
- (١٠) المفردات: الاعتنان: الاعتراض. الشاذب: القاطع.

وَلِلنَّاسِ إِمَّا ظَاعِنٌ حَانَ يَوْمُهُ
وَزَوْرُ الْمَنَايَا إِنْ حَمِينَاهُ جَانِبًا
يَعْطُ عَلَيْنَا كُلَّ سَرْدٍ مَضَاعِفٍ
وَكَمْ هَارِبٍ مِنْ أَنْ يَلَاقِيَهُ الرَّدَى
نُقِلُّ اعْتِبَارًا فِي الزَّمَانِ تَغَايِبًا
وَنَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْحَيَاةِ، وَصَرَفُهَا
بُلِينَا مِنَ الدُّنْيَا بِخِلْفٍ مُجَدِّدٍ
وَنَظْمًا إِلَى مَا لَا يَزَالُ يُذِيقُنَا
وَحِلَّ تَوَلَّى الْمَوْتِ عَنِّي بِشَخْصِهِ
كَأَنِّي لَمَّا صَكَ سَمْعِي نَعِيَّهُ
وَإِمَّا مَقِيمٌ لِاجْتِرَاعِ الْمَصَائِبِ^(١)
أَتَانَا كَأَنْ لَمْ يُخَمِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٢)
وَيَخْطُو إِلَيْنَا كُلَّ بَابٍ وَحَاجِبٍ^(٣)
مُغْدٌ، وَلَكِنْ لَا نَجَاءَ لِهَارِبٍ^(٤)
وَأَبْصَارُنَا مَمْلُوءَةٌ بِالْعَجَائِبِ^(٥)
يَذُودُ بِنَا عَنْهَا ذِيَادَ الْغَرَائِبِ^(٦)
وَإِنْ دَرَّ أَحْيَانًا بِأَيْدِي الْحَوَالِبِ^(٧)
لُعَابَ الْأَفَاعِي أَوْ شِيَالِ الْعَقَارِبِ^(٨)
تَوَلَّى مُمْتَدُّ النَّوَى غَيْرَ آيِبٍ^(٩)
صُكِّكْتُ بِمَسْنُونِ الْغِرَارِينَ قَاضِبٍ^(١٠)

=المعنى: أستنجد بقومي حين تعترضني المصائب، فالأغصان تُبلى بمشذب لها.

(١) المعنى: والناس اثنان، إما حي يتحمل المصائب، وإما ميت راحل عن الدنيا.

(٢) المعنى: فنحن لا نستطيع إبعاد الموت عنا، فإن هربنا منه من جانب نالنا من جانب آخر.

(٣) المفردات: يعط: يشق بغير عناية. السرد: الورع.

المعنى: وهو يشق كل درع متين نحتمي به، ويتخطى جميع الحواجز.

(٤) المفردات: مغد: مسرع.

المعنى: وكم هرب الناس من الموت، لكن هربهم مهما كان سريعاً لم يجديهم.

(٥) المعنى: وكثيراً ما تغايبنا وحاولنا الإقلال من الاعتبار، تظل أبصارنا حافلة بكل ما هو عجيب.

(٦) المفردات: يذودنا: يطردنا.

المعنى: ونمعن في نهل لذائد الحياة، في حين أن نوائبها تطردنا شر طردة.

(٧) المفردات: الخلف: الضرع. المجدد: الذي جف لبنه.

المعنى: يشبه الدنيا بالضرع. ولكنه ضرع جف عنه لبنه، ولكنه أحياناً يمتلئ علينا ببعض الخير.

(٨) المفردات: الشيال: مفردها شولة، وهي شوكة.

المعنى: وكلنا صدد إلى ما يؤذينا ويلسنا بشوكه.

(٩) المعنى: ورب صديق فقدته بالموت كما أفقد عزيزاً بغربته الدائمة.

(١٠) المفردات: صك سمعي: طرقة بعنف. الغراران من السيف: حذاه.

المعنى: وحين بلغني نعيه صرت كمن ضرب بحدّي السيف القاطع.

- وفارقني من غير شيء أرابه
طواه الردى طي الرداء وعطلت
خليلي قوما فاندبا من بقره
ويا لهفتي منه على ذي مودة
نسيبي بالود الصحيح وأقربي
ومن كنت لا أفضي له بخليقة
مذاق كما يحلو الشهاد لذائق
ولما بلوت الأصدقاء وودهم
فأغلقت قلبي منه ملء جوانحي
شقنا له في الثرب بيتا كأنما
وهلنا عليه من جوانب قبره
- وصد المقاصي غير صد المعائب^(١)
مغاني الحجا منه وغر المناقب^(٢)
لهوت زمانا عن سماع النوادب^(٣)
بري الأديم من قروف المعائب^(٤)
وصاحبي الأذنى إذا أزور صاحبي^(٥)
ولا أشتكي منه اغوجاج المذاهب^(٦)
وصفو كما يصفو الشراب لشارب^(٧)
خلصت إليه من خلال التجارب^(٨)
وأغلقت كفي منه ملء رواجبي^(٩)
شقناه من وجد به في الترائب^(١٠)
ثرى طاب لما مس طيب الضرائب^(١١)

(١) المفردات: المقاصي: المباعد.

المعنى: وفوجىء بمداهمة الموت له من غير إنذار، وامتناع المبعد يختلف عن امتناع المعائب.

(٢) المفردات: المغاني: مفرداها المغنى، وهو المنزل. الحجا: العقل.

المعنى: طواه الموت كما يطوى الثوب، وتوقفت منه حركة عقله في مكانه، وانعدمت حسناته.

(٣) المعنى: أيا صاحبي ابكيا من أمضيت معه أحلى الأيام والأوقات، نسيت بها الأحزان.

(٤) المعنى: وأسفا على صداقته وإخلاصه، وعلى طهارة ذيله من كل عيب.

(٥) المعنى: فقد كان قريبي بوده، وكان الصديق الأثير حين تركني الصحب.

(٦) المفردات: أفضى له: تشكى من سوء تصرفه.

المعنى: وصديقي هذا ما كنت أشكو منه سوء معاملة ولا مخالفة.

(٧) المعنى: كان كالعسل لذائقه، وكالشراب الصافي لناهله.

(٨) المعنى: وقد جربت كل الأصحاب فلم أجد مثيلا لإخلاصه، فخلصت له.

(٩) المفردات: الرواجب: مفاصل أصول الأصابع، واحداها راجبة.

المعنى: فأحبيته حبا تشرب كل أطرافي، وحافظت عليه بكل قواي.

(١٠) المعنى: وحين توفي حفرنا قبره نظويه فيه، فكأننا دفناه في صدورنا.

(١١) المفردات: الضرائب: الخصال.

المعنى: ومهدنا فوقه ترابا فاح منه عطر خصاله.

- أيا ذاهبًا بُقِيتُ للحزنِ بعده ألا إئنِّي حُزنًا عليك كذاهبِ^(١)
تَوَفَّيتَ دوني غيرَ أنَّك هالكا تَوَفَّيتَ آمالي وغلَّتْ مطالبي^(٢)
فأصبحتُ فزْدَ الشَّخصِ لولا تلَهْفُ يزورُ بسارٍ من همومٍ وساربِ^(٣)
ولو أنَّ غيرَ الدهرِ رابكَ بالردى عَجَلنا إليه بالقنا والقواضبِ^(٤)
ودافعَ عنك الضَّيمَ حتى يُزيغهُ رجالٌ رجالٌ من لؤيِّ بنِ غالبِ^(٥)
إذا ما دُعوا طاروا إلى حومةِ الوغى على كلِّ معروقي الجناجنِ شاربِ^(٦)
جريئون ركبَّونَ، إمَّا تَنَمَّروا رِقَابَ المنايا أو ظهورَ المعاطبِ^(٧)
وكم لهم في بابِ كلِّ عزيمةٍ قراعُ أكفٍ أو زحامُ مناكبِ!^(٨)
سقى الله قبرًا كنتَ حَشَوَ ضريحه غزيرَ الحوايا مُستهلَّ الهياذبِ^(٩)
تَقَعَّقُ في جوِّ السَّماءِ رُعوده ويوقدُ فيه البرقُ نارَ الحُباحبِ^(١٠)

(١) المعنى: أيا من ولَّى وتركني للأحزان، فغدوت بهذه الأحزان كالमित.

(٢) المفردات: غلَّتْ: أذهبت.

المعنى: حين هلكت وتركنتي أهلكت آمالي ومآربي.

(٣) المفردات: الساري: المستتر، كالذي يسري ليلاً. السارب: الظاهر.

المعنى: وغدوت وحيداً، إلا من توافد بعض الأحزان والهموم عليّ.

(٤) المعنى: ولو أن غير الموت داهمك لأقدمنا عليه نمنعه منك بكل قوتنا.

(٥) المفردات: الضيم: الظلم. يزيغه: يزيله. لؤي بن غالب: جد جاهلي. رجال الثانية: أقوياء.

المعنى: وقد دافع عن ظلمك رجال أشاوس يتمون إلى لؤي بن غالب، وقصدهم إزالة ما يزعجك.

(٦) المفردات: المعروق: الهزيل. الجناجن: ما يبدو من أطراف الأضلاع عند الهزال،

مفردها جُنْجُن. الشارب: الضامر.

المعنى: يلبي هؤلاء الأشاوس النداء فيسرعون إلى ساحة الحرب وهم على جياد نحيلة ضامرة.

(٧) المفردات: المعاطب: المهالك.

المعنى: وهم فرسان غير هيايين، يركبون متون الموت أو ظهور المهالك.

(٨) المعنى: ولهم في كل ميدان مواقف تثبت جدارتهم وإقدامهم.

(٩) المفردات: الحوايا: مفردها الحويّة، وهي الشيء المحوي، ويقصد به السحاب.

الهيدب: ذيول السحب المتدانية.

المعنى: يدعو لضريحه بالسُّقيا، وبسحب مفعمة بالمطر المتوالي.

(١٠) المفردات: الحباحب: ذباب يلمع ذيله ليلاً.

المعنى: هذه السحب الماطرة ترسل رعداً في السماء، ويوقد برقها الكثير فيبدو =

وإن مزقت عنه الشمالُ بروده على عجلٍ حاكنه أيدي الجنائب^(١)
وماليَ أسسقي الغمامَ لقبره وقد نبتُ عنه بالدموعِ السواكبِ؟^(٢)

- 51 -

وقال في الصديق: [من الطويل]

أيا صاحبي إن لم تكن في شديدي
ولو لم تكن خير الألى عجمتهم
ذخرتك لي في الثائبات، ومن يكن
وما ضرَّ والقربُ المؤلفُ بيننا
أجزني إما بالقواضبِ والقنا
وكن قبيسي إن كان قومٌ دياجري
وقم واكفني إن كنتَ تستطيعُ هذه
كفيلًا بها دوني فلست بصاحبي^(٣)
بناني لم أضمن عليك رواجبي^(٤)
صديقًا صدوقًا فهو ذخِرُ النَّائبِ^(٥)
ودادٌ لنا أن لم تكن من أقاربي؟^(٦)
أو الرأي إن خطب أناخ بجانبي^(٧)
وكن صادقٍ إن كان دهرِي كاذبي^(٨)
حلولي مغلوبًا بوادي العجائبِ^(٩)

- 52 -

وقال في الافتخار ووصف الأسد والحيّة بملح: [من الطويل]

=كالحباب المتطائرة.

- (١) المفردات: الجنائب: مفردها الجنوب، وهي الريح التي تهب من جهة القبلة. المعنى: وإن ذرت ريح الشمال أديم قبره عادت ريح الجنوب تمهده وتُحكم رأبه.
- (٢) المعنى: ولماذا أنشد الأمطار لتسقي قبره، ودموعي الهاطلة تنوب منابها؟
- (٣) المعنى: إن لم تكن يا صديقي مدافعًا عني في مصائبي فلا أعدك صديقًا.
- (٤) المفردات: الرواجب: مفاصل الأصابع. المعنى: ولو لم أعدك خير من تجربتهم لم أتمسك بك.
- (٥) المعنى: وإنني أدخرك لنائبات الزمان، والصديق الصدوق هو الملاذ لكل مصيبة.
- (٦) المعنى: ولماذا لا أعدك من أقاربي بعد كل هذا الوداد؟
- (٧) المعنى: فاحمني يا صديقي إما بالسيوف القاطعة، وإما بالرأي السديد، إن داهمني خطب.
- (٨) المعنى: وكن نبراس حياتي إن أظلمها بعضهم، وأصدقني إن كذبنى الزمان.
- (٩) المعنى: فانهض إلى مساعدتي وخلصني من مفاجآت الأقدار.

عتابٌ لدهرٍ لا يَمَلُّ عتابي وشكوى إلى مَنْ لا يردُّ جوابي^(١)
وأطلبُ ما أعيَا الرِّجالَ طِلابُهُ فيا للحِجَا كم ذا يكون طِلابي!^(٢)
وبي ما أذودُ النَّاسَ عن بابِ علمِهِ وكلُّ أُسَاتِي جاهلون بما بي^(٣)
فلي كَبِدٌ تَصْلَى بغيرِ خَريدةٍ ولي جَسَدٌ يَبْلَى بغيرِ كَعَابٍ^(٤)
إذا لم أَرُغْ عِنْدَ الغواني تغزُّلاً فمثلُ مشيبي بينهنَّ شبابي^(٥)
ولو كنتُ يوماً بالخِضابِ مُوَكَّلاً خَضِبْتُ لِمَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ خِضَابِي^(٦)
فإنَّ تعطيني أُولَى الخِضابِ شِيبَةً فَإِنِّي أَخِيرَاهُ بغيرِ شَبَابٍ^(٧)
وَأَيْنَ مِنَ الإِصباحِ صِبْغَةٌ غَيْبٍ وَأَيْنَ مِنَ البازيِّ لَوْنٌ غُرَابٍ؟^(٨)
وقد قَلَصْتُ خَطْوِي اللَّيالي وشَمَرْتُ بَرَوَحَاتِهَا مِنْ جِئْتِي وذهابي^(٩)
وكم ظَفَرَ الأَقوامُ فِي البِيضِ كالْدُمَى بِفُوفِ المُنَى مِنْهُنَّ لا بَشَابٍ^(١٠)
ولي هَمٌّ لَمَّا طَمَخْنَ إِلَى العُلا طَمَخْنَ كَثِيرَاتٍ وَقَلَّ صِحَابِي^(١١)

- (١) المعنى: أعتب على الدهر قصوره لكنه لا يردّ على عتابي، وأشكو إليه وكأنه أصم.
(٢) المعنى: وإنني بعيد الأهداف، مما ملّ له خيرة الرجال، فيا أيهذا العقل كم أنت طموح!
(٣) المفردات: أذود: أطرد. الأساة: مفردا الآسي، وهو الطبيب.
المعنى: وإن معرفتي تمنع خيرة الناس من ولوج بابها، ولا يعلم الحاذقون ما في خلية نفسي.
(٤) المفردات: الخريدة: العذراء المحجبة. الكعاب: التي برز نهدها وارتفع.
المعنى: الحب هو الذي يولد الحرارة في الجسم، ولكن كبدي حرّى من غير عذراء، وجسدي يذوب من دون حسناء.
(٥) المفردات: أراغ: أراد وطلب على وجه المكر.
المعنى: إذا لم أطلب الغزل عند الحسان، تساوى مشيبي وشبابي.
(٦) المعنى: وإذا تسلمتُ أمر خضاب الشعر خضبت شعري لمن لم يقنع بلونه.
(٧) المعنى: فإنه منحني الخضاب شاباً في بادئ الأمر، غدوت في نهاية المطاف بغير شباب.
(٨) المعنى: والحق أن الخضاب لا يجدي نفعاً؛ ففرق شاسع بين الصباح والظلمة، وبين البازي والغراب.
(٩) المعنى: وها هي ذي الأيام وتتابعها قد أضعفت من خطواتي، وأنقصت من حركتي.
(١٠) المفردات: الفوف: قشر الحب.
المعنى: ولم يحظ الناس من الجميلات الحسان إلا بالنزر القليل.
(١١) المعنى: وعندما حُتَّت نفسي لبلوغ المجد وتحقق لها ذلك، حسدني أصحابي، وانفضوا من حولي.

فَمِنْ عَذْبِ أَزْوَادِ النَّزَاهَةِ مَطْعَمِي
فَأَيُّ بِلَادٍ مَا خَرَقْتُ فِجَاجَهَا
وَأَيُّ صَدِيقٍ لَمْ تُصِبه مَثُوبَتِي
أُرِيدُ الْغَنَى مِنْ غَيْرِ مَا جَانِبَ الْغَنَى
وَفِي رَاحَتِي أَسْعَى وَمِنْ دُونِ رَاحَتِي
وَرَبُّ أَنَاسٍ جَارِعِي مُرٌّ بُغْضَتِي
بَطِيشِينَ عَنِّي نَاكْصِينَ عَنِ الَّتِي
وَلَمَّا جَرَوْا يَرْجُونَ سَبْقِي إِلَى الْعُلَا
يَرِيدُونَ أَنْ أَشْقَى بَرَجَعَ خَطَابِهِمْ
وَوَدُّوا - وَأَنْتَى مَا يَوَدُّونَ - أَنَّهُمْ
وَمُذْ أَخْطَأُوا بَابَ الصَّوَابِ وَنَكَبُوا
وَمِنْ مَاءِ أَحْوَاضِ الْعَفَافِ شَرَابِي^(١)
وَفِي أَيِّ أَرْضٍ لَمْ تَذُرْ سَحَابِي؟^(٢)
وَأَيُّ عَدُوٍّ لَمْ يَنْلُهُ عِقَابِي؟^(٣)
فَسَهْمِي لَا يُصْمِي وَسِيفِي نَابٍ^(٤)
رَكُوبُ شِمَاسَاتِ الْمَتُونِ صِعَابٍ^(٥)
وَأَضْلَعُهُمْ مَلَأَى بِخَبِّ ضِبَابٍ^(٦)
رَقَيْتُ إِلَيْهَا مِنْ قِلَالٍ هَضَابٍ^(٧)
مَضَيْتُ وَلَمَّا يَلْحَقُوا بَتْرَابِي^(٨)
وَمَنْ فِيهِمْ يَسْطِيعُ رَجَعَ خَطَابِي؟^(٩)
أَصَابُوا مَعَابَا لِي وَأَيْنَ مَعَابِي؟^(١٠)
عَنِ الرُّشْدِ بَاتُوا حَاسِدِينَ صَوَابِي^(١١)

- (١) المعنى: وما كان زادي إلا النزاهة، ولا كان شرابي إلا العفاف.
(٢) المفردات: الفجاج: بالكسر جمع الفج، وهو الطريق الواسع بين جبلين. والفجاج بضمها مفرد.
المعنى: وقد طفت البلاد وعبرت الوديان، وكان الخير يواكبني في كل أرض.
(٣) المعنى: ومع ذلك فكنت أمتنع المحبين خيري، وأنيل الأعداء عقابي.
(٤) المعنى: أطمع بالثراء وليس بالمال ولكنه بالعلاء، لكن سهمي لا يصيب مقتلاً، وسيفي مثلم.
(٥) المفردات: الشماسات: مفردها الشماس وهو الجماع.
المعنى: وفي أوقات راحتي كنت أسعى، وبعد راحتي أمتطي الجياد الجموحة الصعبة القيادة.
(٦) المفردات: الخب: الخداع، والضباب مثلها: مفردها الضب.
المعنى: وحولي أناس كثير ينضحون ببغضي، وصدوركم مشحونة بالأحقاد.
(٧) المعنى: أراهم مقصّرين عني محجمين عن معونتي في طلب العلاء.
(٨) المعنى: ولقد رغبت في سبقي إلى المجد، ولكنهم ما بلغوا شأوي، ولا وصلوا إلى غبار جوادي.
(٩) المعنى: وكلهم أمل بخذلاني، ومن منهم ينال هذا الجواب عني؟
(١٠) المعنى: وتمنوا، وهيهات ما تمثوا، لو ينالون مني، ولن يجدوا لي عيباً.
(١١) المعنى: وهم لم يفكروا في حسدي عن سليم أعمالي إلا حين أخطؤوا في تفكيرهم وانحازوا عن طريق الصواب.

وقد صَفِرَتْ مِنْ كُلِّ مَجْدٍ أَكْفُهُمْ ولم تَخُلْ مِنْ مَجْدٍ حَوْتُهُ وَطَابِي^(١)
ولَمَّا تَنَاهَبْنَا النَّدى جَثُّ رَاكِبًا سَنَامَ النَّدى فِي كُلِّ يَوْمٍ نِهَابٍ^(٢)
وقد عَلِمُوا أَنِّي عَلَى غَيْرِ رِيبةٍ ثَلَطْتُ سُجُوفِي ثُمَّ يُغْلَقُ بَابِي^(٣)
وَإِنِّي وَأَدْنَاؤُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ مَرَزْتُ فَلَمْ تَعْلُقْ بِهِنَّ ثِيَابِي^(٤)
وما كَانَ جَارِي وَالْقَرَى يَسْتَفْزُهُ مَرُوعًا وَقَدْ وَافَى بِنَجِحِ كِلَابِي^(٥)
ولا طَارِقِي يَرْجُو ثَوَابِي عَائِدًا بَعْسَرٍ وَلَا يُسِرُّ بِغَيْرِ ثَوَابٍ^(٦)
فَقُلْ لِلْعَدَى: كُونُوا جَمِيعًا بِنَجْوَةٍ إِذَا مَاجَ تَيَّارِي وَجُنَّ عُبابِي^(٧)
ولا تَأْمَنُوا وَالشَّرُّ يَنْتُجُّ بِالْأَدَى وَقَدْ سَخَّ وَذَقِي أَنْ تَسِيلَ شِعَابِي^(٨)
ووثبةً مَفْتُولِ الذَّرَاعِ قُصَاقِصٍ يَسَاعِدُ ظُفْرًا فِي الصَّرِيعِ بِنَابٍ^(٩)
هَجُومٍ عَلَى الْأَقْرَانِ لَمْ يَثْنِ كَيْدُهُ كَمِيَّ بِإِقْدَامٍ وَلَا بِهَبَابٍ^(١٠)
تَبُوعٍ لِحُقُوقٍ فِي يَدَيْهِ طِلَابُهُ وَمَا كُلُّ بَاغٍ فَائِزًا بِطِلَابٍ^(١١)

- (١) المفردات: صفرت: خلت. الوطاب: مفردها الوطب، وهي سقاء اللبن.
المعنى: واستحال عليهم الوصول إلى سلم المجد، في حين أنني في كل سعي لي تقدم وعلو.
(٢) المعنى: وحين تسابقنا في مسيرة الكرم أقدمت راكبًا أعلى مرتبة في السخاء يوميًا.
(٣) المفردات: تلتط: تسدل. السجوف: الستائر، مفردها السجف.
المعنى: وإنني أعتزل الناس وأغلق على نفسي من غير ريبة مني كما يعلمون.
(٤) المعنى: في هذا الزمان المكروهات كثيرة، وقد عشت حياتي طاهر الذيل من كل مكروه وذنس.
(٥) المعنى: كان جاري يستثيره الكرم، ولم يخف من هرّ كلابي، بل تبعها رغبة في العطاء.
(٦) المعنى: ولا يعود من يطرق بابي إلا بخير، على أي حال قرع بابي.
(٧) المعنى: اطلب من خصومي أن يرتقوا تلة خوفًا من أن يصيبهم تيارى المائج وعبابي الهائج.
(٨) المفردات: الودق: المطر.
المعنى: إن أردتم لي الشر جاءكم مني شر أكبر، وإن وصلكم الرذاذ فلا غرابة أن يداهمكم السيل.
(٩) المفردات: القصاقص: الشجاع.
المعنى: ويتقل إلى وصف الأسى فيرى أنه ذو ذراعين مفتولتين، يشب بأظفاره وأنيابه.
(١٠) المفردات: الهباب: النشاط والسرعة.
المعنى: وهو يهاجم أنداده لا من أقل منه، لم يثنه عن عزمه فارس مدجج بالسلاح ولا جريء.
(١١) المعنى: وهو يمتاز بأنه يلاحق خصمه ويتابعه، وليس كل واحد يتسنى له هذا.

ثَوَى الغَابَ مَرهُوبَ المَكَانِ وَمَا الرَّدَى
تَرَى حَوْلَهُ أَسْلَابَ قَوْمٍ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ لَحْظُهُ إِلَّا كَنَجْمِي دُجْنَةٍ
لَهُ زَفْرَةٌ مِنْ فَوْقِ جَنْبٍ صَرِيْعِهِ
حَكَتْ زَفْرَةُ الْمَغْلُوبِ حُزْنَاً وَخَبِيَّةً
وَنَهْشَةً مَسْمُومَ اللَّثَاثِ لِعَابُهُ
تَرَاهُ لَصُوقًا بِالتَّرَابِ كَأَنَّهُ
لَهُ مَلَمَسٌ لَيْنٌ، وَحَشْوٌ أَدِيمِهِ
يَسُدُّ عَلَى السَّارِي الطَّرِيقَ مَجْرُهُ
كَأَنَّ عَلَيْهِ جُبَّةً وَهُوَ صَائِفٌ
يَلَاقِيهِ إِلَّا فِي خَبِيَّةٍ غَابٍ^(١)
لِيَحْفِلَ فِي مَنْ بَزَهُ بِسِلَابٍ^(٢)
وَلَا بَطْشُهُ إِلَّا كَمَثَلِ حِرَابٍ^(٣)
كَمَا صُكَّ صُلْبٌ يَابِسٌ بِصِلَابٍ^(٤)
وَمَا هِيَ إِلَّا زَفْرَةٌ لَغْلَابٍ^(٥)
خَرُوقٌ إِلَى الْأَرْدَاءِ كُلِّ حِجَابٍ^(٦)
قَطِيعٌ طَرِيحٌ أَوْ سَقِيطٌ حِقَابٍ^(٧)
خَشُونَةٌ فَرَاءٍ لِكُلِّ إِهَابٍ^(٨)
وَأَثَارُهُ يَحْمِينُ كُلَّ نِقَابٍ^(٩)
وَفِي الْقُرِّ عُرْيَانٌ بَغِيرِ ثِيَابٍ^(١٠)

(١) المعنى: خافه كل من لقيه يطوف في الغابة، حتى الموت كان يلقاه مختبئاً في أحد أرجائها.

(٢) المفردات: بزه: غلبه.

المعنى: وترى الأسد وأشلاء الناس متناثرة حوله، وهو لا يهتم في من فاقه بالأسلاب.

(٣) المعنى: أما عيناه فهما تبرقان كنجمين في ليلة حالكة السواد، وأما بطشه بكفه فمثل مجموعة حراب.

(٤) المعنى: وزئيره فوق صريعه فمرعب، أشبه شيء بوقوع حديد صلب بأشياء صلبة.

(٥) المعنى: وزئيره هذا شبيه بزفرات الحزين الخائب، ولكنها هنا زفرة مغلوب.

(٦) المفردات: اللثاث: مفردها اللثة، وهي ما حول الأسنان من اللحم.

المعنى: وينتقل الى وصف الحية التي تنهش والتي تنفث السم من فيها فتخرق الثياب وتتخطى كل حجاب.

(٧) المفردات: القطيع: السوط المنقطع طرفه. الحقاب: حزام المرأة تشده على وسطها.

المعنى: وترى الحية الخبيثة ملتصقة بالأرض كأنها غنمة طريحة، أو حزام واقع على الأرض.

(٨) المفردات: الإهاب: الجلد.

المعنى: وجلدها ناعم لين، ولكن الجلد خشن أشبه بما يحشو الفراء الجلد.

(٩) المفردات: مجرؤه: موضع زحفه. النقاب: الطريق في الغلط.

المعنى: وهي حين تزحف تسد على المسافرين ليلاً طريقه، وآثارها تمنع الناس من المرور.

(١٠) المعنى: لا تراها تخاف الحر والقر، فتراها صيفاً وكأنها مرتدية جبة (ربما من ألوانها)،

وتراها في الشتاء عارية من ثيابها.

يُمَجُّ سِمَامًا فِي اللَّدِيغِ كَأَنَّهُ	لُغَامٌ نِيَاقٍ أَوْ نَضِيحُ حِجَابٍ ^(١)
وَمَا مَشِيَهُ إِلَّا تَغَضُّنُ نِسْعَةٍ	تَلَوَّى عَلَى كَوْمَاءَ ذَاتِ هِبَابٍ ^(٢)
حُبَابٌ بِأَعْلَى الْوَادِيَيْنِ طَرِيقُهُ	وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا فِي طَرِيقِ حُبَابٍ ^(٣)
يَصُمُّ عَنِ الرَّاقِي وَيَحْذَرُ ظَامًا	لِدَانٍ إِلَى مَطَوَاهُ كُلِّ وَثَابٍ؟ ^(٤)
فَشَاكٍ تَشْكَاهُ بَغِيرِ تَعِلَّةٍ	وَمَاضٍ تَوَخَّاهُ بَغِيرِ إِيَابٍ ^(٥)
سَلِّ الْبَارِقَ الْعُلُويَّ لَيْلَةَ شِمْتِهِ	وَأَعَشَى الْكَرَى رُكْبِي مَعًا وَرُكَابِي ^(٦)
أَلَسْتُ وَقَدْ خَامَ الْكَمَاءُ عَنِ الرَّدَى	لِبَسْتُ طَعَانِي نَحْوَهُ وَضِرَابِي؟ ^(٧)
عَشِيَّةَ هَابَ الدَّارِعُونَ تَوَرَّدِي	هَنَّاكَ وَهَمَّ الطَّاعِنُونَ جَنَابِي ^(٨)
إِلَى أَنْ رَأَوْا سَيْفِي وَرَمَحِي فِي الطَّلَى	بَغِيرِ أَنْابِيٍّ وَغَيْرِ ذُبَابٍ ^(٩)

(١) المفردات: اللغام: الزبد الذي يخرج من أفواه الإبل. الحباب: مفردها الحُب، وهو الجرّة الكبيرة.

المعنى: وتراها تنفث سمها في الذي تلدغه، وكأن هذا السم زبد النوق أو نضح الجرار المملوءة.

(٢) المفردات: التغضن: التثني. النسعة: سير أو قطعة من الجلد تشدُّ بها الرحال. الكوماء: الناقة العظيمة. الهباب: النشاط في السير.

المعنى: وترى زحف الحية كالجلدة المتلوية على الناقة النشطة.

(٣) المفردات: الحباب: الحية.

المعنى: وهذه الحية تسير بأعلى الواديين، والموت المحتوم في طريقها.

(٤) المفردات: الراقي: صانع الرقية. المطوي: انثناء الحية. الوثاب: الانقباض.

المعنى: ولا تعباً بما يفعل الراقي، وتنسال متعطشة وهي تتلوى وتنقبض.

(٥) المفردات: التعلّة: ما يُتعلل به.

المعنى: يشكو الشاكي فعل الحية من غير ما يتعلل به، وماش لا يرجو لها عودة.

(٦) المفردات: شام البرق: نظره أين يمطر.

المعنى: أسأل البرق العالي في السماء ليلة نظرتّه أين يمطر...

(٧) المفردات: خام: نكص وجبن. الكمأة: الشجعان اللابسون الأسلحة.

المعنى: حين جبن المدججون بالسلاح عن الإقدام على الموت أقدمت نحوه مستعداً بكل سلاح.

(٨) المفردات: الدارعون: لابسو الدروع. التورد: طلب الورد.

المعنى: ليلة خاف المسلحون عليّ إقدامي، وحاولوا عوني.

(٩) المفردات: الطلى: الرقاب. ذباب السيف: حده.

وما حيلتي أن كنتُ في سِرِّ أُسْرَتِي ولم يشركوا في صفوتي ولُبَابِي؟^(١)
 ولم أَلِكُ يومًا قَانَعًا في فَضِيلَةٍ بأصلي ولا في مَحْتَدِ بِنَصَابِي^(٢)
 وكنْتُمْ وهَادَا هَابَطًا ثُمَّ أَنْتُمْ تُسَامُونَ في العِلْيَاءِ أَهْلَ رَوَابِ^(٣)
 وهِيَهَاتَ أَنْ تَسْتَصْبِحُوا في دُجْنَةٍ بغيرِ مصَابيحٍ وغيَرِ شِهَابِ^(٤)
 وهل فيكُمْ إِلَّا مَلُومٌ مُفَنَّدٌ ببذلِ أَسَاةٍ أَوْ بِمَنْعِ ثَوَابِ؟^(٥)
 وهل دَرَّ يومًا خَيْرُكُمْ وَهُوَ نَارِخٌ بشيءٍ سِوَى مَسْحِي له وَعِصَابِي^(٦)
 صَحْبَتُكُمْ جَهْلًا بِكُمْ وَمَلَأْتُ مِنْ عَهْدِكُمْ وَهِيَ الضُّعَافُ عِيَابِي^(٧)
 وَإِنْ فُتُّكُمْ فَضْلًا فَكَمْ فَاتَ قَبْلَكُمْ سَبُوقٌ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى لِكَوَابِ^(٨)

- 53 -

قال في الغزل والعفة: [من الخفيف]

بِأَبِي زَائِرًا أَتَانِي لَيْلًا سَارِقًا نَفْسَهُ مِنَ الْبَوَابِ^(٩)

=المعنى: وقد لاحظوا أن سيفي ورمحي قد تكسرا وتثلما في الرقاب.

(١) المعنى: وماذا أفعل وقد كنت أمثلة أهلي، وقد فقتهم في كل الصفات.

(٢) المفردات: المحتد: الأصل. والنصاب مثلها.

المعنى: ومن طبعي أنني لا أقنع بما أنال من فضائل هي في أصلي، ودائمًا أنطلع إلى أكثر منها.

(٣) المعنى: وقد كنتم في مرتبة منخفضة ثم رقيتم إلى مرتبة سامية، وقد كلفتموها قسرًا.

(٤) المعنى: ولا يمكنكم أن تستنبروا في الليل المظلم بغير شهب ولا نباريس.

(٥) المفردات: المفند: المكذب. الأساة: ما يؤاسى به من مالٍ وغيره.

المعنى: وأنتم دائمًا تلامون وتكذبون بأنكم تقصرون في الخير وتمنعون الثواب.

(٦) المفردات: النازح: البعيد. العصاب: شد فخذ الناقة لتدر.

المعنى: وقد كنتم ضنينين ولم تتكروا إلا بعد أن حشتم وأجهدتكم وأغريتكم.

(٧) المفردات: العياب: مفردها العيبة، وهي وعاء جلدي توضع فيه الأمتعة.

المعنى: وقد أخطأت إذا صاحبكم، ولم أنل من وعودكم الواهية شيئًا.

(٨) المفردات: الكوابي: مفردها الكابي، وهو العاثر.

المعنى: وأنا إن تركتكم فضلًا مني، فقد ترك سباقًا قبلكم لعاثر بعيد عنه.

(٩) المعنى: أهوى محبوبًا زارني خلسة من عيون الحارس.

ما ثَنَاهُ عَنِّي تَقْضِي شَبَابِي وَهُوَ فِي وَجْنَتِيهِ مَاءُ الشَّبَابِ^(١)
 بَاتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَخَوْفُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْعَذَابِ^(٢)
 لَمْ أَزِدْهُ شَيْئًا وَبَيْنَ ضُلُوعِي كُلُّ شَوْقٍ عَلَى مَلِيحِ الْعِتَابِ^(٣)
 ثُمَّ وَلَّى كَمَا أَتَى أَرْجَ الْأَخْ بَارٍ فِي النَّاسِ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ^(٤)
 عَالَمًا أَنَّنِي كُنْتُ أَهْوَا هُوَ فَغَيْرُ الْحَرَامِ مِنْهُ طِلَابِي^(٥)
 وَلَقَدْ جَاءَنِي وَمَا كَانَ فِي نَفْ سَيِّئِ إِسْعَافُهُ وَلَا فِي حِسَابِي^(٦)
 غَيْرَ أَنِّي عَفَفْتُ حَتَّى كَأَنِّي لَا أَبَالِيهِ أَوْ بَغَيْرِي مَا بِي^(٧)

- 54 -

وقال متغزلًا: [من السريع]

يَا لَيْلَةً لَمَّا نَأَى بَدْرُهَا عَنْ أَفْقِهِ بَاتَ إِلَى جَنْبِي^(٨)
 ضَجِيعَ جَسْمِي وَغَرَامِي بِهِ ضَجِيعُ أَسْرَارِي فِي قَلْبِي^(٩)
 وَزَارَنِي وَاللَّيْلُ مُسْتَخْلِكُ غَضْبَانٍ مَلَأَنَّ مِنَ الْعَثَبِ^(١٠)
 كَأَنَّ مَا يُجْرِمُهُ مِنْ يَدِي أَوِ الَّذِي يُذْنِبُهُ ذَنْبِي^(١١)
 فَلَمْ أَزَلْ أَجْعَلُ خَدِّي لَهُ تُرْبًا لِرِجْلَيْهِ عَلَى الثَّرْبِ^(١٢)

- (١) المعنى: وهو لم يتعد عني لانقضاء أيام شبابي، وهو في شرخه.
 (٢) المعنى: حال بيني وبينه خشية الله وخوف العذاب في الآخرة.
 (٣) المعنى: لم أستطع بذل شيء له، مع أن صدري مفعم بحبه وبعتابه اللطيف.
 (٤) المعنى: ثم ودعني وانصرف طاهر الذيل لم ينله عيب.
 (٥) المعنى: وهو يعلم أنني لا أطلب الحرام، وإن كنت أحبه.
 (٦) المعنى: قدم إليّ ملوِّعًا ولم يكن في حسابي أنني سأسعه مما هو فيه.
 (٧) المعنى: وتحليت بعفافي، وقابلته بغير مبالاة، أو أنني لا أهواه.
 (٨) المعنى: إن أنس لا أنس تلك الليلة الحالكة الظلمة، وقد بات إلى جواربي.
 (٩) المعنى: كان لصيقًا بي في نومي، كما أن غرامي به يلاصق أسرارِي في قلبي.
 (١٠) المعنى: حين زارني في حلك الظلام، كان غضبًا مفعمًا بالعتاب.
 (١١) المعنى: كان يظن أن ما يحمله من جرم أنا سببه، أو أن خطاه تابع مني.
 (١٢) المعنى: وظللت أداعبه، وأمدُّ خدي تحت رجليه.

حَتَّى اِثْنَى يَضْحَكُ عَنْ لَوْلُو رَطْبِ ثَوَى فِي مَشْرَبِ عَذْبِ^(١)
 وقال لي: حَسْبُكَ مِمَّا أَرَى فَقُلْتُ: أَوْ تَرْضَى، فَمَا حَسْبِي^(٢)

- 55 -

وقال يمدح فخر الملك^(٣): [من الخفيف]

أَعْلَى الْعَهْدِ مَنْزَلٌ بِالْجَنَابِ كَانَ فِيهِ مَتَى أَرَدْتُ طِلَابِي؟^(٤)
 الْمَغَانِي تِلْكَ الْمَغَانِي فَهَلْ فِي هُنَّ مَا قَدْ عَهَدْتُ مِنْ أَطْرَابِي؟^(٥)
 لَيْسَتْ الدَّارُ بَعْدَ أَنْ تُوحِشَ الدَّارُ رُ تَرَى غَيْرَ جَنْدِلٍ وَتُرَابِ^(٦)
 وَإِذَا لَمْ يُعَذِّ نَحِيْبِي عَلَى الرَّبِّ عِ حَبِيْبًا فَلَيْسَ يُغْنِي انْتِحَابِي^(٧)
 حَرُّ قَلْبٍ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ قَدْ بِ الْمُعْنَى حَمَاهُ بَرْدُ الشَّبَابِ^(٨)
 وَالْمَعَاْفَى مَنْ لَمْ يَقْذِهِ إِلَى اللّٰو عَةِ يَوْمًا تَفَرَّقُ الْأَحْبَابِ^(٩)
 وَالْمَطَايَا يَوْمَ السَّقِيْفَةِ مَا رُحْ حِلْنٌ إِلَّا تَعَمُّدًا بَعْدَابِي^(١٠)
 إِنَّ نُغْمًا وَكَانَ قَلْبِي فِيْمَا أَلْفَتْهُ مُوَكَّلًا بِالتَّصَابِي^(١١)

(١) المعنى: حتى انكشفت أحزانه وراح يضحك حتى بدت أسنانه اللؤلئية الرطبة، وكأنها سقيت من ماء عذب.

(٢) المعنى: ثم قال لي: يكفيك ما تفعل. فقلت له: أظل على هذا حتى ترضى، ولا يكفي.

(٣) أنظر حاشية الرقم (٢٨) عن ترجمة هذا الوزير.

(٤) المعنى: أما زال ذلك المنزل يحفظ ودي ولا ينسى عهدي حين أزوره؟

(٥) المفردات: الأطراب، مفردها الطرب. المغاني: المنازل.

المعنى: الديار هي هي ألم يعد فيها ما يسعدني كما كانت قبل؟

(٦) المعنى: بعد أن أقفرت الدار من سكانها وأوحشت لم تعد هي هي، لا يرى فيها الآن سوى حجر وتراب.

(٧) المعنى: إذا لم يرجع بكائي على هذه الديار حبيبي، فلن يجدي بكائي الشديد.

(٨) المفردات: المعنى: المكلف ما يشق عليه.

المعنى: إذا طغت حرارة القلب من نفس العاشق المعذب أنقذته برودة الشباب.

(٩) المعنى: أما الرجل السليم الخالي من الأمراض، فهو الذي لم يحب ولم يلوّعه بعد الأحبة.

(١٠) المعنى: أنا واثق من أن الأحبة لم يرحلوا ذلك اليوم إلا كي يؤذوني ويعذبوني.

(١١) المعنى: فاسم محبوبته «نعم»، وقد اعتادت أن ترى قلب الشاعر تبعاً للهوى والغرام.

- سألتني عن الهوى في ليالٍ ضاعَ فيهنَّ من يديَّ شَبابي^(١)
فمتى ما أجبْتُها بسوى ذك رِ مشيبي فذاك غيرُ جوابي^(٢)
صارَ مني مثلَ الثَّغامة ما كان نَ زمانًا مُخلولِكا كالغُرابِ^(٣)
ليس يَبقى شَيبي على شأنه الأو وَل في كَرِّ هذه الأحقابِ^(٤)
مَنْ عذيري مَنْ المشيبِ وقد صا رَ بُعَيْدَ الشَّبابِ من أثوابي؟^(٥)
وشَفاني في غيرِ ما دافَه الساقِي وراءَ المشيبِ من أوصابي^(٦)
أَيُّها الرَّاكِبُ المَغْدُ على وَجْنا ء مثلِ العَلاةِ كالْحَرْفِ نابِ^(٧)
ليس يدنو منها الكلالُ ولا تَد فَكُ عن عَجْرَفِيَّةٍ وهِبابِ^(٨)
لا تُعَنَّ الرُّكَّابَ تَطْلُبُ ما نَد ناهُ عَفْوًا صَفْوًا بغيرِ رِكابِ^(٩)
أنا في حَوْزةِ الهُمامِ فخارِ ال مُلِكِ كالنَّجمِ في أعزِّ جَنابِ^(١٠)

- (١) المعنى: وفي إحدى الأمسيات سألتني عن هواي، ولكنني افتقدتُ شبابي في ذلك الوقت.
(٢) المعنى: وأنا إن لم أذكر لها لها شيب شعري، تبين لها أن كلامي هذا ليس جوابي الصحيح.
(٣) المفردات: الثغامة: نبت جبلي أبيض، لكن أول نبتة أخضر.
المعنى: غدا شعري أبيض بعد أن كان أسود كالغراب، تمامًا مثل الثغامة التي كانت خضراء ثم ابيضت.
(٤) المعنى: اعلمي يا نعم حتى شعري الأبيض لن يظل كما كان قبل.
(٥) المعنى: أسأل: هل من عاذر لمشيبي هذا حتى تلبسني بعد عهد الشباب كالثوب على الجسد؟
(٦) المفردات: داف: خلط. الأوصاب: مفردا الوصب، وهو المرض.
المعنى: إن قبوله للعدر يشفيني أكثر من الخمرة التي يقدمها الساقى، بل يخفف عني أتعابي بعد مشيبي.
(٧) المفردات: المغذ في سيره: المسرع. الوجناء: الناقة القوية. العلاة: الجبل. الحرف: الطرف. النابي: المرتفع النائي.
المعنى: يزداد تلهف الشاعر فينادي المسافر المسرع على ناقة قوية ضخمة كأنها صخرة ناتئة. ويعني نفسه.
(٨) المفردات: العجرفية: الحمقاء؛ من العجرفة. الهباب: السير السريع.
المعنى: لا تعرف هذه الناقة التعب، وهي لا تتوقف عن سرعتها وحمقها في السير.
(٩) المعنى: لا تطالب السفر بأن يعانون من هز الركاب، لأنها تليي طلبنا طواعية.
(١٠) المعنى: هأنذا في رباع الوزير الشجاع فخر الملك معزًا في مقامه الرفيع كالنجم.

بَالِغًا مَا أَرَدْتُهُ مِنْ زِيَادَا تِ عَلَيْهِ مَا كُنَّ لِي فِي حِسَابِ^(١)
شَغَلَ اللَّحْظَ بِي وَلَمْ يُصْغِ إِلَّا لِنِدَائِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَخِطَابِي^(٢)
قَدْ سَمِعْنَاهُ قَائِلًا فَسَمِعْنَا نَطْقَهُ وَارِدًا بِفَصْلِ الْخُطَابِ^(٣)
وَرَأَيْنَا نَوَالَهُ فَرَأَيْنَا سَبَلًا لَيْسَ مِثْلُهُ لِلْسَّحَابِ^(٤)
وَبَلُونَاهُ فِي الْوَعْيِ فَأَصْبْنَا هُ ضَرُوبَ الْيَدَيْنِ يَوْمَ الضَّرَابِ^(٥)
فِي مَقَامِ ضَنْكِ تَجَوُّلٍ بِهِ الْخِي لُ عَلَى أَزْوَاسٍ هَوَتْ وَرِقَابِ^(٦)
وَلَأَنْتَ الَّذِي أَعَاجِبُهُ فِي الذِّ دَهْرٍ كَلَّتْ عَنْهَا قُوَى الْأَلْبَابِ^(٧)
طَلَبُوا شَاوَهُ وَأَيْنَ مِنَ الْأَوْشَا لِ سَيْلٍ يَجِيءُ مِلءَ الشُّعَابِ؟^(٨)
وَتَمَنُّوا مَكَانَهُ لَا بِأَسْبَا بٍ وَأَتَى دَرٌّ بِغَيْرِ عِصَابِ؟^(٩)
وَإِذَا عَنَّتِ الضَّرَائِبُ لِلْأَسْيَا فِ بَانَتْ قَوَاطِعُ مِنْ نَوَابِ^(١٠)

- (١) المعنى: إن قصره بالنسبة إلي بحر أيام عطشي، وغابة أسود إن شككت بعدو حولي.
(٢) المعنى: حين أكون في دياره أنال أكثر مما أبتغي ومما ليس في حسابي.
(٣) المعنى: إنه لم ينظر لأحد غيري، ولم يعبا بطلب إلا طلبي.
(٤) المفردات: السَّيْلُ: المطر قبل أن يبلغ الأرض.
المعنى: وأعطى فرأينا عطاءه غزيرًا ليس كمطر السحب.
(٥) المعنى: وخبرناه في ساحة الحرب، فإذا به يحارب بقوة بالذراعين معًا.
(٦) المعنى: وهو بهذه الجرأة يحارب في المواقع العسيرة، وجواده ينقله من فوق الرقاب التي رماها.
(٧) المعنى: الحق أن أعاجيبك في هذا الزمان يعجز عنها أبرز العقول.
(٨) المفردات: الشَّأْوُ: الغاية. الأَوْشَالُ: مفردا الوشل، وهو الماء القليل يتحلب من صخر أو جبل. أو هو الماء الكثير (ضد).
المعنى: أرادوا أن يبلغوا غايته ويقلدوه، لن يستطيعوا؛ شتان بين السيل الجارف ورشح الماء.
(٩) المفردات: الدَّرُّ: اللبن. العِصَابُ: شد فخذي الناقة لتدر.
المعنى: إنهم يطمحون إلى احتلال مكانه من غير أن تكون لهم صفاته، وهل تدر الناقة إذا لم تُشد فخذهما؟
(١٠) المفردات: عنت: عرضت. الضرائب: ما يُضرب بالسيف. النوابي: مفردا النابي، أي غير القاطع.
المعنى: ويشبهه بالسيف القاطع، والآخرين بالسيوف المثلومة غير القاطعة.

- ما أبالي إذا رضيتَ عن الطَّا عةٍ مِنِّي بالمُحَفِّظِينَ الغِضَابِ^(١)
وإذا ما رأيتُ مِنِّي صوابًا فحقيرُ عَمَاهُمُ عن صَوَابِي^(٢)
ولئن أظلموا بعيني فما أخ فُلْ ظَلَمَاءَهُمْ وَأَنْتَ شِهَابِي^(٣)
وإذا كنتَ لي شرابًا فما تُخ دَعُ لي مُقْلَةً بِلَمْعِ سَرَابِ^(٤)
لا أَبَانَ الزَّمَانُ فِيكَ انْثِلَامًا لا ولا هَمَّ ما تَرى بانقلابِ^(٥)
وأَتَاكَ النُّيُورُ بالسَّعْدِ واليُمِّ نِ ونيلِ الأوطار والآرابِ^(٦)
وإذا ما مضى يعودُ ولا أخ لَكَ من جَنِيَّةٍ له وذهابِ^(٧)
في زمانٍ يُنسى زمانَ التَّصَابِي ونعيمٍ يُسلي نعيمَ الشُّبَابِ^(٨)

- 56 -

وقال يمدح فخر الملك: [من الطويل]

- أدِرْ أَيُّهَا السَّاقِي الكُؤُوسَ على صَحْبِي وَدَعْنِي ظَمَانًا فِي غيرِهَا نَخْبِي^(٩)
وإن كنتَ تَبْغِي بالمُدَامَةِ نَشْوَةً فعندي ما يُوفِي على نَشْوَةِ الضَّرْبِ^(١٠)

- (١) المفردات: المحفظين: المغضبين؛ من الحفيظة التي هي الغضب.
المعنى: إن كل ما يعني أن تكون أنت الراضي عني لا الآخرين.
(٢) المعنى: ويسعدني أن ترى في صوابًا، لأن أولئك أعماهم الله عن صوابي.
(٣) المعنى: وإن سودوا حياتي، فلم أعد أهتم ما دمت أنت نوري الساطع.
(٤) المعنى: ويلعب بالمعنى عن طريق الطباق بين شراب وسراب وهو أيضًا جناس ناقص.
فإن لقائي بك كان سعادة، كان شرابًا، وليس آلا يغش الناظرين بمائه ولا ماء فيه.
(٥) المعنى: بلغت الكمال في زمانك؛ فلا عيب ولا تبدل.
(٦) المفردات: النيروز والنوروز: عيد الفرس في مطلع سنتهم وهو أول الربيع ويبدأ في ٢١ آذار - مارس. الأوطار: مفردا الوطر، وهو الغاية والحاجة.
المعنى: وما هو ذا النوروز أقبل ببهائه وسعده وكل ما تتمناه.
(٧) المعنى: ولا تأسف على ذهابه، فسيعود في العام القابل، وأدامك وأدام عمرك لتراه دومًا.
(٨) المعنى: سيعود بأيامه السعيدة التي تُنسى زمان الهوى ونيعم الشباب، لأن أيامه أجمل.
(٩) المفردات: نخبي: شربي.
المعنى: اسق غيري أيها الساقى، فشرابي ليس خمرة.
(١٠) المفردات: الضرب: العسل.
المعنى: وإن كان هدفك إسعادي ونشوتي، فعندي ما يزيد على مذاق العسل.

أَبَيْتُ الْهُوَى دَهْرًا، وَلَمَّا عَرَفْتُهُ عَرَفْتُ مُطَاعَ الْأَمْرِ مُغْتَفَرِ الذَّنْبِ^(١)
وَهَيِّمَ إِطْرَابَ الْفُؤَادِ أَوَانِسُ خَلَصْنَ إِلَى ذَاكَ الْمَمْنَعِ مِنْ حُبِّي^(٢)
عَلَوْنَ النَّقَا يَوْمًا بِأَوْفَى مِنَ النَّقَا وَلُثْنَ عَلَى أَبْهَى مِنَ الْعَضْبِ بِالْعَضْبِ^(٣)
وَنَادَمْنَا وَهْنَا بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَضَوَّأَنَّ لِلْسَّارِينَ دَاجِنَةَ السَّهْبِ^(٤)
وَعَانَقْنَ قُضْبَانًا مِنَ الرُّنْدِ مَرَّةً بِأَيْدٍ سِبَاطٍ هَنَّ أُنْدَى مِنَ الْقَضْبِ^(٥)
وَنَاعِمَةَ الْأَطْرَافِ حَلًّا وَدَادُهَا مَكَانَ شَغَافِ الْقَلْبِ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ^(٦)
فِيَا طَيْفَهَا، أَلَا طَرَقْتَ رِحَالَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْأَذْقَانِ فِي جَانِبِ الشُّغْبِ؟^(٧)
نَشَاوَى كَأَنَّا سَاوَرْتَنَا زُجَاجَةٌ مُضْرَجَةٌ النَّاجُودِ دَامِيَةُ السَّكْبِ^(٨)
بَنَا مِنْ هَوَى لُقْيَاكِ كَرْبٌ نُحْبُهُ فَلَوْ زُرْتَنَا نَفْسَتِ مِنْ ذَلِكَ الْكَرْبِ^(٩)

(١) المعنى: كنت أرفض الحب زمانًا، ولما وقعت في الهوى بدأت أطيعه في كل شيء وأغفر ذنوبه.

(٢) المعنى: واستطاعت تلکم الحسنات أن تطرب قلبي، وأن تغزوه على منعه.

(٣) المفردات: النقا: كتيب الرمل. العصب (الأولى): ضرب من البرود. و(الثانية): مصدر الفعل اعتصب. لاث العمامة: لفها وعصبها.

المعنى: إنهن عظيمات الأرداف مثل كتيب الرمل الذي يصعدنه، ولففن على برودهن ما هو أحلى من البرود.

(٤) المفردات: الوهن: وقت منتصف الليل. منعرج اللوى: منعطف كتيب الرمل. الداجية: المظلمة. السَّهْب: الفلاة.

المعنى: وحين جالسنا مسامرات ليلاً أثار جمالهن ظلام الفلاة.

(٥) المفردات: الرند: شجر طيب الرائحة. القضب: القضبان وهي الأغصان. السباط: الكريمة. المعنى: وكانت رائحتهن زكية، فحين عانقت أيديهن قضبان الرند بدا أن أيديهن أرطب من أفنان الرند.

(٦) المفردات: شغاف القلب: غشاؤه الباطني. حبة القلب: سويداؤه.

المعنى: ومن بينهن حسناء بضة الأنامل، استوطن حبها سويداء قلبي.

(٧) المفردات: في الديوان: الشَّغْب. الشعب الطريق في الجبل.

المعنى: فيا أيها الطيف العزيز، ألا تزورنا حيث نحن على جانب الطريق مرتمين على الأرض؟

(٨) المفردات: الناجود: الإناء الذي يوضع فيه الشراب أو الخمرة.

المعنى: ونحن سكارى صاحبة الطيف، وكأننا شربنا من زجاجة خمرة حمراء.

(٩) المعنى: لقد اعترانا من هوى زيارتك حزن محبوب، فإن عُدتنا أزعجت عنا هذه الأحزان.

- وما ضرَّ مَنْ يَأْبَى زيارَةَ مُقْلتي
وَمَنْ ضَنَّ فِي لِقْيَايَ بِالصُّدُقِ مُسْرِفًا
دعاني قبولَ خَلْفَتِهِ إِلَى الصُّبَا
خُلِقْتُ كَمَا شَاءَ الصُّدِيقُ مُحْكَمًا
وَذَمَّ رِجَالٌ أَنِّي غَيْرُ مُعْجَبٍ
وَلَوْ أَنَّنِي أَزْهَى بِشَيْءٍ مُنْخَتَهُ
حَيَاتِي مِنْهُ بِالْمَحَلِّ الَّذِي بِهِ
وَأَزْكَبْنِي أَثْبَاجَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
فَفِي خُلُقِهِ ذَاكَ الْمُفْسَحِ مَرْتَعِي
وَكَمْ جَهْدَ الْأَعْدَاءِ فِيمَا يَسُوؤُنِي
رَضِينَا عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَكْتَنَا
- مجاهرةً لو زارَ مُسْتَخْفِيًا قَلْبِي؟^(١)
عَلَى مُرْتَجِيهِ كَيْفَ يَبْخُلُ بِالْكَذْبِ؟^(٢)
وَمَا كُلُّ مَنْ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ يُضْئِي^(٣)
عَلَيَّ خَلِيلِي نَازِلًا فِي هَوَى صَخْبِي^(٤)
فِيَا عَجَبًا مَاذَا يَفِيدُهُمْ عُجْبِي؟^(٥)
زَهَيْتُ بِفَخْرِ الْمَلِكِ فِي الْعُجْمِ وَالْغَرْبِ^(٦)
يُحَسِّدُنِي قَوْمِي وَيَغْبِطُنِي شَعْبِي^(٧)
مُمْنَعَةً الْأَرْجَاءِ مُحْمِيَّةَ الْغَرْبِ^(٨)
وَمِنْ لَفْظِهِ ذَاكَ الْمَشْرِفُ لِي عُشْبِي^(٩)
فَمَا خَوْفُوا أَمْنِي وَلَا دَعْدَعُوا سِرْبِي^(١٠)
بَلَا سَخَطٍ فِي ذَا الزَّمَانِ وَلَا عَثَبٍ^(١١)

- (١) المعنى: وماذا يمنع من يضمن علي بزيارة أراه فيها من يزور بطيفه فيسعد به قلبي؟
(٢) المعنى: ومن يرفض تكرار زيارته صادقًا، فلماذا يبخل بالزيارة كاذبًا.
(٣) المعنى: وأرسلت رسلها مع الصبا أنها قادمة، وليس كل من اكتمل جمالاً يوقع في الغرام.
(٤) المعنى: ومن طبعني أنني خلقت كما يريد الصديق، أنصاع لحكمه وأنزل على هواه.
(٥) المعنى: أنتقدني بعض الأصحاب أنني لا أزهر بنفسي، وإنني لأعجب من رأيهم هذا! فماذا ينفعهم تكبري؟
(٦) المعنى: أنا لا أميل إلى الزهو، ولكن إن أردته حقًا، فلأنني أفخر بفخر الملك سيد العرب والعجم.
(٧) المعنى: وإذا قدّرت حياتي رأيتها حيث بلغت جانبه الذي يحسدني عليه الناس، ويهتني عليها أهلي.
(٨) المفردات: الأثباج: مفردها الشج، وهو من كل شيء أعلاه ووسطه. الغرب: الحدة والجموح.
(٩) المعنى: وقد أحلّني فخر الملك أعلى مكانة، عزيزة الجوانب محمية الجموح.
(١٠) المعنى: ففي أخلاقه السمحة ملاذي، ومن اسمه الشريف غذائي.
(١١) المفردات: دعدعوا: فرّقوا. السرب: القطيع.
المعنى: وقد حاول خصومي أن يسيثوا إليّ، لكنهم لم يحركوا مني خوفًا ولم يحلّوا جأشًا.
(١١) المعنى: وحمایتك لنا حبيت لنا الدنيا، لأنها أحاطت بنا من غير غضب ولا عتاب.

وَجَذَتْ وَلَمْ تُسْأَلْ بِكُلِّ نَفْسَةٍ
شَرَبْنَا أَجَاجًا مِنْهُمْ وَتَنَازَحُوا
وَمَا نِلْتَهُ إِلَّا بِحَقِّ أَتَيْتَهُ
حَلَفْتُ بِمَنْ ضَحَّيْتُ مِنْهُ يَوْمَ نَحَرِهِمْ
وَبِالنَّفَرِ الثَّانِينَ عُقِلَ رِكَابِهِمْ
لَقَدْ نَالَ فَخْرُ الْمَلِكِ مَا شَاءَ مِنْ غَلَا
فَتَى لَمْ يَزَلْ يَغْدُو بِعِزِّهِ مُنْعَعٍ
وَلَمْ يَرْضَ سَهْلَ الْأَمْرِ يَرْطُبُ مَسَّهُ
وَرَامَ مَدَاهُ الْمُتَرْفُونَ وَإِنَّمَا
فَلَلِهِ أَيَّامٌ مَضَيْنَ قَطَعَتْهَا
وَلَا ظِلٌّ إِلَّا مَا تُفِيءُ لَكَ الْقَنَا

وَقَبْلَكَ قَوْمٌ لَا يَدْرُونَ بِالْعَضْبِ^(١)
عَنِ الْمَوْرِدِ الْمَوْرُودِ وَالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ^(٢)
وَكَمْ نِيلَتِ الْعُظْمَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْغَضْبِ^(٣)
وَمَا عَقَرُوا مِنْ أُمَّ سَقَبٍ وَمِنْ سَقَبٍ^(٤)
عَلَى عَرَفَاتٍ يَبْتَغُونَ رِضَا الرَّبِّ^(٥)
حَلَلْنَ عَلَى أَعْلَى مَحَلٍّ مِنَ السُّخْبِ^(٦)
وَمَالٍ مُذَالٍ لَا يُفِيْقُ مِنَ النَّهْبِ^(٧)
وَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا عَلَى مَرْكَبٍ صَغْبٍ^(٨)
يَرُومُونَ مَا رَامَ الْوَهَادُ مِنَ الْهَضْبِ^(٩)
بَلَا سَامٍ مِنْهَا عَلَى ضُمْرِ قُبٍّ^(١٠)
وَلَا زَادَ إِلَّا نُجْعَةُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ^(١١)

(١) المفردات: العصب: شد فخذي الناقة لتدر.

المعنى: وكان عطاؤك لنا كثيرًا وغاليًا، ولم يقدم لنا غيرك إلا القليل وبصعوبة.

(٢) المعنى: وكان عطاؤهم ملحًا أجاجًا، ولم يفكروا بالمناهل العذبة.

(٣) المعنى: ومكانتك التي رقيتها جاءتك عن جدارة وكفاءة، والمعلوم أن العلا لا يأتي إلا قسرًا.

(٤) المفردات: أم سقب: الناقة. السغب: ولد الناقة.

المعنى: أقسمت بالذين ذبحت مني عنهم في يوم النحر، وهم لم يعقروا شيئًا.

(٥) المعنى: وأقسمت بالذين عقلوا دوابهم على عرفات، وهدفهم رضا الله وثوابه.

(٦) المعنى: قسمني هذا بأن فخر الملك حظي من درجات المجد، فكانت مراقبها أعلى من سحب السماء.

(٧) المفردات: المذال: المباح.

المعنى: أمير يتمتع بشرف منيع، ومال يوزعه كالنهب.

(٨) المعنى: وهو لا يقبل الأمر السهل اللين، ولا تراه إلا في المسالك الصعبة قدمًا.

(٩) المعنى: وحاول الأثرياء أن يبلغوا شأوه، ولم تجن مساعيهم بأكثر من سعي ارتقاء الوديان إلى الهضاب.

(١٠) المفردات: الضمر: النوق النحيلة. القُب: الدقيقات الخصور.

المعنى: فما أسعد تلك الأيام الماضيات التي جاهدت بها بصعوبة ومن غير سأم

(١١) المفردات: النجعة: السفر طلبًا للكلا.

المعنى: وكنت في حياتك السابقة لا تعرف الهوادة؛ فقد كنت تستظل بتضارب الرياح، =

تَصُولُ بَعْضٍ فِي يَدَيْكَ وَخَلْفَهُ مِنْ الرَّأْيِ مَا أَمْضَى وَأَقْضَى مِنَ الْعَضْبِ^(١)
فَصْفُوكَ لَا يُبْلَى بِشَيْءٍ مِنَ الْقَدَى وَخِضْبُكَ لَا يُغْنَى بِشَيْءٍ مِنَ الْجَذْبِ^(٢)
وَطَاوَلْتَ أَعْمَارًا طَوَالًا فَطُلَّتْهَا وَأَرَبَيْتَ حَتَّى نِلْتَ مَا لَمْ يَنْلُ مُزْبِ^(٣)
وَلَا زَالَ هَذَا الْعَيْدُ يَتْلُوهُ مِثْلُهُ تَعَاقَبَ أَنْوَاءِ السَّحَابِ عَلَى الثَّرْبِ^(٤)
أَلَا مَنْ مَعِينِي مِنْ خَلِيلٍ أَعَدَّهُ عَلَى شُكْرِ نِعْمَاءٍ أَتْتَنِي بِلا كَسْبِ؟^(٥)
تَجَشَّمْ خَيْرُ النَّاسِ طَرًّا عِيَادَتِي فَجَاءَ بِمَا حَسْبِي بِهِ شَرَفًا حَسْبِي^(٦)
وَلَمْ يَعْرِفُوا شُكْرًا لَهَا وَلِرَبِّهَا فَلَمْ يُعْلَمُونَا كَيْفَ نَشْكُرُ فِي الْكُتُبِ؟^(٧)
فَإِنْ أَغْيَ عَنْ شُكْرِ لَهَا مِنْ صَنِيعَةٍ فَذَلِكَ مِنْ ذَنْبِ الْبَلَاغَةِ لَا ذَنْبِي^(٨)

- 57 -

وقال يرثي فخر الملك بديهة: [من المتقارب]

أَلَا هَلْ لِمَا فَاتَ مِنْ مَطْلَبٍ وَهَلْ عَنْ رِدَى الْمَرْءِ مِنْ مَهْرَبٍ؟^(٩)
وَهَلْ لَامْرٍ يَبْتَغِيهِ الْقَضَا ءُ مِنْ مُسْتَجَارٍ وَمِنْ مَذْهَبٍ؟^(١٠)
عَذِيرِي مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ أَجِدُّ لَهْنٍ وَيَلْعَبْنَ بِي^(١١)

=وتتجع الطعن والضرب.

(١) المعنى: وكنت تصول في ساحة الحياة والسيوف القاطع بيدك، بوجهه عقلك الراجح الحازم.

(٢) المعنى: ولم يجرؤ أحد على تعكير صفوك، كما لم تمن حياتك السعيدة بما يكدرها.
(٣) المفردات: أربيت: ازددت.

انمعنى: وطال بك العمر وعمرت حتى حظيت بما لم يحظ به أحد.

(٤) المعنى: وما زالت الأعياد تترى، ما دام تعاقب الأنواء على البسيطة.

(٥) المعنى: وإنني لأبحث عن صديق مخلص أتخذه وسيلة لتقديم شكري على نعم وهبت لي.

(٦) المعنى: يشير إلى أن فخر الملك تحمل عبء زيارته فشرّفه بزيارته.

(٧) المعنى: فلم نقدر شكرنا حق تقديره، لأنهم لم يعلمونا في الكتب كيف نوفي الشكر.

(٨) المعنى: فإن تعثر لساني بلهج الشكر فلأن الذنب على بلاغتي لا علي.

(٩) المعنى: هل تستطيع استرجاع ما فات؟ وهل هناك مهرب من الموت؟

(١٠) المعنى: ومن حل عليه قضاء الله فهل له وسيلة أو مجير؟

(١١) المعنى: أيا حادّثات الزمان ونوائبه، أنا معكن جادّ، وأنتن على لهو ولعب.

- يُثْلَمَنَّ مِنْ حَنْقِ مَرْوَتِي وَيَرَعَيْنَ مِنْ نَهَمِ خُلْبِي^(١)
وَأَمَّا بَرِخَنَ فِي طِيْهِنَ نَ مَا شَتَّ مِنْ تَعَبِ مُتْعَبِ^(٢)
وَإِنْ هُنَّ صَفَيْنَ لِي مَشْرَبًا رَجَعْنَ فَرَنْقَنَ لِي مَشْرَبِي^(٣)
فَكَمْ ذَا أَعْلَلُ بِالْمُبْرَضَاتِ وَأَخْدَعُ بِالْبَارِقِ الْخُلْبِ^(٤)
وَأَعْدَى بِأَدَوَاءِ هَذَا الزَّمَانِ نِ عَذَوَى الْمُصْحَ مِنْ الْمُجْرَبِ^(٥)
وَلَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ حَادِثِ عَجِبْتُ مِنْ الْحَادِثِ الْأَقْرَبِ^(٦)
أَتَانِي عَلَى عُدَوَاءِ الدِّيَارِ لَوَادِعُ مِنْ نَبَا مُنْصِبِ^(٧)
فَإِنَّ نَجِيعَ فَخَارِ الْمَلُو لِكِ سَيْطَ هَنَالِكَ بِالْأَثْلَبِ^(٨)
وَإِنَّ أَسَامَةَ ذَا اللَّبْدَتَيْنِ نِ صُرْعَ عَنْ خُدَعِ الْأَذْوَبِ^(٩)
غُلِبْتُمْ بِنَقْضِكُمْ عَهْدَهُ وَمَنْ غَلَبَ الْغَدْرُ لَمْ يَغْلِبِ^(١٠)
بِأَيِّ يَدٍ قُدْتُمْ غِرَّةً خِزَامَةً ذَا الْمُقَرَمِ الْمُضْعَبِ؟^(١١)

(١) المفردات: المروة: حجر الصَّوَّان.

المعنى: وحادثات الزمان تُحْبِطُ من عزمي، وتبذل لي كل ما لا يجدي.

(٢) المعنى: وهنَّ لا يتركني إلا بعد أن يحملن لي المرهقات والمزعجات.

(٣) المفردات: رنقن: كدَّرن.

المعنى: وإن أخطأت النوائب وقدمت لي شرابًا سائغًا، عادت إلى طبعها ولوثته.

(٤) المفردات: المبرضات من البرض، وهو الماء القليل. البرق الخلب: لا يعقبه مطر.

المعنى: وكم كنت أعلل نفسي بالقليل التزر، ويخدعني البرق غير المجدي.

(٥) المعنى: وتحل بي أمراض العصر كما يقع السليم بالجرب.

(٦) المعنى: وأذهلني هذا الحادث العجيب القريب من جملة أعاجيب الزمان. يشير إلى وفاة فخر الملك.

(٧) المفردات: العُدَوَاء: البعد. المنصب: المتعب.

المعنى: وقد بلغني، والديار نائية، نبأ مفجع أنصبي وهذني.

(٨) المفردات: النجيع: الدم. سيط: خلط. الأثلب: (وبكسر اللام) فُتَات الحجارة.

المعنى: فقد علمت أن دم فخر الملك اختلط بالأتربة والحجارة.

(٩) المفردات: أسامة: من أسماء الأسد. اللبدة: الشعر المتراكب على أطراف رقبة الأسد.

المعنى: ذلك أن هذا الأسد الهصور خدره ذئب وصرعه.

(١٠) المعنى: حين نقضتم عهده وخالفتم سنته غلبتم، ذلك أن الذي غلب بالغدر لم يغلب.

(١١) المفردات: الغرة: الغفلة. الخزامة: حلقة في أنف البعير يُشدُّ فيها زمامه. المقرم: =

وكيف ظفرتُم وبُعدُ المنا
وكيف عَلِقْتُم على ما بكنم
وأينَ يمينكُم والعُهو
وأصبحَ ملككُم بعده
وما كنتُ أخشى على الأفعوانِ
أمنَ بعدِ أن قادها نحوكم
وأولجها بين أبياتكم
ودافعَ عنها لغيرِ القوي
تُجازونهُ بجزاءِ العدوِّ
ولو رابهُ منكم ما أرابَ
لِ بينكُم بسنا الكوكبِ؟^(١)
مَن العَجَزِ بالحوَّلِ القلبِ؟^(٢)
دُ تطايخنَ في نَفْنِفِ سَنَسَبِ؟^(٣)
بغيرِ ذراعٍ ولا مَنَكِبِ؟^(٤)
مدى الدَّهرِ من حُمَةِ العقربِ؟^(٥)
نَفورًا مُحَرَّمَةَ المركبِ؟^(٦)
وليس لها ثَمٌّ من مرغَبِ؟^(٧)
ي كلَّ شديدِ القوى مُحَرَّبِ؟^(٨)
وتَجزونهُ أسوَّةَ المذنبِ؟^(٩)
شآكمَ ولكنَّ لم يَرْتَبِ؟^(١٠)

=البعير الذي لا يحمل عليه ولا يذلل.

المعنى: ما هي اليد الآثمة التي قادت فخر الملك على حين غرة وهو السيد الذي لا يذلل.

(١) المعنى: وكيف وصلتكم إلى قلته ودياركم بعيدة كبعد نور الكواكب؟

(٢) المفردات: الحوَّل: ذو الحيلة. القلب: الكثير التقلب، يقال: رجل حوَّل قلب: محتال بصير بتقليب الأمور.

المعنى: وكيف انتصرتكم على ما تُعرفون به من عجز في تدبير الأمور أمام الحصيف البصير؟

(٣) المفردات: النَفْنِف: المهوى العميق. السَنَسَب: القفر.

المعنى: وأين ما عاهدتم به فخر الملك؟ هل ضاع في الوهاد والمهاد؟

(٤) المعنى: وغدوتم ملوكًا بعده من غير قوة ولا عناء.

(٥) المفردات: حمة العقرب: إبرتها.

المعنى: وقد كنت مطمئنًا إلى أن العقرب لا تؤذي الثعبان بلسعتها.

(٦) المعنى هنا مرتبط بالبيت (٩). أبعد أن هيا لكم قياد الحكومة، ومنعها من أي طامع.

(٧) المعنى: وأعدكم لها، ورفعكم من منازلكم قبل أن تفكروا بها.

(٨) المفردات: المحرب: الشجاع الشديد في الحرب.

المعنى: وحارب من أجلها كل قوي عنيد.

(٩) المعنى: أبعد كل هذا يكون جزاؤه أن اعتبرتموه عدوًا لكم، وتعاقبونه عقاب المذنب؟

(١٠) المفردات: شآكم: سبقكم.

المعنى: وقد شك فخر الدولة بكم ببعض تصرفكم، وحاول أن يسبقكم بضربته، ولكنه لم يستعد لها.

خُذُوهَا تَلَذُّ لَكُمْ عَاجِلًا وَأَجَلُهَا غَيْرُ مُسْتَعَذَّبٍ^(١)
 وَلَا تَرْقُبُوا غَيْرَ وَذَقِ الْحِمَامِ وَشَيْكَا مِنَ الْعَارِضِ الصَّيِّبِ^(٢)
 فِي الْغَيْبِ مِنْ ثَارِهِ فِيكُمْ شِفَاءً لَأَفئِدَةٍ وَجَبَ^(٣)
 أَلَا غَنِّيَانِي بِقَرَعِ السُّيُوفِ فَمَا غَيْرُهَا أَبَدًا مُطْرِبِي^(٤)
 وَحُثَا عَلِيٍّ كَوْوَسَ النَّجِيعِ سَوَاءً شَرِبْتُ وَلَمْ أَشْرَبِ^(٥)
 وَلَا تَمْطُلَا ثَارَهُ إِنَّهُ فَتَى حَرَمِ الْمَطْلِ فِي مَطْلَبِ^(٦)
 كَأَنِّي بِهَا كَجِبَالِ الْحِجَا زِيَّ قُبُلْنَ أَوْ قِطْعِ الْغَنِيهِبِ^(٧)
 عَلَيْهِنَّ كُلُّ شُجَاعِ الْجَنَانِ إِذَا رُهِبَ الْهَوْلُ لَمْ يَرْهَبِ^(٨)
 لِأَسْيَافِهِمْ فِي رُؤُوسِ الْكُمَاةِ مُصَمَّمَةُ الْقَضْبِ اللَّهَبِ^(٩)
 وَلَمَّا مَرَزْنَا عَلَى رَبْعِهِ خَرَابِ الْأَنْبَسِ وَلَمْ يَخْرَبِ^(١٠)

- (١) المعنى: فأمامكم هي فإن طاب لكم أولها، فلن تستعذبوها مستقبلاً.
- (٢) المفردات: الودق: المطر. الحمام: الموت. العارض: الغمام المعترض في الأفق. الصَّيِّب: الممطر.
- المعنى: ولا تتوقعوا سوى مطر الموت سريعاً من غيم ملبد في السماء زاهر بالمطر.
- (٣) المفردات: الوجِب: الخافقة.
- المعنى: ومما تخبئه الأقدار أنها ستأثر له، وسيكون فيه شفاء لأفئدة تنبض بحبه.
- (٤) المعنى: فأسعداني يا صاحبي بإنشاد صليل السيوف، فلا يطربني إلا تضاربها.
- (٥) المفردات: حثا: تابعا. النجيع: الدم.
- المعنى: وعجلاً علي بكؤوس الدم، ولا يهمني شربت منها أو لم أشرب.
- (٦) المعنى: ولا تتوانيا بمطالبة ثاره، فقد كان من عادة فخر الملك ألا يتأخر في طلب.
- (٧) المفردات: الغيهب: الظلام.
- المعنى: وأتوقع أن الرجال المطالبين بالثار قادمون بقوة كجبال الحجاز، أو كقطع الليل، وهم راكبون الخيل.
- (٨) المعنى: وعلى كل جواد فارس مقدم لا يهاب الموت، وإذا خاف الخوف فلن يخافه.
- (٩) المفردات: الكُماة: الشجعان المدججون بالسلاح، مفردها الكمي. القضب: السيوف الرقيقة.
- المعنى: وهؤلاء الشجعان مدججون بالسلاح، وسيوفهم تلمع فوق رؤوسهم، مصممة على الثار.
- (١٠) المعنى: وحين قدمنا إلى منزله، فرأيناه خرباً ولم يخرّب.

تبدّل بعد عَجِيج الوفود	بحاجاتهم صرّة الجُنْدُب ^(١)
ومن سابغات ملآن الفناء	من القَزْ أُرْدِيّة العَنَكَبِ ^(٢)
بكيّنا على غَفَلاتٍ به	سُرِقْنَ وعِيشٍ مَضَى طَيِّبِ ^(٣)
وقلنا لما كان صعبَ المذا	لِ من سَبَلِ العين لا تَضُعبُ: ^(٤)
أيا دارُ كيف لبستِ العَفاء	وماء النُّضارة لم ينضُبِ؟ ^(٥)
وكيف نَسيتِ الذي كان فيك	من العزِّ والكرم الأرحبِ؟ ^(٦)
وكيف خلوتِ من القاطنين	وغربانُ بينك لم يَنعَبِ؟ ^(٧)
وأين مكامنُ ذاك الشجاع	ومَرِبْضَةُ الأسدِ الأغلبِ؟ ^(٨)
وأين مواقفُ ولدانِهِ	ومُزْدَحَمِ الجُنْدِ في الموكبِ؟ ^(٩)
ومَجْرى سوابِقِهِ كالصُّقورِ	جلبنَ صباحًا على مَرْقَبِ ^(١٠)

- (١) المفردات: الصرّة: الصوت. الجندب: حيوان كالجراد سريع القفز.
المعنى: رأينا المنزل قاعًا صفصفاً يصفرُّ فيه الجندب، بعد أن كان مزدحمًا بالوفود التي تقدم الطاعة.
- (٢) المفردات: السابغات: الواسعات. الفناء: الساحة. القز: الحرير، والكلمة فارسية.
المعنى: وبعد أن كان المنزل تمتلئ ساحاته بألوان الحرير، ارتدى خيوط العنكبوت.
- (٣) المعنى: فاعترانا البكاء عليه لأن يد السارقين عاثت على حين غفلة به، وبكيّنا على أيام سعيّات وعيش هنيء.
- (٤) المفردات: المذال: السباح. السبل: المطر أو الدمع.
المعنى: وبعد أن سالت الدموع وكانت صعبة قبل ذلك، قلنا للدار:
- (٥) المفردات: العفاء: الدرس. ينضب: يجف.
المعنى: كيف - وبهذه السرعة - أفقرت، ولما يجف ماء بهائك؟
- (٦) المعنى: وكيف نسيت ما كان فيك من عز وسخاء، ومن كان سيدهما؟
- (٧) المعنى: وكيف رحل عن السكان وما زال غراب البين لم ينعب في فضائك؟
- (٨) المعنى: وأين مخبأ الشجاع الذي كان يسكنك، وعرين الأسد الذي لا يغلب؟
- (٩) المعنى: ونسيت مواقف غلمانهِ ومرابض جنود موكبه؟
- (١٠) المفردات: جلبن: صحن، من الجلبة. المرقب: برج المراقبة.
المعنى: وأين ميدان سباقه والمتسابقون كالصقور تصيح صباحًا من أبراجها؟

أَيْمُضِي وَأَسِيافُهُ مَا فَتِيْتُ	نَ بِالضَّرْبِ وَالسُّمْرِ لَمْ تُخْضَبِ؟ ^(١)
وَلَمْ تُعْجِلِ الْخَيْلُ مَذْعُورَةً	إِلَى مَرْغَبٍ وَإِلَى مَرْهَبٍ؟ ^(٢)
وَلَمْ يُسْتَلَبَ بِالرِّمَاحِ الطُّوَا	لِ فِي الرُّوعِ وَاسْطَةُ الْمِنْقَبِ ^(٣)
وَلَوْ عَلِمَ السَّيْفُ لَمَّا عَلَا	كَ حَالَ كَلِيلًا بَلَا مَضْرِبٍ ^(٤)
وَبُدِّلَ مِنْ سَاعِدٍ هَزَّةً	لِحَتْفِكَ بِالسَّاعِدِ الْأَغْضَبِ ^(٥)
تَعَامَهُ قَوْمٌ سَقَّوْكَ الْجِمَامَ	فَمَا فِيهِمْ عَنْكَ مِنْ مُعَرِبٍ ^(٦)
فَلَوْ عَنْ رَدَاكَ سَأَلْنَا هُمْ	أَحَالَ الْحَضُورَ عَلَى الْغُيْبِ ^(٧)
أَلِفْتَ التَّكْرُمَ حَتَّى غَفَلَ	تَ عَنْ جَانِبِ الْحَاسِدِ الْمُجْلِبِ ^(٨)
وَلَمْ تَعْتَدِ الْمَنْعَ لِلطَّالِبِينَ	فَجَذْتَ بِنَفْسِكَ لِلطُّلُبِ ^(٩)
فَإِنْ تَكُ يَا وَاحِدًا فِي الزَّمَانِ	ذَهَبْتَ فَفَضْلُكَ لَمْ يَذْهَبِ ^(١٠)
وَإِنْ حَجَّبُوكَ بِنَسْجِ الصَّفِيحِ	فَغَرُّ مَسَاعِيكَ لَمْ تُحْجَبِ ^(١١)
سَلَامٌ عَلَيْكَ وَإِنْ كُنْتَ مَا	سَلِمْتَ مِنَ الزَّمَنِ الْأَخْيَبِ ^(١٢)

(١) المعنى: أيموت بكل بساطة، وسيوفه منذ قريب كانت تضرب، ورماحه لما تخضب بدمائهم؟

(٢) المعنى: ولم تتقدم الخيل المذعورة بعد إلى نصر أو خذلان.

(٣) المفردات: المقنب: جماعة الفرسان إلى المثة.

المعنى: ولم تؤخذ الرماح الطويلة من قائد الكتيبة.

(٤) المعنى: إن قوتك شديدة، فلو علم السيف أنه سينقض عليك لتثلم من غير أن يصيبك.

(٥) المعنى: ولانقل ممن استلّه لموتك إلى ساعدك الحديدي.

(٦) المفردات: تعامه: تحير. المعرب: المفصح.

المعنى: ودُهِش من قتلوك، حتى استحال عليهم الكلام.

(٧) المعنى: ومن خوفهم لو سألناهم عن قاتلك، لأنكروا ولأعلنوا عن أشخاص غير حاضرين.

(٨) المعنى: اعتدت أن تكون كريماً حتى تناسيت من حسدك وأضمر لك بالشر.

(٩) المعنى: ولم يكن من عادتك أن ترفض طالباً، فقدّمت روحك لهم.

(١٠) المعنى: أنت يا فريد عصرك إن كنت ذهبت فإن فضلك ما زال على عهده جارياً.

(١١) المفردات: الصفيح: القبر.

المعنى: وهم إن حفروا قبرك ودفنوك فإن خيرك ما زال مشاعاً لم يخف.

(١٢) المعنى: أحييك، مع أنك لم تسلم من غدر الزمان.

وَوَاهَا لِأَيَّامِكَ الْمَاضِيَاتِ مُضِيَّ السَّحَابَةِ عَنْ مُجْدَبٍ^(١)
 فَمَا بِنْتُ إِلَّا كَبِيرَ الْحَيَاةِ وَشَرَحَ الشَّبَابِ عَنْ الْأَشِيبِ^(٢)
 وَلَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الطَّيِّبَاتِ فَمَا الْعَيْشُ بَعْدَكَ بِالطَّيِّبِ^(٣)
 حَرَامٌ عَلَيَّ اِكْتِسَابُ الْإِخَاءِ فَمَثَلُ إِخَائِكَ لَمْ أَكْسِبِ^(٤)
 وَلَسْتُ تَرَانِي فِيمَنْ تَرَا هُ إِلَّا عَلَى نَجْوَةِ الْأَجْنَبِ^(٥)
 وَلَسْتُ بِهِ طَالِبًا غَيْرَهُ فَقَدِمَا وَجَدْتُ وَلَمْ أَطْلُبِ^(٦)

- 58 -

قال يرثي الأمير عنبر الملكي^(٧) الخادم [من السريع]

أَيُّ فَتَى وَوَرِيٍّ فِي الثَّرْبِ قَضَى وَلَمْ أَقْضِ بِهِ نَخْبِي؟^(٨)
 زَوَّدَنِي بَعْدَ فِرَاقِي لَهُ مَا شَاءَتِ الْأَحْزَانُ مِنْ كَرْبٍ^(٩)
 قُلْتُ لِرَكْبٍ قَالَ لِي إِنَّهُ ذَاقَ الرَّدَى: أَرْجَلَتْ مِنْ رَكْبٍ^(١٠)
 وَلَا رَعَتْ عَيْسُكَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلَتْهُ شَيْئًا مِنَ الْعُشْبِ^(١١)

(١) المعنى: وأسفاً على ما سلف من أيامك التي مضت كما تمضي سحابة المطر عن الأراضي المقفرة.

(٢) المعنى: ولم تبتعد إلا كابتعاد الحياة، أو كغياب مطلع الشباب عن الرجل الأشيب.

(٣) المعنى: ولا لذة بعدك، بل لا طعم في الطيبات.

(٤) المعنى: وأقسم إنني لن أصادق أحداً بعدك، فلن أجد لك ندأ.

(٥) المفردات: النجوة: التلة. الأجنب: الغريب.

المعنى: فإن كنت ترى، فلن تجدني ألا غريباً بين التلال، أو إلا على جواد صعب القيادة.

(٦) المعنى: ولن أسعى إلى غير فخر الملك، فقد عرفته قديماً من غير أن أطلبه.

(٧) من أشهر ممالك بهاء الدولة وذوي المكانة. انحدر إلى بغداد لمعونة أبي كاليجار بن

عضد الدولة في الظاهر، وهو في داخله يطمع في تملك بغداد. فتوفي في الطريق سنة

٤٢١هـ. ونعته بالخادم لأنه كان يخدم البويهيين في قصورهم، والخادم يشترط أن يكون

خصياً مثل كافور. ولمكانته رثاه المرتضى.

(٨) المعنى: أبلغوني عن ذلك الفتى الذي مات من هو!! كيف مات ولم أمت معه؟

(٩) المعنى: وحين مات تجمعت علي الأحزان من كل جانب.

(١٠) المعنى: أخبرني مسافر أن الأمير عنبر قضى، فدعوت عليه بالترجل.

(١١) المفردات: العيس: الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف.

ولا يزل فوقك وقد قال لي
 قد ضررتني الصدق فمن ذا الذي
 نعت - لا بوعدت من سيء -
 رمحي الذي يفري نحور العدى
 فكم له دوني من موقف
 ولم يكن لي وهو في قبضتي
 ما قنعت إلا به همتي
 وعاضني من حرج ضيق
 هو الردى يأخذ من بيننا
 وليس يُسقط دافع له
 إن يبغ محجوبًا فما إن له
 أو شاء أن يأخذ ذا هضبة
 بزّ اليمانيّين تيجانهم
 ما قال مملوءًا من الترب^(١)
 ينفعني يا قوم بالكذب؟^(٢)
 أفضل من قلبي إلى قلبي^(٣)
 وفي جلادي هو لي عضبي^(٤)
 آمنني فيه من الرعب^(٥)
 على المني شيء من العتب^(٦)
 ولم أقل إلا به حنبي^(٧)
 عليّ بالإفساح والرخب^(٨)
 إذ هم من شاء بلا ذنب^(٩)
 بالطعن بالرُمح ولا الضرب^(١٠)
 من دونه شيء من الحجب^(١١)
 عالية فهو بلا هضب^(١٢)
 من دونها أريد العصب^(١٣)

=المعنى: ويتابع دعاءه عليه وبألا يسهل الله على ناقته عشبًا تقضمه في منزل.

- (١) المعنى: ولأنه أنبأني بالحادث المفجع فأنني أدعو عليه بأن يملأ الله فمه ترابًا، أي يموت.
 - (٢) المعنى: إن الراكب يا قوم صادق، وصدقه آذاني، فمن منكم يريحي بأن يكذب علي؟
 - (٣) المعنى: إن الذي نعيته أثير علي، بل نذ لفؤادي، جزاه الله سوءًا.
 - (٤) المعنى: إن هذا الأمير رمحي الذي أجندل به رقاب أعدائي، وهو سيفي القاطع عند ثباتي.
 - (٥) المعنى: ولن أنسى مواقف له معي، حماني فيها وآمنني من خوف.
 - (٦) المعنى: ولم يقصر معي في أثناء طموحي وتحقيق آمالي، ولم يُحجني إلى عتابه يومًا.
 - (٧) المعنى: كان قُدوتي، وكافيًا لما أرغب في تحقيقه.
 - (٨) المعنى: ولم يدعني تحت رحمة من يخرجني ويضيق علي، فأقبل علي يسهل لي الصعاب.
 - (٩) المعنى: والموت لا يسلبنا من أحبائنا إلا من لا ذنب له.
 - (١٠) المعنى: وأمام الموت لا نستطيع فعل شيء، ولا نحمله بالرمح والسيوف.
 - (١١) المعنى: والموت لا يقف دونه حاجز، ولا يحول أمامه حاجب.
 - (١٢) المعنى: ولا يمنعه مانع من سلب حياة ذي مكانة عالية، فإذا به لا شيء.
 - (١٣) المفردات: بزّ، استلب. العصب: ضرب من البرود.
- المعنى: ولم يترك الموت ملوكًا، حتى تباعة اليمن سلبهم عروشهم وحللهم السندسية.

واستلّ من كسرى بإيوانه	أطواقه الحُمَرَ مع القلب ^(١)
ولم تزل تدخلُ رُوَّاده	من مُضَرٍ شِغْبًا إلى شِغْب ^(٢)
وشرَّدت أصحابه بطشَّة	منه بهم فهو بلا صَحْب ^(٣)
ولفَّهم لفًا بأيدي القنا	لفَّ الصِّبا للغُصْنِ الرُّطْبِ ^(٤)
كأنَّهم تزهرُ أجداثُهم	ذوائبُ خرَّت من الشَّهْبِ ^(٥)
وكم سَطَا فيهم بأَسَدِ الشَّرى	ومُطْعِمِي الأضيافِ في الجَذْبِ ^(٦)
قل لامرئٍ يطمعُ في خُلده	فهو غَفولٌ آمِنُ السُّرْبِ ^(٧)
ليس كما قَدَّرته، إنَّما	خُلِقَتْ للثُّرْبِ من الثُّرْبِ ^(٨)
لا ترجُ أنْ تَنجُو مَشِيًا وقد	بَغَاكَ باغٌ واسعُ الوَثْبِ ^(٩)
تنالُ كَفَاهُ إذا مُدَّتَا	مَنْ كان في بُعدٍ وفي قُرْبِ ^(١٠)

(١) المفردات: الإيوان: الشرفة العظيمة، وهو قصر عظيم للفرس يقع شمال بغداد. القلب: سوار اليد.

المعنى: حتى كسرى نسله من إيوانه مع كل ما يتزين به.

(٢) المعنى: حتى قبائل مضر لم تأمن من شروره، فقد أرسل أتباعه عليها يطوفون بينهم ويستلبون حيواتهم. ويعني بهم نسل النبي وأهله.

(٣) المعنى: حتى أتباعه لم يأمنوا شره، فهو عدو لا يؤتمن.

(٤) المعنى: وحصرهم جميعًا وتناولهم برمحه ولفَّهم عليه كما تلف رياح الصبا الأغصان الرطبية.

(٥) المفردات: الأجداث: القبور. الذوابة: الضفيرة، وهي الناحية من مقدم شعر الرأس. المعنى: كأن قبورهم أزهار مفتحة، أو هي صفائر من الشعر محلها الشهب في السماء وقد هبطت إلى الأرض.

(٦) المفردات: الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل.

المعنى: وإذا كانوا شجعانًا كأساد الشرى فإنه أقوى منهم؛ فقد هاجمهم وهم يطعمون أضيافهم في الأيام العسيرة.

(٧) المعنى: أعلم من يتمنى الخلود، وهو غافل آمن.

(٨) المعنى: الخلد ليس لأي مخلوق، وما خلق المرء إلا للتراب.

(٩) المعنى: ولا تظنن أنك ناج من الباغي الخاطف السير.

(١٠) المعنى: هذا الباغي واسع الذراعين، ويحيط بهما من شاء قريبًا كان أو بعيدًا.

يا نائياً عني ومن مُنيّتي أنِ بَغْتُ بُعدي منه بالقُربِ^(١)
 كم لك عندي من أيادٍ مضت بيضاً وإن كنت من الشُّخبِ^(٢)
 والليل كالصُّبح لنفع الوري والسُّمرُ كالبيضِ لدى الحربِ^(٣)
 وما جرى في الناس شيءٌ لهم مَجْرَى سوادِ العين والقلبِ^(٤)
 والقرُّ في الصُّفرة مخلوقة خيرٌ لباغيه من العُطبِ^(٥)
 فافخر على القوم الألى سُودوا في الشرقِ إن شئت وفي الغربِ^(٦)
 فليس فيهم كلُّهم واحدٌ سادَ جميعَ العُجم والعُربِ^(٧)
 لم تألفِ السُّوءَ ولا بتَّ في ناحيةِ القَذفِ ولا الثُّلبِ^(٨)
 ولم تُعج باللهو في خلوة ولا مزجت الجدَّ باللُّعبِ^(٩)
 وكلما نلت بها رتبةً حميتَ فيها جانبَ الجُنُبِ^(١٠)
 كم كنت للأملاكِ كهفاً وكم حميتَهُم بالملك من خُطْبِ^(١١)

(١) المعنى: ويعود إلى ذكر الأمير عنبر فيخاطبه: ألا يا بعيداً عني، أمنيّتي أن أكون قربك وإن تنازلت عن بعدي.

(٢) المفردات: الشخب: مفرداً شاحب، وهو المتغير اللون.

المعنى: مع أنك حبشي أسود متغير اللون فإن أياديك علي بيضاء.

(٣) المعنى: إن نفع الليل كنفع النهار للناس، والرماح السوداء كالسيوف البيضاء، قوة في الحرب.

(٤) المعنى: ويتابع تسويته للسواد والبياض فيبين أن مجرى سواد العين ومجرى سواد القلب لم يغير شيئاً للناس.

(٥) المفردات: القر: الحرير، فارسية. العطب: القطن.

المعنى: والحرير مع أنه ليس أبيض، إلا أنه أغلى من القطن الأبيض.

(٦) المعنى: ولك الحق في أن تفخر على سادة العالم في مشرقه وفي مغربه.

(٧) المعنى: فلم نجد منهم واحداً تهيأت له الظروف ليحكم العرب والعجم وحده.

(٨) المعنى: ليس السوء من طبعك، ولم تقع تحت سياط ملامة الناس وثلبهم.

(٩) المعنى: ولم نرك منحرفاً عن الملمات، ولا كنت ممن يخلطون الجد باللهو.

(١٠) المفردات: الجُنُب: الغريب والبعيد.

المعنى: المراتب تأتيك تباعاً، فكلما جاءتك رتبة أنقذت فيها جانباً بعيداً.

(١١) المعنى: كنت للملوك ملاذاً تحميمهم مما يذممهم.

وكم تلافيتَ بتفكيرٍ	صافية شغبًا من الشَّغبِ ^(١)
كانوا ومن رأيك آراؤهم	مثل رَحَى دارث على قُطْبِ ^(٢)
قد دَرَّتِ الدُّنيا لهم مرّة	وأَيُّ دُرٍّ ليس بالحَلْبِ؟ ^(٣)
كم ذا تداركتَ اعوجاجًا لهم	على ظهورِ الضُّمَرِ القُبِّ ^(٤)
يَطْوِينَ يحملنَ الرَّدَى للعدَى	سَهَبًا من الأرضِ إلى سَهَبِ ^(٥)
وكلّما زاحَمَنَ في غَمرة	شوكَ القَنَا السُّمَرِ على إزْبِ ^(٦)
كُسِينَ أَجْلَالًا بنسجِ القَنَا	من النَّجِيعِ الأحمرِ العَضْبِ ^(٧)
سَقَى الذي أصبحتَ رهنا به	من الثَّرَى أُنْدِيَةُ السُّحْبِ ^(٨)
ولا سمعنا لخريقٍ به	صَوْتًا ولا زَغَزَعَةَ النُّكْبِ ^(٩)

- (١) المعنى: وكنت كذلك حاميًا للشعب تنقذهم بتفكيرهم الصائب.
- (٢) المعنى: ولم تخالفهم في آرائهم، وكنت وإياهم على رأي واحد تمامًا كدوران حجر الرحى على قطبها.
- (٣) المعنى: وإذا سخت الدنيا عليهم بفضلك، فهل أتى الحليب إلا بالحلب؟
- (٤) المفردات: الضمَر: مفردها الضامر، وهو النحيف. القُب: مفردها الأقب، وهو الدقيق الخصر.
- المعنى: وهم إذا انحرفوا قوّمهم ولاحتقتهم بخيل ضامرة لا تعرف التعب.
- (٥) المفردات: الردى: الموت. السهب: الفلاة.
- المعنى: وهذه الضمر تحمل على متونها الموت للأعداء، وتتبعهم من مكان إلى مكان.
- (٦) المفردات: الإرب: الحاجة. الغمرة: الشدة.
- المعنى: وكلما دافعن بقوة شديدة بظبا الرماح السوداء للحاجة.
- (٧) المفردات: الأجلال: مفردها الجل، وهو ما يوضع على ظهر الدابة للركوب. العصب: ضرب من البرود.
- المعنى: غنمت أردية حمراء من الدم الشبيه بالبرود الحمراء، ونسج هذه الأردية الرماح.
- (٨) المعنى: سقى الله قبرك بندى السحب، هذا القبر الذي وُضعت فيه رهنا في التراب.
- (٩) المفردات: الخريق: الريح الباردة السريعة. النكب: مفردها النكباء، وهي الريح المنحرفة في هبوبها.
- المعنى: وقبرك في مكان لم نسمع أن الرياح الباردة هبت عليه، أو زعزعته من مكانه الريح النكباء.

ولا يزل تُنَضَّحُ حافأته من الحيا بالبارد العذب^(١)
حتى يرى من بين أجدائهم ريان مألان من الخضب^(٢)
فليس ملقى في الثرى ميتا مؤسد الكف على الجنب^(٣)
من طار في الآفاق ذكر له وسار بالأقلام في الكتب^(٤)
فالحق بمن سمى لنا نفسه بأنه يعفو عن الذنب^(٥)
فما أتت كفاك من سيء يضيق عنه كرم الرب^(٦)

- 59 -

وقال يرثي نقيب العباسيين أبا الحسن محمد بن علي الزينبي^(٧) : [من الطويل]
ألا بكها أم الأسى والمصائب بدمعك سحا بين سار وسارب^(٨)
وعاص الذي لم يهم ماء جفونه على فقد ماض أو على إثر ذاهب^(٩)
ولا تُغرني بالصبر والصبر ماله طريق إلى ما في الحشا والترائب^(١٠)

(١) المفردات: الحيا: المطر.

المعنى: ولتبق جنباته ترشح ندى عذبا من المطر.

(٢) المعنى: حتى تنمو على قبورهم أعشاب خضرة نضرة.

(٣) المعنى: ولا يعد ميتا من كان طي الثرى ممددا.

(٤) المعنى: ليس ميتا من شاع صيته في الآفاق، وأشادت به الأقلام.

(٥) المعنى: ولتذهب روحك إلى خالقها، وهو العفو الغفور.

(٦) المعنى: وأنت لم تجن ذنبا يرفض رب العالمين أن يعفو عنه.

(٧) أبو الحسن محمد بن علي الزينبي نقيب الطالبين العباسيين. توفي سنة ٤٢٧هـ، وكان

صديقا وممدوحا للشريف المرتضى. ومرثيته هذه من قصائده العصماء الصادقة. وآل

الزينبي أسرة كبيرة في العصر العباسي، اتصفت بالنبل والسيادة، وتسلم نقابة العباسيين

عدد منهم.

(٨) المفردات: أم الأسى: كناية عن العين لكثرة بكائها. الساري: السائر ليلا. السارب: الظاهر.

المعنى: اطلب من عينك ن تذر دمعا مدرارا سرا وعلانية، فهي أم الأحزان والمصائب.

(٩) المعنى: ودع عنك من لم يعبا بماض وذاهب، ولم تبك عيناه على ما فات.

(١٠) المفردات: الترائب: عظم أعلى الصدر.

المعنى: ولا تحثني على الصبر، فليس للصبر عندي سبيل إلى ما في داخلي.

- تَلُومٌ عَلَى مَا بِي وَأَنْتَ مُسَلِّمٌ وَقَدْ جَبَّ هَذَا الرِّزُّ دُونَكَ غَارِبِي^(١)
وَأَتَيْ مَبْلُوءٌ بِمَا لَمْ تُبَلِّ بِهِ فَلَا تُبْلِنِي فِيهِ بِلُومِ الْمَعَاتِبِ^(٢)
وَمَا مَسَّنِي فِيمَا مَضَى مُشَبَّهٌ بِهِ وَلَا مَرُّ شَاحٍ لِي شَجَاهُ بِجَانِبِي^(٣)
مَصَابٌ هَوَى بِالشَّمِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَضَعُضَعَ رُكْنًا مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبِ^(٤)
وَلَمْ يَمْضِ إِلَّا بِالشَّوَاةِ عَنِ الشَّوَى وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالطَّلَى وَالذَّوَابِ^(٥)
وَنَاعَ نَعَى نَفْسِي وَلَمْ يَدِرْ أَنَّهُ نَعَاهَا فَأَغْرَاهَا بِلَذْمِ تَرَائِبِي^(٦)
وَلَمْ أَشْفِ مَا بِي مِنْ جَوَى وَمَضَاضَةٍ بَقَرَعِ جَبِينِي أَوْ عَضِيضِ رَوَاجِبِي^(٧)
تَمَنَيْتُ لَمَّا أَنْ أَتَى وَهُوَ صَادِقِي عَلَى الرُّغْمِ مِنِّي أَنَّهُ كَانَ كَاذِبِي^(٨)
نَسِيبِي بِالْوَدِّ الصَّحِيحِ وَفَضْلَةٍ عَلَى وَدُنَا مَا بَيْنَنَا مِنْ مَنَاسِبِ^(٩)
وَمَا ضَرَّ مَنْ كَانَ الْقَرِيبُ مَوْدَّةً مُقَرَّبَةً أَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَقَارِبِي؟^(١٠)

- (١) المفردات: جبّ: قطع. الغارب: ما بين الكتف والعنق.
المعنى: تعاتبني على ما تكذّرت به نفسي وأنت خلّو منه، وقد قصمت الأحزان ظهري.
(٢) المعنى: فقد ابتلنتني الأقدار بما أعفّتك منه، فلا تُزد علي لومك.
(٣) المفردات: الشاجي: المحزن. الشجا: العظم الذي يعترض الحلق.
المعنى: ولم يمر بي شبيه بهذا الأسى، ولا مرور حزين عذابه قربي.
(٤) المعنى: يعتبر وفاته حزناً لآل هاشم، حيث افتقدوا أفضلهم، وهزّ بعض أركان جدهم
لؤي بن غالب.
(٥) المفردات: الشواة: جلدة الرأس. الشوى: الأعضاء. الطلى: الرقاب. الذوائب: ناصية
الشعر أو ضفيرته.
المعنى: وهذا المصاب قد دخل بين الأعضاء، وتسرب رزؤه تحت الرقاب والصفائر.
(٦) المفردات: اللدم: اللطم. الترائب: عظم أعلى الصدر.
المعنى: إن من نعى الزينبي فكأنه نعى نفسي، ولم يعلم أنه دعاني إلى لطم عظام
صدري.
(٧) المفردات: الرواجب: مفاصل الأنامل، مفردتها الراجبة.
المعنى: وإن لطم جبیني أو عض أناملي لا يخفف من غلواء الأسى والألم.
(٨) المعنى: ولما جاءني الناعي وهو صادق في نبئه، تمنيت أن يكذب علي وينفي موته.
(٩) المفردات: الفضلة: الزيادة.
المعنى: إن الفقيد قربي من حيث الوداد، وأكثر من نسيبي لما بيننا من صداقة.
(١٠) المعنى: وماذا يضر أن يكون صديقي قربي، وإن لم يكن بيننا أواصر القرابة؟

عططتُ اصطباري عنه لَمَّا فَقَدْتُهُ عليه ولم أقنعُ بعطِّ جَلَابِي (١)
ولَمَّا تُوفِّي الزَّيْنَبِيَّ مُحَمَّدٌ وسارثُ بما لاقاهُ أيدي الرُّكَّابِ (٢)
نَفَضْتُ مِنَ الْخُلَانِ كَفِّي بَعْدَهُ ولَوَيْتُ عَنْ دَارِ الْأَخْوَةِ جَانِبِي (٣)
وَعَاضْتُ دُمُوعِي فِي الشُّؤُونِ فَلَمْ تَسِلْ وَلَا رَائِبٌ مِنْ بَنُوَّةِ الدَّهْرِ رَائِبِي (٤)
فَلَا مُطِمِّعٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مُطِمِّعِي وَلَا رَائِبٌ مِنْ بَنُوَّةِ الدَّهْرِ رَائِبِي (٥)
وَإِنَّ وَدَادِي بَعْدَهُ لَمْ نَفْسَهُ وَحَاصٌ امْتِرَاقًا مِنْ أَكْفِ الْخَوَاطِبِ (٦)
فَلَا تُدْنِنِي يَوْمًا دِيَارَ مَسْرَةٍ وَلَا تَغْشَى بِي إِلَّا بِيوتَ الْمَنَادِبِ (٧)
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو الْبَقَاءَ وَنَحْنُ فِي يَمِينِ الرَّدَى طَوْعًا وَأَيْدِي الْمَعَاطِبِ؟ (٨)
نُسَاقُ إِلَى الْمَكْرُوهِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَنُلَوِي عَنِ الْمَحْبُوبِ لَيَّ الْغَرَائِبِ (٩)
وَنُطْوِي كَمَا تُطْوِي الْبُرُودُ بِحَفْرَةٍ مُطْمَئِنَّةٌ أَعِثْ عَلَى كُلِّ هَارِبِ (١٠)
فثَاوِ بِهَا طَوْلَ الْمَدَى غَيْرُ رَاحِلٍ وَمَاضٍ إِلَيْهَا بِالرَّدَى غَيْرُ آئِبِ (١١)

(١) المفردات: عططت: شققت. الجلابيب: الثياب الواسعة.

المعنى: إن حزني الشديد عليه جعلني أمزق صبري، ولم أكتف بتمزيق ثيابي.

(٢) المعنى: وحين توفي الزينبي، وانبرت الركبان تمد إليه أيديها.

(٣) المعنى: غسلت يدي من الأصحاب، وعزفت عن الأخوة كلها.

(٤) المفردات: الشؤون: مجاري الدموع من العين.

المعنى: وانحبس دمعي في مآقيه على كل من مات بعده.

(٥) المفردات: الرائب: الحاجة. البئوة: من بنى الرجل: أحسن إليه.

المعنى: ولم أعد أطمع في أحد من الناس، ولا أحتاج إلى ما يحسنه الزمان إلي.

(٦) المفردات: حاص: انهزم. امتراقًا: خروجًا.

المعنى: وقد تراجع ودي على نفسه، ورفض قبول أي طالب للصداقة.

(٧) المعنى: ولم أعد أميل إلى الملهذات، وتاقت نفسي إلى بيوت العزاء.

(٨) المفردات: المعاطب: المهالك.

المعنى: وهل بقي من يطمع بالبقاء، وقد علم أننا في قبضة الموت وأيدي المهالك.

(٩) المعنى: وغدونا نساق كالأغنام إلى المكاره من كل جانب، ونعزف عن كل لقاء المحبوب.

(١٠) المعنى: ونُلف كما يلف الثوب ونرمى في القبر المغطى، ولا يستطيع الهرب أحد.

(١١) المعنى: ومن نزل هذه الحفرة بقي فيها أبدًا، ومن مات فسينقل إليها بلا رجعة.

- وَتُعْدَى بِدَاءِ الْمَوْتِ مَمَّنْ أَصَابَهُ
وَلَمْ يَغْرَ جِلْدِي كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ
فِيثْلُمْنِي مَن لَا أَرَاهُ بِنَاضِرِي
وَمَا غَرَّنِي مِنْهَا سَلَامَةٌ سَالِمٌ
فَإِنْ تُبْقِنِي الْآيَامُ بَعْدَكَ لِلْأَسَى
فَإِنِّي قَوْسٌ مَالِهَا مِنْكَ أَسْهَمٌ
وَنَارٌ بَلَا صَالٍ وَضَيْفٌ بَلَا قَرَى
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَوْكُ الْقَتَادِ مِنَ الْأَسَى
أَبَادَ الرَّدَى أَهْلِي وَأَفْنَى مَعَاشِرِي
وَعَاثَ زَمَانِي قِي قَبِيلِي وَتَارَةً
وَأَسْمَعْنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَأَعْرِى يَمِينِي مِنْ إِخَاءٍ شَرِيئَةٍ
- وَعَدَوِي الْمَنَايَا غَيْرُ عَدَوِي الْأَجَارِبِ^(١)
لِرَامِي الْمَنَايَا مِنْ سَهَامٍ صَوَائِبِ^(٢)
وَيَجْرَحُنِي مَنْ لَيْسَ لِي بِمَحَارِبِ^(٣)
فَكُنْ سَالِمٌ مِنْ حَوْلِهِ أَلْفُ عَاطِبِ^(٤)
عَلَيْكَ وَحَزْنِي فَائِضٌ غَيْرُ نَاضِبِ^(٥)
وَنَصْلُ قِرَاعٍ مَا لَهُ مِنْ مَضَارِبِ^(٦)
وَلَيْلٌ بِهَيْمٍ مَالُهُ مِنْ كَوَاكِبِ^(٧)
عَلَيْكَ فَرَاشًا لِي فَشَوْلُ الْعُقَارِبِ^(٨)
وَفَرَّقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَصَائِبِي^(٩)
يُدْعِغُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَصَاحِبِي^(١٠)
نَشِيجَ الْبَوَاكِي أَوْ حَنِينَ النَّوَادِبِ^(١١)
وَأَعْدَدْتُهُ ذُخْرًا بِسَوْمِ التَّجَارِبِ^(١٢)

(١) المعنى : والموت داء مُعدٍ يعترينا حين يصاب به أحدنا، ولا يقاس عدو الموت بالأجرب .

(٢) المفردات : ذر شارق : أشرق .

المعنى : ولم أفرق كل صباح لعاجل الموت ولا لسهامه الصائبة .

(٣) المعنى : فيعيب علي من هو دوني ولا أعرفه، ويؤذيني من ليس يحاربني .

(٤) المفردات : العاطب : الهالك .

المعنى : ولم أؤخذ بصحة السليم، فقد أجد سليماً واحداً يحوم حوله ألف من الهالكين .

(٥) المعنى : فإن أودعني الأيام بعدك للأحزان عليك، وأحزاني فياضة لا تتوقف،

(٦) المعنى : فلست منك غير قوس أعزل ونصل حرب ليس له مضرب .

(٧) المفردات : الصالي : من يوقد النار بالصلاء الذي هو الموقد .

المعنى : وصرت بدونك ناراً بلا موقد، وضيفاً من غير كرم، وليلاً مظلماً لا تنيره النجوم .

(٨) المفردات : القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . شول العقرب : شوكتها .

المعنى : وإنني ببعذك عني إما يشارك شوك القتاد فراشي، أو إبر العقارب .

(٩) المعنى : لقد أفنى الموت أهلي وعشيرتي، وفرق بين جماعتي .

(١٠) المعنى : وعبثت الأقدار في أهلي حيناً، وحيثاً فرقته بيني وبين أصدقائي .

(١١) المعنى : وهذا القدر العابث يسمعي باستمرار غصص الباكين وأنين الناديين .

(١٢) المعنى : وأفقدني أخاً ضمنت أخوته، كنت قد أعددت له للمصائب .

كَأَنِّي عَوْدٌ فِي يَدَيْهِ مُذَلَّلٌ تَجَذُّبُهُ لِلْعَقْرِ أَيْدِي الْجَوَاذِبِ^(١)
 لَهُ مَنْسِمٌ مِنْ كُلِّ فَهْرٍ مُشَجَّجٍ وَيُبْلَى قَرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ بِرَاكِبِ^(٢)
 وَمَنْ عَجَبٍ أَنِّي طَرَحْتُكَ فِي الثَّرَى بَمَلْعَبَةٍ بَيْنَ الرِّيَّاحِ الْجَنَائِبِ^(٣)
 وَوَسَّدْتُكَ الْبَوْغَاءَ مِنْ بَعْدِ بُرْهَةٍ تَوَسَّدَتْ فِيهَا طَالِعَاتِ الْكَوَاكِبِ^(٤)
 فَإِنْ تَخَفَ عَنَّا فِي التَّرَابِ فَإِنَّمَا خَفِيتَ وَقَدْ أَطْلَعْتَ غُرَّ الْمَنَاقِبِ^(٥)
 وَإِنْ تُبَلَّ فِي قَعْرِ الضَّرِيحِ بِغَيْهَبٍ فَقَدْ طَالَمَا بَيَّضْتَ سَوْدَ الْغِيَاهِبِ^(٦)
 وَإِنْ تُضْحِ مَحْبُوسًا عَنِ النُّطْقِ بِالرَّدَى فَمَا زِلْتَ فِي الْأَقْوَامِ أَوَّلَ خَاطِبِ^(٧)
 وَمَا أَنْصَفَ الْأَقْوَامُ خَلْقُكَ فِي الثَّرَى وَرَاحُوا إِلَى أَوْتَاطِرِهِمْ وَالْمَلَايِبِ^(٨)
 وَمَا جَانِبُوكَ عَنْ قِلَافِهِمْ وَإِنَّمَا تَنَاءَوْا جَمِيعًا عَنْ بَعِيدِ مُجَانِبِ^(٩)
 هُمْ أَوْدَعُوكَ الثَّرْبَ عَمْدًا وَوَدَّعُوا عَلَى رَغْمِهِمْ خَيْرَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ^(١٠)

(١) المفردات: العود: الجمل المسن.

المعنى: أظنني أمامه جملاً مسناً لا قوة له في دفع من يريد نحره؟

(٢) المفردات: المنسم: خف الجمل. الفهر: الحجر الذي تُهرس به الطيوب. القرا: الظهر. مشجج: مشقق.

المعنى: هذا الجمل العجوز ذو خف شققته الحجارة التي داسها، يحني ظهره ركابه المداومون على ركوبه.

(٣) المفردات: الجنائب: مفردها الجنوب.

المعنى: ومما أعجب له أنني طويتك وطرحتك بيدي أرضاً تذروك الرياح من كل جانب.

(٤) المفردات: البوغاء: التربة الرخوة.

المعنى: وما هو إلا حين حتى رميتك على الأرض الرخوة، فتراخيت تتطلع إلى الكواكب.

(٥) المعنى: ولئن طويت في التراب، فإنك أبرزت للعيان أفضل خصالك.

(٦) المفردات: الغياهب: مفردها الغيب، وهو الظلام الدامس.

المعنى: وإن بلي جسدك في قعر القبر، فإن أعمالك كثيراً ما كشفت الظلام الحالك.

(٧) المعنى: وإن خُست عن الكلام لموتك، فقد كنت أفضل الخطباء.

(٨) المعنى: ولم ينصفك الناس إذ طووك تحت الأرض ونسوك وانغمسوا بلذائذهم.

(٩) المفردات: القلى: البغضاء.

المعنى: وهم لم يفكروا ببغضك، وإنما جاء ابتعادهم لابتعادك عنهم.

(١٠) المعنى: وحين ودعوك وتركوك ليعلموك أنك خيرهم جميعاً.

فَإِنْ حَمَلُوا صَعْبًا عَلَيْكَ فَطالما
وَإِنْ أَسْعَفُوكَ بِالنَّحِيبِ تَوَجُّعًا
فَقَدْ تُنْكِرُ فَقْدِي مِقْوَلِي يَوْمَ حَاجَتِي
وَلَمْ يُعِينِي إِلَّا الَّذِي يَطْرُقُ الْفَتَى
وَكَمْ سَلَبٍ أَجْرَى الدِّمَاءَ جَفَوْنَا
فَلَا أَرْبَ فِي الدَّهْرِ إِلَّا مَحَوْتُهُ
أَيَا ذَاهِبًا وَلَّى وَخَلَّفَ بَعْدَهُ
وَأَخْطَرَنِي مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَ لِي حِمَى
وُهِبَتْ لَنَا ثُمَّ ارْتُجِعْتَ إِلَى الرَّدَى
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ مَيِّتًا كَمَا أَنْتَ مَيِّتٌ
وَإِنْ حَجَّبُوكَ عَنْ لِقَائِي بِالْثَرَى

تَحَمَّلْتَ عَنْهُمْ مُضْلِعَاتِ الصَّعَائِبِ^(١)
فَمِنْ بَعْدِ أَنْ أَسْعَفَتْهُمْ بِالْحَرَائِبِ^(٢)
إِلَى الْقَوْلِ أَوْ سِيفِي غَدَاةَ التُّضَارِبِ^(٣)
وَالَّا فَإِنِّي غَالِبٌ كُلَّ غَالِبٍ^(٤)
وَلَمْ تَجْنِهِ فِينَا يَمِينٌ لَغَاضِبٍ^(٥)
فَبِنْ بِالْمُنَى عَنَّا وَكُلَّ الْمَارِبِ^(٦)
عَلَيَّ مِنَ الْأَحْزَانِ مِلءٌ جَوَانِبِي^(٧)
وَأَفْرَدَنِي مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَ صَاحِبِي^(٨)
فَمَا لِي انْتِفَاعٌ بَعْدَهَا بِالْمَوَاهِبِ^(٩)
فَمَا لِي فِي عِيشِي نَصِيبٌ لِرَاغِبٍ^(١٠)
فَمَا حَجَّبُوا حُزْنِي عَلَيْكَ بِحَاجِبٍ^(١١)

(١) المفردات: المضلعات من الأمور: شدائدها.

المعنى: وإن فعلوا بك ما يصعب عليك، خففت عنهم مسبقًا بأعقد الأمور.

(٢) المعنى: وإن بذلوا لك الدموع تألمًا عليك فقد بذلت الحراب في سبيل راحتهم.

(٣) المفردات: المقول: اللسان.

المعنى: ولقد عبي لسانني حين فقدتك وكان علي أن أقول شيئًا لك، أو كان علي أن أشهر سيفي في مساعدتك.

(٤) المعنى: ولم يمنعني من الكلام إلا ما يعتري المرء من التلجج، ولولا ذلك لانتصرت على المتصرين.

(٥) المعنى: وكثيرًا ما نكبتنا فبكينا دماء، من غير أن نرد كيد الغاصب.

(٦) المعنى: ولم تقع لنا حاجة إلا ذللتها، فارحل حاملًا كل أمانينا وحاجاتنا.

(٧) المعنى: فيا أيها الذاهب الراحل تاركًا لنا الأحزان ملء جوانبنا.

(٨) المعنى: ومن أوقعنا في الخطر بعد أن كان ملاذًا لنا، ومن كان صاحبًا لنا، وأودعنا للوحدة.

(٩) المعنى: أوهبك الله لنا، وأعادك إلينا من بعد الموت، فلم يعد لنا لذة بعبء بعدك.

(١٠) المعنى: لم يعد لي حظ لمستزيد وإن لم أكن ميتًا مثلك.

(١١) المعنى: وهم إن قدروا عن منعي من لقاءك لأنك في التراب، فلا يستطيعون منع حزني عليك بأية وسيلة.

وإن تمضِ صِفَرَ الكَفِّ من كلِّ ثروة
 بقلبي نَارَ من فراقِكَ ليتها
 ومن أين لي من بعده بَدَلٌ به
 فتى أقفرتُ منه ديارُ مودَّتِي
 وفارقني لا عن مَلالٍ وصالِهِ
 وقال خليلي: حزنُك اليومَ مُسرفٌ
 لَعَمْرُ اللّواحي إنّها لمصيبةٌ
 وقد نابَكُمْ ما نابَكُمْ فتأملوا
 أعني على ما بي وإلا فخلني
 ولا تُسلني عمّا مضى بالذي ترى
 ولو أنّ غيرَ الموت ضامك وحدَه
 فقد بنتَ صِفْراً من جميع المعايِبِ^(١)
 ولا بدّ منها اليومَ نارُ الحُباحِبِ^(٢)
 وأين بديلٌ عن زُلالٍ لشارِبِ؟^(٣)
 وخولستُ أحبابي بها وحبائبي^(٤)
 وكم ملل لي من لصيقِ مُصاقِبِ^(٥)
 كأنّ عليك الحزنَ ضربةً لازِبِ^(٦)
 ولكنها ليست كباقي المصائبِ^(٧)
 أمرٌ لكم مثلُ لها في النوائِبِ؟^(٨)
 فلست وما يُثقلني عليك بصاحبي^(٩)
 فقد حيزَ عني خيرٌ ما في حقائبي^(١٠)
 دفعناه بالبيض الرُّقاقِ المضاربِ^(١١)

- (١) المعنى: وإن رحلت ولم يكن معك غنى، فقد عشت خلواً من كل عيب.
 (٢) المفردات: الحباحب: ذباب طيار يرسل في ذيله نوراً تدعى نار الحباحب.
 المعنى: إن قلبي مشتعل ناراً على فراقك، وليت هذه النار بارزة كنار الحباحب.
 (٣) المعنى: ولن أجد له مثيلاً بديلاً، وهل يشبه ماء الزلال (العذب) ماء يرضي الشاربين؟
 (٤) المعنى: لم أجد له ندّاً بين صحبي، وفقدت به أصدقائي ومحبي.
 (٥) المفردات: المصاقب: المجاور.
 المعنى: وهو حين فارقتني ليس لأنه ملّ صحبتي، مع أنني كثيراً ما مللتُ من الأصحاب الأذنين.
 (٦) المفردات: ضربة لازب: ضربة واجبة حتمية.
 المعنى: وعاتبني صاحبي على زيادة حزني عليك، وتصور أن الحزن عليك واجب محتوم.
 (٧) المفردات: اللواحي: مفرداتها اللاحي وهو العازل.
 المعنى: ويقسم الشاعر بعمر العاتبين إن فقدك مصيبة جلل، ولا تقارن بأي مصيبة.
 (٨) المعنى: ويعاود خطابه للعاذلين فيقول: لقد مُنيتُم بمصائب عديدة، فانظر هل مر بكم مثل لها؟
 (٩) المعنى: فإما أن تعينني على ما حل بي أو تدعني فلا تكون صديقي، ولست بالمرء الثقيل على أحد.
 (١٠) المعنى: ولا تنسني الماضي بما أنت فيه، فقد خلت جعيتي من خير ما فيها.
 (١١) المعنى: ولو ظلمك ظالم عدا الموت لحلّنا دون مهاجمته بأقوى السيوف.

وَمُدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ رَجَالِ أَعْزَّةٍ طَوَالَ الْخُطَا أَيْدِي الْقَنَا وَالْقَوَاضِبِ^(١)
 إِذَا رَكَبُوا لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ عَزِيمَةٍ وَإِنْ غَضِبُوا لَمْ يَحْفَلُوا بِالْعَوَاقِبِ^(٢)
 هُمْ أَطْعَمُوا سُغْبَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا طِعَانًا وَضَرْبًا مِنْ لَحُومِ الْكَتَائِبِ^(٣)
 وَمَا عُظِّمُوا فِي النَّاسِ إِلَّا بِحَقِّهِمْ وَمَا قُدِّمُوا فِي الْقَوْمِ إِلَّا بِوَاجِبِ^(٤)
 وَهُمْ أَخْجَلُوا بِالْجَذْبِ كُلِّ مَجَاوِدٍ وَهُمْ غَلَبُوا فِي الْحَرْبِ كُلِّ مُحَارِبٍ^(٥)
 عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا انْقِطَاعَ لِيَوْبِلِهِ يَجُودُ وَإِنْ ضَنْتُ غِزَارُ السَّحَائِبِ^(٦)
 وَلَا زِلْتَ مَطْلُولَ الثَّرَى أَرْجَ النَّدَى تَضَوُّعُ ذِكَاءٍ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ^(٧)
 وَإِنْ مَسَّتِ الْأَرْوَاحُ تَرْبِكَ مَسَّةً فَمَرُّ نَسِيمِ الْمُغِيَّاتِ اللَّوَاعِبِ^(٨)
 وَأَوْلَجَكَ اللَّهُ النِّعِمَ وَلَا تَكُنْ بِجَنَاتِهِ إِلَّا عَلَيَّ الْمَرَاتِبِ^(٩)

- 60 -

وقال يرثي غريب بن مقن^(١٠): [من الطويل]

- (١) المعنى: ولأقبل على هذا الظالم أفضل الرجال، ولشهورا رماحهم وسيوفهم، بسرعة وخفة.
 (٢) المعنى: إن أعدوا العدة لم يهنوا ولم يتراجعوا، وإن ثاروا لم يعبؤوا بما سيلقونه.
 (٣) المفردات: السغب: الجائعون. الصوارم: السيوف القاطعة.
 المعنى: هؤلاء الشجعان هم الذين يطعمون سيوفهم القاطعة من أجساد الجيوش بالطعن والضرب.
 (٤) المعنى: ولم يقدرهم الناس إلا بقدرهم الذي يستحقونه، وما فضلوه على أنفسهم إلا حقًا.
 (٥) المعنى: حين يحل الجذب يبرز الكرماء، وهم في مثل هذا الوقت العصيب يخجلون الكرماء بسخائهم، أما في أيام الحرب فهم المنتصرون حتمًا.
 (٦) المفردات: الويل: المطر. ضنت: بخلت.
 المعنى: أحبيك بالتحيات السخيات الدائمات، ولو أن السحب الغزيرة المطر تبخل أحيانًا.
 (٧) المفردات: المظلول: الذي أصابه الطل وهو المطر الخفيف. الأريج: (اسم فاعل) ذو الرائحة العطرة. تضوع: تفوح. الذكاء: انتشار الرائحة.
 المعنى: أرجو من الله أن يديم عليك المطر الذي يرطب ثراك بعطره الذي يفوح من كل جانب.
 (٨) المعنى: وإن هبت الرياح عليك فليكن هبوبها كمداعبة الصبايا اللعوبات المتعبات.
 (٩) المعنى: وأدخلك الله جنان خلده، ورفعك فيها أسمى المراتب.
 (١٠) هو أبو سنان سيف الدولة غريب بن مقن من أمراء بني عقيل العرب. كانت إمارتهم على ضفاف دجلة شمال العراق حتى ما بعد الموصل. توفي بكرخ سامراء سنة ٤٢٥ هـ.

أتمضي كذا أيدي الردى بالمصاعب وتذهب عنا بالذرى والغوارب؟^(١)
وتستلب الآساد وهي ملظة وأخياسهن من أعز المسالب^(٢)
وتؤخذ منا من وراء سجوننا بلا رأي بواب ولا إذن حاجب^(٣)
وتقنص فينا روح كل محارب أبي جريء وهو غير محارب^(٤)
أيا صاحبي إن كنت في إثر من مضى على مثل حالاتي فإنك صاحبي^(٥)
دع الفكر إلا في الحمام ولا تقم مع الحرص في دار الظنون الكواذب^(٦)
وإن كنت يوماً بالحديث معللاً لسمعي فحدثني حديث الثواب^(٧)
فلي شغل عمّن أقام بمن مضى وعن معجبات رقتنا بالعجائب^(٨)
وناع لسيف الدين أضرم قوله ولم يذن ما بين الحشا والثرائب^(٩)
وجاء بصدق غير أنني إخاله خداعاً لنفسي، إنه قول كاذب^(١٠)
فأثكلني طيب الحياة وضممني إلى جانب الأحران من كل جانب^(١١)
فيا لك من رزء أزارني الأسى وعرف ما بيني وبين المصائب!^(١٢)

- (١) المفردات: المصاعب: مفردها الصعب وهو صفة للفعل الممنع. الغوارب: الكواهل.
المعنى: ألا يتشل الموت إلا الأقوياء والرؤوس والزعماء؟
(٢) المفردات: ملظة: مقيمة. الأخياس: مفردها الخيس وهو عرين الأسد.
المعنى: حتى الأسود الراقدة في عرينها لا تنبؤ يد الموت عنها.
(٣) المعنى: يؤخذ الأعداء منا وهم مخبأون، من غير أن نستشار أو نأذن له.
(٤) المعنى: ويصطاد الموت أرواح الأبطال الأقوياء من غير أن يدخلوا المعارك.
(٥) المعنى: يا صديقي إن كان حالك كحالي من الحزن بقيت صديقي.
(٦) المعنى: فلا تفكر إلا بما يفعله الموت، ولا تعباً بهذه الدنيا التي لا أمان لها.
(٧) المعنى: وإن كنت حريضاً على تسليتي بالكلام المعسول، فدعه وباسطني بأحاديث المصائب.
(٨) المعنى: فأنا منشغل عمّن هم حولي بمن وافتهم المنية، غير عابء بالمعجبات الرائقة.
(٩) المعنى: وجاءني من نعي إلي سيف الدين فكاد أن يلهب صدري.
(١٠) المعنى: كان هذا الناعي صادقاً غير أنني كنت أعشم نفسي وأخدعها بأن قوله كذب.
(١١) المعنى: بلغني النبأ فأفقدني لذائد الدنيا وطواني مع الأحزان المتواكبة علي.
(١٢) المعنى: لقد كنت في منأى عن الأحزان والمصائب، فجاءني هذا المصائب ليعرفني بكل ما يؤلم.

- ولولاه لم أغضِ الجفونَ على قَدَى
أساقُ إلى الأحزانِ من كلِّ وَجْهَةٍ
فلا مَطْعَمٌ فينا يطيبُ لطاعمٍ
فقل لسيوفِ الهندِ من بعدِ فَقْدِهِ:
وقل لِطوالِ الخطِّ يُرَكِّزْنَ فالذي
وقل لجيادِ القُودِ: لستنَّ بعدمَا
وقل للمغيرين الذينَ تعودوا
دَعُوا ما أَلْفُتُمْ من قِرَاعٍ فقد مَضَى
وقل للسَّراةِ النازعينَ إلى الغِنَى
- ولا لَانَ للوجدِ المبرِّحِ جانبي^(١)
كأنِّي ذلولٌ في أكفُ الجواذِبِ^(٢)
ولا مشربٌ مِنَّا يَلْدُ لشارِبِ^(٣)
تَنَاهَيْنَ ما فيَكُنَّ ضَرْبٌ لضاربِ^(٤)
سَقَتُكُنَّ يَمْنَاهُ مَضَى غيرَ آئِبِ^(٥)
تولَّى جديراتِ بركبةِ راكِبِ^(٦)
زِحَامَ العوالي في صدورِ الكتائبِ:^(٧)
بحكم الرَّدَى منكم قريعُ المقانِبِ^(٨)
فهم أبداً ما بينَ سارٍ وساربِ:^(٩)

(١) المفردات: أغضى عينه: طبق جفניה حتى لا يبصر شيئاً. القذى: القشة التي تدخل العين فتؤذيها.

المعنى: ولولا هذا النعي لما عرفت إطباق جفوني على ما يؤلمها ولا تراخت أوصالي للأحزان.

(٢) المعنى: لماذا تقع علي المصائب وتقودني إلى ما يضرني؟ لقد غدوت كالذليل تتجاذبه الأيدي.

(٣) المعنى: هذه الأحزان أفقدتنا الشهوة إلى ألد طعام وأهنا شراب.

(٤) المعنى: ألا يا سيوف الهند التي تتباهى بقوة ضربها، تريثي فقد انعدم وجود ضارب بك.

(٥) المفردات: الخط: مرفأ في البحرين تباع فيه الرماح فنسبت إليه فليل: الرماح الخطية. ركز الرمح ونحوه: غرزه في الأرض.

المعنى: وأنت أيتها الرماح الخطية الطويلة انغري في الأرض وتوقفي عن الضرب، فمن كان يسقيك ويعذك للضرب ولي من غير رجعة.

(٦) المفردات: جياد القود: التي طالت ظهورها وأعناقها، مفردا الأقود والقوداء.

المعنى: وأنت أيتها الجياد الأصيلة القوية لا أجد من يمتطيك يستحق ركوب ظهورك بعد موته.

(٧) المعنى: وأعلم المهاجمين الأشاوس الذين اعتادوا ضرب الرماح في صدور الجيوش:

(٨) المفردات: المقانِب: مفردا المقنب، وهي جماعة الفرسان دون المثة.

المعنى: اتركوا ما اعتدتموه من مصاولة فقد جاء الأجل لمبارز عشرات الفرسان.

(٩) المفردات: السراة: السادة. الساري: السائر ليلاً. السارب: الظاهر.

المعنى: ولينعم السادة الطامحون إلى الثراء، وليسيروا على هواهم منذ الآن.

أقيموا فلا نارٌ تَوَقَّدُ للقِرَى ولا راحةً مفجورةً بالمواهِبِ^(١)
فَتَى أوحشتُ منه المكارمُ والعُلا ولَمَّا قَضَى عَطَّتْ جِوْبُ المناقبِ^(٢)
وكم لك من يومٍ لدَغْتَ كُماثَه بشوكِ العوالي لا بشوكِ العقاربِ^(٣)
وحيّ خبطتَ الليلَ حتى ملكتهُ على آفاتٍ للصُّعابِ شَوازِبِ^(٤)
تراهنَّ يقضُمنَ الشكِيمَ كأنما لِسَنَ بنسجِ الطَّعِنِ حُفَرَ الجلابِبِ^(٥)
وحولك طَلَّاعونَ كلِّ ثَنِيَّةٍ إلى المجدِ حَلَّالونَ شَمِّ المراقِبِ^(٦)
إذا عزموا لم يرجعوا من عزيمةٍ وإن أقدموا لم ينظروا في العواقِبِ^(٧)
وفقدُ الصِّديقِ المحضِ صَغْبٌ فكيف بي وفَقدي صديقًا من أجلِّ أقاربي؟^(٨)
ويؤلمني أني تركتُكَ مُفردًا بِمَدْرَجَةٍ بينَ الصُّبا والجنائبِ^(٩)

(١) المعنى: فاستقروا بعد هذا فلن توقد نيران الكرم، ولن تمد الأيدي السخية.

(٢) المفردات: عطت: شقت.

المعنى: حين مات توجعت المكارم والعلا، وشقت جيوب الشمانل حزنًا عليه.

(٣) المعنى: كثيرًا ما كنت تلسع الشجعان المدججين بالسلاح برماحك لا بإبر العقارب.

(٤) المفردات: خبط الشيء: وطئه شديدًا، وخبط الليل: سار فيه على غير هدى. الشواذب: مفردها الشاذب، وهو الضامر الخشن.

المعنى: وقد وطئت حيّات ليلة حتى استوليت عليه بجياد ضامرة اعتادت خوض المصاعب.

(٥) المفردات: الشكيمة: الحديدية المعترضة فم الحصان من لجامه، جمعها الشكيم، الجلابب والجلابيب: مفردها الجلاب وهو الثوب.

المعنى: هذه الجياد جريئة عنيدة، تقضم شكيمها وهي تصول في ساحات الحرب حتى تلفها دماء الطعن كالثياب.

(٦) المفردات: الثنية: طريق العقبة، والصدر كناية عن ركوب المشاق. المراقب: مواضع المراقبة.

المعنى: ولست أنت وحدك بطلاً فمن حولك من رجالك اعتادوا ركوب المصاعب في سبيل المجد، يحطون رحالهم في أعلى المواضع المستشرقة.

(٧) المعنى: وهم إن قرروا على أمر لم يتراجعوا عنه، وإن خاضوا لم يعبؤوا بالنتائج.

(٨) المعنى: إنه على المرء صعب أن يفقد صديقًا، فكيف إذا كان هذا الصديق من أقاربي؟

(٩) المفردات: المدرجة: الطريق. الصُّبا: ريح تهب من الشرق. الجنائب: رياح تهب من الجنوب.

المعنى: وقد تألمت كثيرًا حين تركتك وأنت تصارع وحدك في كل جانب.

- يُطَاعُ بِهَا أَمْرُ الْبَلَى فِي مَعَاشِرٍ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا الَّذِي نَالَ رَتَبَةً
فَإِنْ يُكْسَفُوا فِي غَيْهَبٍ مِنْ قُبُورِهِمْ
وَإِنْ قُبِضَتْ مِنْهُمْ أَكْفٌ عَنِ النَّدَى
وَإِنْ جَثَمُوا بِالثَّرْبِ طَوْعَ حِمَامِهِمْ
أَلَا سَقْيَانِي دَمْعَ عَيْنِي بَعْدَهُ
سَقَى اللَّهُ مَا أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنَ الثَّرَى
وَلَا زَالَ مَنْضُوحًا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ
فَقَدْ طُوِيَتْ مِنْهُ الصَّفَائِحُ عَنُودَ
- [أَبْوَا] أَنْ يَطِيعُوا غَالِبًا بَعْدَ غَالِبٍ^(١)
سَمَتْ وَعَلَتْ عَنْ كُلِّ هَذَا الْمَرَاتِبِ^(٢)
فَقَدْ ضَوَّءُوا دَهْرًا ظِلَامَ الْغِيَاهِبِ^(٣)
فَقَدْ بُسْطَتْ دَهْرًا لَهُمْ بِالرَّغَائِبِ^(٤)
فَكَمْ جَرَّروا فِينَا ذِيُولَ الْمَوَاكِبِ^(٥)
وَلَا تُسْمَعَانِي غَيْرَ صَوْتِ الثَّوَادِبِ^(٦)
زُلَالِ التَّحَايَا عَنْ زُلَالِ السَّحَائِبِ^(٧)
وَرَوْحِ الْجَنَانِ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ^(٨)
عَلَى سَامِقِ الْأَعْرَاقِ ضَخَمِ الضَّرَائِبِ^(٩)

- 61 -

وقال في الافتخار وذم الأعداء: [من الوافر]

- (١) المفردات: البلى: الهلاك. والإضافة من المحقق.
المعنى: في مثل هذا لا يعصى أمر الهلاك في قوم رفضوا أن ينصاعوا للمتصرين.
(٢) المعنى: وكل واحد منهم رقي إلى مراتب سامية فاقت جميع المراتب.
(٣) المعنى: وهم - ويعني به - كسف نورهم في ظلام القبور فقد أناروا الدنيا زمانًا من لياليها المظلمة.
(٤) المعنى: وإن انحسرت أيديهم عن بسط الكرم للناس، فقد بذلوا المرغبات.
(٥) المعنى: وهم إن خمدوا تحت التراب بأمر الموت، فقد كانوا يتأهين بجري ذبول مطارفهم أحيانًا.
(٦) لم أعد أريد من الشرب سوى دمع جفوني، ولا من الأصوات سوى صوت النادبات.
(٧) المفردات: الزلال: صفة للماء السهل البلع. التحايا: التحيات.
المعنى: سقاك الله في قبرك أطيب التحيات أفضل من أطيب السحب.
(٨) المعنى: أدام الله عليك عفوه ورحمته وأنزل على قبرك ريح الجنان.
(٩) المفردات: الصفائح: الحجارة العريضة الرقيقة. الأعراق: مفردا العرق، وهو الأصل.
الضرائب: مفردا الضريبة، وهي الطبع والسجية. السامق: العالي.
المعنى: وسبب دعائي أن الحجارة العريضة مدت عليك غصبا عنك، فغطت رجلاً رفيع الأصل عظيم السجاية.

- إذا سارت بنا خوصُ الرُّكَّابِ ورُخنا بالهوادج والقِبابِ^(١)
دَعي مالا يردُّ عليك شيئاً وقومي فانظري مِنِّي إيابي^(٢)
فإن فُجِعتَ يمينُك بي ارتحالاً فقد فُجِعتَ يميني بالشُّبابِ^(٣)
فما يُجدي زَفيرِي إذ توالى ولا يُغني بكائي وانتحابي^(٤)
ذَعَرْتُ به المَها وأَرَقْتُ لَمَّا لبستُ قِمْصَه ماء الثَّصابي^(٥)
ونكَب عاذلي عن دارِ عَذلي فتارَكني وأقصرَ عن عتابي^(٦)
فلستُ أَحَنُّ والبيضاءُ عندي إلى البيضاءِ والرُّودِ الكَعابِ^(٧)
ولا تَقْتادني بُرَحاءُ وجدي إلى ذاتِ القلائدِ والسُّخابِ^(٨)
فقلْ لصَقِيلَةِ الخَدَّينِ حُسْنًا: دَعيَنِي من ثَنايَاكِ العِذابِ^(٩)
فما لي فوقَ جِيدِك من عِناقٍ وما لي من رُضابِك من شرابِ^(١٠)
ولا لي منكِ والشَّعْراتُ بيضُ بُعَيْدَ سوادِها غيرُ اجتنابِ^(١١)

(١) المفردات: الخوص. مفردها الأخوص الخوصاء، وهي الناقة الغائرة العينين من تعب أو هزال.

المعنى: يا محبوبتي إذا حملتنا النوق المرهقة ونحن راكبون هوداجها،

(٢) المعنى: فاتركي ما لا يجيبك شيئاً وتوقعي إيابي.

(٣) المعنى: فإن منيت برحيلي عنك، فقد منيتُ أنا برحيل شبابي.

(٤) المعنى: وإنه لا ينفع تتابع آهاتي ولا بكائي ونشيجي.

(٥) المفردات: المها: مفردها المهاة، وهي البقرة الوحشية يشبه بها في حسن العينين.

المعنى: بزوال شبابي وحلول مشيبي أخفت الصبابا الحسان، وهدرت ماء الهوى.

(٦) المفردات: نكَب عن الطريق: عدل عنه وتنحى.

المعنى: عندئذ أهملني العذول وتنحى عن طريقي وتركني وعزف عن عتابي.

(٧) المفردات: الرود: الفتاة الشابة. الكعاب: الجارية الكاعب وهي التي كعب نهدها وارتفع.

المعنى: وما دام الشيب يرافقني فلن أحنُّ إلى الحسناء البضة الناهد.

(٨) المفردات: البرحاء: الشدة. السُّخاب: القلادة من القرنفل والطيب.

المعنى: وشدة وجدي هذه لا تُبلغني الحسناء المزدانة بالقلائد والطيوب.

(٩) المعنى: فاتركيني يا ذات الخدين الأملسين وأبعدي عني أسنانك العذبة.

(١٠) المعنى: فلا أطمع بعناقك ولا بارتشاف رضابك.

(١١) المعنى: وما دامت شعراتي بيضاء بعد أن كانت سوداء فما عليَّ إلا أن أجول عنك.

- نِقَابَكَ والبَعَادَ اليَوْمَ مِنِّي فَقَد صَارَ المَشِيبُ بِهَا نِقَابِي^(١)
ضَلَلْتُ عَنِ الهُدَى زَمَنًا بِسُودِي فَأَرشَدَنِي المَشِيبُ إِلَى الصَّوَابِ^(٢)
أَلَمْ تَرْنِي مُقِيمًا فِي سِرَاعِ إِلَى خَطَاٍ بِطَاءٍ عَنِ صَوَابِ^(٣)
طَعَامِي فِيهِمْ وَعَدُّ خَلِيٍّ عَنِ الجَدْوَى وَشُرْبِي مِنْ سَرَابِ^(٤)
لَهُمْ غَدَرٌ بِجَارِهِمْ وَمَكْرٌ بِهِ خَافٍ وَلَا مَكْرُ الذُّنَابِ^(٥)
وَقَدْ مَزَجُوا دَهَاءَ البَلْدَاهِي كَمَا خَلَطُوا الغِبَاوَةَ بِالتَّغَابِي^(٦)
وَحُبُّهُمْ الَّذِي لَا أَرْتَضِيهِ فَأَنْفَقُ فِيهِ مِنْ جِدِّي لِعَابِي^(٧)
فَقُلْ لِمَعَاشِرٍ رَجَمُوا حِمَامِي: أَرُونِي مَنْ يَنْوِبُ لَكُمْ مَنَابِي؟^(٨)
وَمَنْ يَشْفِيكُمْ كَلِمًا وَكَلِمًا لَدَى غَمَرَاتٍ خَطْبٍ أَوْ خَطَابِ؟^(٩)
وَقَدْ طَرَدَ الرَّدَى عَنْكُمْ قِرَاعِي كَمَا طَرَحَ النَّدَى فِيكُمْ سَحَابِي^(١٠)
فَأَيْنَ حَضِيضُكُمْ مِنْ رَأْسٍ نِيقِي وَمِنْ أَوْشَالِكُمْ أَبَدًا عُبابِي؟^(١١)

(١) المعنى: فاضربي عليك النقاب وابتعدي عني اليوم، فقد صار مشيبي نقابي.

(٢) المعنى: وسواد شعري كان سببًا في ضلالي حينًا من الزمان، وحين ابيض شعري عاد إلي صوابي.

(٣) المعنى: ألم تكن تراني أسرع إلى الخطأ وأبطئ عن الصواب؟

(٤) المعنى: وبتنقل إلى وصف الأعداء وذمهم فيقول: كانت وعودهم بلا جدوى، وانتفاعي معدومًا؛ شبه الوعد بالطعام والشرب بالسراب الذي هو الماء الكاذب.

(٥) المعنى: وهم يغدرون بجيرانهم، أما مكرهم فمضمّر، ولا يقاس بمكر الذئاب.

(٦) المعنى: المعنى: وهم دهاة وتظاهروا بالدهاء، وهم أغبياء وتظاهروا بالغباء.

(٧) المعنى: وأنا لا أريد جهم هذا لأضيع به بعض جدي بلهوي.

(٨) المفردات: الرجم: الظن. الحمام: الموت.

المعنى: وهم ظنوا أنني ميت لا محالة، وهل عندكم أحد يحل محلي بينكم؟

(٩) المفردات: الكَلَم: الجرح.

المعنى: ومن الذي ينقذكم من الكلام والجراح إذا داهمكم أمور صعب أو احتجتم إلى من يتكلم عنكم؟

(١٠) المعنى: وإن مجابهتي في الحرب أبعدت الموت عنكم، وكرمي غطى على الندى.

(١١) المفردات: الحضيض: أخفض مكان من الأرض. النيق: أعلى نقطة في الجبل.

الأوشال: مفردا الوشل، وهو الماء القليل. العباب: الماء الغزير.

المعنى: وشتان بين موقعكم المنخفض ومقامي الرفيع، وما يأتيكم من قليل إن هو إلا من =

وما للعارِ في طَرْفي مجالاً وأنتم في يَدَي عارٍ وعابٍ^(١)
فلا تَسْتَوطِنُوا إِلَّا وَهَادًا فَإِنَّ لغيركم قُلُلَ الرُّوَابِي^(٢)
ومِمَّا ضَرَمَ الأعداءَ نارًا حلولي من قريشٍ في اللُّبابِ^(٣)
وَأَنَّ إِلَى نَبِيٍّ أَوْ وَصِيٍّ نُسِبْتُ فَمَنْ لَهُ مِثْلُ انتسابي؟^(٤)
وفي بيتي النُّبُوَّةُ ما عَدَّتْني وقانونُ الإمامةِ في نِصابي^(٥)
أَجَلُ عَيْنِكَ فِي مَجْدِي تَجْدُنِي وَلَجْتُ إِلَى الْعُلا مِنْ كُلِّ بَابٍ^(٦)
فما طُوِثَ عَلَى لَعِبِ ثِيَابِي وَلَا حُدِثَ إِلَى طَرَبِ رِكَابِي^(٧)
هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي يُذْنِي وَيُنْبِي وَيُقْعِي حِينَ يُقْعِي لِلوِثَابِ^(٨)
جَمَعْتُمْ يَا بَنِي الدُّنْيَا حُطَامًا يُرَى مِنْ بَعْدِكُمْ بِيَدِ النَّهَابِ^(٩)
وَقَدْ أَذْلَلْتُ مَا أَعَزَّزْتُمُوهُ فِدَابِكُمْ بَنِي الدُّنْيَا وَدَابِي^(١٠)
لَقَدْ طَلَبَ الْعِدَى مَنِّي مَعَابًا فَمَا وَجَدُوا - وَقَدْ جَهِدُوا - مَعَابِي^(١١)

=كثيري.

(١) المعنى: أنتم غارقون في العيب والعار، أما أنا فظاهر الذيل من أي دنس.
(٢) المعنى: ولا يجوز لكم أن تستقروا إلا في الوديان، لأن لغيركم أعلى الروابي.
(٣) المعنى: لقد أثار نسبي الرفيع إلى صميم قريش ضغينة الخصوم.
(٤) المعنى: وإن محتدي يرجع إلى النبي (ﷺ) وابن علي (رضي)، فهل لأحد مثل هذا الأصل؟

(٥) المفردات: النصاب: الأصل.
المعنى: وميراث النبوة في بيتي لم يتخطه، ونظام الإمامة في جدودي.
(٦) المعنى: فإن فتشت عن أرومتي رأيت أنني دخلت المجد من كل جانب.
(٧) المعنى: فما أعددت ثيابي للهو، ولا أعددت جوادي للسرور.
(٨) المفردات: يقعي: يجلس، من الإقعاء الذي هو القعود على الأليتين مع نصب الفخذين.
ينبي: يُبعد.
المعنى: وهذا الزمان هو الذي يقرب ويبعد، ويعين على الثوب.
(٩) المعنى: فإنا من أضعتم زمانكم في جمع تفاهات الدنيا، ستركونه بعد موتكم للنهب والسلب.

(١٠) المعنى: وما تتباهون به ذليل عندي فلكم مآربكم من الدنيا ولي مآربي.
(١١) المعنى: حاول خصومي أن يكتشفوا في عيبي فسادوا بخفي حينين.

- ولا رَجُوا ولا حذروا جميعًا سِوَى عُقْبَى ثَوَابِي أَوْ عِقَابِي^(١)
 وَمَنْ ذَا كَانَ لِلخلفاءِ مثلي وقد مسَّتْ أُسْرَتَهُمْ ثِيَابِي؟^(٢)
 وقد عَتَبُوا عَلَيَّ وليس يخلو الـ عَدُوُّ ولا الوليُّ من العتابِ^(٣)
 فما طَرَحُوا لِذِي أَرْبِ سُؤالي ولا تَرَكُوا جوابًا عن خطابي^(٤)
 ومالي بينهم إِلَّا لِيالٍ عَذْبَنَ وَغَيْرُ أَيَّامٍ طِيَابِ^(٥)
 وكنم يومَ نصرَتَهُمْ وفَرَشِي قَرَا الجُرْدِ المِطْهَمَةِ العِرَابِ^(٦)
 كأني شَامَخَ في رَأْسِ طَوْدٍ وفي الإسراعِ فوقَ قِطَاةٍ جَابِ^(٧)
 وفي كَفِّي صَقِيلٌ لا بصَقِلٍ له عهدٌ طويلٌ بالقِرَابِ^(٨)
 إِذَا حَمَلْتُهُ كَفِّي في هِيَاجٍ فويلٌ للجِماجمِ والرُّقَابِ!^(٩)
 وقد جَمَعْتُ عَمَّا في ضَمِيرِي فَإِنْ بُقِيتُ قَلْتُ ولم أَحَابِ^(١٠)

(١) المفردات: رَجَى: أَمَّلَ.

المعنى: ولم يخافوا إِلَّا أَنْ يَخْسِرُوا ثَوَابِي، أَوْ يَحِلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبِي.

(٢) المعنى: وَلَنْ تَجِدَ مِثْلًا لِمَقَامِي يَدْنُو مِنَ الخلفاءِ حَتَّى احْتَكَّتْ ثِيَابِي بِعُرُوشِهِمْ.

(٣) المعنى: وَعَاتَبُونِي، وَالعتابُ عَادَةٌ يَصْدُرُ مِنَ السَّادَةِ وَمِنَ الأَعْدَاءِ.

(٤) المفردات: الأَرَبُ: الْحَاجَةُ. كَذَا يَقْتَرِحُ الْمُحَقِّقُ لِكَلِمَةِ «جَوَابًا» وَهِيَ فِي الأَصْلِ «جَوَابِي».

المعنى: وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْضُوا سُؤالي عَلَى مُتَطَلِّعٍ، وَلَا رَفَضُوا كَلَامِي.

(٥) المعنى: وَلَيْسَ لِي عِنْدَ الخلفاءِ سِوَى أَيَّامٍ طَيِّبَةٍ أَثِيرَةٍ.

(٦) المفردات: القَرَا: الظَّهْر. الجُرْدُ: مَفْرَدُهَا الأَجْرَدُ، وَهِيَ صِفَةُ حَسَنَةِ اللُّجُودِ السَّرِيعِ القَصِيرِ الشَّعْرِ. المِطْهَمَةُ: الْجَمِيلَةُ التَّامَةُ الخَلْقِ. العِرَابُ: الْخَيْلُ الْكَرِيمَةُ السَّالِمَةُ مِنَ الْهَجْنَةِ.

المعنى: وَإِنِّي كَثِيرًا مَا نَصَرْتُ الخلفاءَ فِي مُحَنِّهِمْ، وَحَارَبْتُ مَعَهُمْ عَلَى الْخَيْلِ السَّرِيعَةِ الأَصِيلَةِ الْجَمِيلَةِ.

(٧) المفردات: الطود: الْجَبَل. القِطَاةُ (هنا): الظَّهْر. الْجَابُ (مُخَفَّفَةٌ مِنَ الْجَابِ): الْغَلِيظُ مِنَ حَمْرِ الْوَحْشِ.

المعنى: وَقَدْ كُنْتُ مُرْتَفَعًا وَأَنَا عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، وَفِي السَّرْعَةِ كَأَنِّي كُنْتُ مَمْتَطِيًا أَحَدَ حَمْرِ الْوَحْشِ الْقَوِيَّةِ. وَشَامَخًا هُنَا حَالٌ.

(٨) المعنى: وَكَانَ فِي يَدِي سَيْفٌ صَقِيلٌ لَا يَشْبَهُ السَّيْفَ الْمُغْمَدَ مِنْذُ زَمَنِ.

(٩) المعنى: وَحِينَ امْتَشَقَ هَذَا الْحَسَامُ فِي سَاحَةِ الْوُغَى فَوَأسَفًا عَلَى الرُّؤُوسِ وَالرُّقَابِ.

(١٠) المفردات: جَمِجَمٌ: أَخْفَى كَلَامِهِ. الْمُحَابَاةُ: الْمَدَارَاةُ.

وقال في الوعظ: [من الخفيف]

- كل يوم غريبة للخطوب
حيرة كالضلال في غسق اللئ
وازورار عن الهدى؛ فحليم
وعيون مملوءة من دموع
وذنوب من الزمان فقد عث
ورمّني أحداث هذي الليالي
في ملك أسطو به وحميم
عج على هذه الديار [التي] لي
دخلت هذه الرزايا اقتساراً
واستبدت دوني بكل نفيس
- وعجيب ينسبك كل عجيب^(١)
ل بلا صاحب ولا مضحوب^(٢)
كسفيه ومخطيء كمصيب^(٣)
وقلوب محشوة من وجيب^(٤)
ت طويلاً وماله من ذنوب^(٥)
إذ رمّني بمصميات القلوب^(٦)
أو خليل أو صاحب أو نسيب^(٧)
س لداع بأهلها من مجيب^(٨)
بين قلبي وبين كل حبيب^(٩)
وتنأث عني بكل قريب^(١٠)

=المعنى: وكنت هممت بما يكفه ضميري، ولو أعطيت الأمان لصرخت من غير وجل.

(١) المعنى: يحل بنا كل يوم حادثة جلل، وقضية عجيبة تفوق كل قضية.

(٢) المفردات: الغسق: الظلام.

المعنى: أنا في حيرة ودهشة كالضلال في الليل الحالك، فلا يحيط بي أي صديق.

(٣) المعنى: وانحرف عن الهدى، فترى العاقل كالسفيه، والمخطيء كالمصيب.

(٤) المفردات: الوجيب: الخفقان.

المعنى: وترى العيون تعج بالدموع، والأفئدة يعمها الخفقان.

(٥) المعنى: وقد عثرت مديداً والذنوب تتوالى علي من هذا الزمان، ولا أجد له ذنباً.

(٦) المفردات: المصميات: القاتلات.

المعنى: وقد داهمتني نوائب الزمان بشدائدها بما يقتل الأفئدة.

(٧) المعنى: داهمتني في كل ما ينكبني؛ في ملك أعتر به، وصديق حميم، أو خليل، أو قريب.

(٨) المفردات: الزيادة ضرورة من المحقق.

المعنى: اتجه نحو هذه الديار الخالية من السكان، والتي لا تستجيب لنداء.

(٩) المعنى: تسربت هذا المصائب بين شغاف قلبي قسراً عني، وفرقت بيني وبين أحبتي.

(١٠) المعنى: وسحبت مني كل ما أعتر به وخصت نفسها به، وأبعدت عني كل قريب.

وَإِذَا مَا شَكُوتُ مَا بِي فَشَكُوا يَ إِلَى كُلِّ مُثْقَلٍ مَكْرُوبٍ^(١)
 عَرَضُ بِالزَّمَانِ يَكْلُمُ بِالْأَظْ فَارٍ مِنْهُ وَتَارَةً بِالنُّيُوبِ^(٢)
 يَتَهَنَّى بِالْعَيْشِ وَهُوَ عَلَى مَا لَيْسَ يَهْوَى مِنْهَا لِقَاءَ شَعُوبٍ^(٣)

- 63 -

وقال وكتب بها إلى الوزير أبي المعالي بن عبد الرحيم عند عوده من
 سَقَى الْفِرَاتِ^(٤) : [من الكامل]

لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ الْمَشِيبِ تَصَابِي ذَهَبَ الشَّبَابُ وَبَعْدَهُ أَطْرَابِي^(٥)
 فَالآنَ مَا أَرْجُو وَصَالَ خَرِيدَةً يَوْمًا وَلَا أَخْشَى صُدُودَ كَعَابٍ^(٦)
 يَا صَاحِبِي قَدْ عَادَ عَذْلُكَ ظَاهِرًا فَالشَّيْبُ أَعْدَلُ مِنْكَ فِي أَحْبَابِي^(٧)
 قَدْ نَابَتِ الْخَمْسُونَ وَالسَّبْعُ الَّتِي لِي بَعْدَهَا فِي الْعَدْلِ عَنْ أَصْحَابِي^(٨)
 فَلَرَبَّمَا حَابِي الْعَدُولُ فَلَمْ يَلْمُ وَالشَّيْبُ فِي الْفُودَيْنِ لَيْسَ يَحَابِي^(٩)

(١) المعنى : وإذا بحثت حولي عمن أبته آلامي وأحزاني وجدت الجميع مرهقين بالأتراح.

(٢) المفردات : العَرَضُ : العارض من دون روية . يكلم : يجرح . النيوب : مفردها ناب .

المعنى : وقد يعترض حياتي عارض زائل فيجرحني جرحًا أو يمزقني بعنفه .

(٣) المفردات : شعوب : علم للمنية ، وهو اسم لا ينصرف ، وكسر ضرورة .

المعنى : والمرء يسعد في حياته ، من غير أن يتوقع لقاء الموت .

(٤) هو عميد الدولة محمد بن أبي القاسم الحسن ، وجدّه علي بن عبد الرحيم . ولي الوزارة

لجلال الدولة سنة ٤١٩ ، ثم عزل ثم عاد ، خمس مرات . وتوفي بجزيرة ابن عمر سنة

٤٣٩ . له اجتهاد في الأدب والحساب . وسقى الفرات : هي البلاد التي يسقيها نهر

الفرات ، ولا سيما في العراق حول الكوفة .

(٥) المعنى : حل الشيب في رأسي فلم أعد إلى التصابي ، ولقد ولى شبابي وتبعته لذائذي .

(٦) المفردات : الخريدة : الجارية العذراء . الكعاب : الفتاة التي كعب نهداها وارتفع .

المعنى : فهجرت لقاء الحسناء ، ولم أعد أخشى صدودها .

(٧) المعنى : لم يعد لعذلك جدوى يا صاحبي ، لأن الشيب ناب عنك وزاد في عذله .

(٨) المعنى : ها قد بلغت السابعة والخمسين من العمر ، وهذه السنون وحدها كفيلة بردعي عن

أحبتني .

(٩) المفردات : حابي : دارى . الفُودان : جانب الرأس مما يلي الأذنين .

المعنى : وقد يداريني العذول فيخفف من لومه ، بينما هذا الشيب الذي يطوف على طرفي =

لا تخشَ مِنِّي أَنْ أَنْقُبَ عَنْ هَوَى الـ
بلغَ المشيبُ مَآرَبًا وَمَآرَبًا
ورجوتُ منه شِفَاءً دَاءٍ كَامِنٍ
قد كان شَافِعِي الشَّبَابُ إِلَى الدُّمَى
فرباعُهُنَّ سِوَى رَبَاعِي فِي الهَوَى
ولقد عَمَرْتُ مُرَاسِلًا مِنْ قَبْلِهِ
لا ذَنْبَ عِنْدِي مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ
ولقد عَتَبْتُ عَلَى الَّتِي صَرَمْتُ وَقَدْ
يا جَمْلُ كَيْفَ نَزَعْتَ حَبْلَكَ مِنْ يَدِي
فقطعتِ وصلك لا لجرم كان لي
ساقَ الذي بعثَ النَّوَى قَلْبِي كَمَا

بيضِ الأوانسِ والمشيبُ نِقَابِي^(١)
مَنِّي وَلَمْ أَبْلُغْ بِهِ آرَابِي^(٢)
فازدَدْتُهِ وَصَبَا إِلَى أَوْصَابِي^(٣)
والشيبُ بعدَ فراقِهِ أغرى بي^(٤)
وجَنَابُهُنَّ هُنَاكَ غَيْرُ جَنَابِي^(٥)
فَاعَادَ لِي رُسُلِي بغيرِ جَوَابِ^(٦)
كان السَّفِيرَ لِفُرْقَةِ الْأَحْبَابِ^(٧)
وَصَلَ المشيبُ وما أَفَادَ عَتَابِي^(٨)
لَمَّا نَزَعْتُ مِنَ الصُّبَا أَثْوَابِي؟^(٩)
وإلى وصالِكَ جِئْتِي وَذَهَابِي^(١٠)
ساقَ الحُدَاةِ ضَحَى بِطَاءِ رِكَابِ^(١١)

=رأسي لا يتوانى عن عتابي .

(١) المفردات: أنقب: أفحص. النقاب: القناع.

المعنى: فلا تخف مني إن بحثت عن حب الجميلات الأنسات، لأن شيبى قناعي .

(٢) المعنى: وقد استهدف الشيب مقاصد عدة، في حين أنني لم أبلغ مأربي .

(٣) المفردات: الوصب: المرض .

المعنى: وأملت من شيبى أن يشفيني من مكنون دائي، لكن زاد من أوجاعي .

(٤) المعنى: وهذا الشباب الذي أحمله في نفسي غافراً حبي للصبايا، وحين ولى الشباب آثار الشيب هوأي .

(٥) المعنى: فديارهن غير ديارى في ساحات الصباية، ومقامي فيها يختلف عن مقامهن .

(٦) المعنى: وكنت أرسلت رسولي قبل حلول المشيب، لكن الشيب أعاده من غير جواب .

(٧) المعنى: لا أراه مذنباً عندي سوى أنه كان فيصلاً بيني وبين أحبتي .

(٨) المفردات: صرمت: قطعت .

المعنى: وعاتبته من انقطعت عن وصالى، وكان الشيب قد طلع، فلم يُقد عتابي .

(٩) المفردات: جمل: منادى مرخم على لغة من لا ينتظر، أصلها «جميلة» .

المعنى: كيف بعدت عني وقطعت صلتك بي حين ولى الشباب عني؟

(١٠) المعنى: ونأيت عني من غير أن يصدر عني خطأ، وكنت أذهب وأجىء في سبيل وصالك .

(١١) المعنى: الذي كان سبباً في البعاد قاد فؤادي أمامه ببطء، كما ساق سائقو الأظعان نوقهم بكل بطء .

فمتى سألت عن الفؤاد فإنه
 يا طالبًا يجتاب كل تئوفة
 والشمس في الجوزاء رامية إلى
 عُج بالوزير أبي المعالي أُنثي
 واقطع به - كي لا أسافر - أنسعي
 فهو الذي قد كنتُ عمري أبتغي
 وإذا بلغن بي المني موفورة
 لي من وِدادك واصطفائك رُتبة
 وإذا ملأت من الثناء مَسامعي
 وإذا رضيت فقد حظيتُ فإنني
 لي كل يوم من جميلك مِنَّة
 قد سارَ بينَ هودج وقباب^(١)
 تُدمي ظهورَ العيس خيرَ جناب^(٢)
 تلك المرامي كلها بلُعب^(٣)
 واجعلُ إليه غيبتني وإيابي^(٤)
 واعقرْ له - كي لا أريمَ - ركابي^(٥)
 وأرومُ مُقترحًا على أنصابي^(٦)
 فشعابُ غيرِ المُدلجين شعابي^(٧)
 حُبُّ أتيه به على أحبابي^(٨)
 فكأن ملأت من الثراء عيابي^(٩)
 أرضى بأن ترضى وذاك طِلابي^(١٠)
 غراء تأتيني وتقرعُ بابي^(١١)

(١) المعنى: فإن تساءلت عن مكان فؤادي، فاعلم أنه هائم بين الهودج والظعائن.
 (٢) المفردات: يجتاب: يقطع ويجتاز. التئوفة: الفلاة. العيس: الإبل البيض، مفردا عيساء وأعيس.

المعنى: أيا من يقطع الصحارى والفلات على ناقة تفرح ظهرها من بُعد الشقة.

(٣) المعنى: والشمس في كبد السماء ترسل حرارتها الحارقة في كل جانب.

(٤) المفردات: الأينق: مفردا الناقة.

المعنى: قُذني إلى الوزير أبي المعالي، واجعل مآل ركابي إليه.

(٥) المفردات: الأنسع: مفردا النُسع، وهو سير جلدي تُشد به الرحال. أريم: أفرق.

المعنى: وحتى لا أفكر بالسفر عنه أقطع حبال الرحل واعقر ناقتي.

(٦) المفردات: أروم: أقصد. أنصابي: غياتي.

المعنى: فقد كان غاية قصدي طوال عمري، وهذا ما كنت أقترحه على آمالي.

(٧) المفردات: المدلجون: السائرون ليلًا.

المعنى: وإذا حط بي المطاف حسب أمنيته تركت المسافرين يحيطون حيثما أرادوا.

(٨) المعنى: لقد خصصتني بوداد أعده مكانة كبيرة، وهذا الحب أباهي به أقراني.

(٩) المفردات: العياب: مفردا العيبة، وهي الوعاء.

المعنى: وإن كنت غمرتني بشكرك فكأنك أغيتني.

(١٠) المعنى: وغاية ما آمله رضاؤك وهذا حسبي، ويكفيني أن ترضى عني، وهذا أقصى طموحي.

(١١) المفردات: الغراء: الحسنه، والأبيض من كل شيء.

وكرامةً لم يدنُ منها مُكرِمْ عَبَقْتُ بها دُونَ الأَنامِ ثِيَابِي^(١)
كَرَّمَتْنِي فَمَلَكْتَ مِنِّي رِبْقَةً تَأَبَى انْعَتَاقًا يَوْمَ عِثْقِ رِقَابِ^(٢)
وَتَرَكْتَنِي وَقَفًّا عَلَيْكَ إِقَامَتِي وَإِلَى دِيَارِكَ مَوِيلِي وَمَأْبِي^(٣)
كَمْ لِي إِلَيْكَ شَفَاعَةٌ مَقْبُولَةٌ وَنَدَاءٌ مَسْمُوعِ النَّدَاءِ مُجَابِ^(٤)
فَمَتَى أَرَدْتُ جَعَلْتُ قَوْلِي رَائِدًا فِي نَيْلِ مَوْهَبَةٍ وَصَرَفِ عِقَابِ^(٥)
فَلَقَدْ كُفَيْتُ وَفِي يَدَيْكَ مَعُونَتِي وَلَقَدْ غَلَبْتُ وَأَنْتَ مِنْ أَحْزَابِي^(٦)
وَمَتَى ضَحَيْتُ فِي ذُرَاكَ أَظْلَلْتِي وَإِذَا ظَمِئْتُ فَمِنْ نَدَاكَ شَرَابِي^(٧)
وَأَنَا الَّذِي لَكَ بِالْوَلَاءِ مُوَاصِلُ فَاعْفِرْ لَذَاكَ زِيَارَةَ الْإِغْبَابِ^(٨)
سَلْ عَنْ بَسَالَتِهِ خَفَاجَةً وَالظُّبَا فِي رَاحَتِهِ تَعْطُ كُلَّ إِهَابِ^(٩)
وَالطَّعْنُ يَشْنِي كُلَّ مَنْ شَابَتْ لَهُ تِلْكَ الْمَفَارِقُ مِنْ دَمٍ بِخِضَابِ^(١٠)
وَتَوَهَّمُوا جَهْلًا بِأَنَّكَ كَالْأَلَى شُلُّوا بِأَرْمَاحٍ لَهُمْ وَحِرَابِ^(١١)

=المعنى: أنت تفضل علي كل يوم، وأفضالك تفد علي بحسنها وتقرع بابي.

(١) المعنى: وتبذل لي خيرًا يقصر عنه كل كريم، ويشيع ذكره بين الناس.

(٢) المفردات: الربة: حبل تشد به المواشي.

المعنى: مننت علي فملكيت قيادي، ويرفض القياد حلاً يوم تحرير الرقاب.

(٣) المعنى: وغدوت تبعًا لك ما أقمت في ديارك التي غدت ملاذي ومحط استقراري.

(٤) المعنى: أعترف أنك تفضلت علي بقبول شفاعتي إليك، واستجابة ما أرجوه منك.

(٥) المعنى: وحين أريد - من تشجيعك - ألجأ إليك في أن تمنح كرمك، أو تمنح عفوك.

(٦) المعنى: فإن بلغت الكفاية فمن عونك، وإن انتصرت فلأنني من حزبك.

(٧) المعنى: وأنت الذي يحميني مما يؤذيني، ويروني بكرمه إن اعتراني العطش.

(٨) المعنى: الإغباب في الزيارة: أن يعقب كل زيارة غيبة.

المعنى: إن كنت قصرت في زيارتي إليك فإن ولائي لك دائم متواصل.

(٩) المفردات: تعط. تشق. خفاجة: اسم علم ولعله أحد قواد خصومه.

المعنى: إن أبا المعالي بطل، ولك أن تسأل عن شجاعته خفاجة وحد السيوف، وهي في يده تشق أجسام الرجال.

(١٠) المعنى: أما طعانه فيجعل ذوي الخبرة بالحرب أن يتراجعوا عن إقدامهم مما يرون من الدماء الحمراء المهرقة.

(١١) المفردات: شلوا: طردوا.

المعنى: وكان جهلاً منهم أنهم ظنوا أنك كالذين طردوا برماحهم وحرابهم.

حَتَّى رَأَوْكَ مَصْمَمًا فَتَسَاهَمُوا طُرُقَ الْفِرَارِ بِقَفْرَةٍ كَذْنَابٍ^(١)
 شَرَّدَتْهُمْ؛ فَخِيَامُهُمْ مَنبُوذَةٌ مِنْ غَيْرِ إِعْمَادٍ وَلَا إِطْنَابٍ^(٢)
 وَسَلَبَتْ أَنْفُسَهُمْ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَا أَبْقَتْ مَصَارِعُهُمْ مِنَ الْأَسْلَابِ^(٣)
 لِلَّهِ ذَرٌّ شَجَاعَةٍ بِكَ أَمَكَنْتَ نَضَلَ الْأَعَاجِمَ مِنْ طُلَى الْأَعْرَابِ^(٤)
 وَلَقَدْ لَقَفْتَهُمْ بِهِمْ، فَكَأَنَّمَا حَضَضْتَ بَيْنَ ضِرَاغِمٍ فِي غَابٍ^(٥)
 وَالْيَوْمَ لَا يُنْجِيكَ مِنْ أَهْوَالِهِ إِلَّا الطُّعَانُ وَصَدَقُ كُلِّ ضِرَابٍ^(٦)
 فَالضَّرْبُ فِي هَامَاتِهِمْ مَنشُورَةٌ فَوْقَ الثَّرَى وَالطُّعْنُ فِي الْأَقْرَابِ^(٧)
 هَدَرَتْ زَمَانًا بِالْفِرَاتِ فُحُولُهُمْ فَالْيَوْمَ مَا فِيهِمْ طَنِينٌ ذُبَابٍ^(٨)
 أَمَّا بَنُو عَبْدِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهُمْ حَدُّ الرَّجَاءِ وَغَايَةُ الطُّلَابِ^(٩)
 لَمْ يَسْكُنُوا إِلَّا الْقِلَالَ وَلَمْ يُرَوْا وَالنَّجْمَ إِلَّا فِي رُؤُوسِ هِضَابٍ^(١٠)

- (١) المفردات: حتى إذا رأوك مصمماً على الإقدام قرروا الهرب، فتقاسموا طرق الفرار فغدوا كالذئاب في القفر.
- (٢) المعنى: وراحوا أمامك متفرقين، وقد هجروا خيامهم فغدت مهملة لا عماد لها ولا حبال تربطها.
- (٣) المعنى: وقتلتهم، ولم تعباً بما خلفوا من غنائم.
- (٤) المفردات: الطلى: الرقاب، مفردها الطلية.
- المعنى: ما أعظم شجاعتك! لقد غرست السيوف المصنوعة في بلاد الأعاجم في رقاب البدو الأعراب.
- (٥) المفردات: حضضت: حرضت. الضراغم: مفردها الضرغام، وهو الأسد.
- المعنى: ودفعتهم لحرب أنفسهم فاقتتلوا، فكأنك حرضت أسود الغابة بعضها ببعضها الآخر.
- (٦) المعنى: ولا ينقذك من غوائل هذه الأيام إلا الطعن والضرب الصائب.
- (٧) المفردات: الأقرب: مفردها القرب، وهو الخاصرة.
- المعنى: وحل بهم ضرب في الرقاب فتراها منشورة فوق الأرض، والطعن في الخاصرة.
- (٨) المعنى: كان لفحولهم الأبطال يوماً صولة وهياج، أما الآن فلا صريخ لهم ولا حتى طنين ذباب.
- (٩) المعنى: ويشي على بني عبد الرحيم بأنهم غاية الرجاء وأمل الطالبين.
- (١٠) المعنى: مساكنهم في أعالي الجبال، وهم والنجوم يقطنون رؤوس الهضاب.

ما فيهم إلا النجيب لأنه ال
القائلين الفضل يوم تخصم
ومزاحمين لهم على راياتهم
لن يصلحوا قُرباً لصون سيوفهم
لا خير في أسلٍ بغير عواملٍ
ليس الرياسة بالمُنَى أو بالهوى
لا تقربوا بذئابكم طلعاً عن الذ
وإذا الجياد جرين لم تحفل وقد
وصوارم الأسياف عند ضريبة
خُذها فإن بُقيت شيئاً آنفاً
واسمع كلاماً لم يحك شبه له

بيت المليء بكثرة الأنجاب^(١)
والواهبين الجزل يوم رِغاب^(٢)
رجعوا وقد نكصوا على الأعقاب^(٣)
وهم السيوف لنا بغير قراب^(٤)
فيها ولا سيفٍ بغير ذباب^(٥)
لكنها بركوب كل صعب^(٦)
نسلان والعسلان ليث الغاب^(٧)
عن التسابق بالهجين الكابي^(٨)
ما كن يوماً كالكليل النابي^(٩)
تسمع لها ما شئت من أتراب^(١٠)
ملآن بالإحسان والإطراب^(١١)

- (١) المعنى: الأصالة تتمثل في ديارهم، ولن تجد في منازلهم، مع كثرتهم، إلا النجباء.
- (٢) المعنى: وهم إذا احتكموا حكموا بالكلام الفصل، وإذا وهبوا أجزلوا العطاء.
- (٣) المعنى: وإذا تسابق خصومهم للفوز براياتهم باؤوا بفشل ذريع.
- (٤) المفردات: القرب: مفردا القراب، وهو غمد السيف.
- المعنى: إنهم مستعدون للحرب دوماً، لذلك لا يُعدّون غمد سيوفهم، وهم يُعدّون سيوفنا الممتشقة.
- (٥) المفردات: الأسل: الرماح. العوامل: صدور الرماح مما يلي السنان. الذباب: حد السيف.
- المعنى: أنتم عامل رمحنا وذباب سيفنا، ولا نفع للرمح والسيف بدونهما.
- (٦) المعنى: رئاسة القوم لا تكون بالأمانى والرغبات، ولكنها تأتي بخوض المصاعب.
- (٧) المفردات: النسلان: مصدر نسل، وهو الذي يسرع في مشيه. والعسلان مثل النسلان.
- الطلع: سرعة الخيل في عدوها.
- المعنى: لا تتصوروا أنكم تبلغون بسرعة الذئاب سرعة الأسود الخاطفة.
- (٨) المفردات: عن: عرض. الهجين من الخيل: الذي أمه برذونة. الكابي: العاثر.
- المعنى: إذا عدت كرام الخيل في سباقها لم تعباً بالخيل العائرة غير الأصلية.
- (٩) المعنى: لا تقارن السيوف القاطعة في الحرب بالسيوف الكليلة التي لا تقطع.
- (١٠) المفردات: الأتراب: مفردا الترب، وهو النظير.
- المعنى: إليك قصيدتي، فإن كنت قصّرت في ذكر شيء سابق أتبعتها بأخرى مثيلة لها.
- (١١) المعنى: واسمع بها كلاماً لم يُقل مثله، وهو قول مفعم بالثناء والإسعاد.

روضًا ولكن ليس يجني زهره إلا يميئك مالك الآداب^(١)
وإذا المسامع أنصفت لم تقتنص إلا كلامي وحده وخطابي^(٢)

- 64 -

وقال في الوزير أبي المعالي أيضًا: [من مجزوء الكامل]

يا حَبِّذا مَنْ زارني من بعد صد واجتناب^(٣)
نشوان في أعطافه طربُ الشَّبيبة والشَّباب^(٤)
وشكوت لما أن شكوت إلى نفور القلب ناب^(٥)
مُسْتَنْزِر مَنِّي الجوى مُستحقِر لعظيم ما بي^(٦)
أَجَلَلْتُه أو خِفْتُه فَكَفَيْتُهُ ثِقْلَ الْعِتَابِ^(٧)
وقنعت منه بزورة عَرَضْتُ ولم تك في حسابي^(٨)
جاءت بلا طَلَبٍ وكم صَفَوِ تَكْدَرُ بِالطُّلَابِ^(٩)
لو عن لي في نيلها طمع لبعث بها شبابي^(١٠)

(١) المعنى: أقدم لك روضًا مزهرًا، ولكنه لا يجوز أن يقطف زهره إلا أنت يا مالك الذوق.

(٢) المعنى: وإذا كان هناك آذان مقدرة أنصفت ما أنشد، ولم تر مثيلاً لكلامي وخطابي.

(٣) المعنى: أرحب بمن زارني بعد أن غاب عني وصدني زمناً.

(٤) المفردات: النشوان: السكران. الأعطاف: مفردا العطف، وهو الجانب.

المعنى: جاءني زائري سكران وعنفوان الشباب يرنح أعطافه.

(٥) المعنى: وقدمت شكواي إلى من يكثر النفور وينأى عن الأحبة.

(٦) المفردات: المستنزر: المحتقر.

المعنى: كان يحتقر مني أن يبدو عليّ العشق والهيام، ويستخف كثيراً لما يظهر عليّ.

(٧) المعنى: ولقد احترمت كثيراً أو أنني رهبت، وبذلك ضمنت ألا أثقل عليه بعثابي.

(٨) المعنى: ومن حسن حظي أنه زارني هكذا فجأة ولم يكن ذلك في حسابي، فأقنعتني هذه الزيارة.

(٩) المعنى: جرت زيارته من غير أن أطلبها منه فأسعدتني، وكثيراً ما تتكدر نفسي عند الطلب.

(١٠) المفردات: عن: عرض.

المعنى: ولم أكن طامعاً بأكثر من هذا، ولو خطر ببالي أن نوال الزيارة ممكن لقدمتُ شبابي في سبيل تحقيقها.

وقال في الغزل: [من الكامل]

- ماذا يَضِيرُكَ هَندُ من حُبِّي وإذا قُربتُ إِلَيْكَ من قُربِي؟^(١)
 لا تعجبي مِن صَبَوَتِي بِكُمْ فالحُسْنُ أينَ رأيتَهُ يُصْبِي؟^(٢)
 ورباعُكم أنى أفارِقُها وبها غديري العذبُ أو عُشبي؟^(٣)
 ولو استطعتُ كُتِمْتُ حُبُّكُمْ للضَّنِّ عن قلبي وعن صَحْبِي^(٤)
 ومِن الغرائبِ أنني أبداً سِلْمٌ لِمَن هو ظالماً حربي^(٥)
 كم ليلةٍ نادمتُ فيكَ وأنتِ في سِنَةِ الرُّقادِ موائِلَ الشَّهْبِ^(٦)
 مُتَقَلِّباً طَوَلَ الدُّجَى أسفاً كالصِّلِّ من جَنبٍ إلى جَنبٍ^(٧)
 ما تعلمين وأنتِ ناعمةٌ مَن باتَ فيكَ مُعانقَ الكُربِ^(٨)
 وأردتُ أن أسلو وذا عَجَبٌ لو كانَ قلبي بالهوى قلبي^(٩)

(١) المفردات: يضيرك: يضر بك. هند: منادى بأداة نداء محذوفة.

المعنى: يا هند، ما هو الضرر الذي يصيبك من حبي لك؟ وإذا دنوت منك ماذا يعتربك من أذى؟

(٢) المعنى: لا تعجبي أنني عشقتك وهمت بك؛ فالجمال يسلب الألباب حيث كان.

(٣) المعنى: وكيف أترك منازلك وفيها مائي الصافي وغذائي الكامل؟

(٤) المفردات: الضن: البخل.

المعنى: كنت أتمنى لو أنني أخفيت حبي لك بخلاً بأن أبوح به، أخفيه عن أصحابي وحتى عن فؤادي.

(٥) المعنى: ومن أغرب الأشياء أنني أسالم من يعاديني لأنه حبيبي.

(٦) المفردات: السنة: أول النوم والغفوة الخفيفة.

المعنى: وبينما أنت ناعمة البال غارقة في نومك كنت أساهر الشهب المائلة حتى الصباح، فأحدثها عن حبي لك.

(٧) المفردات: الأسيف: الحزين. الصل: جنس خبيث من الحيات.

المعنى: أسهر الليل كله قلقاً حزناً، متلوياً في فراشي من طرف إلى آخر كتلوي الحية.

(٨) المعنى: وأنت غارقة في نعيم راحتك لا تعلمين من أمضى ليله يغازل الأحزان ويناجيها.

(٩) المعنى: وكم حاولت أن أنساك، كان يمكن هذا لو أن قلبي ملكي، ولكنه ملكك.

وَعَذَلْتُ مَنِّي مَن لَه أُذُنُ صَمَاءُ عَنْ عَذَلٍ وَعَنْ عَثْبٍ^(١)
 ومَنى يَكُنْ ذَنْبِي هَوَاكِ فَلََا غَفَرَ الْإِلَهُ - وَأَنْتَ لِي - ذَنْبِي^(٢)
 أَخْشَى لِسَانِي أَنْ يَبُوحَ بِمَا أَشْكُوهُ فِي جَدٍّ وَفِي لُغْبٍ^(٣)
 فِلِسَانٌ مَّنْ عُرِفَتْ بِلَاغَتُهُ أَمْضَى - إِذَا مَا قَالَ - مَن عَضْبٍ^(٤)

- 66 -

وقال في الغزل والشيب: [من الطويل]

عَجِبْتُ لَشَيْبٍ فِي عَذَارِي طَالَعَا عَلَيْكَ وَمَا شَيْبُ الْفَتَى بِعَجِيبٍ^(٥)
 وَرَابِكَ سَوْدٌ حُلْنٌ بِيضًا وَرَبَّمَا يَكُونُ حُؤُولُ الْأَمْرِ غَيْرَ مُرِيبٍ^(٦)
 وَمَا ضَرَّنِي وَالْعَهْدُ غَيْرُ مُبْدَلٍ تَبْدُلُ شَرْخِي ظَالِمًا بِمَشِيبِي^(٧)
 وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ جَنَايَةُ الْ- مَشِيبِ بِرَأْسِي فِي حَسَابِ ذُنُوبِي^(٨)
 فَلَا عَيْبَ لِي إِلَّا الْمَشِيبُ وَحَبْدًا إِذَا لَمْ يَكُنْ «شَيْءٌ» سِوَاهُ عِيُوبِي^(٩)

- 67 -

وقال في الغزل: [من الكامل]

- (١) المعنى: وجئتني تعاتبتني، وهل ينفع العتاب لمن كانت أذنه صماء لا تستمع إلى عتاب؟
- (٢) المعنى: فإن كان ذنبي أنني أحبك فأبقي لي ولو لم يغفر الله لي ذنبي هذا.
- (٣) المعنى: وأخشى ما أخشاه أن يصرح لساني بما أكثته لك من جد في الحب ولهو به.
- (٤) المفردات: العضب: السيف القاطع.
- المعنى: فالمرء البليغ يكون لسانه حين يتكلم أمضى من السيف القاطع.
- (٥) المعنى: إن شيب الفتى ليس عجيبًا، فلماذا أراك تعجبين من ظهوره في رأسي؟
- (٦) المعنى: وأوقعك في الشك شعرات تحولن إلى شعرات بيضاء، وقد يتحول الأمر من غير أن يعترينا شك.
- (٧) المفردات: الشرخ: أول الشباب وريعانه.
- المعنى: وماذا يضر تبدل شبابي بمشيب ظلماً ما دام حبي لك لم يتغير؟
- (٨) المعنى: ولم أكن أظن أن يحسب جرم الشيب برأسي من جملة ذنوبي.
- (٩) المعنى: وإنني لا أرى في ما يعيب سوى هذا الشيب، وكنت أتمنى أن يكون غير هذا عيبي.

عَنْ النِّسَاءِ لَنَا عَلَى وَادِي مَنَى فَاصْطَادَنِي مِنْهُنَّ بَعْضُ الرَّبْرِبِ^(١)
بِجَمَالِ مُتَشَحٍّ بِأَرْدِيَةِ الصُّبَا غَضٌّ وَبِهَجَةٍ رَوْنَقِي لَمْ تَنْضُبِ^(٢)
وطلبتُ منه وصاله فحُرِّمَتْهُ وَمَضَى بِمَهْجَةٍ عَاشِقِي لَمْ يُطَلِّبِ^(٣)
وشربته بجوارحي لكُنْني مِنْ عَذْبِ طَيِّبٍ وَصَالِهِ لَمْ أَشْرَبِ^(٤)
وسرقتُه مِنْ بَيْنِ مَنْ عَايَنْتُهُ فِي الْوَادِ وَالرُّقْبَاءُ لَا يَدْرُونَ بِي^(٥)

- 68 -

وقال يرثي أحد بني عمومته: [من مجزوء الوافر]

بَلَّغْنَا لَيْلَةَ الشُّعْبِ عَجَالًا مُنِيَّةَ الْحَبِّ^(٦)
تَلَاقَيْنَا كَمَا شِئْنَا بَلَا عِلْمٍ مِنَ الرُّكْبِ^(٧)
وطيف طاف في ظميا ء والإصباح في الحجب^(٨)
جَفَتْ عَيْنِي وَجَاءَتْ فِي دُجَى اللَّيْلِ إِلَى قَلْبِي^(٩)

(١) المفردات: عَنْ: عرض. الربرب: القطيع من بقر الوحش.

المعنى: مرُّ بنا سرب من الصبايا في وادي منى فاقتنصتني واحدة من الحسان.

(٢) المفردات: المتشح: الملفت بالوشاح، والوشاح تلفه المرأة على جسمها كالمنطقة، ويكون مزيئًا.

المعنى: كانت هذه الحسناء جميلة كالملتفة بثياب الشباب الطري والمُتَّسِمة بيهجة رائقة دائمة الحياة.

(٣) المعنى: والتمستُ منها وصلًا فأبت، وحين مضت عني قادت معها قلبي الذي عشقها وهجرته.

(٤) المعنى: وتسرب حبها إلى جسمي وسرى بين أطرافي، من غير أن أطعم من لطف لقائه.

(٥) المعنى: وانتشلت حبي من بين جميع من رأيت من الصبايا في وادي منى، ومن حسن حظي أن الرقباء لم يحسوا بما فعلت.

(٦) المفردات: الشعب: الطريق في الجبل، وما انفرج بين الجبلين.

المعنى: نلتُ أمني من حبي على عجل ليلة التقينا في الشعب.

(٧) المعنى: وتمَّ لقاءنا على خير ما أملنا من غير أن يدرك أحد لقاءنا.

(٨) المعنى: إنما هو طيف اعترض مخيلتي قبيل حلول الصباح.

(٩) المعنى: امتنع النوم عن عيني، فتسربت عينا في ظلمة الليل إلى شعاف قلبي.

- وزالت غِبَّ ما زارت
 وولت لم تُنل شيئاً
 فيا شعباً تعانقنا
 ولا قُرْبَت من جذب
 فكم فيك لباغي نـ
 ومن ظبي غني فيـ
 كفاه لؤلؤاً منه
 وأطراف خضاب اللـ
 ولما رأت الحسنـا
 وبيضا كالظبا البيـ
 تُجْنِيتُ بلا جُرم
 وحادث عن مَقْر كـا
 وما قلت لها: حسبي^(١)
 من الغنم سوى حبي^(٢)
 به بوركت من شعب!^(٣)
 ولا بوعدت من خصب^(٤)
 قل الأحاب من إزب!^(٥)
 يك بالحسن عن القلب^(٦)
 لباس اللؤلؤ الرطب^(٧)
 أغناهن عن خضب^(٨)
 في رأسي كالشهب^(٩)
 ض وما يصلخن للضرب^(١٠)
 وعوقبت بلا ذنب^(١١)
 ن فيه بقر السرب^(١٢)

- (١) المعنى: لكن هذا الطيف انحسر بعد أن أتم زيارته، من غير أن أعلن له ارتوائي.
 (٢) المعنى: رحلت عني ولم تهني شيئاً إلا حبي الذي رخصته لها.
 (٣) المعنى: ما أسعدنا بك أيها الشعب الذي تعانقنا فيه.
 (٤) المعنى: وسقاك الله وأخصبك، ولا أجذبك.
 (٥) المفردات: الثقل: العطاء. الإرب: القصد والحاجة.
 المعنى: إن فيك الكثير مما يطلبه من آمال.
 (٦) المفردات: القلب: السوار للمعصم.
 المعنى: وهذا الطالب ينشد غزلاً يزينه حلي.
 (٧) المعنى: يكفيه من التحلي باللؤلؤ أسنانه الرطبة.
 (٨) المعنى: وأنامل هذا الغزال لونهن الله، فلا حاجة للحناء.
 (٩) المعنى: لكن هذا الغزال حين فوجئ بالشيب في رأسي كالشهب اللامعة.
 (١٠) المعنى: وشاهد بياضي الشبيه برؤوس السيوف البيضاء التي لم تُعد للطن والضرب.
 (١١) المفردات: تجنيت: فعل مبني للمجهول، أي جني علي.
 المعنى: وصمت بالذنب ولم أقترفه، وعوقبت ولم أرتكب جريمة.
 (١٢) المعنى: فأنحازت عن مكان تجمع النساء. ووصفهن ببقر الوحش.

وعاتبْتُ ولكنْ قَلْد	لما يَنْفَعْنِي عَثْبِي ^(١)
فَقَلْ لِلْمُفْعَمِ الْمَلَا	نِ مِنْ كِبَرٍ وَمِنْ عُجْبِ ^(٢)
وَمَنْ يُرْكِبُهُ الْحِرْصُ	قَرَا صَغْبٍ مِنْ الصُّعْبِ ^(٣)
وَمَنْ تَنْقُلُهُ الْأَطْمَا	عُ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبِ ^(٤)
دِعِ الْأَسْفَارَ لِلرِّزْقِ	فَمَا الْأَرْزَاقُ بِالْكَسْبِ ^(٥)
يَجِيءُ الدَّرُّ أَحْيَاءَنَا	إِلَى الظَّامِي بِلا حَلْبِ ^(٦)
وَكَمْ هَجَرَ مِنَ الْوَضْلِ	وَكَمْ جِدُّ مِنْ اللَّغْبِ ^(٧)
خَفِ الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ	رَ ذُو أَخْذٍ وَذُو سَلْبِ ^(٨)
فَإِنْ أَغْنَى فَلِلْفَقْرِ	وَإِنْ أَقْعَى فَلِلْوُثْبِ ^(٩)
سَقَى اللَّهُ الْأَلَى كَانُوا	يَذُرُونَ بِلا عَضْبِ ^(١٠)
يَجُودُونَ بِمَا ضُنْتُ	بِهِ أَوْعِيَةُ السُّخْبِ ^(١١)

(١) المعنى: وعاتبته ولكن دون جدوى.

(٢) المفردات: المفعم: الممتلىء الزاخر.

المعنى: فقل لمن ينضح منه الخيلاء والته.

(٣) المفردات: القرا: الظهر. الحرص: البخل.

المعنى: ومن يضن ويصر على ضنه، ويلقى الصعاب في سبيله.

(٤) المعنى: ومن يتنقل من مكان إلى مكان في سبيل الطمع وجمع المال.

(٥) المعنى: لا تتعن وترحل من بلد إلى بلد كي تجمع المال، فالرزق ليس غاية للربح.

(٦) المفردات: الدر: اللبن.

المعنى: فقد يرزقك الله من غير معاناة، ويأتي اللبن للعطشان من غير عناء للحلب.

(٧) المعنى: وقد يأتيك الهجر بعد وصال، ولهو بعد عناء.

(٨) المعنى: ولا تخش من الحياة إلا مما يفعله الدهر، فهو يأخذ ويمنع.

(٩) المفردات: أقعى: جلس على ألبته ونصب فخذه.

المعنى: وإن تكرم الدهر عليك وأغناك فلأنه سيفقرك فيما بعد، وإن تراخى عنك فلكي يثب عليك.

(١٠) المفردات: العصب: شد فخذي الناقة لتدر.

المعنى: أنعم الله على من كانوا يسخون ويمنحون من غير مطالبة.

(١١) المعنى: وهم الذين يتكرمون في أيام الجذب والقحط، أيام امتناع المطر.

وَيُعْطُونَ بِلا مَنْ وَلَا كَدٌ وَلَا نَضْبٌ^(١)
 وَفَرَّاجِينَ كَشَافِينَ لِّلْغُمَّةِ وَالْكَرْبِ^(٢)
 نَبَوْا عَنْ مَطَرِ الْفَحْشَاءِ وَالْفَحْشَاءُ قَدْ تُنْبِي^(٣)
 وَلَمْ يُضَبَّوْا بِشَنْعَاءِ وَفِي الشَّنْعَاءِ مَا يُصْبِي^(٤)
 وَلَمْ يُغْدَوْا طَوَالَ الدَّهْرِ رَ مِنْ أَنْيَابِهِ الْجُرْبِ^(٥)
 وَلَا كَانُوا لِكُلِّ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعَ الْقُطْبِ^(٦)
 بِأَعْرَاضٍ نَقِيَّاتٍ مِنَ التَّقْرِيفِ وَالثَّلْبِ^(٧)
 يَرُونَ الْيَوْمَ ذَا نَخْسٍ إِذَا كَانَ بِلا شَغْبِ^(٨)
 وَلَا خَفَلَ لَهُمْ بِالْمَا لِي لَا يَجْنُوهُ بِالْعَضْبِ^(٩)
 لَهُمْ فِي كُلِّ نَكَرَاءٍ حُلُومٌ لَسَنَ لِلْهَضْبِ^(١٠)
 وَأَيْمَانٌ خُلِقْنَ الدَّهْرَ رَ لِلطَّعْنِ وَلِلضَّرْبِ^(١١)

- (١) المعنى: وهم الذين يجودون بلا معاناة ولا مئة.
 (٢) المعنى: يسعون إلى أن يفرجوا الأحزان ويزيخوا الأتراح.
 (٣) المعنى: ويتجافون عن المواضع الموبوءة، والفحشاء تُجفي النفس بطبعها.
 (٤) المفردات: الصبو: الميل. الشنعاء: الفحشاء.
 المعنى: وهؤلاء الطيبون لا يميلون إلى الفواحش، لأن الفواحش تحرف المرء وتجرفه.
 (٥) المفردات: الأنياب: مفردها الناب، وهي الناقة المسنة.
 المعنى: وتمنعهم هذا أراحهم طول عمرهم من عدوى الوقوع بدائهم.
 (٦) المعنى: وكان مقامهم بين الناس وسطاً؛ في المكان العالي.
 (٧) المفردات: التقريب: العيب والاتهام. الثلب: العيب والتنفس.
 المعنى: وكانت أعراضهم طاهرة من كل ما يشين.
 (٨) المفردات: الشغب: كثرة الجلبة واللغط المؤدي إلى الشر.
 المعنى: وقد يجدون اليوم أمراً منحوساً إذا لم يكن يحدث جلبة ولا لغطاً.
 (٩) المعنى: وهم لا يهتمون بمال لا يصل إليهم بالسيف والحرب.
 (١٠) المفردات: النكراء: الشدة. حلوم: عقول. رجل هضبة: كثير الكلام.
 المعنى: ولهم في كل شديدة من شدائد الحياة عقول للتفكير لا للكلام الفارغ.
 (١١) المعنى: وخلقت لهم أياد للضرب والطعن مدى حياتهم.

وَلِلنَّقْعِ وَلِلضَّرِّ وَلِلدَّفْعِ وَلِلذَّبِّ^(١)
وَأَلْبَابٌ لَدَى الرُّوعِ بِلا شَيْءٍ مِّنَ الرُّغْبِ^(٢)
فِيَوْمِ السَّلَمِ فِيهِنَّ كِيَوْمِ الْبَاسِ وَالْحَرْبِ^(٣)
وَأَغْنَوْا بِالنَّدَى الْغَمْرَ عَنِ الْأَنْوَاءِ وَالْعُشْبِ^(٤)
وَجَاؤُوا سَاعَةَ الدُّغْرِ عَلَى الْمُضْمَرَّةِ الْقُبِّ^(٥)
وَفِي أَيْدِيهِمْ كُلُّ طَوِيلٍ الْمُرتَقَى صُلْبِ^(٦)
تَرَاهُ يَدْعُ الْأَوْرَا دَ فِي سَكْبٍ عَلَى سَكْبِ^(٧)
وَيَرْمِي مِّنْ دَمِ الْجَوْفِ الْثَّ رَى بِالْأَحْمَرِ الْعَضْبِ^(٨)
إِذَا مَا لَحَفُوا وَجَهَ الْثَّ رَى أَرْدِيَّةَ الْعَضْبِ^(٩)
وَفَاحُوا عَبَقَ الْمَسْكِ عَلَى بُعْدٍ وَمِنْ قُرْبِ^(١٠)

(١) المفردات: النقع: الغبار، ولغبار الحرب خاصة. الذب: الدفع.

المعنى: وأيديهم القوية خلقت للحرب وإثارة غباره ولدفع الأذى وإبعاده.

(٢) المفردات: الروع: الفزع والحرب.

المعنى: ولهم عقول جريئة في الحرب لا تعرف الفزع.

(٣) المعنى: ولا ترى خلافاً بين أيام سلمهم ولا أيام حربهم.

(٤) المفردات: الغمر: الكثير. الأنواء: مساقط النجوم المشعة بنزول المطر.

المعنى: وسخاؤهم العميم أنسى الناس هطول المطر والكلاء.

(٥) المفردات: المضمرة: الضامرة من الخيل. القب: مفردها الأقب والقباء، وهي الضامرة البطن.

المعنى: وفي ساحة الفزع قدموا منجدين مغِيثين على خيل ضامرة سريعة.

(٦) المعنى: قدموا وهم يحملون في أيديهم الرماح الصلبة الطويلة.

(٧) المعنى: الأوراد: مفردها الوريد، وهو عرق الدم.

المعنى: ولا يترك الأعداء إلا وعروقهم تنزف الدماء.

(٨) المفردات: العصب: ضرب من البرود المصبوغة بالأحمر.

المعنى: ويتركون أعداءهم وهم يتزفون دماء بطونهم وأجسادهم فيصبغ الأرض باللون الأحمر.

(٩) المفردات: لحفوا: غطوا. العصب: الاعتصاب.

المعنى: حتى إذا غطوا الأرض بالثياب المعصوبة.

(١٠) المعنى: ونفخ منهم عبير المسك من قريب ومن بعيد.

ولم يَرْضَوْا سِوَى التَّجْرِيدِ رِ لِلأَذْيَالِ وَالسَّحْبِ^(١)
رَأَيْتَ الْمَجْدَ مَحْمُولًا عَلَى كُلِّ فَتًى نَذْبِ^(٢)
مَضَوْا عَنِّي فَلَا لَذَّةَ لِي بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ^(٣)
وَلَا غَمَضَ وَلَا أَرْضَ لِعَيْنَيَّ وَلِلْجَنْبِ^(٤)
وَقَدْ كُنْتُ بِهِمْ دَهْرًا رَخِيَّ الْبَالِ وَالْقَلْبِ^(٥)
بِنَفْسِي مَن نَأَى عَنِّي وَمَا إِنْ مَلَّ مِنْ قُرْبِي^(٦)
قَضَى مِنْ قَبْلِ أَنْ أَقْضِيَ يَ فِيهِ وَلَهُ نَخْبِي^(٧)
وَلَمَّا أَنْ نَقْلَنَاهُ عَلَى الرُّغْمِ إِلَى الثُّرْبِ^(٨)
وَأَضْجَعْنَاهُ فِي غَبْرَاءَ مَلَسَاءَ عَلَى الْجَنْبِ^(٩)
بَلَا صَوْتٍ يُنَاجِيهِ سِوَى زَعَزَعَةِ الثُّكْبِ^(١٠)
دَفَنَّا الْعَضْبَ فِي الْأَرْضِ وَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَضْبِ^(١١)

- 69 -

وقال في الشيب: [من السريع]

-
- (١) المعنى: ولم يقبلوا إلا أن يجروا أذيال الفخار والمباهاة.
(٢) المفردات: النذب: السيد الشريف.
المعنى: بدا المجد لناظريك محمولاً على أكتاف السادة الأشراف.
(٣) المعنى: تركوني سعيداً بهم، وكان منظرهم لي أحلى من لذة شرب الماء العذب.
(٤) المعنى: ولا أجد لعيني نومًا، ولا لجنبي استقرارًا وهناءة.
(٥) المعنى: كنت أحيًا معهم رخيَّ البال هانيء الفؤاد طول عمري.
(٦) المعنى: أبذل نفسي فداء لمن ابتعد عني ولم يملَّ من محبتي.
(٧) المعنى: لكنه مات قبل أن أنعم به.
(٨) المعنى: وحين حملنا جثمانه كي ندفنه تحت الثرى.
(٩) المعنى: وأرقدناه على جنبه في أرض ناعمة غبراء.
(١٠) المعنى: من غير أن يصدر منا صوت نناجيه به سوى الحنين والنشيج.
(١١) المفردات: العضب: السيف.
المعنى: في ذلك الحين دفنا رجلًا كالسيف تحت الثرى، وفي الأرض سيوف كثيرة مدفونة.

صَدَّتْ وَمَا كَانَ الَّذِي صَدَّهَا إِلَّا طُلُوعُ الشَّعْرِ الْأَشْهَبِ^(١)
 زَارَ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لِّلْفَتَى حَلَّ بِوَادِيهِ وَلَمْ يُطَلَّبِ^(٢)
 رَكْبَتُهُ كُرْهًا وَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْكَبَهُ الدَّهْرَ فَلَمْ يَرْكَبِ؟^(٣)
 كَأَنَّهُ نَارٌ لِّبَاغِي الْقَرَى أَضْرَمَهَا الْقَوْمُ عَلَى مَرْقَبِ^(٤)
 أَوْ كَوَكَبٌ لَّاخَ عَلَى أَفْقِهِ أَوْ بَارِقٌ يَلْمَعُ فِي غَيْهَبِ^(٥)
 لَحْمِي - وَقَدْ أَصْبَحْتُ جَارًا لَهُ - زَادِي وَدَمْعِي وَحَدَّهُ مَشْرَبِي^(٦)
 وَإِنِّي فِيهِ وَمِنْ أَجْلِهِ مُعَاقِبُ الْقَلْبِ وَلَمْ يُذْنِبِ^(٧)
 وَلَيْسَ لِي حَظٌّ وَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى فِي قَنْصِ الرَّبْرِ^(٨)
 وَمَا رَأَيْنَا قَبْلَهُ زَائِرًا جَاءَ إِلَيْنَا ثُمَّ لَمْ يَذْهَبِ^(٩)

- 70 -

وقال في الشيب: [من الطويل]

تَصْدِينٌ عَنِّي لِلْمَشِيبِ؟ كَأَنَّمَا صَرَفْتُ شَبَابِي أَوْ دَعَوْتُ مَشِيبِي^(١٠)

(١) المفردات: الأشهب: الأبيض يخالطه سواد.

المعنى: انصرفت محبوبتي عني، ولم يصرفها إلا هذا الشعر الشائب في رأسي.

(٢) المعنى: وزارني الشيب، وكثيراً ما كان يزورني من يدنو من ديارِي، من غير أن يطلبني.

(٣) المعنى: حلَّ على كاهلي كرهاً، ومن منا يأمره الزمان فلا يستجيب؟

(٤) المعنى: المعنى وكان الشيب نار متقدة يستهدي بها طالب الكرم، أوقدها من يرحبون بالضيف.

(٥) المفردات: الغيهب: الظلام.

المعنى: أو كأنه نجم في السماء بدا في الأفق، أو أنه برق يلمع في الليلة المظلمة.

(٦) المعنى: وحين جاورني زادت همومي ونحل جسمي، لأنني كنت أكل جسمي وأشرب دمعي.

(٧) المعنى: وبسببه غدوت أعاقب فؤادي على ذنب لم يرتكبه.

(٨) المفردات: الربرب: القطيع من بقر الوحش.

المعنى: ها هوذا متواكب عليّ، من غير أن يكون لي حظ، مع أنني واقع في أجمل حسناء كبقرة الوحش.

(٩) المعنى: لم أر مثل هذا الشيب الثقيل زائراً!! حل عندِي ولم يغادرني.

(١٠) المعنى: أتصرفين عني بسبب هذا الشيب؟ كأنني أنا الذي طرد شبابه، أو استزار شبيهه!

وكيف سُلُوِي عن حبيبٍ إذا مضى فلا مُتعةٌ لي بعدهُ بحبيبٍ؟^(١)
 كائني رُبُعٌ بعدهُ غيرُ أهلٍ ووادٍ جفاهُ القطرُ غيرَ خضيبٍ^(٢)
 فلا تَنُدُّني عندي الشَّبابُ فإِنِّي بكائي عليه وحدهُ ونحبي^(٣)

- 71 -

وقال في النسب: [من الطويل]
 نظرتُ إليها والرقائبُ حولها فأعرضتُ خوفاً من عيونِ الرِّقائبِ^(٤)
 ولم تكْ إلا نظرةً ثم لفتهً كُتْبةً ظمآنٍ من الطَّيرِ لاغِبِ^(٥)
 رأى الماءَ لا يستطيعُ رِيًّا وإنما رأى الماءَ والقنَّاصَ من كلِّ جانبِ^(٦)
 ولي مطلبٌ لكُنْني لا أناله وكم عاقتِ الأقدارُ دونَ المطالبِ^(٧)
 أرى الزَّادَ ممنوعاً وعَذْباً كأنه السدُّ سُلَافٌ ولكن لا يَذِلُّ لشاربِ^(٨)
 وكم صَدُّ مِقْدَاماً وثَبُّ ماضياً على عزمِهِ جهلٌ بما في العواقبِ^(٩)

-
- (١) المعنى: كيف أستطيع نسيان حبيب إذا غادرني انقطعت مسراتي؟
 (٢) المعنى: وغدوت بعد مغادرة الحبيب كأنه ربع ظعن أهلوه، أو كأنه واد امتنع المطر عنه.
 (٣) المعنى: فلا تبكي على الشباب أمامي، يكفي أن أبكي عليه بنفسي.
 (٤) المعنى: كانت الصبايا يراقبنها حين وجهت بصري نحوها، وسرعان ما غيرت نظري خوفاً عليها.
 (٥) المفردات: التَّبة: الجرعة. اللاغب: المتعب.
 المعنى: ولم يأخذ ما جرى من الوقت أكثر من التقاط الطائر العطشان قطرة من الماء.
 (٦) المعنى: كان هذا الطائر عطشان ولا يستطيع الارتواء تماماً لأن الصياد يراقبه. فما كان إلا أن التقط قطرة وهرب. تماماً كما جرى معي.
 (٧) المعنى: أسمى إلى أهدافي فلا أقدر على بلوغها، وكثيراً ما تعوق الأقدار أهداف الإنسان.
 (٨) المفردات: السلاف: أفضل الخمر.
 المعنى: إن الطعام أمامي وهو لذيق المذاق أشبه بأفضل الخمر ولكنه ممنوع علي لا يرخص لي.
 (٩) المعنى: إن القوة وحدها لا تكفي، فكثيراً ما لا تجدي القوة ولا ينفع الإقدام إذا كان المرء يجهل نتائج ما يبتغيه.

وقال في الغزل : [من الطويل]

- على كلِّ حالٍ أنتِ قاسيةُ القلبِ فلا عذلي يُجدي عليَّ ولا عثبي^(١)
ولم أنسها يومَ الفراقِ ووجهها يضيءُ لنا خلفَ البراقعِ والحُجبِ^(٢)
تقولُ : ألا رفقًا بقلبك في الهوى فقلتُ : وهل لي يومَ بينك من قلبٍ؟^(٣)
ولولا الهوى ما خار للعجمِ معجمي ولا لأنَّ يوماً في أناملكُم صعبِي^(٤)
فإن كنتمُ تعصون أمري تجنيًا فأعصِي لأمرِي منكمُ أبدًا قلبي^(٥)

وقال في غرض : [من مجزوء الخفيف]

- لا تَلْمَني فليس لي علمُ ما في المغيَّبِ^(٦)
كيف أدري وما ذهبَ تَ من البعدِ مذهبي؟^(٧)
أنا أعشى لَدَى المطا لبٍ عن نُجحِ مطلبي^(٨)
لو علمتُ الذي أَعو دُ به قبلَ مَرَكبي^(٩)

- (١) المعنى : أراك دائماً قاسية في كل حال قاسية، فماذا ينفع العتاب معك؟
(٢) المعنى : تلك نظرة لا تنسى، لقد بدا لي وجهها مشرقاً من خلف حجابها ساعة الفراق.
(٣) المعنى : رأفت لحالي حين رأيتني مشغوقاً بها فرجتني أن أرفق بقلبي فقلت لها : ومن أين للعاشق قلب يوم فراقه عن محبوبته؟
(٤) المفردات : خار : ضعف . عجم العود : عضه ليختبر قوته وصلابته .
المعنى : إنه الحب الذي أوهن عزيمتي، وحرمني من التقدير، وأرخصي عزيمتي . ولولا هواكم لما جرى لي ما جرى .
(٥) المعنى : لا تتباهوا بأنكم ترفضون ما أمركم به ، فإن قلبي أكثر قساوة وعصياناً لأمرِي منكم .
(٦) المعنى : لا تعاتبني فأنا لا أعرف أسرار الغيب .
(٧) المعنى : وكيف لي أن أعلم وأنا لم أذهب ذلك البعد الذي يكشف الغيب؟
(٨) المفردات : الأعشى : الذي يسوء بصره بالليل والنهار، أو في الليل فقط .
المعنى : مصيبتِي أنني أعمى عما أبغني حين أرجوها .
(٩) المعنى : ولو أنني كنت أعرف بكسبي قبل أن أسعى إليه .

لَمْ أَدْغْ مِنْ بَصِيرَةٍ ضَرَرًا أَنْ تَمُرَّ بِي^(١)
وَلَكُنْتُ الْغَنِيِّ عَنْ نَدَمٍ أَوْ تَعَقُّبٍ^(٢)
وَلَمَّا كَانَ ظَافِرًا بِي يَوْمًا مَوْتِي^(٣)
لَا وَلَا كَانَ لِلْقَذَاةِ لِمَامٍ بِمَشْرِبِي^(٤)

- 74 -

وقال في النسب: [من الطويل]

حَمَلْتُمْ كَمَا شِئْتُمْ عَلَى كَاهِلِي الْهَوَى
وَلَمَّا دَخَلْتُمْ بِالْهَوَى فِي جَوَانِحِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شِعْبُ اللَّوَى مُلْتَقَى لَنَا
[وَإِنْ] لَمْ يَكُنْ تُرْبٌ بِهِ مُضْجَعًا لَنَا
وَأَرْشَدْتُمْ نَارَ الْغَرَامِ إِلَى قَلْبِي^(٥)
بِمَا جَنَّتِ الْعَيْنَانِ لِأَنَّ لَكُمْ صَعْبِي^(٦)
فَلَا بَارَكَ الرَّحْمَانُ فِي ذَلِكَ الشَّعْبِ^(٧)
فَلَا اجْتَازَتْ الْأَنْوَاءُ فِي ذَلِكَ التُّرْبِ^(٨)

- (١) المعنى: لكنك تتبع كل بصيرة أستخيرها حتى لا يقع بي ضرر.
(٢) المعنى: لو كنت أعلمت بصيرتي لما وقعت في ندم ولا احتجت إلى تعقب الأخطاء.
(٣) المعنى: ولا تمكن من يتربص لأخطائي ويتبع سقطاتي ليؤنّبني عليها.
(٤) المفردات: القذاة: ما يقع في العين أو ماء الشرب من تبنّة ونحوها. اللمام: القرب والدنو.
المعنى: ولا عكر صفو حياتي معك.
(٥) المعنى: لقد أرهقتم كفتي بما حملتموه من أعباء الحب، ثم وجهتم لهيب العشق نحو قلبي.
(٦) المعنى: وقد أنقذت نحوكم انقياداً أعمى حين تسرّب حبكم إلى داخل جسمي. وسبب هذا الحب الشديد ما فعلته عيناكم بي.
(٧) المفردات: الشعب: الوادي بين جبلين: اللوى: منعطف الكثبان الرملية.
المعنى: أمني أن نلتقي في ذلك الوادي، فإن لم يتحقق أمني فلا بارك الله بهذا الوادي.
(٨) المفردات: ما بين قوسين إضافة المحقق. الأنواء: مفردا النوء، وهو المطر.
المعنى: إن لم نحظ باستلقاء على تراب الوادي فلا سقاء المطر.

وقال يفتخر ويذكر أعداءه: [من البسيط]

بني الحفيظة هل للمجد من طلب
هزؤوا إلى الحمد عطفني كل سلهبة
أحب كل قليل الريث في وطن
إما على صهوات الخيل موطنه
إني، وأصدق قول ما نطق به
ما عاقني الحلم عن باغ عنفت به
ولا خلطت بيأس عن غنى طمعا
ألست إن عُد هذا الخلق خيرهم
ليس الطعان له من أنجح السبب؟^(١)
تبذ كل سراع الخيل بالخبب^(٢)
مقسّم الفكر بين الكور والقتب^(٣)
أو داره في ظهور الأيتق النجب^(٤)
أرعى من الود ما أرعى من النسب^(٥)
ولا نسيث الرضا في موطن الغضب^(٦)
ولا مزجت عقار الجد باللعب^(٧)
لم يبرحوا بين جد لي وبين أب؟^(٨)

(١) المفردات: الحفيظة: الحمية والأنفة.

المعنى: يا أصحاب الحمية أليس من وسيلة لبلوغ المجد غير الحرب؟ إن الحرب لا تجدي فتيلًا.

(٢) المفردات: العطف: الجانب. السلهبة: الطويلة من الخيل والجريئة. تبذ: تغلب. الخبب: ضرب من عدو الخيل.

المعنى: هم حثوا جيادهم الجريئة طلبًا للمجد، وكانت جيادهم بسرعتها العادية تفوق ما يجهدونها غيرهم.

(٣) المفردات: الريث: الثاني. الكور: الرمل. القتب: البرذعة ترمى على سنام البعير. المعنى: أنا أفضل من لا يطيل المكوث في دياره، وهو مشغول الفكر يستعد لامتناء ظهور الجمال للرحيل.

(٤) المفردات: الأيتق: مفرداها الناقة. النجب: الأصيلة، مفرداها النجيب والنجيبة. المعنى: وهذا الذي أحبه إما أن يكون مستقره على ظهور الخيل للحرب، وإما على ظهور النوق للرحلة.

(٥) المعنى: أفضل كلام أبوح به أنني أساوي بين المودة والقراية.

(٦) المعنى: لم يمنعني صبري وعقلي من مهاجمة الباغي علي، كما أنني لم أتأس العفو عند الغضب.

(٧) المفردات: العقار: الخمرة.

المعنى: ولم أقبل أن يرهقني اليأس في سبيل الثراء، ولم أفرج أموري الجادة بلهوي.

(٨) المعنى: مهما حاول الآخرون أن يتباهوا بجذورهم فلن يجدوا أفضل من أبي ومن جدي.

- ما للنجوم التي بانث تُطالعنا
فقل لمن ضلّ مغرورًا يُفاخرني
أليس بين نبيّ مُرسَلٍ خُتِمَتْ
بني المخلف ما استمْتُم مرَاتِبنا
ألفْتُم الحلمَ منا ثم طابَ لكم
لولا دفاعي عنكم يومَ أمْطَرَكُم
كم عندكم وبأيديكم لنا سَلَبٌ
ملاثموناً عُقُوقًا ثم نحنُ لكم
عَمَزَتْ ظاهركم جُهدي فكيفَ بما
وكم رُضيْتُ ولكن زِدْتُكم سَخَطًا
وما تأملتُ ما بيني وبينكم
- من كلِّ عالٍ علا كلِّ الوري حَسْبِي^(١)
وما له مثلُ عُجْمي لا ولا عَرَبِي^(٢)
به النُبُونُ أو صهرٍ له نَسْبِي؟^(٣)
حتَّى صَفَحنا لكم عن تَلْكُم الرُّتَبِ^(٤)
لَمَّا اشْرَأَبْتُ إليكم أنْفُسُ الغَضَبِ^(٥)
نَوءُ السَّمَاكِينِ أَشْفَيْتُم على العَطَبِ^(٦)
لكنَّه لو علمتُم ليس كالسَّلَبِ^(٧)
طولَ الزَّمانِ مكانَ الوالدِ الحَدَبِ^(٨)
أعيا عليَّ لكم من باطنِ خَرِبٍ؟^(٩)
وليس بعدَ الرُّضا شيءٌ سِوى الغَضَبِ^(١٠)
إلا رجعتُ كظيظَ الصِّدرِ بالعَجَبِ^(١١)

- (١) المعنى: حتى النجوم التي ترتفع في أعلى السماء لا تقدر أن ترفع أنساب الناس على نسبي.
(٢) المعنى: من أنت يا مغرور حتى تفكر بأن تفاخرني؟ إنك لن ترقى إلى نسبي العربي ولا نسبي الأعجمي.
(٣) المعنى: يكفيني فخراً أن نسبي منوط بخاتم النبیین وبصهره الإمام علي.
(٤) المفردات: استام السلعة: سأل تعيين ثمنها.
المعنى: نحن يا بني المخلف، لقد سامحناكم حين سألتم عن مستوى مقامنا، وسامحناكم على ما وصلتم إليه.
(٥) المفردات: اشْرَأَبْتُ: مدت أعناقها.
المعنى: اعتدتم منا أن نسامحكم، ثم لَذَّ لكم أن تتطاولوا بأنفتكم.
(٦) المفردات: النوء: المطر، أو مساقط النجوم المشعرة بنزول المطر. السماكان: كوكبان أحدهما الأعزل، والآخر الرامح. العطب: الهلاك.
المعنى: ولعلكم تذكرون أنني دافعتُ عنكم يوم هزّتكم النوازل وقاربت من الهلاك.
(٧) المعنى: لقد سلبتم منا الكثير، ولكن لا تظنوا أنكم سلبتموه، ولكن نحن الذين منحناكم إياه.
(٨) المفردات: العقوق: العصيان.
المعنى: عصيتُمونا كثيراً وغفرنا لكم ذلك، ذلك أننا نعد أنفسنا بمثابة الآباء العطوفين لكم.
(٩) المعنى: حاولت أن أصلح ما يبدو منكم في الظاهر، ولكن أتى لي من بواطن نفوسكم القميئة؟
(١٠) المعنى: وكلما سامحتكم تماديتُم في عنادكم، فتنهوا من غضبتي المتوقعة.
(١١) المفردات: الكظيظ: المغتاط أشد الغيظ.

وقال في العتب: [من البسيط]

- ما ارتبتُ منكم على مر الزمان فلم
وقد صدقتُكم حتى رأيتُ لكم
ما خير لي في اختياري ودُكم وزر
وكنْتُ منكم قريباً قبل غدرِكم
فلا تدلّوا بإثراءٍ أُتيحَ لكم
ما ضرَّكم لو وهبتم لي جميلَكم
قد كنتُ أحسبُكم والظنُّ مَطْمَعَةٌ
حتى صحبتُكم جهلاً بخيرِكم
فليتُكم ما عرضتم لي مودَّتكم
- ملاؤم اليوم أضلاعي من الرّيب؟^(١)
وما كذبتُكم حظاً من الكذب^(٢)
أوي إليه ولا أنجحتُ في الطّلب^(٣)
فصرتُ أبعدَ من جدِّ إلى اللّعب^(٤)
لا خير بعد افتقارِ العِرضِ بالنّشب^(٥)
فأيُّ شيءٍ من الإجمالِ لم أهب^(٦)
عِزاً الذي الذلُّ أو حِرْزاً الذي العطب^(٧)
ثم اختبرتُ فكتتم شرَّ مُضطَحَب^(٨)
وليتني كنتُ مدعوّاً فلم أُجب^(٩)

=المعنى: وكلما قارنت بيني وبينكم عدت مغتاضاً كثير العجب.

- (١) المعنى: أنا لم أفكر يوماً بالشك نحوكم، فلماذا أصبحتم سبياً في وجود هذا الشك؟
(٢) المعنى: كنت مخلصاً لكم وأرى لتصرفكم سبياً، ولم أفكر في تكذيبكم.
(٣) المفردات: الوزر: الملجأ والمعقل.
المعنى: من أجل ودكم فإنه لم يهيا لي ملاذ ألوذ به، ولم أسع إليه جهدي.
(٤) المعنى: كم كنت أكن لكم المحبة حين كنت قريباً منكم، ولكنكم لم تحفظوا المودة فغدرتم،
(٥) المفردات: لا تدلّوا: لا تجترئوا. النشب: المال.
المعنى: فلا تجترئوا علي بغنى تها لكم، فالمال الكثير لا يُنسي فقدان الشرف.
(٦) المفردات: الإجمال: التحسين والتكثير.
المعنى: وماذا يضركم لو عاملتموني بالحسن، ألم أبذل وسعي في بذل الحسن لكم؟
(٧) المفردات: العطب: الهلاك.
المعنى: إنني توسمتُ فيكم الخير وتوقعت أنكم تُعزّون الذليل وتمنعون عنه الهلاك.
(٨) المعنى: وغرّزْتُ نفسي فصادقتكم لعدم معرفتي لما في خلية نفوسكم، حتى إذا جربتمكم رأيتم شر الأصحاب.
(٩) المعنى: وكنت أتمنى لو أنكم لم تبدلوا لي صحبتكم، أو لو أنني دُعيت لها ورفضتها.

وطالما غِبْتُمْ عن نَفْعِكُمْ خَوْرًا وكنْتُ منه قَرِيبَ الدَّارِ لَمْ أُغِبْ^(١)
 إِنَّ الَّذِي اعْوَجَّ مِنْ بَعْدِ اسْتِقَامَتِهِ وَاَنْسَلَّ مِنْ وَطَرِي فِيهِ وَمِنْ أَرَبِي^(٢)
 نَفَضْتُ مِنْ وَدَّهِ كَفِّي وَقَدْ صَفِرَتْ وَعَدْتُ مِنْ دَارِهِ أَمْشِي إِلَى الْعَقَبِ^(٣)

- 77 -

وقال في الطيف: [من السريع]

فَدَيْتُهُ مِنْ زَائِرٍ زَارَنِي وَاللَّيْلُ مُسَوِّدُ الْجَلَابِيْبِ^(٤)
 زَارَ فِيهِ كُلُّ مَا يَنْبَغِي فِي النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ طَيْبِ^(٥)
 وَلَمْ يَضِرْهَا أَنَّهَا زَوْرَةٌ لِعَازِبِ الْآرَاءِ مَكْذُوبِ^(٦)
 بَاطِلَةٌ رَوَّتْ لَنَا غُلَّةً وَالْحَقُّ لَمْ يَأْتِ بِمَطْلُوبِ^(٧)
 لَوْلَا الْكَرَى مَا جَادَ لِي بِالْمَنَى مَعْشَقٌ يَعْشَقُ تَعْذِيبِي^(٨)
 وَكَيْفَ لَا أَهْوَى لِذِيذِ الْكَرَى مُحِبًّا جَاءَ بِمُحِبُّوبِ؟^(٩)

(١) المفردات: الخور: الضعف والجبن.

المعنى: وكان من طبعكم عدم تقديم النفع لجبن فيكم، وكنْتُ أشاهد تصرفكم عن كتب بنفسي.

(٢) المفردات: الوطر: الحاجة والبغية. الأرب: الغاية والحاجة.

المعنى: إن من انحرف عما كان عليه من استقامة، ونأى عن أُملي فيه وغايتي،

(٣) المعنى: هجرته وتناسيت مودته وعزفت عن زيارته.

(٤) المعنى: أفدي زائراً حبیباً زارني ذات مساء والليل في ظلامه.

(٥) المعنى: اكتمل زائري بصفاته وحسنه وعطره، وقد جمع ما يتصف به في الناس.

(٦) المفردات: العازب: البعيد.

المعنى: ولم يمنع أن تكون زيارته لكاذب بعيد المودة.

(٧) المفردات: الغلّة: العطش.

المعنى: مع أن زيارة هذا الحبيب قاصرة لكنها شفت بعض الغليل، وليس دائماً يحظى المرء بكل مطلبه.

(٨) المعنى: محبوبي ضنين علي، ولولا أن طيفه الذي يزورني لما رأيته ولما حقق لي أمني، ولتركني معذباً.

(٩) المعنى: وبدأت أحب النوم، ولماذا لا أحبه وهو الذي يسبب زيارة محبوبي لي؟

وقال في الشيب: [من الطويل]

- يقولون لي: لِمَ أنتَ للشَّيبِ كارهٌ؟
قَرِبتُ الرَّدَى لَمَّا تَجَلَّلَ مَفرقي
وَكنتُ رطِيبَ الغصنِ قَبلَ حُلُولِهِ
ولم يكُ إلَّا عن مَشيبِ ذوائبي
وما كنتُ ذا عيبٍ وقد صرتُ بَعْدَهُ
فليس بكائي للشَّبابِ وإِنَّمَا
فقلتُ: طَريقُ الموتِ عندَ مَشيبِي^(١)
وَكنتُ بَعيدًا مِنْهُ غيرَ قَريبٍ^(٢)
وَعُصْنِي لَمَّا شَبْتُ غيرَ رَطِيبٍ^(٣)
جَفاءَ خَليْلِ وازورارٍ حَبِيبٍ^(٤)
تُحَطُّ بِأيدي الغَانياتِ عُيُوبِي^(٥)
بِكَائِي على عُمُرٍ مَضَى ونَحِيبِي^(٦)

وقال في الشيب: [من الوافر]

- نَبَتْ عينا أَمامَةً عن مَشيبِي
وَقالتُ: لو سَترتُ الشَّيبَ عَنِّي
فقلتُ لَهَا: أَجَلٌ صَريحٌ وَدِّي
ومالِكَ يا أَمامُ مَعَ اللَّيالي
وَعَدْتُ شيبَ رَأَسي مِنْ ذُنُوبِي^(٧)
فَكَمَ أَخَفَى التَّسْتُرُ مِنْ عيوبٍ^(٨)
وَإِخلاصِي عن الشَّعْرِ الخَضيبِ^(٩)
إِذا طاولنَ بُدٌّ مِنْ مَشيبٍ؟^(١٠)

- (١) المعنى: ويسألونني عن سبب كرهِي للشَّيبِ، فأجبتهم: لأنَّه طريقُ مَنيَتِي.
(٢) المعنى: وحينَ تَنائثرَ الشَّيبُ فوقَ رَأَسي دنا الموتُ مِنِّي، وكانَ بَعيدًا.
(٣) المعنى: وقَبْلَ أنْ يَحِلَّ الشَّيبُ في رَأَسي كَنتُ فتى غَضَّ الإهابَ، وحينَ اعتراني الشَّيبُ جَفَّ غَصَنُ شَبابِي.
(٤) المعنى: وَقَدَ ازورَ حَبِيبِي عَني وَنأى حينَ رَأى شيبَ ضفائِري.
(٥) المعنى: وَكَمَ حاولتُ الحِسانَ كَشفَ عيوبِي بِلا طائِلٍ، حَتَّى إِذا حَطَّ الشَّيبُ كَثرَ تَعَدادُ عيوبِي عِندَهُنَّ.
(٦) المعنى: وإِنِّني لا أَبْكي زوالَ شَبابِي، وَلَكنَّني أَبْكي على ما زالَ مِنْ عَمَري.
(٧) المعنى: نَفَرتُ عينا أَمامَةً حينَ رَأَتُ مَشيبِي، واعتَبرتُ ما رَأَتهُ مِنْ جَمَلَةٍ ذُنُوبِي.
(٨) المعنى: وَطَلَبْتُ مِنِّي أنْ أَعْطِي شيبَ رَأَسي، فَالتَّسْتُرُ يَخْفِي كَثيرًا مِنَ العيوبِ.
(٩) المَفرَداتُ: أَجَلٌ: أَنتَزَهُ.
المعنى: إِنِّني يا حَبِيبَتِي أَرى أنْ أَعْطِي حَبِي الصَّادِقَ بِتَلوِينِ شَعَري.
(١٠) المعنى: ويا أَمامَةً لا بَدَّ مِنَ الشَّيبِ إِذا طالَتْ بَنا الأيَّامِ والسَّنُونِ.

وما تدليسُ شيبَ الرأسِ إلّا كتدليسِ الودادِ على الحبيب^(١)
 فلا تلحني عليه فذاك داءٌ عياءُ ضلّ عن حيلِ الطبيب^(٢)
 وإنّ بعيدَ شيبك وهو آتٍ نظيرُ بياضِ مفرقي القريب^(٣)
 فإنّ تأبني فقومي ميّزي لي نصيبك فيه يومًا من نصيبي^(٤)

- 80 -

وقال في الفخر: [من الطويل]

أضنُّ بنفسي عن هوى البيضِ كلما تيقنْتُ أنّ الحبَّ ذلٌّ لصاحبه^(٥)
 ولا خدعتُ عيني بضوءٍ وميضه ولا مُطِرتُ أرضي بماءٍ سحائبه^(٦)
 وسيرِي في كورِ المطيّةِ موجفًا على شاحطِ الأقطارِ هافٍ براكبه^(٧)
 أقرُّ لعيني من عناقِ مهفهفٍ أبيتُ سوادَ الليلِ بينَ ترائبه^(٨)
 ولما سقاني الدهرُ صِرْفًا صروفه كَرَعْتُ شرابًا لا يلدُّ لشاربه^(٩)

-
- (١) المفردات: دلس البائع: كتم عيب ما يبيعه عن المشتري.
 المعنى: إن صبغ شعري نوع من الكذب وكتم العيوب، وهو أشبه بمن يكذب على حبيبه.
 (٢) المفردات: لحي فلانًا: لأمه وعابه.
 المعنى: فلا تلوميني على شيبتي، لأنه داء لا شفاء له، وقد عجز الطبيب عن مداواته.
 (٣) المعنى: سيأتيك الشيب أيضًا، فإن هو لما يأت فإنه شبيه بياض شيبتي الذي أتى.
 (٤) المعنى: فإن لم تقتنعي الآن من كلامي فقارنيه بالأيام القادمة.
 (٥) المفردات: أضن: أبخل.
 المعنى: إنني كلما أدركت أن الحب ذل للعاشق منعت نفسي من الوقوع فيه.
 (٦) المعنى: ولمنعت عيني بأن تؤخذ بإشراقته، ولحرمتُ أرضي من هطول المطر عليها.
 (٧) المفردات: الكور: الرمل. موجفًا: مسرعًا. هاف: مسرع. شحط: سبق وتباعد.
 المعنى: ولما ركبتُ مسرعًا إلى الحب أسابق الجمل الذي أركبه.
 (٨) المفردات: المهفهف: صفة للمعشوق بدقة الخصر. الترائب: أعلى الصدر.
 المعنى: الابتعاد عن المحبوب أكثر راحة، وراحتي في أن أبتعد عن معانقة الحسناء النحيقة الخصر، وفي الانغماس طول الليل في عناقها.
 (٩) المفردات: الصرّف: الخالص. صروف الدهر: نوائبه.
 المعنى: وحين داهمني الزمان بأعنف نوائبه جرضت بالأسى الذي لا يستسيغه أحد.

فلا تَطْلُبَا عِنْدِي النُّجَاةَ فَإِنِّي أَرْوَحُ وَأَعْدُو فِي إِسَارٍ عَجَائِبَةٍ^(١)

* * *

(١) المفردات: الإِسَارُ: القيد.

المعنى: فلن تجدوا الإنقاذ في ساحتِي، لأنني مكبَّل بعجيب نوائب الزمان طول حياتي.

قافية التاء

- 81 -

وقال في الأدب: [من مجزوء الكامل]

لا تَفْخَرَنَّ إِلَّا بِنَفْسِكَ يَوْمَ فَخْرٍ إِنْ فَخَرْتَا^(١)
وَدِعِ الْأَصُولَ فَإِنَّمَا هِيَ فَضْلَةٌ لَكَ إِنْ نُسِبْتَا^(٢)
مَاذَا يَضُرُّكَ أَوْ يَعْزُ رُكَّ إِنْ خَبُثْنَ لَهُمْ وَطِبْتَا؟^(٣)
كَلَّا وَلَيْسَ بِنَافِعٍ إِنْ هُنَّ طِبْنِ إِذَا خَبُثْتَا^(٤)
وَمَتَى عَزَمْتَ عَلَى مُوَا مَعَةِ الْقَبِيحِ فَقَدْ فَعَلْتَا^(٥)
وَكَأَنَّ شَيْئًا مُحْزِنًا لَكَ لَمْ يُصْبِكَ إِذَا صَبَرْتَا^(٦)
وَاخْبُزْ وَلَا تَصْحَبْ مَنْ أَلِ إِخْوَانٍ إِلَّا مَنْ خَبَرْتَا^(٧)
فَأَخُوكَ مَنْ هُوَ فِي يَمِي نِكَ إِنْ قَصَدْتَ وَإِنْ قُصِدْتَا^(٨)

(١) المعنى: إن أردت أن تتباهى فلا تتباه إلا بنفسك.

(٢) المعنى: واترك الافتخار بجدودك لأنهم زيادة على نسبك.

(٣) المفردات: يضرُّك: يسوؤك.

المعنى: وماذا يجدي أو يسيء إن ساؤوا وحسنت؟

(٤) المعنى: فلا يضرُّك سوءهم، كما لا ينفعك أن تكون سيء المعاملة وأن يكونوا حسني الطوية.

(٥) المعنى: وأنت إن نويت الشر فكأنك فعلته.

(٦) المعنى: فأنت إن صبرت على المكروه المحزون زال أذاه عنك.

(٧) المعنى: فعليك أن تختير الناس قبل أن تصادق من تشاء.

(٨) المعنى: ولا يعد الأخ أخًا إلا إذا قصدته قلبى وقصدك فليئت.

وَيَسُرُّهُ إِنْ دَبَّ مَكَرُهُ إِلَى إِذَا سَلِمْنَا^(١)
وَهُوَ الْمَصَابُ إِذَا تَعَدَّ لَدَتْهُ الْخَطُوبُ إِذَا أُصِيبْنَا^(٢)
وَإِذَا أَصَابَ الدَّهْرُ غِيَرَكَ بِالسَّهَامِ فَقَدْ وَعِظْنَا^(٣)
وَإِذَا أَمِنْتَ وَأَنْتَ فِي طُرُقِ الْجِمَامِ فَمَا أَمِنْنَا^(٤)
وَإِذَا بَخِلْتَ بِمَالٍ غِيَرَكَ أَوْ قَتَرْتَ فَقَدْ غَلَطْنَا^(٥)
وَإِذَا حَبَوْتَ بِكُلِّ مَا فَوْقَ السُّدَادِ فَمَا بَخِلْنَا^(٦)

- 82 -

قال في النسيب: [من البسيط]

قَالَتْ: ضَنْنَتْ عَلَيْنَا بِالْذُمُوعِ وَقَدْ سِرْنَا وَدَمْعُكَ مِنْهَلٌّ إِذَا شِيتَا^(٧)
فَقُلْتُ: لَمْ تَدْرِ عَيْنِي بِالْفِرَاقِ فَلَمْ تُمَطِّرْ عَلَيْهِ لِأَنِّي كُنْتُ مَبْهُوتَا^(٨)
مَا ضَرَّ مَنْ نَعْتُهُ بِالْحَسَنِ مُشْتَهَرٌ لَوْ كَانَ بِالْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ مَنُوعَتَا؟^(٩)
وَالزَّادُ مِنْكَ فَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي سَرَفًا فَقَدْ رَضِيتُ إِذَا لَمْ تُسْرِفِي الْقُوتَا^(١٠)

-
- (١) المعنى: ويسعده أن يلقى ما يزعجه شريطة أن تكون في منأى عن الأذى.
(٢) المعنى: ويعدّ نفسه منكوباً إذا اعتراك مكروه.
(٣) المعنى: واتعظ بغيرك إن أصابه مكروه.
(٤) المعنى: ولا تظن أنك في مأمن من الموت، لأنك في طريقه.
(٥) المفردات: قتر: ضيق في النفقة.
المعنى: خطأ أن تضن بما تعدّه هبة أو تضيق عليهم في بذله.
(٦) المفردات: حبوت: أعطيت. السُّدَاد: الكفاف.
المعنى: وليس خطأ أن تمنح أكثر من الكفاف.
(٧) المعنى: عاتبته محبوبته على بخله بدمعه، مع أنه سيال حين يشاء.
(٨) المفردات: المبهوت: المتحير.
المعنى: فأجبتها بأن عيني لم تعرف متى يكون موعد الفراق فلم ترسل دمعها، فقد كنت آنئذ مدهولاً.
(٩) المعنى: ماذا يمنع المشهور بالجمال أن يضيف على صفاته الإحسان؟
(١٠) المفردات: السرف: الإفراط في البذل.
المعنى: إن البذل منك أنت تقديمه، وأقبل منك أن تبخلي بقوتي.

فقد بَتَّ فلا بذلٌ ولا عِدَّةٌ حَبْلًا لوصلك لي ما كان مَبْتوتاً^(١)

- 83 -

وقال يعزي الوزير مجد الدين في موت أبيه ويرثيه: [من مجزوء الكامل]
أجر المدامع كيف شيتا فلقد ذهيتُ بما ذهيتا^(٢)
وإذا رُميتُ فإنما لم تُرَمَ وحدك إذ رُميتا^(٣)
وقذى العيون يَجُولُ في كلِّ التَّواظُرِ إن قُذيتا^(٤)
ومتى عَرِيتُ من التَّجَدُّ لُدِ عندَ حادثةٍ عَرِيتا^(٥)
مَنْ ذا المعينُ على مُصا ب فادح هجم البيوتا؟^(٦)
ما كان شملِي بعدهُ إِلَّا الصُّديعُ به الشُّتيتا^(٧)
تأبى أضالعي المقيـ لَ وجَفَنُ عيني المَبِيتا^(٨)
يا مجد دين الله والـ قَرَمَ الذي فات التُّعوتا^(٩)
خلُّ التفجُّع جانباً وتسلُّ عنه بما حُبِيتا^(١٠)

(١) المفردات: بَتَّ: قطع. المبتوت: المقطوع.

المعنى: لقد قطعني صلتك، ولا يكون العطاء إن كان مقطوعاً.

(٢) المعنى: اذرف دمعك كما تريد، فما أصابك أصابني.

(٣) المعنى: وإن كنت ذهيت فلم تكن وحدك، فقد ذهيت مثلك.

(٤) المعنى: بل إن الناس جميعاً يتألمون حين تتألم.

(٥) المعنى: وإن فقدت الصبر في مصاب تفقده أنت أيضاً.

(٦) المعنى: من ينقذنا من مصاب جسيم داهم منازلنا؟

(٧) المعنى: وبهذا المصاب تشتت شملِي وتصدع.

(٨) المفردات: المقبل: النوم عند الظهيرة.

المعنى: يرفض صدري الاستقرار، وتأبى عياني النوم.

(٩) المفردات: القرم: السيد العظيم.

المعنى: يا مجد الدين السيد العظيم، وصاحب الصفات النادرة.

(١٠) المفردات: حُييت: أعطيت.

المعنى: دع الأحزان وأهملها، وسل نفسك بما منحك الله.

وَدِعَ الشُّجَا عَمْدًا لِمَا وَلِيَ الْإِمَامُ وَإِنْ شُجِيتَا^(١)
 وَلَئِنْ سَخَطْتَ فَلَمْ تَزَلْ نَعْمَاؤُهُ حَتَّى رَضِيتَا^(٢)
 وَسَقَاكَ مِنْ إِفْضَالِهِ وَجَمَالِهِ حَتَّى رَوِيتَا^(٣)
 وَنَهَاكَ عَنْ جَزَعٍ فَلَا تَجْزَعُ فِدْغُهُ كَمَا نُهِيتَا^(٤)
 وَإِذَا نُكِبْتَ فَلَا تُشْكُ لَكَ فَطَالَمَا دَهْرًا وَقِيتَا^(٥)
 وَمَتَى شَكُوتَ فَإِنَّمَا تُعْطِي الَّذِي يَهْوَى الشُّمُوتَا^(٦)
 وَإِذَا قُرِيتَ أَسَى فَقَدْ مَا بِالْمَسَرَّةِ مَا قُرِيتَا^(٧)
 وَاصْبِرْ فَإِنْ شَقَّتْ عَلَيْكَ لَكَ فَإِنْ صَبَرْتَ فَمَا رُزِيتَا^(٨)
 وَانْظُرْ مِنَ الْمُفْرِكَ وَالْفَارِي أَدِيمِكَ إِذْ قُرِيتَا^(٩)
 وَأُتِيتَ لَكِنْ قُلْ لَنَا: مِنْ أَيِّ نَاحِيَةٍ أُتِيتَا؟^(١٠)
 وَعَلَى فِرَاقٍ حَبَائِبٍ وَأَقَارِبٍ مَنَا غُذِيتَا^(١١)
 لَوْلَا الْيَقِينُ بِأَنَّكَ الـ فَخْمُ الدَّسِيعَةِ مَا اخْتُبِيتَا^(١٢)

- (١) المفردات: الشجا: الحزن. أولى: صنع. الإمام: الخليفة.
- المعنى: يبدو أن الخليفة اهتم لمصابه، فيقول له: اترك الحزن غصبًا واهتم بما وهبك الخليفة إياه.
- (٢) المعنى: ويزول سخطك عنك حين ترضى بما ينعمه عليك.
- (٣) المعنى: وبما منحك من خير.
- (٤) المعنى: وبما أمرك من ترك الحزن. وما عليك إلا أن تترك الأحزان كما أمرك.
- (٥) المعنى: ولا تبتس لما أصابك، فلعلك وقيت بهذا المصاب من أمر آخر.
- (٦) المعنى: وإن أظهرت شكواك شمت بك عدوك.
- (٧) المفردات: قرئت: أضفت.
- المعنى: وإن ازدادت أحزانك، فكثيرًا ما زادت أفراحك.
- (٨) المعنى: وتحل بالصبر وإن استحال ذلك عليك، لأنك إن صبرت لم تُرزا.
- (٩) المفردات: فراه: قطعه للإصلاح، وأفراه: قطعه للإفساد. الأديم: الجلد.
- المعنى: وقارن بين من يؤذيك ومن يخلص لك إن أصبت.
- (١٠) المعنى: ولقد أوديت، فقل لنا من الذي آذاك؟
- (١١) المعنى: ولقد قدم لنا الخير لفراق عزيزك.
- (١٢) المفردات: الدسيعة: الجفنة الكبيرة والعطية الجزيلة. احتيت: أعطيت.

لَهُ مُفْتَقِدٌ إِذَا	نُشِرَتْ مَحَاسِنُهُ غُنِيَتَا ^(١)
هُوَ أَوَّلٌ وَتَلَوْتَهُ	فِي الْبَاذِخَاتِ كَمَا تُلِيَتَا ^(٢)
وَإِذَا عَلَوْتَ بِهِ عَلَى	قَمَمِ الْأَنَامِ فَمَا غُلِيَتَا ^(٣)
وَإِذَا تَشَابَهْتَ الرَّجَا	لُ غُلَاً وَمَأْتِرَةً وَصِيَتَا ^(٤)
لَمْ يُدْعَ تَفْضِيلًا لَهُ	مِنْ بَيْنِهِمْ حَتَّى دُعِيَتَا ^(٥)
كَلِمٌ وَأَنْتَ إِسَاؤُهُ	لَمَّا مَضَى عَنَّا بَقِيَتَا ^(٦)
وَكَأَنَّهُ سَقِيَا لَهُ	مَا مَاتَ لَمَّا أَنْ حَيِيَتَا ^(٧)
لَمْ يَغْدُنِي بَلْ خَصَّنِي	خَطْبٌ بِهِ فِينَا غُرِيَتَا ^(٨)
وَإِذَا عُرِفْتُ بِشِرْكِي	لَكُمْ فَنُطْقًا أَوْ سُكُوتًا ^(٩)
وَإِذَا عَلِمْتُ بِمَا أَرَدُ	تَ لَهُ الْبَيَانُ فَقَدْ كُفِيَتَا ^(١٠)
وَهُوَ الزَّمَانُ فَمِيَّتٌ	مَا كَانَ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَا ^(١١)
وَمَزُودٌ طَوَّلَ الْبَقَا	ءِ وَمَا يُرْجَى أَنْ يَبِيَتَا ^(١٢)

=المعنى: ولو أننا نعلم بأنك كثير الكرم واسع العطاء لما أكرمت.

(١) المعنى: ما أعظم الفقيد! فهم حين يعددون مآثره قصدوك.

(٢) المعنى: كان أبوك الكريم الأول ثم جئت بعده، وجاء ابنك بعدك.

(٣) المعنى: إذا قصدت أن تسمو به على رقاب الناس لم تستطع، لأنه بلغ الغاية.

(٤) المعنى: وإذا تساوت الرجال في المآثرات والشهرة،

(٥) المعنى: لم يُسلب أبوك لأنه فضل على غيره حتى دعيت أنت.

(٦) المفردات: الإساءة: الدواء.

المعنى: حلّ جرح وكنت أنت علاجه، مات أبوك وهو جرحنا، فكنت أنت عوضاً عنا وأنت دواؤنا الباقي.

(٧) المعنى: يدعو له بسقاية قبره، ويقول: كأن أباك لم يمت ما دمت حياً بيننا.

(٨) المفردات: لم يعدني: لم يتجاوزني. عراه: غشيه.

المعنى: لم يتخطني الحزن، بل أصابني كما أصابك.

(٩) المعنى: ولما علمت أنني شريكك في المحنة كان عليّ إما الكلام وإما السكوت.

(١٠) المعنى: وحين أدركت ما تتمناه من الكلام عنه وتعداد مآثره ليبت وكفيتك.

(١١) المعنى: هذا هو الزمان يا صاحبي؛ إما أن امراً مات ولم يكن موته في الحساب،

(١٢) المعنى: وإما أنه ممنوح بطول العمر، ولا يتوقع أن ينام ليلته.

فمَتَى رَفَعْتَ بِهِ هَبْطَ تَ وَإِنْ يَثُتَ فَقَدْ رُجِيتَا^(١)
يا راحلاً لو كان يُف مَدَى مِنْ رَدَى أَحَدٌ فُدِيتَا^(٢)
خَلَّى الدِّيارَ لأهلِها وَثَوَى البَسَاسِ والمُروتَا^(٣)
أعزَزَ عَلَيَّ بأنْ أرا كَ وَكُنْتَ ذَا لَسَنِ صَموتَا^(٤)
تَزَوَى الوجوهُ عَنِ الَّذِي أَمَسِيتَ فِيهِ وَمَا قُلِيتَا^(٥)
وَتَرَدُّ عَنْ وادِيكَ أَغْ نَاقُ المَطِيِّ وَمَا أَجْثُوتَا^(٦)
لَمْ تُنْعَ إِلَّا بِهَجْتِي وَمَسَرَّتِي لِمَا نُعِيتَا^(٧)
قَدَكُنْتَ تَشْفِي إِنْ دَوِيتَ وَقَدْ دَوِيتَ فَمَا شُفِيتَا^(٨)
وَإِذَا تَبَقَّتْ مَأْثَرَا تُكْ فِي الزَّمانِ فَمَا فَنِيتَا^(٩)
لَا غُيِّرَتْ مِنْكَ المَحَا سِنْ فِي الثُّرابِ وَلَا بُلِيتَا^(١٠)

- (١) المعنى: فَإِنْ ارْتَقَيْتَ بِالْعَمْرِ حَظَّ شَأْنِكَ، وَإِنْ يَثُتَ مِنْهُ تَحَقَّقَ رَجَاؤُكَ.
(٢) المعنى: وَيَخَاطِبُ الْمَيِّتَ فَيَقُولُ لَهُ: لَوْ أَنَّ أَحَدًا فِي الدُّنْيَا يَفْدِي عَمْرَهُ لَفَدِينَاكَ.
(٣) المفردات: البَسَاسُ: مفردُها البَسْبَسُ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَفْرُ. المَروتُ: مفردُها المَرتُ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْجَدْبَاءُ.
المعنى: لَكِنَّهُ تَرَكَ بِلَادَهُ وَسَكَانَهَا وَرَقَدَ أَرْضًا قَفْرًا.
(٤) المفردات: أعزَزَ: فَعَلَ مَاضِي عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ لِإِنْشَاءِ التَّعَجُّبِ.
المعنى: عَزِيزٌ عَلَيَّ يَا سَيِّدِي أَنْ أَرَكَ مَيِّتًا صَامِتًا وَكُنْتَ مَفْوًهَاً.
(٥) المفردات: تَزَوَى: تَنَقَّبَ. قُلِيتَ: (مَبْنِي لِلْمَجْهُولِ) بُغِضْتُ.
المعنى: تَنَقَّبْتُ وَجُوهَنَا لِمَا جَرَى لَكَ، وَلَمْ تَبْغُضْ.
(٦) المفردات: اجْثُوتَ: (مَبْنِي لِلْمَجْهُولِ) كُرِهْتَ.
المعنى: كَمَا كَانَتْ المَطِيُّ تُنْمَعُ عَنْ زِيَارَةِ الوَادِي الَّذِي فِيهِ قَبْرُكَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُكْرَهُ بِشَخْصِكَ.
(٧) المعنى: لِمَا نَعَاكَ النَّاعِي نَعِيتَ مَسْرَاتِي وَأَفْرَاحِي فَقَطْ.
(٨) المفردات: دَوِيتَ: أَصَابَكَ الدَّاءُ.
المعنى: كُنْتُ تَشْفِي الْمَرَضَ، وَحِينَ وَقَعْتَ فِي الدَّاءِ لَمْ تَلَقْ مِنْ يَشْفِيكَ.
(٩) المفردات: المَأْثَرَاتُ: مفردُها المَأْثَرَةُ، وَهِيَ المَكْرَمَةُ.
المعنى: وَمَا دَامَتْ أَعْمَالُكَ الحَسَنَةُ وَمَكْرَمَاتُكَ دَائِرَةٌ مَعَ الزَّمَانِ فَلَسْتَ مَيِّتًا.
(١٠) المعنى: أَدَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَأْثَرَاتِكَ وَأَنْتَ فِي الثَّرَى، وَلَا أَبْلَاكَ اللَّهُ.

ولئن مُحيِتَ عن العيو نِ فعن قلوبٍ ما مُحيِتاً^(١)
 وإذا سَقَى اللُّهُ القَبو رَ فمَنْ مَرَّاجِمِهِ سُقِيَتْ^(٢)
 وإذا هُجِرْنَ فلا هُجِرَتْ مَدَى الزَّمان ولا جُفِيَتْ^(٣)

- 84 -

قال في الموعظة والاعتبار: [من مجزوء الكامل]

لا تَقْرَبَنَّ عَضِيهَةً إِنَّ العَضائَةَ مُخْزِيَاتُ^(٤)
 واجعلْ صلاحَكَ سَرْمَداً فالصَّالِحَاتُ الباقياتُ^(٥)
 في هذه الدُّنيا وَمَنْ فِيها لَنَا أبدأ عِظَاتُ^(٦)
 إمَّا صَروْفٌ مُقْبِلًا تَ أو صَروْفٌ مُدْبِرَاتُ^(٧)
 وحوادثُ الأَيامِ في نَا آخِذَاتُ مُعْطِيَاتُ^(٨)
 والذُّلُّ مَوْتُ لَلْفَتَى والعِزُّ في الدُّنيا الحِياةُ^(٩)
 والذُّخْرُ في الدَّارَيْنِ إمَّا ما طاعةٌ أو مَأْثَرَاتُ^(١٠)
 يا ضَيِّعَةً لِّلْمَرءِ تَذُ عُوهُ إلى الهُلْكِ الدُّعَاةُ^(١١)

-
- (١) المعنى: وإن زالت مآثراتك عن النواظر فإنها دائمة في الأفئدة.
 (٢) المعنى: وإذا هطلت الأمطار وسقت القبور، فإنما سقيت من رحمته.
 (٣) المعنى: وإن هجرت قبور وتنوسيت فلن يهجر قبرك ولن تُنسى مدى العمر.
 (٤) المفردات: العضية: البهتان والإفـل.
 المعنى: إياك والكذب فإنه من المخزيات.
 (٥) المعنى: واختر لنفسك طريق الصلاح الدائم فلا يبقى إلا الأعمال الصالحات.
 (٦) المعنى: علينا أن نستفيد من هذه الدنيا، فهي مفعمة بالمواعظ.
 (٧) المعنى: ففيها مصائب قادمة، وفيها مصائب أخرى مولية.
 (٨) المعنى: وما جريات الحياة تأخذ حيناً وتعطي حيناً.
 (٩) المعنى: فإذا ذل المرء فكأنه مات، وإذا عز في الدنيا فكأنه غنم الحياة.
 (١٠) المعنى: وما يغنم المرء في حياته شيئاً: طاعة أو مكرمات.
 (١١) المعنى: وللأسف قد يساق المرء إلى الهلاك.

تَغْتَرُّهُ حَتَّى يَزُو رَ شِعَابَهُنَّ الطَّيِّبَاتُ^(١)
عَبَّرُ تَمُرُّ وَمَا لَهَا مِنَّا عِيُونَ مُبْصِرَاتُ^(٢)
أَيْنَ الْأَلَى كَانُوا بِأَيِّ دِينَا حُصُولًا ثُمَّ مَاتُوا؟^(٣)
مَنْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَمَرَاتُ دَجَلَةٍ وَالْفُرَاتُ^(٤)
مَا قِيلَ: نَالُوا فَوْقَ مَا يَهْوُونَ، حَتَّى قِيلَ: فَاتُوا^(٥)
لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ حِينَ هَمَّ مَ بِهِمْ حِمَامُهُمُ الْحُمَاةُ^(٦)
كَلَّا وَلَا بِيضٌ وَسُومٌ رَ عَارِيَاتُ مُشْرَعَاتُ^(٧)
نَطَقُوا زَمَانًا ثُمَّ لِيَسَ لِنُطْقِهِمْ إِلَّا الصَّمَاتُ^(٨)
وَكَأَنَّهُمْ بِقُبُورِهِمْ سَبَتُوا وَمَا بِهِمْ سُبَاتُ^(٩)
مَنْ بَعْدَ أَنْ رَكَبُوا قَرَا سُرُرٍ وَجُرِدٍ هُمْ رُفَاتُ^(١٠)
سَلِمُوا عَلَى صَلَاحِ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَا لَمَّا اسْتَمَاتُوا^(١١)
وَنَجَّوْا مِنَ الْغَمَاءِ لَمْ مَا قِيلَ: لَيْسَ لَهُمْ نَجَاةُ^(١٢)

- (١) المعنى: ويغتره الدعاة ويجذبونه حتى تحلو له بأنحائها.
(٢) المعنى: تمر بنا عظمات كان المفروض أن نتعظ بها، ولكن عيوننا تعمى عنها.
(٣) المعنى: أين من كانوا معنا ثم ولّوا؟
(٤) المعنى: من كانوا منعمين بالطيبات ويجنون الثمار الغضة.
(٥) المعنى: ولم نقل عنهم إنهم حصلوا على أمانيتهم حتى بلغنا موتهم.
(٦) المعنى: لم ينفعهم حمايتهم ولم يجديهم محبوبهم حين داهمهم الموت.
(٧) المعنى: كلاً، ولم تنفعهم أسلحتهم من السيوف المسلوكة ولا الرماح السمر المعلقة.
(٨) المعنى: كان لهم كلام في حياتهم، وانعدم منهم الصوت، فلم يبق لهم إلا السكوت.
(٩) المفردات: السبات: النوم.
المعنى: وتراهم في قبورهم كالنائمين وما هم بنائمين.
(١٠) المفردات: القرا: الظهر. الرفات: الحطام.
المعنى: وبعد أن جلسوا على عروشهم وركبوا خيلهم صاروا حطاماً.
(١١) المعنى: وحين جاءهم الموت غنموا من الرماح وحد السيوف بالصلح، فتوقفوا عن الحرب.
(١٢) المفردات: الغماء: الداهية.
المعنى: وحين لم يبق لهم نجاة إلا الموت أنقذوا من دواهي الحياة.

في موقفٍ فيه الصَّوَا رُمُ والدَّوَابِلُ والكُمَاةُ^(١)
 وَأَنَامَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَخْشَوْا لَحَيْنَهُمُ الْمَمَاتُ^(٢)
 وَطَوْنَهُمْ طَيِّ الْبُرُ دِ لَهُمْ قَبُورٌ مُظْلِمَاتُ^(٣)
 فَهُمْ بِهَا مِثْلُ الْهَشِيمِ مِ تَعِيْثُ فِيهِ الْعَاصِفَاتُ^(٤)
 شُغْتُ وَسَائِدُهُمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَكْرِمَةٍ عِلَاةُ^(٥)
 قُلْ لِلَّذِينَ لَهُمْ إِلَى الذِّ دُنْيَا دَوَاعٍ مُسْمَعَاتُ^(٦)
 وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مَاذَا تَقُولُ النَّاعِيَاتُ^(٧)
 أَوْ مَا تَقُولُ لَهُمْ إِذَا اجْ تَازَوْا الدِّيَارُ الْخَالِيَاتُ؟^(٨)
 فَالضَّاحِكَاتُ وَقَدْ نَعَمْ نَ بَهْنٌ هُنَّ الْبَاكِياتُ^(٩)
 حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى تَأْوِي عَيُونَكُمْ السُّنَاتُ؟^(١٠)
 كَمْ ذَا تَعْرِجُ عَنْكُمْ أَبَدَ الزَّمَانِ الْمَوْعِظَاتُ؟^(١١)

- (١) المفردات: الصوارم: مفردها الصارم، وهو السيف. الدوابل: الرماح. المعنى: في مقام لم يكن لهم فيه إلا السيوف والرماح والمدججون بالدروع.
- (٢) المفردات: الحَيْن: الموت والهلاك. المعنى: وجاءهم الموت فتركهم في سباتهم، لا يخشون هلاكًا.
- (٣) المعنى: ولفتهم القبور المظلمة كما تلف الثياب.
- (٤) المفردات: الهشيم: النبات اليابس المتكسر. تعيث: تعبت. المعنى: وغدوا بعد أن ماتوا أعشابًا متكسرة تذروها الرياح.
- (٥) المفردات: الشعث: مفردها الأشعث، وهو متلبد الشعر مغبره. العلاة(هنا): الحجر الذي يوضع رأس الميت عليه. المعنى: وتراهم في قبورهم متلبدي الشعر المغبرة، رفعت رؤوسهم على حجرة من غير تقدير.
- (٦) المعنى: قل للمتعلقين بالدنيا الراغبين فيها، الباحثين عن أهلها.
- (٧) المعنى: ولعلهم لم يُصغوا إلى النساء اللاتي يندبن الأموات:
- (٨) المعنى: أو ما تعلمهم بأن الديار قفرة من أهلها فلا يعرجوا عليها؟
- (٩) المعنى: ومن كنَّ سعيدات منعمات في تلك الديار هن اللاتي يندبن اليوم.
- (١٠) المفردات: السنوات: مفردها السنة، وهي النعاس أو الغفوة الأولى. المعنى: أراكم قد أطلتم النوم، فإلى متى أنتم غارقون في نومكم؟
- (١١) المفردات: تعرج عن: تعدل وتخرف.

كم ذا وُعظتُم لو تَكو
 لَكُم عَقولٌ مُعرَضاتٌ
 عُج بالديارِ فنادِها:
 أينَ العُطاةُ على المَكا
 تجري المَنايا مِن روا
 وإذا لَقُوا يومَ الوَعى
 والدَّهرُ طوعَ يَمينِهِم
 أعطاهُم مُتَبَرِّعا
 كانتَ جَميعًا ثمَّ مَز
 فأكفَّهِم مِن بَعدِ أنْ
 وسُيوفُهُم ورماحُهُم
 ن لَكم قلوبٌ مَصفِياتُ؟^(١)
 أو عِيونٌ عاشِياتُ؟^(٢)
 أينَ الجِبالُ الرَاسِياتُ؟^(٣)
 رِم لَلعواذِلُ والأبَاءُ؟^(٤)
 جِبيهِم جَميعًا والصُّلاتُ؟^(٥)
 أقرانُهُم كانتَ هَنا؟^(٦)
 وهُم على الدُّنيا الوَلاةُ؟^(٧)
 ثمَّ استردَّ فَقَالَ: هاتوا^(٨)
 زَق شَمَلَ بَينَهُم الشَّتاتُ؟^(٩)
 سَلِّبوا المَواهبَ مُقْفَراتُ؟^(١٠)
 مَنبُودَةٌ والضَّامَراتُ؟^(١١)

=المعنى: ألم تتعظوا من هذا الزمان؟ ألم تمر بكم أحداث أوجدت عندكم تجارب؟

(١) المعنى: كان عليكم أن تتعظوا بما مر بكم، ولكن لم يكن لكم أفئدة واعية.

(٢) المعنى: نعم لكم قلوب ولكنها معرضة عن العظات، ولكم عيون ولكنها معدومة النظر.

(٣) المعنى: توجه نحو الديار واسألها عن تلك الجبال الراسخة التي لا تتزعزع أين هي؟

(٤) المفردات: الأباة: مفردها الأبي، وهو المترفع عن الدنيا.

المعنى: أين هم الأسخياء الكرماء الذين يدفعون ولا يعبؤون بأحد؟

(٥) المفردات: الرواجب: مفردها الراجعة، وهي مفصل الإصبع.

المعنى: هؤلاء العظماء الذين لا يتوقفون عن الكرم والنوافل، والذين كانت العطايا تسيل

من بين أناملهم ويجري الموت والذعر؟

(٦) المفردات: الهناة: الداهية.

المعنى: وهم حين يجابهون أندادهم في ساحات الحرب يُنزلون فيهم أقسى المصائب.

(٧) المعنى: وكل شيء في الدنيا ملكهم وتحت أيديهم، وهم أمراء العالم.

(٨) المعنى: لقد منحهم الزمان ما منحهم، ثم عاد فاسترجع ما منح.

(٩) المفردات: البين(ضد): الوصل.

المعنى: كانوا سعداء يحيون حياتهم إذا بالموت يهجم عليهم فيمزق شملهم.

(١٠) المعنى: وتحول الأمر؛ فبعد أن كانت أياديهم تنضح كرمًا سلبت سعادتها وجفَّت عن

العطاء.

(١١) المفردات: الضامرات: الخيول النحيلة السريعة.

أَمِنُوا الصُّبْحَ وَمَالَهُمْ عِلْمٌ بِمَا يُجْنِي الْمَمَاتُ^(١)
 وَرَمَاهُمْ فَأَصَابَهُمْ دَاءٌ تَعَزُّ لَهُ الرُّقَاةُ^(٢)
 وَسِيَّهَامُ أَقْوَاسِ الْمَنَوِ نِ الصَّائِبَاتِ الْمُعْمِيَاتِ^(٣)
 مَاتَ النَّدَى مِنْ بَيْنِنَا بِمَمَاتِهِمْ وَالْمَكْرُمَاتِ^(٤)

- 85 -

وقال في الأصحاب: [من مجزوء الكامل]

قُلْ لِلَّذِينَ إِذَا دَعَوْا يَوْمًا إِلَى شَطَطٍ: أُبَيْتُ^(٥)
 وَإِذَا أَمَرْتُهُمْ كَأَنِّي إِذْ أَمَرْتُهُمْ نَهَيْتُ^(٦)
 لَكُمْ الْوَهَادُ وَلَيْسَ لِي إِلَّا مَعَ الْعَيُّوقِ بَيْتُ^(٧)
 كَمْ ذَا ضَلَلْتُمْ فِي طَرِيقِ الْمَكَارِمِ وَاهْتَدَيْتُمْ؟^(٨)
 وَلَكِنْ كَفَيْتُكُمْ الْمُلِمَّ مَ وَلَيْسَ كَافٍ إِذْ وَقَيْتُ^(٩)

=المعنى: وبعد أن كانت خيلهم تعدو وسيوفهم ورماحهم تلمع أهملت ولم يعد لها اعتبار.

(١) المعنى: ظنوا أنهم سيخلدون، ولم يعلموا أن الموت لهم بالمرصاد.

(٢) المفردات: الرقاة: مفردها الراقي، وهو الذي يعد الرقية.

المعنى: لقد داهمهم الموت وحل بهم داء عضال يستحيل على المعوذتين شفاؤه.

(٣) المفردات: المعميات: القاتلات.

المعنى: وأرسل عليهم سهامه القاتلة التي لا تخطيء أهدافها.

(٤) المعنى: وهم حين ماتوا ورجلوا عنا انعدم معين الكرم وجفت خيرة الصفات.

(٥) المفردات: الشطط: مجاوزة القدر والحد.

المعنى: ارفض أيها الصديق من يدعوك إلى ما تراه فوق الحد ومجاوزًا للقدر.

(٦) المعنى: وإنني حين أمرهم فكأنني نهيتهم.

(٧) المفردات: العيوق: كوكب أحمر اللون مضيء يتلو الثريا.

المعنى: أين أنتم مني؟ بل أين الثرى من الثريا؟ أنا أشارك العيون في عليائه وأنتم ترتضون المنخفض من العيش.

(٨) المعنى: سرنا جميعًا في طريق المجد، فهداني الله إليه، بينما أنتم ضللتكم وبعثتم عنه.

(٩) المعنى: لقد حاولت أن أحميكم وأصد عنكم النوائب، ولكن ما وقيتكم إياه لم يكن كافيًا

وَلَكُمْ جَنِيثٌ فَافْتَدُوا	تُ وَمَا فَدِيْتُمْ لَوْ جَنِيثُ ^(١)
وَحَرَمْتُمْ مَنْ لَوْ أَتَا	نِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ قَرِيْتُ ^(٢)
وَأَبْخَثُمْ حَرَمًا لَكُمْ	لَوْ كَانَ يُحْمَى بِي حَمِيْتُ ^(٣)
لَا تَطْمَعُوا فِيمَا بَلَّغَ	تُ وَمَا أَتَيْتُمْ مَا أَتَيْتُ ^(٤)
وَتَجَنَّبُوا مَعَ الدَّهَاءِ	ء؛ فَلَوْ دَهَيْتُكُمْ دَهَيْتُ ^(٥)
قُومُوا أَرُونِي مِنْكُمْ	بَعْضَ الْجَمِيلِ، فَقَدْ أَرَيْتُ ^(٦)
وَفَعَلْتُ ضِدَّ فِعَالِكُمْ	لَمَّا غَدَرْتُمْ بِي وَفَيْتُ ^(٧)
لَا تَهْدِمُوا مَا قَدْ بَنَا	هُ لَكُمْ كِرَامٌ وَابْتَنَيْتُ ^(٨)
إِنِّي فَعُولٌ إِذْ أَقُولُ	لُ وَإِنْ خَلَقْتُ فَقَدْ فَرَيْتُ ^(٩)
وَلَئِنْ عَصَيْتُ فَأَلْذِي	يَدْعُو إِلَى سَعَةِ عَصِيْتُ ^(١٠)
وَإِذَا جَزَيْتُ عَلَى الْقَبِيحِ	حِ بِمِثْلِهِ فَقَدْ اغْتَدَيْتُ ^(١١)

= لكثرة ما اعتراكم.

(١) المعنى: وكم ركبتم من أخطاء وكنت دائماً أنقذكم منها، وأعلم أنني إن تعثرت ما أعتمدوني.

(٢) المفردات: المسغبة: الجوع. قرئت: أضفت.

المعنى: ومنعتم الجائع الذي يأتيني لأكرمه.

(٣) المعنى: وهتكتم حرماكم، ولو كان بقدرتي أن أصونها لكم لفعلت.

(٤) المعنى: لا تنظروا إلي بعين الحسد، فتطمعوا إلى المناصب التي بلغتها، وتنسوا أنكم بلغت ما بلغت بأفعالكم.

(٥) المعنى: واحرصوا على ألا تتبعوا معي الطرق الملتوية، فأنا لا أقصر إن بلوتكم.

(٦) المعنى: إن ما ذكرته إنما هو متمثل في أفعالي، فأروني أنتم ما وصلتكم إليه من المكرمات.

(٧) المعنى: لو قارنا أفعالكم معي وأفعالي معكم لبان الضد في كل شيء، فأنتم تغدرون بي وأنا وافي لعهدي لكم.

(٨) المعنى: تنبهوا واعلموا أنكم تهدمون ما بناه لكم أجدادكم وما بنيته لكم.

(٩) المفردات: خلقت: قطعت. فرئت: شقت وقطعت.

المعنى: ألا فلتعلموا أنني فعال ولست قوالاً، وإن قطعت مزقت إزباً إزباً.

(١٠) المعنى: حتى الذي يتصف بأنه ذو سعة أعصيه.

(١١) المعنى: وإن أساء إلي أحد بإساءة فرددتها عليه أعد نفسي معتدياً.

وَإِذَا حَوَيْتُ فَلِلتَّكْرُ زُمْ مَا مَلَكَتُ وَمَا حَوَيْتُ^(١)
 مَا سَرَّنِي أَنِّي خَرَفْتُ إِهَابَ جَسْمِي وَاشْتَفَيْتُ^(٢)
 خُذَهَا، فَلَوْلَا أَنَهَا كَانَتْ عَلَى عَجَلٍ مَضَيْتُ^(٣)
 وَإِذَا اخْتَصَرْتُ فَإِنِّي رَوَيْتُ جَهْدِي أَوْ غَطَيْتُ^(٤)
 وَإِذَا سَتَرْتُ فَمَنْ يُقَدِّرُ أَنَّنِي أَعْنِي عَنِتُ^(٥)

- 86 -

وقال في النسب: [من الطويل]

أَدَلَّتْ بِحَسَنِ خَوْلَتْ وَلَوَانَهَا أَدَلَّتْ بِإِحْسَانٍ إِلَيْنَا عَذْرَتُهَا^(٦)
 وَقَدْ رُزِقْتُ مِنِّي مَوَدَّةَ مُهْجَتِي وَلَكِنِّي مِنْهَا الْغَدَاةَ حُرِمْتُهَا^(٧)
 وَقَطَعْتَ الْأَسْبَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَلَوْ كُنْتُ خَلَوَا مِنْ هَوَاهَا قَطَعْتُهَا^(٨)
 وَلَمَّا رَأَتْ ثِقَلَ الْعَتَابِ تَجَرَّمْتُ عَلَيَّ ذُنُوبًا عِنْدَهَا مَا عَلِمْتُهَا^(٩)
 تَعَاقَبُ مَنْ لَمْ يُجْرِنَا فِي ضَمِيرِهِ وَلَوْ أَنَّهَا [مَرَّتْ] عَلَيَّ غَفَرْتُهَا^(١٠)

(١) المعنى: وإنني إن كنت غنياً فإن كل ما أملك أعدّه لساعات الكرم.

(٢) المعنى: لم يسعدني أنني مزقت جلدي لأشفي غليلي.

(٣) المعنى: إليك قصيدتي هذه، ولو لم أكن على عجلة من أمري لتابعت كلامي.

(٤) المفردات: رويت: تزودت بالماء. غطيت: أكرت.

المعنى: وإن جاء كلاماً موجزاً فإنني أديت مطلبي ووضحته.

(٥) المعنى: وإن كان كلامي غامضاً، فإنما هو بين لمن يدرك ما أعني.

(٦) المفردات: أدلت: وثقت بإفراط واعتزت.

المعنى: لقد اعتزت بجمالها الذي وهبها إياه الله، وكم كنت أتمنى لو أنها تباهت علينا بما تحسنه لنا، عندئذ أغفر لها هذا التباهي.

(٧) المعنى: ولقد من الله عليها بإخلاص فؤادي، في حين أنني حرمت هذه المنة منها.

(٨) المعنى: ونفت أي صلة بيني وبينها، ولو لم أعشقها لفعلت مثلها.

(٩) المفردات: تجرمت: ادعت وتجننت.

المعنى: حين رأت مني إخلاصي الشديد وكثرة عتابي افتعلت ذنوباً ادعت أنني ارتكبتها، وأنا لا أعلم عنها شيئاً.

(١٠) المفردات: في الأصل «منها»، وارتأى المحقق أن تقرأ «مرت».

المعنى: تحل عقابها على كل من لا يحبها ومن لا يتصورها، ولو مرت في خيالي لغفرت لها.

وملئت وما طال التزاور بيننا ولو أنني طاولتها ما ملئتها^(١)

- 87 -

وقال في الغزل^(٢): [من الخفيف]

أنكرت ليلة اعتنقنا حسامي وهو ملقى بيني وبين الفتاة^(٣)
إن يكن عائقاً يسيراً عن الضمِّ مِ فما زالَ واقياً من عُداتي^(٤)
هو قِرْنٌ صفوٌ ولا بُدُّ في كدِّ لي صفاءٍ ننالُهُ من قِذاةٍ^(٥)
وانتفاعٍ وما رأينا انتفاعاً أبداً الدهرِ خالياً من بَذاةٍ^(٦)

- 88 -

كتب إلى الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن فسانجس^(٧)، فقال: [من البسيط]

ما ضرَّ طيفك لو والى زياراتي ما بين تلك المحاني والثنيات؟^(٨)

(١) المعنى: وكنت نادراً ما أزورها، ومع ذلك ادعت أنني أكثر فملتني. ولو أكثرت هي من زيارتي وأطالت مدة اللقاء لما شعرت بالملل.

(٢) أكثر المرتضى وأخوه الرضي وعدد من الشعراء ذوي العفاف وصفهم لمحبتهم والحسام بينهما.

(٣) المعنى: عجبت فتاتي إذ رأت سيفي مضطجعا بيني وبينها.

(٤) المعنى: إن رأيت أن حسامي يعوق قليلاً عن عناقنا، فإنه يمنع عني أعدائي.

(٥) المفردات: القرن: الكفوء. القذاة: ما يعترض العين أو الماء من قش وغيره.

المعنى: إنني أعتبر هذا السيف بيننا نداءً صفاء لنا، ولا مانع أن يعترض صفو عيشنا ما يكدره.

(٦) المفردات: البذاة: المكروه.

المعنى: وأعتبره كذلك نفعا، وهل هناك نفع لا مكروه في طريقه؟

(٧) هو أبو الفرج ذو السعادات جعفر من أسرة «فسانجس» التي اشتهرت في عصر بني بويه.

وهو وزير أبي كليجار البويه. كان أديبا وشاعرا. غير أن أبا كليجار سجنه ودس له من قتله في السجن سنة ٤٤٠ هـ.

(٨) المفردات: المحاني: مفردتها المحناة، وهي منعطف الوادي. الثنيات: مفردتها الثنية،

=

وهي الطريق في الجبل.

والرَّكْبُ عَنَّا مُشَاغِلٌ بِأَيِّنْهُمْ
صَزَعَى كَأَنَّ زَجَاجَاتٍ أُدِرْنَ لَهُمْ
إِنْ حَرَّمَ الصُّبْحُ وَصَلًا كَانَ يُجْذِلُنَا
وَكَمْ أَتَانِي وَجُنْحُ اللَّيْلِ حُلَّتُهُ
وَزَارَ فِي غَيْرِ مِيقَاتٍ وَكَمْ لُوِيَتْ
وَقَدْ رَأَيْتُمْ وَقَدْ سَارَ الْمَطِيُّ بِكُمْ
وَكَمْ ثَنَيْتُ لِحَاضِي عَنْ هَوَاجِكُمْ
وَقُلْتُ: لَا وَجَدَ فِي قَلْبِي لِلْإِثْمِ
قُلْ لِلَّذِينَ حَدَّوْا فِي يَوْمِ رِحْلَتِهِمْ
مَذْكُرَاتٍ فَلَا سَقْبَ لَهُنَّ وَلَا
مَنْ الدُّؤُوبِ وَإِرْقَالِ الْمَطِيَّاتِ^(١)
فَهُمْ لَعِينِيكَ أَحْيَاءُ كَأَمْوَاتٍ^(٢)
فَهُوَ الْحَلَالُ بِتَهْوِيمِ الْعَشِيَّاتِ^(٣)
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَسَابِي أَنَّهُ يَأْتِي^(٤)
عَنَّا زِيَارَتُهُ فِي كُلِّ مِيقَاتٍ^(٥)
كَيْفَ اصْطَبَارِي عَلَى تِلْكَ الْمَصِيبَاتِ^(٦)
وَفِي الْهَوَاجِ أَوْطَارِي وَحَاجَاتِي؟^(٧)
وَالْقَلْبُ تَحْرِقُهُ نَارُ الصَّبَابَاتِ^(٨)
خُوصًا خُمَائِصَ أَمْثَالِ الْحَنِيَّاتِ^(٩)
كَرَغْنِ يَوْمًا بِنَشْوَانِ الْوَلِيدَاتِ^(١٠)

=المعنى: ماذا يمنع طيفك أن يكرر زيارته إلي في ديارى بين منعطفات الوادي وطرق الجبال؟

- (١) المفردات: الأئین: المتعب. الدؤوب: الجد في السير. الإرقال: الإسراع.
- المعنى: يزورني طيفك حين الناس مشغولون بتعبهم من سرعتهم ومن إسراع مطيهم.
- (٢) المعنى: حيث ترينهم مرهقين مرتمين كأنهم سكارى أديرت عليهم كؤوس الخمرة، فيبدون لك أحياء ولكن كالأموات.
- (٣) المفردات: يجذلنا: يُفرحنا. التهويم: هز الرأس وإمالة من النعاس.
- المعنى: إن حل الصباح وغدا الوصال اللذيذ حرامًا، فإنه حلال في الليل والناس نيام.
- (٤) المعنى: كثيرًا ما كان طيفه يفد ليلاً ملتحمًا بظلام الليل، ولم أكن أظن أنه سيأتي.
- (٥) المعنى: قدم لزيارتي في غير مواعده الموعود، وكم غاب عن زيارته في المواقيت الأخرى.
- (٦) المعنى: لاحظتم علي كيف تحملي لمصائبي حين أخذتم بالرحيل عنا؟
- (٧) المفردات: الهودج: محمل له قبة كانت النساء تركب فيه فوق الجمل. الوطر: الحاجة.
- المعنى: ولاحظتم كيف كنت أشيح بناظري عن محاملكم عمدًا، مع أن فيها حاجتي وبغيتي.
- (٨) المفردات: الصبابات: الأشواق. الوجد: الغضب.
- المعنى: إنني لا أحمل في قلبي لمن يلومني، لكن القلب يحرقه لهيب الأشواق.
- (٩) المفردات: الخوص: مفرداها الأخوص والخصاء، وهي الناقة الغائرة العينين. الحنيات: مفرداها الحنية، وهي القوس. حدوا: ساقوا.
- المعنى: أعلم الذين ساقوا النوق الهزيلة يوم رحيلهم.
- (١٠) المفردات: السقب: ولد الناقة. والبيت مضطرب المعنى لاضطراب نسخ الكلمات.

لَهْنٌ وَالرَّحْلُ يَغْلُولِي مَنَاسِجَهَا (١)
وَكَمْ وَلَجْنَ شَدِيدَاتٍ صَبْرَنَ بِهَا (٢)
فَإِنْ بُعِثْنَ إِلَى نَيْلِ الْمُنَى رُسُلًا (٣)
مَنْ فِيكُمْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْوَزِيرَ إِذَا (٤)
وَمَنْ سَعُودِ الْوَرَى ثُمَّ الْبِلَادِ بِهِ (٥)
قُولُوا لَهُ: لِيَتْنِي كُنْتُ الرَّسُولَ وَمَا (٦)
لِلَّهِ دَرْكٌ فِي مُسْتَغْلَقِي حَرْجٍ (٧)
وَفَاحِمٌ مُذْلَهُمْ لَا ضِيَاءَ بِهِ (٨)
وَفِي يَدَيْكَ رَسُولٌ مِنْكَ تُرْسِلُهُ (٩)
مِثْلَ الرِّشَاءِ يُرَى مِنْهُ لِمَبْصَرِهِ (١٠)

إِلَى السَّبَاسِبِ شَوْقًا كُلُّ حَتَاتٍ (١)
حَتَّى نَجُونَ كَرَامًا بِالْحُشَاشَاتِ (٢)
كَفَلْنِ مِنْكَ بِتَقْرِيْبِ الْبَعِيدَاتِ (٣)
بَلَّغْتُمُوهُ سَلَامِي وَالتَّحِيَّاتِ؟ (٤)
لَمْ يَظْلَمُوا إِذْ دَعَا ذَا السَّعَادَاتِ (٥)
أَذَى إِلَيْكَ سِوَى لَفْظِي رِسَالَتِي (٦)
أَسْعَفْتَ فِيهِ بِفُرَحَاتٍ وَفُرَجَاتٍ (٧)
نَزَعْتَ عَنْهُ لَنَا أَثْوَابَ ظُلُمَاتٍ (٨)
مَتَى أَرَدْتَ إِلَى كُلِّ الْمَنِيَّاتِ (٩)
تَغْضُنُ الرُّقْمَ يَقْطَعْنَ التَّنَوَّاتِ (١٠)

- (١) المفردات: المناسج: مفردها المنسج، وهو موضع القتب من ظهر الدابة. السباسب: مفردها السبسب، وهو الأرض القفر. الحتات: سريع العدو.
- المعنى: إن شوقي متوجه نحو كل سريع منهم، ومراكب مطيهم ترفع أقبابها، متجهة نحو الأرض القفر.
- (٢) المفردات: ولجن: دخلن. الحشاشات: مفردها الحشاشة، وهي بقية الروح للمريض.
- المعنى: وكثيراً ما تمكنت هذه النوق المرهقة من تخطي المصاعب في طريقها حتى خرجن منها صابرات وفي أرواحها بقية من حياة.
- (٣) المعنى: ولو أنهم أرسلن في سبيل تحقيق الأمانى لأدين ما عليهن، ولقرئين كل بعيد.
- (٤) المعنى: والآن أسألكم من يستطيع أن يحمل سلامي إلى الوزير أبي الفرج.
- (٥) المعنى: إنه من حظ الناس والبلاد، وهم لم يظلموه إذ لقبوه بذى السعادات.
- (٦) المعنى: أخبروه أنني كنت أتمنى لو حملت سلامي بنفسي، وكنت أنا الرسول.
- (٧) المفردات: لله دره: اصطلاح ودعاء، معناه: لله ما خرج منه من خير.
- المعنى: ما أطيبك وأكثر خيرك حين استعصت قضية فكنت له الفرج والسعادة.
- (٨) المعنى: وكم اسودت طرق قضية كشفت عنها الحجاب المظلم وأنرتها.
- (٩) المعنى: وإنك ترسل رسلك لخصومك حين تريد، وهم يحملون جميع أنواع الموت.
- (١٠) المفردات: الرشاء: الحبل. الرقم: مفردها الأرقم، وهو من أخبث الحيات. التنوفات: مفردها التنوفة، وهي المفازة من الأرض.
- المعنى: يبدو رسولك مرعباً كحبل يظنه الرائي حياتٍ رقطاء ملتوية تزحف في الصحارى.

حَلَفْتُ بِالْبُذْنِ يَرَعَيْنِ الْوَجِيفَ وَلَا	عَهْدٌ لَهْنٌ بِرِيٍّ مِنْ غَمَامَاتٍ ^(١)
يَرِذْنَ بَيْتًا بِهِ الْأَمْلَاكُ سَاكِنَةٌ	بَنِيَّةٌ فَضَلْتُ كُلَّ الْبَنِيَّاتِ ^(٢)
وَالطَّائِفِينَ حَوَالِيهِ وَقَدْ «سَدَكُوا	بِهِ» ثُقَاءَ بِمَسْحَاتٍ وَلَثَمَاتٍ ^(٣)
وَمَا أَرَاقُوهُ فِي وَادِي مَنَى زُمْرًا	عِنْدَ الْجِمَارِ مِنَ الْكُومِ الْمَسْنَاتِ ^(٤)
وَأَذْرُعُ كَسِيفِ الْهِنْدِ ضَاحِيَةً	يَقْذِفْنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْخُصَيَّاتِ ^(٥)
وَالْبَائِتِينَ بِجَمْعٍ بَعْدَ أَنْ وَقَفُوا	عَلَى الْمَعْرِفِ، لَكِنْ أَيْ وَقَفَاتٍ ^(٦)
وَجَاوَزُوهُ خِفَافًا بَعْدَ أَنْ ذَبَحُوا	حَتَّى أَتَوْهُ بِأَجْرَامِ ثَقِيلَاتٍ ^(٧)
مَحَا النَّضَارَةَ مِنْ صَفْحَاتِ أَوْجُهُهُمْ	ذَاكَ الَّذِي كَانَ مَخَوًّا لِلْجَرِيرَاتِ ^(٨)
لَأَنْتَ مِنْ دُونِ هَذَا الْخَلْقِ كُلِّهِمْ	أَحَقُّ فِينَا وَأَوْلَى بِالْمُوَالَاةِ ^(٩)

- (١) المفردات: البدن: مفردها البَدَنَة، وهي الناقة أو البقرة المسمَّنة. الوجيف: الخوف. المعنى: أقسمت بالنوق المسمنة المعدة للذبح والخوف يطوقها، والغمام لم يسقها.
- (٢) المفردات: البنية: الكعبة. المعنى: تفد هذه النوق على ديار هادئة. أعني بناء فاق كل الأبنية.
- (٣) المفردات: سدكوا به: أقاموا فيه ولازموه. المعنى: وأقسمت بالحجاج الذين يطوفون حول الكعبة وقد جاوروها يتقربون إليها بمسحها ولثمها.
- (٤) المفردات: الزمر: الجماعات. الجمار: من مناسك الحج، وهو رمي ثلاث جمرات. الكوم: مفردها الأَكُوم، وهو الجمل الضخم السنام. المعنى: وأقسمت بما سفكوا من دماء الجمال السمينه في وادي منى عند رمي الجمار.
- (٥) المعنى: وبزنود قوية قوة سيوف الهند ترمي الجمار صباح كل يوم.
- (٦) المفردات: جمع: المزدلفة بمنى. المعرف: موقف بعرفات. المعنى: وأقسمت بمن ناموا بالمزدلفة بعد أن وقفوا وقفة عرفات، وبألها من وقفات رائعة!
- (٧) المعنى: ثم تركوا عرفات مخففين من ذنوبهم بعد أن ذبحوا بَدَنَهُمْ، وكانوا محملين بالأوزار.
- (٨) المفردات: الجريرات: مفردها الجريرة، وهي الذنب أو الخطيئة. المعنى: إن توجههم نحو الكعبة ومناسك الحج محا عنهم خطيئاتهم، وموقفهم هذا جعلهم يقفون وقفة إجلال وجد، فامحت ملامح البسمة عن وجوههم.
- (٩) المعنى: أنت يا وزيرنا أحق الناس جميعًا في تقديم الطاعة له.

قُدْنِي إِلَيْكَ فَمَا يِقْتَادُنِي بَشَرٌ
وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِمَا نَاوَلْتُ مِنْ مِقَّتِي
أَنَا الَّذِي لَا أَحُولُ الدَّهْرَ عَنْ كَلْفِي
لَا تَخْشَ مِنِّي عَلَى طَوْلِ الْمَدَى زَلَلًا
سَيَانٍ عِنْدِي وَلَا مِنْ عَلَيْهِ بِهِ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَا
وَإِنِّي عَاطِلٌ مِنْ حَلِي قُرْبِكَ أَوْ
وَلَوْ رَأَيْتُكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
لَا تَحْسَبُوا أَنَّنِي لَمْ أَلْقَهُ أَبَدًا
وَكَمْ تَلَاقٍ لِقَوْمٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ
وَالْقَرْبُ قَرْبُ خَبِيثَاتِ الصُّدُورِ وَمَا
إِنِّي الصَّدِيقُ لِمَنْ كُنْتَ الصَّدِيقَ لَهُ
إِلَّا فَتَى كَانَ مَأْوَى لِلْفَضِيلَاتِ^(١)
وَمِنْ غَرَامِي وَمِنْ ثَاوِي مَوَدَّاتِي^(٢)
بِمَنْ كَلَفْتُ وَلَا أَسْلُو صَبَابَاتِي^(٣)
فَكُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ غَيْرَ زَلَاتِي^(٤)
مَغْنَى الْأَذَى وَمَقْرَأَتُ اللَّذَازَاتِ^(٥)
فِي الْقَلْبِ مِنْ حَرِّ لَوَاعَاتٍ وَرَوْعَاتٍ^(٦)
صِفْرُ الْيَدَيْنِ خَلِيٍّ مِنْ زِيَارَاتِي^(٧)
قَضَيْتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا لُبَانَاتِي^(٨)
فَإِنَّا نَتَلَقَّى بِالْمَوَدَّاتِ^(٩)
كَمَا أَرَادُوا عَلَى بَعْدِ الْمَسَافَاتِ^(١٠)
تَخْوِي الضَّمَائِرُ لِاقْرَبِ الْمَحَلَّاتِ^(١١)
وَمِنْ تُعَادِي لَهُ مِنِّي مُعَادَاتِي^(١٢)

(١) المعنى: اجعلني تبعًا لك، ولم أعتد أن أنقاد إلا لمن هو أهل للفضائل.

(٢) المفردات: المقة: المحبة.

المعنى: وكن مطمئنًا على ما أقدمه من محبة وعشق وشدة مودة.

(٣) المعنى: من عادتني دائمًا ألا أبدل حبي الذي أبدله لمن يستحقه، ولا أنسى ذلك أحدًا.

(٤) المعنى: ولا تظن أنني سأخطيء أو أنحرف عن طريق الصواب معك، وإن بلغك فليس مني.

(٥) المفردات: المعنى: المنزل.

المعنى: لا فرق عندي ومن غير مئة على الوزير؛ دار الأذى، أو مراض السرور.

(٦) المعنى: أرفع إلى الله ما بي من شوق وحب لك، وما ينفج به قلبي من لهيب التوق.

(٧) المعنى: وإنني أطمع في زيارتك والقرب منك، ولكنني محروم منها بعيد عنها.

(٨) المفردات: اللبانات: مفردا اللبانة، وهي الحاجة.

المعنى: يكفيني من الدنيا أن أراك، وبرؤيتك أستغني عن سائر الناس.

(٩) المعنى: ولا يعني ما أقول أنني لم أراه مطلقًا، بل إننا مرتبطان بالمودة والمحبة.

(١٠) المعنى: فكثير من الناس يتصل بعضهم ببعض بالقلوب مع بعد الشقة بينهم.

(١١) المعنى: وقد يلتقون وقلوبهم تنضح بالخبت عدم الصدق. فالانصال بالقلوب لا بالأماكن.

(١٢) المعنى: اعتبرني صديقًا إن كنت تريده، وثق بعدائي لمن تعادي.

وأنت من معشر تُروى فضائلهم
 البالغين من العُلياء ما اقترحوا
 ويشهدون الوعى من قرط نجدتهم
 كأن أيديهم في الناس ما خلقت
 مُقدّمين على كل الأنام علا
 فإن تقسّمهم تجدهم منزلاً وبنّا
 قد فقتهم بمزيات خُصّصت بها
 ولم تزل مُنجباً فيمن نسّلت كما
 وكنت فضلاً ودينًا يُستضاء به
 إنّ الرئيس الذي رأس الأنام بما
 فإن تجمل قوم في وزارتهم
 جاءتك عفواً ولم تبعث لها سبباً

سادوا على أنهم أبناء سادات^(١)
 والقائمين بصغبات المُلمات^(٢)
 والرعب فاشٍ بالباب خليات^(٣)
 إلا لبذل الأيادي والعطيات^(٤)
 مُحكّمين على كل القضايا^(٥)
 طالوا النجوم التي فوق السماوات^(٦)
 هذا على أنهم فاقوا البريات^(٧)
 أخذتها لك من أيدي النجيات^(٨)
 خلطت للمجد أبياتاً بأبيات^(٩)
 حواه من فضله قبل الرياسات^(١٠)
 فاجمّلت [فيك] أذراع الوزارات^(١١)
 ولا بسطت إليها قبض راحات^(١٢)

- (١) المعنى: إنك من محتد عرفت عنه الفضائل، وهم أعيان من أبناء أعيان.
- (٢) المعنى: وهم بلغوا مراقبي المجد التي أرادوها، وكانوا أهلاً لحل المعضلات.
- (٣) المعنى: وهم يهرعون إلى ساحات الحرب نجدة وإنقاذاً، في حين أن الرعب يستولي على القلوب.
- (٤) المعنى: كأن الله لم يخلق لهم الأيادي إلا لتوزيع الهبات والأعطيات.
- (٥) المعنى: فاقوا الناس في المقامات العالية، وأصحاب حصافة يحلون أعقد الصعاب.
- (٦) المعنى: ولو قست مكانتهم وجدتهم في علوهم يرقون النجوم في كبد السماء.
- (٧) المعنى: وأنت لم تفق أناساً عاديين، بل فقت السادة الكرام بشمائلك المتميزة.
- (٨) المعنى: ولك فخر في أبنائك، فقد جاؤوا من أصل عريق يشبه الأصل الذي جثت منه.
- (٩) المعنى: وكنت نبراساً هادياً بفضلك ودينك، لقد جمعت المجد من أطرافه.
- (١٠) المعنى: أنت الرئيس الذي ساد الناس جميعاً بفضلك السابق من قبل أن تكون رئيساً.
- (١١) المفردات: الإضافة من المحقق للوزن والسياق. الأذراع: مفردها الدرع، وهو القميص.
- المعنى: إن تباهى أناس بأن بلغوا الوزارة فإن الوزارات تباهت بك واتخذتك قميصها الذي تستر به.
- (١٢) المعنى: إنك لم تركع من أجل الوزارة ولم تسع إليها، بل هي التي سعت إليك وطالبتك على سجيته.

فهي التي لك إمساكُ بها ولها وقد أتاني فيما زارني خَبَرٌ
سَقَانِي المُرَّ من كَأْسِيهِ واستلبتْ
إِنْ اضْطَجَعْتُ فَمِنْ شَوْكِ القَنَا فُرْشِي
قالوا: اشْتَكَى مَنْ يُوَدُّ النَّاسُ أَنَّهُمْ
ولم أزل مُشْفَقًا حتى علمتُ بما
وبشَّروا بالعوافي بعد أن مُطِلَّتْ
والحمدُ لله قد نلتَ المرادَ وما السُّدُ
فعشَ كما شئتَ من عزٍّ يطيفُ بهِ
ولا بُليتَ بمكروهٍ ولا قَصُرَتْ
ولا تكن مُغْنِيًا مِنْ ذَا الِوَرَى بَشَرًا

وفضلة فيك من أبناء فضلات^(١)
فطال منه قُصَارَى كُلِّ سَاعَاتِي^(٢)
يُمْنَاهُ مِنْ بَصَرِي لَذَاتِ هَجْعَاتِي^(٣)
وإنْ مَشَيْتُ فَوَاطِ فَوْقَ جَمْرَاتِ^(٤)
كانوا الفداء له دونَ الشُّكَايَاتِ^(٥)
أناله الله من ظِلِّ السَّلَامَاتِ^(٦)
بُشْرَى وَلَكِنَّهَا لَا كَالْبَشَارَاتِ^(٧)
سَعِيدُ إِلَّا الَّذِي نَالَ الْإِرَادَاتِ^(٨)
لله جيشٌ كَثِيفٌ مِنْ كَفَايَاتِ^(٩)
منك الأناملُ عن نِيلِ الْمُحَبَّاتِ^(١٠)
فكيف تُبْلَى مِنَ الدُّنْيَا بِإِغْنَاتِ؟^(١١)

- (١) المعنى: معنى البيت غامض، ولعله يريد أن يقول إن الوزارة لك، والحفاظ عليها من أجلها، وهي ليست أساسًا في صفاتك بل زيادة من الزیادات التي تتحلّى بها.
- (٢) المعنى: ومن الأنباء التي توافدت عليّ، وأخذ مني هذا الخبر كثيرًا من وقتي.
- (٣) المعنى: هذا الخبر أقلقني وأرشفني مرارة الألم، وأقض مضجعي.
- (٤) المعنى: جفاني النوم لكان فراشي شوك الرماح، وانحرمت من السير فكأنني أخطو على النار.
- (٥) المعنى: وهذا الطارئ للوزير أقلق الناس، حتى تمنى كثير منهم أن يقدوه بأنفسهم، وقولهم هذا لم يكن نابعا بصدق أو أن فداءهم أقل من شكوى الوزير.
- (٦) المعنى: وظللت أرى أمره حتى بلغني أن الله تعالى أوصله إلى بر الأمان.
- (٧) المعنى: وطمأنوني عن سلامته بعد طولها، فكانت بشرى كبيرة.
- (٨) المعنى: فحمدًا لله على بلوغك ما تمنيت، والسعيد هو الذي يبلغ مرامه بالعزيمة.
- (٩) المعنى: فاهنا بطيب عيش في مراقبي العز تحض به الكفاءات العالية.
- (١٠) المعنى: وعش بعيدًا عن أي مكروه، سهّل الله عليك الأمان.
- (١١) المفردات: الإغنيات: تكليف الآخر بالمشقة، والمعنت: اسم فاعل منها.
- المعنى: يدعوله بالآلا يضطر إلى تكليف أحد من الناس بمهمة، ولن يصاب من هذه الدنيا بمشقة.

وقال في الغزل: [من الطويل]

- سقى الله يوماً نلت فيه على المني وكنت عليها الدهر أسبل عبرتي^(١)
 وواصل من ماء الشبية ملؤه ولم ينهه عني مشيبي وكبرتي^(٢)
 وكان التلاقي فيه غيباً مرجماً وجاء بلا وعد فرويت غلتي^(٣)
 فإن تك منه علتي وفراقه فقد طردت منه الزيارة علتي^(٤)

وقال يفخر ويذم الزمان: [من السريع]

- هل عائد ينفع من علتي أو مسعد ينفع من غلتي؟^(٥)
 أو عادل ينصفني حكمه من جور هذا الزمن المغنت؟^(٦)
 أسعى ولا أدري إلى منيتي وإنما أسعى إلى ميتتي^(٧)
 كم نعمة آلت إلى نعمة وفرحة حالت إلى ترحه^(٨)
 وغبطة لما استوث للفتى ونال منها سؤله ولت^(٩)

- (١) المعنى: رحم الله يوماً حظيت فيه بأمني، بعد أن أمضيت زمناً أبكي حسرة.
 (٢) المعنى: وبلغت حبياً ينضح بشرخ الشباب ونضارته من غير أن يعبا بشيبي وسني.
 (٣) المفردات: الغلة: العطش. المرجم: الذي يكتنفه الظن.
 المعنى: وكانت أمنية اللقاء رجماً بالغيب، إذا بالحبيب قدم ومن غير موعد، فارتوى عطشي.
 (٤) المعنى: فإن كان بعاده عني سبب دائي، فهذا هوذا قدم فولى دائي.
 (٥) المفردات: ينفع: يروي. الغلة: العطش.
 المعنى: ألا من أحد عائد يخفف عني أوجاعي، أو صديق يفرحني فيسكن من غلواني.
 (٦) المفردات: المغنت: الشاق.
 المعنى: أو ألقى أمراً عادلاً يعدل في حكمه من ظلم هذا الزمان العنيد.
 (٧) المعنى: إنني سائر في هذه الحياة، لكنني لا أدري أطريقي صحيح نحو ما أتمنى، أم هو طريق الموت؟
 (٨) المعنى: فكثيراً ما تحولت النعم إلى نقم، وانقلبت الأفراح إلى أحزان.
 (٩) المعنى: وقد يسعى المرء إلى ما يسعده، ويجهد نفسه في الوصول إليه، ويفاجأ بزواله قبل أن يتنعم به.

إِنَّ كَانَ زَادَ الدَّهْرُ فِي فِطْنَتِي فَبِالَّذِي أَنْقَصَ مِنْ فِطْرَتِي ^(١)
 أَوْ قَوِّمْتَ أَيَّامَهُ خَبَرْتِي فَبِالَّذِي طَأْطَأَ مِنْ صَغْدَتِي ^(٢)
 يُقِرُّ عَيْنِي بِمَا فَقَدُهُ بَعْدَ قَلِيلٍ مُسْبِلٌ عَبْرَتِي ^(٣)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنَا فِي وَقْعَةٍ مَعَ نُوبِ الدَّهْرِ فِي خُطَّةٍ ^(٤)
 بَيْنَا تَرَاهُ مُسْلِفًا قَرَّتِي حَتَّى تَرَاهُ مُتْلِفًا قَوَّتِي ^(٥)
 يُولِجُ حِرْمَانِي عَلَى مُنْيَتِي خَبَطًا وَإِلَامِي عَلَى لَذَّتِي ^(٦)
 فَلَيْتَهُ لَمَّا طَوَى عَزَمَهُ بِمِيتَتِي لَمْ يُعْطِنِي عِيشَتِي ^(٧)
 لَوْلَايَ كَانَ الدَّهْرُ مِنْ أَهْلِهِ بَغِيرِ أَوْضَاحٍ وَلَا غُرَّةٍ ^(٨)
 وَقَدْ دَرَى الْأَقْوَامُ أَنِّي أَمْرٌ أَوَّاصِلُ الصَّدِّ عَنْ السَّوْءِ ^(٩)
 لَا أَضْمُرُ السَّوْءَ لَدِي خُلَّةٍ وَلَا أَرَى فِي طُرُقِ التُّهْمَةِ ^(١٠)

(١) المعنى: إن كان جور الزمان أثار يقظتي وألهب فكري، فلأنه أنقص من سجيتي وطبعي.

(٢) المفردات: الصعدة: القناة المستوية.

المعنى: وإن هذبت الأيام من معرفتي فلأنها قصمت ظهري وأرهقتني.

(٣) المعنى: إن الذي يريخني بعد جهدي هو نفسه الذي سيقض مضجعي ويبكي.

(٤) المعنى: إنني دومًا في معارك مع نواب الزمان، ساعيًا إلى الانتصار عليها وإفشال خططها.

(٥) المفردات: القرّة: القرار والاستقرار.

المعنى: هذا الزمان القاسي أراه أحيانًا يمنحني الاستقرار، وأحيانًا أخرى يحطمني وينهكني.

(٦) المعنى: فلا تراه مستقيمًا في عطائه أو منعه؛ فتراه يُدخل الحرمان في الأمان، والأتراح في الأفراح.. هكذا من غير نظام.

(٧) المعنى: فليته ما دام قرر أن يسلبني حياتي ألا يدعني أحيا أصلًا.

(٨) المفردات: الأوضاح: مفردا الوضع، وهو البياض. الغرّة في الأصل: بياض في جبهة الفرس.

المعنى: يفتخر الشاعر بنفسه، ويعتبر وجوده في هذا الزمان أشبه بالبقعة البيضاء التي تزين ناصية الفرس، ولولاه لما وجد ما يتباهى به.

(٩) المعنى: علم الناس أجمعون أنني أحجم عما يسيء وأمنعه عن نفسي.

(١٠) المفردات: الخلّة: الصداقة.

المعنى: ومن سجيتي أنني لا أنظر نحو صديقي نظرة سوء، ولا أوقع نفسي فيما يشين.

ولم تَقْذِنِي فِي حِجَالِ الْهُوَى مُحَاسِنُ الْبَهْكَنَةِ الطُّفْلَةِ^(١)
ذو عَزْمَةٍ مَا نَشَزَتْ سَاعَةً وَاحِدَةً عَنْ رِبْقَةِ الْعِفَّةِ^(٢)
وَلَا تَرَى مَيْلًا إِلَى جَانِبٍ لَا فِي رِضَا مَنِي وَلَا سَخَطَةٍ^(٣)
لَا فَرْقَ بَعْدًا مِنْ رُكُوبِ الْهُوَى بَيْنِي فِي الْكِبَرَةِ وَالشُّرَّةِ^(٤)
فَجَانِبُ الْجِدِّ بِهِ صَبَوْتِي وَجَانِبُ الْهَزْلِ بِهِ نَبَوْتِي^(٥)
كَمْ لِي فِي مُرِّ ثَمَارِ الْهُوَى مِنْ فِكْرَةٍ رُضْتُ بِهَا صَغْبَتِي^(٦)
فَالذُّلُّ لِلنَّفْسِ إِذَا مَا عَصَتْ وَالْعِزُّ لِلنَّفْسِ إِذَا وَلَّتِ^(٧)
فَقُلْ لِحُسَادِي: لَا زِلْتُمْ فِي حَسَدٍ ثَاوٍ عَلَى نِعْمَتِي^(٨)
لَا تَعْضِهُونِي بِالَّذِي فِيكُمْ فَقَدْ أَمَنْتُمْ أَبَدًا عَضْهَتِي^(٩)
الذَّنْبُ لِي عِنْدَكُمْ أَنْكُمْ عَجَزْتُمْ عَمَّا حَوَتْ قُدْرَتِي^(١٠)
وَأَنْنِي قَدْ كُنْتُ مِنْ دُونِكُمْ أَعْقِرُ لِلْأُضْيَافِ فِي الْأَزْمَةِ^(١١)

- (١) المفردات: البهكنة: الشابة الغضة. الطفلة: الرخصة الناعمة.
المعنى: ولم أنزل في طريق حب الصبايا النواغم.
- (٢) المفردات: نشزت: بعدت. الربقة: الحلقة تشد بالحبل وتربط بها البهيمة.
المعنى: وهمتي قوية فلم أنحرف ساعة عن مسار العفة والشرف.
- (٣) المعنى: ولا أنساق لا أتحزب ولا يأخذني الهوى في رضا أو غضب.
- (٤) المفردات: الشرة: نشاط الشباب.
- (٥) المعنى: ولم تبدل السنون من اندفاعي نحو الهوى، فأنا على استقامتي في الشباب والاكتهال.
- (٦) المفردات: الصبوة: الشوق والميل. النبوة: الانحراف والعدول.
- (٧) المعنى: فأنا أتعشق الأخذ بالجد، وأتجنب سبيل الانحراف عن الطريق السوي.
- (٨) المعنى: ولقد عُرف عني أنني تحملت عناء شديدًا في التخلص من ذوق ثمار الانحراف والانخراط في الهوى.
- (٩) المعنى: ذلك أن النفس تذلل عندما تطاوع الهوى وتعصي طريق السلامة، وتتحدى النفس بالعز إذا عصت الهوى.
- (١٠) المعنى: وأنتم يا حاسدي لا ينفعكم حسدكم لنعمتي لأن حسدكم مرفوض.
- (١١) المفردات: العضية: البهتان والكذب.
- المعنى: فلا ترموني بالإفك الذي هو صفتكم، ولن تجدوني منساقًا بالبهتان ضدكم.
- (١٠) المعنى: وجريمتي حيالكم أنكم لم تقدروا أن تنالوا مني شيئًا.
- (١١) المعنى: وأن كرمي يفوق كرمكم؛ فقد كنت أنحر للضيوف وأنتم لا تنحرون.

والطَّارِقُ النّازلُ أدنى إلى
وكلُّ داعٍ بي إلى نُصرةٍ
لو جَهِدُوا ما شَرَبُوا من عِلٍ
ولا رَأَوْا قَطُّ بأيديهم
وكم بَغَوْا دَهْرًا فلم يَظْفَرُوا
ليست يدي مِنِّي مَرْدُودَةٌ
إِنْ تَفْقِدُونِي تَفْقِدُوا مِنْكُمْ
حَقَّرَ شَأْنِي أَنِّي ضائعٌ
أَقْتَاتُ غِيظِي فَإِذَا عِفَّتُهُ
بَيْنَ أَناسٍ أَنَا ما بَيْنَهُمْ
خَيْرُهُمْ شَرُّ أَمْرٍ في الورى
أَنْفَقُ فِيمَا لَسْتُ أَرْضَى بِهِ

زادِي من أَهلي وَمِنْ أُسْرَتِي^(١)
سابقَةٌ دَعْوَتُهُ نُصْرَتِي^(٢)
إِلَّا الَّذِي أَسْأَزْتُ من فَضْلَتِي^(٣)
فَضِيلَةٌ مِنِّي ما غُلَّتِ^(٤)
مِنِّي في المَزَلَقِ بالعَثْرَةِ^(٥)
وليس لي رَجُلِي إِنْ زَلَّتِ^(٦)
فَرَّاجِ ذاكِ المُبْهَمِ المُضْمَتِ^(٧)
عندَكُمْ أبْكي على ضَيْعَتِي^(٨)
خَرَجْتُ من غِيظٍ إلى عِفَّةٍ^(٩)
في كَمَدٍ باقٍ وفي حَسْرَةٍ^(١٠)
وحيثُهم بالنُّوكِ كالمِيتِ^(١١)
شَرَخَ شَبابِي وشَبَا مَيْعَتِي^(١٢)

(١) المعنى: وإنني أقدم الطعام لضييفي قبل أن أقدمه لأسرتي وعشيرتي.

(٢) المعنى: وإذا لاذ بي لائذ رأى تلييتي لنصره قبل أن يطلب طلبه.

(٣) المفردات: السُّور: البقية من زاد غيره، أسارت: أبقيت.

المعنى: وهم مهما حاولوا أن يرتقوا لم يبلغوا أكثر من فضلي، فمهما حاولوا شرب الماء الصافي من أعلى ينابيعه لما قدروا إلا ما يبقى من شرابي.

(٤) المفردات: الغُلّ: القيد الحديدي للرقبة، غلت: ربطت.

المعنى: ولا نالوا مني ما حفظته عنهم.

(٥) المعنى: وقد حاولوا كثيرًا أن يوقعوني في شركهم فلم يقدرُوا.

(٦) المعنى: فأنا لا أعد أطرافِي من جسمي إن تصرفت بما يشين.

(٧) المعنى: واعلموا أنكم إذا خسرتُموني خسرتُم من يَفْرُجِ الغمة عنكم.

(٨) المعنى: والذي أصغرنِي أنكم لم تعرفوا قدرِي، ولهذا فأنا أبكي على ضياعي بينكم.

(٩) المعنى: فأنا ألوِّكُ غضبي، فإن أهملت غضبي عادت عفتي إلي سليمة.

(١٠) المعنى: فأنا بين قوم يجبرونني على كمد العيش وألم الحسرة.

(١١) المفردات: النوك: الحمق وسخف العقل.

المعنى: وأفضل هؤلاء الناس شر العالمين، والحي أحق أشبه بالميت.

(١٢) المفردات: شرخ الشباب: أوله وعنفوانه. الشبا: الحد. ميعة الشباب: معظمه.

دَغْ جَانِبَ الذُّلِّ لِمَنْ حَلَّهُ فَمَا بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرَةِ^(١)
وَلَا تُقِمْ فِي مَنْزِلٍ تَغْتَلِي بِهِ الْأَرَاذِلُ عَلَى الْعِلْيَةِ^(٢)
وَلَا مَكَانٍ يَسْتَوِي عِنْدَهُ دَرَادِقُ الذُّودِ مَعَ الْجِلَّةِ^(٣)
مَلِلْتُمُونِي وَالْمُنَى رَغْدَةٌ إِنْ كَثُرَتْ فِي مَعْشَرٍ مُلَّتِ^(٤)
وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَمْوَالَكُمْ تُضْحِي وَتُمْسِي فِي حِمَى جُرَأَتِي^(٥)
سَدَدْتُ عَنْهُمْ فِرَاقَ الرَّدَى بِالطُّعْنَةِ الْفَوْهَاءِ وَالضَّرْبَةِ^(٦)
وَالْخَيْلُ تَنْجُو كَسْرُوبِ الْقَطَا أَوْ نَعَمَ فِي غُرْبَةٍ شُلَّتِ^(٧)
يَحْفِزُهَا الطُّعْنُ فَلَوْ سَامَهَا دُخُولَ خَرَقٍ ضَيِّقٍ مَرَّتِ^(٨)
وَفِي الْقَنَا تُبَدِّلُ أَجْلَادَهَا مَسْوَدَّةَ اللَّوْنِ بِمُحَمَّرَةٍ^(٩)
فَوْقَ قَرَا ضَامِرَةٍ جَسْرَةٍ مَا شَدَّتِ الرِّيحُ كَمَا شَدَّتِ^(١٠)

=المعنى: وإن ما أتصرف به الآن معكم لا أقبل أن أفعله وأنا في عز شبابي.

- (١) المعنى: دع طريق الذل لمن خاض فيه، فلا ينفع الذل مطلقاً.
(٢) المعنى: وأنا عن ديار تجوس فيها على القوم بكل رذيلة.
(٣) المفردات: الدرادق: مفرداها الدردق، وهو الصغير من الإبل. الذود: جماعة الإبل القليلة. الجلة: الجلة من الإبل: عظامها.
المعنى: فلا مساواة بين صغار الإبل وكرائمها.
(٤) المعنى: مللت صحبتي لكثرة سعادتك، والأمانى تمل إن كثرت عند شعب.
(٥) المعنى: وأنتم تعلمون أن ما تملكونه إنما هو في حماي، وبدوني يضيع.
(٦) المعنى: ودافعت عن ممتلكاتكم خوف ضياعها بسطوتي وضربي.
(٧) المفردات: شلت: طردت.
المعنى: وما كان تحت حمايتي ينجو كما تنجو أسراب القطا، وإن عاشت الأنعام غريبة عن حمايتي ضلت.
(٨) المفردات: سامها: كلفها.
المعنى: يشجع الخيل خوض المعارك، ولو كلفها عبور المضيقات لنفذت منها.
(٩) المعنى: وهي خيل سوداء الجلد، حتى إذا خاضت مضارب الرماح تحولت بالدماء إلى حمراء اللون.
(١٠) المفردات: القرا: الظهر. الجسرة: الناقة القوية. شدت: أسرع.
المعنى: وقد امتطى الفرسان ظهور خيل نحيلة قوية، تسبق الريح في هبوبها.

ذاتٍ وَقَارٍ يَوْمَ سِلْمٍ فَإِنْ رَأَتْ بَعَيْنَيْهَا وَغَى جُنَّتِ^(١)
 هَلْ أَنهَلَتْهَا عَلَقًا مَائِرًا إِلَّا يَدِي فِي الرُّوعِ أَوْ عَلَتْ؟^(٢)
 فِي مَوْقِفٍ دَخُضٍ كَأَنَّ الْفَتَى مُسْتَوْقِفٌ فِيهِ عَلَى جَمْرَةٍ^(٣)
 تَبْتَلُ أَرْجَاءَ لَهُ يَبْسَهُ رَشَائِشَ الطَّعْنِ إِذَا بَلَّتِ^(٤)
 لَا تُدْنِيَنِي مِنْ عَاقِدِ أَنْفِهِ مِلَآنَ مَنْ تَبِيهِ وَمَنْ نَخْوَةٍ^(٥)
 مُدَامِجٍ هَمَّتُهُ كُلُّهَا مَصْرُوفَةٌ فِي نَضْبٍ أَغْلُوطَةٍ^(٦)
 لَيْسَ عَنِ الْغَيِّ لَهُ عَرْجَةٌ وَلَا لَهُ فِي الرُّشْدِ مِنْ نَهْضَةٍ^(٧)
 فَلَنْ تَرَانِي أَبَدًا رَاغِبًا فِي خَرِقٍ يَزْهَدُ فِي رَغْبَتِي^(٨)
 وَمَا أَبَالِي بَعْدَ خُبْرٍ بِهِ صَرَّحَ أَوْ صَمَّمَ فِي خُلَّتِي^(٩)
 سَأَرْكَبُ الْهَوْلَ فَإِمَّا عَلَى شَامَخَةٍ أَوْ أَكْرَمِ الْمَوْتَةِ^(١٠)

- (١) المعنى: وترى الخيل وقورة في أيام السلم، وإذا هبت ربح الحرب اعتراها الجنون.
 (٢) المفردات: النهل: الشربة الأولى. العلق: الشربة الثانية. العلق: الدم. المائر: المتحرك. الروع: الحرب.
 المعنى: وسبب جنونها أنني سقيتها دماء خائراً مرتين.
 (٣) المفردات: دحض: زلق.
 المعنى: كانت مواقف الحرب حرجة زلقة، تظن الشجاع فيها يطأ جمر النار من شدة حركاته.
 (٤) المفردات: الأرجاء: الأطراف. الرشائش: مفردا الرشاش. والكلمة منصوبة بنزع الخافض.
 المعنى: وتتناثر قطرات الدماء فتترطب المناطق اليابسة منه منها.
 (٥) المفردات: عاقد أنفه: متكبر. التيه: الضلال. النخوة: الكبر.
 المعنى: أنا لا أحب الذين يصعرون أنفهم ويتكبرون.
 (٦) المفردات: المدامج: المداهن.
 المعنى: ولا أحب المداهن المداجي، وكل همه إيقاعي في الخطأ.
 (٧) المفردات: العرجة: الميل والانحراف.
 المعنى: إنه يعتمد الانحراف في معاملته ولا يأتي انحرافه عن جهل، وهو لا يعي صلاح الاستقامة.
 (٨) المفردات: الخرق: الأحق.
 المعنى: ولا أحب الأحق مطلقاً، وهو نفسه لا يحب صحبتي.
 (٩) المعنى: ولا أهتم لما ينعتني به ويحكي عني ما دمت أعرف تصرفه.
 (١٠) المعنى: إنني سأخطئ الصعاب بكل جرأة؛ فلما النصر بشرف ولما الموت العزيز.

فربّما نلتُ الذي أبتغي مجتهدًا أو برّئت ذمّتي^(١)

- 91 -

وقال يرثي الحسين (ع)، ويستنهض المهدي^(٢) ليأخذ بثأره: [من مجزوء الكامل]

قف بالديار المقفرات لعبت بها أيدي الشّتات^(٣)
فكأنهنّ هَشائِمَ بمرورِ هُوجِ العاصفاتِ^(٤)
فإذا سألتَ فليس تسـ أَلْ غيرَ صُمِّ صامتاتِ^(٥)
خُرُسٍ يُخَلْنِ مِنَ السُّكو تِ بهنّ هامُ المُصغياتِ^(٦)
عُجْ بالمطايا النّاحلا تِ على الرُّسومِ الماحلاتِ^(٧)
الدارساتِ الفانيا تِ شَبِيهَةً بالباقياتِ^(٨)
واسألْ عَنِ القَتلى الألى طُرِحوا على شَطِّ الفراتِ^(٩)
شُعْتُ لَهُم جُمَمٌ عَصِيـ نَ على أكفِّ الماشطاتِ^(١٠)

(١) المعنى: وأملّي أن أجد لأحصل على ما أتمنى حتى أبرىء ساحتي.

(٢) هو المهدي المنتظر الذي يعتقد الشيعة الإماميون أنه سيعود ليملاً الدنيا عدلاً ويأخذ حقوق أهل البيت.

(٣) المعنى: توقف في رحلتك عند الديار القفر الخالية، وقد عبثت بها الفرقة.

(٤) المفردات: الهشائم: مفردها الهشيم، وهو العشب اليابس.

المعنى: فترى الديار وكأنها أعشاب يابسة ذرّتها الرياح العاتية.

(٥) المعنى: وكيف تسألها وكل ما فيها صامت أخرس لا يُحسن كلامًا.

(٦) المفردات: الهام: مفردها الهامة، وهي الرأس من كل شيء.

المعنى: وهي خرساء عاجزة عن الكلام، يظن الراثي أنها رؤوس نساء مصغيات من سكوتها.

(٧) المفردات: الماحل: الجذب.

المعنى: وغير مسير مطاياك النحيلة المرهقة وقف على الرسوم الجذباء القفراء.

(٨) المعنى: وبقياء أهل الديار الراحلين مدروسة، فغدت مثل سائر الأشياء الفانية حولها.

(٩) المعنى: ويتنقل للحديث عن الشهداء الذين قتلوا في هذه الصحراء، وذبحوا على شواطئ نهر الفرات.

(١٠) المفردات: الأشعث: المتلبّد الشعر.

المعنى: لهؤلاء القتلى شعر متلبّد أبي أصحابه الاستجابة للماشطات كي ينظفن شعورهم.

وَعُهُودُهُنَّ بَعِيدَةً بَدَهَانِ أَيْدٍ دَاهِنَاتٍ^(١)
 نَسَجَ الزَّمَانُ بِهِمْ سَرَا بَيْلًا بِحَوَكِ الرَّامَسَاتِ^(٢)
 تُطَوَّى وَتُخْمَى عَنْهُمْ مَخَوًا بِهِطْلِ الْمُغْصِرَاتِ^(٣)
 فَهُمْ لِأَيْدٍ كَاسِيَا تِ تَارَةً أَوْ مُغْرِيَاتِ^(٤)
 وَلَهُمْ أَكْفٌ نَاضِرَا تٌ بَيْنَ صُؤْمٍ يَابَسَاتِ^(٥)
 مَا كُنَّ إِلَّا بِالْعَطَا يَا وَالْمَنَايَا جَارِيَاتِ^(٦)
 كَمْ ثَمَّ مِنْ مُهَجٍ سَقَيْنِ نَ الْحَتَفَ لِلْقَوْمِ السَّرَاةِ^(٧)
 وَمُثَقَّفٍ مِثْلِ الْقَنَا ةِ أَتَى الْمَنِيَّةَ بِالْقَنَاةِ^(٨)
 وَ مُرْهَفٍ سَاقَتْ إِلَيْهِ رَدَى شَفَارُ الْمُرْهَفَاتِ^(٩)
 كَرِهُوا الْفِرَارَ وَهُمْ عَلَى أَقْتَادٍ نُجْبٍ نَاجِيَاتِ^(١٠)

- (١) المعنى: وقد مضى زمان طويل لم يتعطروا ولم ينصاعوا إلى اللائي يضمخن شعورهم.
 (٢) المفردات: السرايل: الثياب وكل ما يلبس، واللفظ فارسية الأصل «شَلوار». الرامسات: الرياح التي تدفن الآثار. الحوك: النسج.
 المعنى: وقد غطتهم الرياح الهوجاء بعد أن مضى عليهم زمن لم ينقلوا من مكانهم.
 (٣) المفردات: تطوى: تخفى. المعصرات: السحب الماطرة.
 المعنى: كانت الرمال تغطيهم حينًا وتنحسر عنهم حينًا من كثرة هطول الأمطار عليهم.
 (٤) المعنى: وتبدو أيديهم إذا هبت الرياح من تحت الرمال، وتغطيها إذا هبت.
 (٥) المعنى: وحين تنكشف أيديهم تبدو نظرة عفنة بارزة من بين الصخور اليابسة حولها.
 (٦) المعنى: وكانت هذه الأيدي أيام الحياة منشغلات بالهبات والضرب.
 (٧) المفردات: المهجة: دم القلب أو الروح. سراة القوم: سادتهم. ثم: هناك.
 المعنى: وفي تلك القفار سفكت دماء سادة وأزهقت أرواحهم.
 (٨) المعنى: وكم من شجاع يحمل سلاحه بقامة ممشوقة كالرمح داهمه الموت بالرمح.
 (٩) المفردات: المرهف: الرقيق الحد للسيف، والنحيف من الرجال.
 المعنى: وكم من شجاع نحيف القامة كالسيف جاءه الموت بحد السيف المرهف.
 (١٠) المفردات: القتد: خشب الرحل، أطلق الجزء وأراد الكل وهو الرحل. النجب: مفردا النجيب، وهي الإبل الكريمة.
 المعنى: كانوا يستطيعون أن يفروا من الموت المحتم لأنهم يمتطون الإبل القوية، لكنهم كرهوا الفرار.

يَطْوِينَ طَيِّ الْأَتْحَمِي وَيَلْوِي وَقَدْ خَبَطَ الظَّلَا
 وَتَيْقُنُوا أَنَّ الْحَيَا وَرَزِيَّةً لِلدِّينِ لِي
 تَرَكْتُ لَنَا مِنْهَا الشَّوَى يَا آلَ أَحْمَدَ وَالْأَذِي
 وَمَنْيَّتِي فِي نَصْرِهِمْ حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ عَلَى
 وَحَقُوقِكُمْ دُونَ الْبَرِي وَسَرُوبِكُمْ مَذْعُورَةٌ
 وَلِيُكْمَ يُضْحِي وَيُمْ يُلْوِي وَقَدْ خَبَطَ الظَّلَا
 يَ لَهْنَ أَجَوَازَ الْفَلَاتِ^(١)
 ةً مَعَ الْمَذَلَّةِ كَالْمَمَاتِ^(٢)
 سَتْ كَالرَّزَايَا الْمَاضِيَاتِ^(٣)
 وَمَضَتْ بِمَا تَحْتَ الشَّوَاةِ^(٤)
 نَ غَدَاً بِحُبِّهِمْ نَجَاتِي^(٥)
 أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ^(٦)
 صَهَوَاتٍ حُذِبَ شَامِصَاتٍ؟^(٧)
 يَّةً فِي أَكْفٍ عَاصِيَاتِ^(٨)
 وَأَدِيمُكُمْ لِلْفَارِيَّاتِ^(٩)
 سِي فِي أُمُورٍ مُغْضَلَاتِ^(١٠)
 مَ عَلَى اللَّيَالِي الْمُقْمَرَاتِ^(١١)

- (١) المفردات: الأتحمي: نوع من الثياب. أجواز الفلات: طرقها وشعابها.
 المعنى: وكان بإمكانهم قطع الطرق وطبها كما تطوى الثياب.
 (٢) المعنى: لكنهم أيقنوا أن لا حياة بلا كرامة، وأن الذل موت.
 (٣) المعنى: إن قتل هؤلاء السادة مصيبة للدين لا تقارن بأي مصيبة دعت الدين.
 (٤) المفردات: الشوابة: جلدة الرأس، والشوى جمعها والأعضاء.
 المعنى: لم تبق هذه المعركة لنا سوى الجلد، بل تسربت إلى ما تحتها.
 (٥) المعنى: أنا أخطب آل النبي (ﷺ)، وبحبهم سأفوز غداً؛ يريد في الجنة.
 (٦) المعنى: وموتي في سبيل رفع كلمتهم ونيل حقهم أحب إلي من الحياة نفسها.
 (٧) المفردات: الشامصات: النافرات.
 المعنى: ويخاطب آل البيت ويسألهم: إلى متى أنتم تناضلون وأنتم على ظهور خيلكم
 الحدياء النافرة؟
 (٨) المعنى: إن حقكم يتمسك به عصاة أعاد من بين الناس جميعاً.
 (٩) المفردات: السروب: مفردا السرب، وهي القطيع. الأديم: الجلد. الفاريات: الشاقات.
 المعنى: وإلى متى تظل جماعتكم مذكورة واجفة، وتظل جلودكم ممزقة منتهكة؟
 (١٠) المعنى: ويظل سيدكم ورئيسكم غارقاً في أمور صعبة على الدوام.
 (١١) المفردات: يلوى (مبني للمجهول): يجحد.
 المعنى: وسيدكم يُجحد بحقه وهو يتخبط بين الليالي المظلمة والليالي المقمرة؛ بين
 الأمل وانعدامه.

فإذا اشتكى فإلى قُلو	بِ لاهياتِ ساهياتِ ^(١)
وإلى عصائب ساريا	تِ في الدَّادي عاشياتِ ^(٢)
غَرثانَ إِلَّا مِنْ جَوَى	عُريانَ إِلَّا مِنْ أَذاةِ ^(٣)
وإذا استمدَّ فمن أكف	فِ بِالْعَطَايا باخِلاتِ ^(٤)
وإذا استعانَ على خُطو	بِ أَوْ كروِبِ كارِثاتِ ^(٥)
فبكلِّ مغلُولِ اليَدَيـ	نِ هِناكَ مغلُولِ الشُّبابةِ ^(٦)
قُلْ لِلألى حادُوا وقد	ضَلُّوا الطَّرِيقَ عَنِ الهُداةِ ^(٧)
وسَرَوْا على شُعْبِ الرُّكا	ئِبِ في الفِلاةِ بلا حُداةِ ^(٨)
نامت عيونُكُم ولـ	كِئِنْ عَنِ عُيُونِ ساهراتِ ^(٩)
وظنننَّ طوْلَ المَدَى	يَمحو القُلوبَ مِنَ التِّراتِ ^(١٠)
هَيهاتَ إِنَّ الضُّغْنَ تُو	قِدُهُ اللَّيالي بِالغَداةِ ^(١١)

- (١) المعنى: وإذا اضطر إلى رفع ظلامته وجد القلوب تهمله ولا ترى مساعدته.
- (٢) المفردات: العصائب: الجماعات. الساريات: السائرات ليلاً. الدَّادي: مفردها الدَّاءة من الليالي، وهي الشديدة الظلمة.
- المعنى: ويتجه نحو جماعات تتخبط في سيرها ليلاً.
- (٣) المفردات: غرثان: جائع.
- المعنى: وهو جائع وإن أكل قطعاه الحرقه، وعريان لا يرتدي إلا الأذى.
- (٤) المعنى: وإذا طلب العون وجد الأيدي ضئيلة.
- (٥) المعنى: وإذا استنجد للتخلص من المصائب ومن النوائب،
- (٦) المفردات: المغلُول: المقيد. مغلُول الشُّبابة: مثلم الحد.
- (٧) المعنى: أخبر من انحرفوا عن الطريق السوي وتاهوا في الضلالات،
- (٨) المعنى: وساروا ليلهم مهاجمين معادين يعبرون الصحارى من غير حُداة،
- (٩) المعنى: أخبرهم بأنهم سهوا عن العيون اليقظة.
- (١٠) المفردات: الترات: مفردها الترة، وهي الثار.
- المعنى: أو تظنون أن توالي الأيام والسنين يُنسي القلوب أساهها، فتسلو عن طلب الثار؟
- (١١) المفردات: الضغن: الحقد.
- المعنى: بُعد تفكيركم، لأن الحقد يتزايد يوماً بعد يوم.

لا تأمنوا غَضَّ النُّوا ظِرٍ من قلوبٍ مُرْصِداتٍ^(١)
 إِنَّ السُّيُوفَ الْمُغْرِيَا تِ مِنْ السُّيُوفِ الْمُغْمَداتِ^(٢)
 والمُثْقَلاتِ الْمُغْفِيَا تِ مِنْ الأمورِ الهَيْناتِ^(٣)
 والمُضْمِياتِ مِنْ المقَا تِلِ هُنَّ نَفْسُ الْمُخْطَناتِ^(٤)
 وكأَنِّي بِالْكُمْتِ تَزْدِي فِي البَسِيطَةِ بِالْكُماةِ^(٥)
 وبِكُلِّ مِقْدَامٍ عَلَى الـ أَهْوَإِ مَرْهُوبِ الشَّدَاةِ^(٦)
 قَرِمٍ فَلَ شَبَعٌ لَهُ إِلَّا بِأَرْواحِ العُدَاةِ^(٧)
 وكَأَنَّهُ مُتَنَمِّراً صَقَرٌ تَشْرَفُ مِنْ عَلاةِ^(٨)
 والرُّمْحُ يَفْتَقُ كُلَّ نَجْدٍ كَأَرْدانِ الفِتاةِ^(٩)
 تَهْمِي نَجِيعاً كَاللُّغَا مِ عَلَى شُدُوقِ اليَعْمَلاتِ^(١٠)

(١) المفردات: المرصديات: المترقيات، مفردها الرُّصد، وهو الرقيب.

المعنى: إياكم والاطمئنان إلى العيون البريئة ذات القلوب الرقية.

(٢) المعنى: هذه السيوف المشهورة كانت في أغمادها يوماً.

(٣) المعنى: والأمور المضنية العسيرة منبثقة من الأمور الهينة أصلاً.

(٤) المفردات: المضميات: الراميات الصائبات.

المعنى: وإن الأهداف الصائبة مقتلاً هي نفسها الأهداف المخطئة.

(٥) المفردات: الكمت: مفردها الكميت، وهو الجواد الذي لونه بين الأسود والأحمر.

تردي: تعثر.

المعنى: وأتوقع أن تتعثر الخيل بالشجعان المدججين بالسلاح من الخصوم.

(٦) المفردات: الشداة: الشدة.

المعنى: وتتعثر كذلك بالأبطال الجريئين الذين يركبون الأهوال، ويُحسب ألف حساب لقوتهم.

(٧) المفردات: القرم: المشتهي إلى اللحم. العداة: مفردها المعتدي.

المعنى: إن الإمام مشتاق إلى اللحم، ولكن لا يُشبعه إلا أرواح أعدائه.

(٨) المفردات: تشرف: تطلع وأشرف. العلاة: الجبل.

المعنى: وكأنه وهو متشوق إلى قتالهم صقر أشرف على قنصه من أعلى الجبل.

(٩) المفردات: النجلاء: الواسعة. الأردن: مفردها الرُّذن، وهو طرف الكم الواسع.

المعنى: ورماحهم مصمية تطعن الطعنة الواسعة أشبه بكم الثوب.

(١٠) المفردات: تهمي: تسيل. النجيع: الدم. اللغام: الزبد الذي يظهر على أفواه الإبل.

الشقوق: الأفواه. اليعملات: مفردها اليعملة، وهي الناقة النجيبة.

تُؤْسَى وَلَكِنْ كَلُمُهَا أَبَدًا يَبْرُحُ بِالْأُسَاةِ^(١)
 حَتَّى يَعُودَ الْحَقُّ يَفْظًا لَنَا بَعْدَ السُّنَاتِ^(٢)
 وَإِكْمَ أَتَى مِنْ فُرْجَةٍ قَدْ كَانَ يُحْسِبُ غَيْرَ آتٍ^(٣)
 يَا صَاحِبِي فِي يَوْمٍ عَا شُورَاءِ وَالْحَدِيبِ الْمُوَاتِي^(٤)
 لَا تَسْقِنِي بِاللَّهِ فِيهِ سِوَى دَمُوعِ الْبَاكِيَاتِ^(٥)
 مَا ذَاكَ يَوْمًا صَيِّبًا فَاسْمَخْ لَنَا بِالصَّيِّبَاتِ^(٦)
 وَإِذَا ثَكِلْتَ فَلَا تَزُزْ إِلَّا دِيَارَ الثَّائِلَاتِ^(٧)
 وَتَنْحَ فِي يَوْمِ الْمُصِيبَةِ عَنْ قُلُوبٍ سَالِيَاتٍ^(٨)
 وَمَتَى سَمِعْتَ فَمَنْ عَوِيدٍ لِلنِّسَاءِ الْمُغُولَاتِ^(٩)
 وَتَدَاوَى مِنْ حُزْنٍ بِقَلْبٍ بِكَ بِالْمَرَاثِي الْمَحْزَنَاتِ^(١٠)
 لَا عُطِلْتَ تِلْكَ الْحَفَا ئِرُ مِنْ سَلَامٍ أَوْ صَلَاةٍ^(١١)

=المعنى: فتسيل الدماء كما يسيل الزبد من أفواه النوق النجيبة.

(١) المفردات: تؤسى (مبني للمجهول): تعالج. الكلم: الجرح. الأساة: مفردها الآسي، وهو الطيب.

المعنى: تعالج جراحها ولكنها تظل تنزف ويعسر شفاؤها على الأطباء.

(٢) المفردات: السنوات: مفردها السنة، وهي أول النوم.

المعنى: لا تشفى جراحها حتى تستعيد حقوقها وتوقفه من غفوته.

(٣) المعنى: وكثيراً ما بان حقهم من بين الأسجاف، وكانوا يظنون أنه لن يأتي.

(٤) (٥) المفردات: الحدب: العطوف. المواتي: (مخففة من مواتي) الموافق.

المعنى: أيا صديقي العطوف الموافق لا تسقني يوم عاشوراء إلا من دموع الحزانى بالله عليك.

(٦) المفردات: الصيَّب: الماطر. الصييات: السحب الماطرة.

المعنى: لم يكن ذاك اليوم بالماطر فأرضنا بسحبك الماطرة.

(٧) المعنى: وإذا فجعت فاحرص على زيارة منازل الثكالي المفجوعات.

(٨) المعنى: وابتعد عن القلوب الناسية في الأوقات العصبية، لأنها لا تلبى.

(٩) المعنى: وإن سمعت ألماً وعويلاً فإنما هو منبعث من النساء الثكالي.

(١٠) المعنى: ولا يداوي أحزانك وجراحك سوى سماع قصائد الرثاء.

(١١) المعنى: لا حرم الله تلك القبور من السلام عليها والصلاة في حرمها.

وَسُقَيْنَ مِنْ وَكَفِّ التَّخْيِيدِ يَةً عَنْ وَكَيْفِ السَّارِيَّاتِ^(١)
وُنْفِخْنَ مِنْ عَبَقِ الْجِنَانِ أَرِيحُهُ بِالذَّاكِيَّاتِ^(٢)
فَلَقَدْ طَوَيْنَ شُمُوسَنَا وَبُدُورَنَا فِي الْمُشْكَلَاتِ^(٣)

- 92 -

وقال في غرض له : [من الطويل]

أَرَى عَزَّةً مِنْ بَيْنِ أَثْنَاءِ ذَلَّةٍ وَعَجْزًا أَرَانَاهُ الزَّمَانُ لِقْدَرَةٍ^(٤)
وَكَمْ ذَا رَأَيْنَا وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ زُجَاجَةٌ سَعِدَ صَدَّعَتْ نَحْسَ صَخْرَةٍ^(٥)
خُذُوهَا وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا كَيْفَ أَخْذُهَا وَلَا كَيْفَ جَاءَتْ نَحْوَكُمْ إِذْ أَلَمَّتْ^(٦)
وَلَا تَحْسِبُوهَا فِي قَنِيصِ احْتِيَالِكُمْ فَقَدْ خَرَجْتُ عَنْ أَنْ تُنَالَ بِحِيلَةٍ^(٧)
وَعَفَّتْ لَكُمْ وَالْمَطْلُ عَنْهَا بَنَجُوةٌ وَلَمْ تَأْتِكُمْ كُرْهًا وَلَا هِيَ عَنَّتْ^(٨)
وَلَمْ تَكُ إِلَّا مِثْلَ نُغْبَةٍ طَائِرٍ وَقَبْسَةٍ عَجَلَانٍ وَلَمَحَةٍ نَظْرَةٍ^(٩)

(١) المفردات: الوكيف: كالوكف، وهو تقاطر الماء أو المطر. الساريات: السحب.

المعنى: وسقى الله تلك القبور من تقاطر التحيات ومن قطرات المطر.

(٢) المفردات: عبق به: لزق به. الأريج: انتشار العطر.

المعنى: وفاح حول القبور من عطر الجنة كل زاكي الريح.

(٣) المعنى: ودعواتي الصالحات هذه لأن سادتنا وأعلامنا غرقوا في متاهاتها.

(٤) المعنى: لقد غنمنا العز مع عنائنا وذلنا، ومع ما فينا من قدرة كبَدنا الدهر بألوان العجز.

(٥) المعنى: إن عجائب الزمان كثيرة، وكثيراً ما صادفنا حظ قليل تمكن من تفتيت صخور النحس.

(٦) المفردات: ألمت: نزلت.

المعنى: تملكوا هذه العزة بكل قواكم، وإن كنتم لا تعلمون كيف يمكن تملكها ولا كيف حلَّت بكم.

(٧) المعنى: ولا تظنوا أن هذه العزة واقعة في أحبلكم، ذلك أن العجائب لا تُكسب بالحيل.

(٨) المفردات: عنت: عرضت. النجوة: البعد.

المعنى: عرضت لكم والتسويق عنها بعيد، جاءكم من غير إكراه ولا بشكل عرضي.

(٩) المفردات: النغبة: الجرعة.

المعنى: قدمت مثلما يشرب الطائر، أو يستطلع المستعجل، أو يلمح الناظر. . جاءت خطفاً.

فلا تَغْمَصُوهَا نعمة إنْ تُؤْمَلت وأعطوا الَّذي أعطاكم فوق سَوْمِكُمْ
 بعين الحِجَا أَوْفَتْ على كُلِّ نعمة^(١) فإنَّ الَّذي يَكْسُو على العُزِّي قَادِرٌ
 رضاهُ ولا تُذْنُوا له دَارَ سَخْطَةٍ^(٢) وقولوا لمن حاباكم وأراكم
 ولا مُنيةٌ في الدَّهرِ إلَّا كَخِيبةٍ^(٣) ألا هُنَّ صُنْعٌ من عزيزٍ مُقَدَّرٍ
 بأنَّكم نِلْتُمْ منها بِمُنِيَةٍ: ^(٤) لا تأمنوا أمرًا بغيرِ رَوِيَّةٍ
 أَخُوذِ على أيدي الرُّجَالِ مُوقَّتٍ^(٥) وما هي إلَّا زَلَّةٌ من زَمَانِكُمْ
 لديه ولا رأيٍ عليه مُبَيَّتٍ^(٦) وما كَانَ ما قد كَانَ عن سَبَبٍ لَهُ
 فَحَتَّى متى يَأْتِي الزَّمانُ بِزَلَّةٍ؟^(٧) فإنْ وَفَّتِ الأَقْدَارُ عَابِثَةً لَكُمْ
 علمناه لَكِنَّ المقاديرَ جُنَّتِ^(٨) فكم من وفاءٍ بعده شُرُّ غَدْرَةٍ^(٩)

- 93 -

وقال يَفْنَدُ مَنْ أضمَرَ له خلافَ ما أظهر: [من الطويل]

- (١) المفردات: لا تغمصوها: لا تكفروها.
 المعنى: فإن أتتكم العزة فلا تجحدوها، وإن نظرتم إليها بعين العقل رأيتم أنها خير نعم الله.
 (٢) المفردات: سام الأمر: كلفه إياه.
 المعنى: وامنحوا أكثر من طاقتكم من وهبكم رضاه، ولا تعلنوا سخطكم عليه.
 (٣) المعنى: فالذي يكسوكم بعد أن كنتم عراة قادر على كل شيء، والأمانى مجرد الأمانى في هذا الزمان أشبه بخيبة الآمال.
 (٤) المعنى: وأخبروا الذي مال إليكم، وأوهمكم بأنكم نلتُم آمالكم بالأمانى.
 (٥) المعنى: أخبروه أن الأمانى نفسها هي من صنع الله القادر، يساند الرجال في أوقات معلومة.
 (٦) المفردات: المبيت من الأمر: المدبر ليلاً.
 المعنى: لا تقدموا على أمر من غير أن تترثوا فيه أو تمضوا ليلتكم في التفكير به.
 (٧) المعنى: وقد وقعت في هذا الزمان بخطأ جسيم، فإلى من يظل الزمان مجحفًا بحقكم ويوقعكم بأذاه؟
 (٨) المعنى: ولم يجر ما جرى بسبب نعرفه، ولكنها المقادير الهوجاء تفعل ما تشاء.
 (٩) المعنى: وقد تفي الأقدار بما وعدت ليس عن إقرار منها بل عن عبث وعدم تقدير، فكثيرًا ما يعقب الوفاء الصادق غدر كبير.

رَمَيْتَ فَمَا أَصْمَيْتَنِي وَتَرَاجَعْتَ إِلَيْكَ سِهَامٌ أَخْطَأْتَنِي فَأَضْمَتَ^(١)
وَحَاوَلْتَ تَشْتِيْتِي فَعَدْتَ تَفْضُلًا مِنْ اللَّهِ خَزْيَانًا بِشْمَلٍ مُشْتَتِ^(٢)
وَلَمَّا بَدَا لِي مِنْكَ أَنْ لَا مَوْدَّةَ تَنَاكَصْتُ أَبْكِي مِنْ ضِيَاعِ مَوْدَتِي^(٣)
فَمَا لِي مِنْكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَضَرَّةٌ وَمَا لَكَ مِنِّي غَيْرُ مُحْضِ الْمَبْرَّةِ^(٤)
وَكَمْ لَكَ عِنْدِي زَلَّةٌ مَا جَزَيْتُهَا حِفَاطًا وَإِبْقَاءً عَلَيْكَ بِزَلَّةِ^(٥)
وَإِنْ أَمْرًا يُهْدِي الْقَبِيحَ لِقَوْمِهِ صَحِيحٌ كَذِي سُقْمٍ وَحْيٌ كَمَيْتِ

- 94 -

وقال في العز: [من الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى الْهَوَانَ فَلْذُ بَمَنْ يُرَجِّى لِنَفْعٍ أَوْ لِدَفْعِ مَضَرَّةِ^(٦)
فَهَامُ الرُّجَالِ الْآنْفِينَ عَزِيزَةً وَإِنْ حُمِلْتُ مَنَّا لَذِي الْمَنِّ ذَلَّتِ^(٧)
وَعَدُّ عَنِ الْأَطْمَاعِ فَهِيَ مَذَلَّةٌ وَلَوْ خَالَطْتُ شُمَّ الْجِبَالِ لَخَرَّتِ^(٨)
فَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حُلَّتْ عَنْ مَرَامِهَا وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ أُعْطِيَتْ مَا تَمَنَّتِ^(٩)

(١) المفردات: أصمى: رمى فأصاب مقتلاً.

المعنى: حاولت قتلي بسهامك فجاءت طائشة عني، وتحولت إليك فأصابت الهدف.
(٢) المعنى: وسعيت إلى الإيقاع بي فعادت مساعيك المشينة عليك بالخزي، وهذا فضل من الله تعالى.

(٣) المفردات: تناكصت: رجعت عما كنت عليه.

المعنى: حتى إذا أيقنت بأنك غير مخلص لي عدت أبكي على ضياع صداقتي معك.
(٤) المعنى: إنني لا أرى منك سوى الأذى، ولن تجد مني إلا الإخلاص والمحبة.
(٥) المعنى: وقد أوقعت بي مراراً فلم أردّها عليك ولم أعاملك بالمثل حرصاً على بقاء صداقتك وخوف ضياعك.

(٦) المعنى: إذا أردت أن تشعر بالمذلة فالجأ إلى من يؤمل نفعه ويتوقع منه أن يزيح عنك الضرر.

(٧) المفردات: الآنفون: الذين يكرهون العار، من الأنفة التي هي عزة النفس.

المعنى: لأن رؤوس العزيزي النفس غالية عليهم، ويشعر هؤلاء الأعزّة بالمذلة إن حملوا مئة أحد.

(٨) المعنى: وإياك والطمع فهو أيضاً عار، وأنت في طمعك لو شاركت الجبال علوها لهدّت.

(٩) المفردات: حلئت: طردت.

وليس بخافٍ قبْحٍ حرصٍ على غنى ولكن عقولٌ بالضراعةِ جُنَّتِ^(١)

- 95 -

وقال في النزوة والغرور: [من الطويل]

يقولون: قد قرئت ولم تبقَ نزوةٌ فقلتُ: أرى في طيِّها نزواتٍ^(٢)
فلا تجمعوا في يومِكم شملَ معشرٍ يكونُ غداً يا قومُ طوعَ شتاتٍ^(٣)
وما المُهملُ المغرورُ إلا الذي يرى نؤومَ الدجى عن طالبٍ لتراتٍ^(٤)
خفياً بتزويقي اللسانِ منمّقا ولكنه عن أنفسٍ كدِراتٍ^(٥)

- 96 -

وقال يشكر الله تعالى: [من المتقارب]

عشرتُ ولولا انتياشُ الإلهِ لكنْتُ صريعَ ردى عشرتي^(٦)
وأخرجني الله من قعرِها وقد كنتُ صرتُ إلى اللجّةِ^(٧)

=المعنى: والويل حاصل للمرء لا محالة سواء حصل على ما تمنى أو حرم من مقصده.

(١) المفردات: الضراعة: التذلل.

المعنى: ولا يخفى قبْح الحريص الغني، ولكن النفوس ذليلة فخرجت عقولها عن الطريق السوي.

(٢) المفردات: النزوة: الوثبة.

المعنى: قيل إن الأمور استقرت ولم تظهر وثبة، فأجبتهم إن وراء هذه النزوة نزوات.

(٣) المعنى: فلا تعملوا على مؤازرة قوم وتوحيد كلمتهم إن كان مآلهم إلى شتات وفُرقة.

(٤) المفردات: الترات: مفردا الترة، وهي الثأر.

المعنى: إن الذي يتوانى عن المطالبة بثأره هو الذي يهمل حقّه ويغتر بنفسه ويكثر من الاسترخاء والنوم حتى الظهيرة.

(٥) المفردات: الحفّي: المبالغ في الإكرام وإظهار السرور.

المعنى: هو الذي يبالغ في سروره ويتظاهر بالكلام المعسول، في حين أن باطنه يضرر غير ذلك.

(٦) المفردات: انتاشه: تناوله وأنقذه.

المعنى: لقد تعثرت في حياتي، ولولا أن الله انتشلني وأنقذني من عشرتي لرحتُ في التهلكة.

(٧) المعنى: ولقد أنقذني الله من هوة التهلكة، ولولا رحمته لغرقت في موجهها.

على حين ساءت بنفسي الظنونُ وأشرفتُ منها على الخُطَّةِ^(١)
 وكانَ العِدَى يبصرونَ الذي تصوّره لَهُمُ بِغَضَّتِي^(٢)
 ولمّا كفاني الذي خِفْتُه وقد كنتُ في وَسْطِ الخِيفَةِ^(٣)
 أتاني بِقُدْرَتِهِ آيَةٌ علمتُ بها سَعَةَ القُدْرَةِ^(٤)
 فيا رافعًا بي ويا مُنعمًا عليّ بما لم تَنَلْ مُنِيتِي^(٥)
 ويا مَنْ رَغِبْتُ إلى نَصْرِهِ فما رَدَّنِي عنه بالخِيبَةِ^(٦)
 ويا عاصمًا لي مِنَ الموبقاتِ وما كنتُ أَطْمَعُ في عصمتي^(٧)
 ويا مُعطيًا فوقَ ما أبتغي بلا طَلَبٍ وبلا بُغْيَةٍ^(٨)
 ويا فارجًا ظُلُمَاتِ الخطوبِ وليس سَبِيلٌ إلى الفُرْجَةِ^(٩)
 شكرْتُكَ لا بالغًا ما مَنَنْتَ ولكنْ بَلَغْتَ مَدَى مُنِيتِي^(١٠)
 وما لي شُكْرٌ ولا أَهْتدي إليه على قَدَرِ النُّعْمَةِ^(١١)

- 97 -

وقال في الغزل: [من الوافر]

هجرْتُكَ خَوْفَ أقوالِ الوُشَاةِ وهجرْتُكَ مِثْلُ هِجْرانِ الحِياةِ^(١٢)

- (١) المعنى: وكنت قبل ذا غارقًا في أسوأ الظنون وعلى شفا حفرة.
- (٢) المعنى: وكان خصومي ينظرون إلي بشماتة ويتخيلون لي أسوأ العاقبة لبغضهم.
- (٣) (٤) المعنى: وحين لجأت إلى الله تعالى الذي أخافه، وأنا في وسط خوفي جاءني قدرة الله ورحمته فدلّت على عظمته ورحمته.
- (٥) المعنى: فيا من رفعتني وأنعم عليّ بأكثر من آمالي.
- (٦) المعنى: ومن لذتُ به مستنصرًا ولم يردني خائبًا.
- (٧) المعنى: ويا من عصمني من كل زلة، وما كنت أطمع بها.
- (٨) المعنى: ويا أيها العاطي أكثر من أمييتي، ومن غير أن أطلب منه.
- (٩) المعنى: ويا من فرّج عني كل ملّة وما كنت أحلم بانفراجها عني.
- (١٠) المعنى: أشكرك لا على قدر ما مننت عليّ وتفضلت، ولكن على قدر تحقيق أمانيّ.
- (١١) المعنى: وشكري عاجز على قدر ما أنعمت به عليّ.
- (١٢) المعنى: اضطررت إلى هجرك خوفًا عليك من كلام العذال، مع أن هجرك موتي.

وَأَنْتِ كَرَامَةٌ عِنْدِي كَعَيْنِي وَمَا تَنْجُو الْعَيُونَ مِنْ الْقَذَاةِ^(١)
 وَلَوْ لَا الْحُبُّ مَا سَهَلْتُ حُزُونِي وَلَا لَأَنْتِ بِأَيْدِيكُمْ صِفَاتِي^(٢)
 وَقَالُوا: قَدْ عَشَقْتَ! فَقُلْتُ: عِشْقُ كَمَا اقْتَرَحَ الْهَوَى، فَمِنْ الْمُؤَاتِي؟^(٣)
 بِنَفْسِي مَنْ إِذَا مَا رَمْتُ وَضْفًا لِحَسَنِ فِيهِ أَغَيْثُنِي صِفَاتِي^(٤)
 وَلَوْ أَغْنَى عَنِ الْعِشَاقِ شَيْءٌ وَدَافَعَ عَنْهُمْ أَغْنَتْ حُمَاتِي^(٥)

- 98 -

وقال في الشيب: [من المتقارب]

أَمِنْ بَعْدِ سِتِّينَ قَدْ جُزَّتْهَا تَعَجَّبُ أَسْمَاءُ مِنْ شَيْبَتِي؟^(٦)
 وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ لَوْ مَا كَبُرْتُ وَلَمْ يَنْزِلِ الشَّيْبُ فِي لِمَّتِي^(٧)
 فَإِنْ كُنْتَ تَأْبِئِينَ شَيْبَ الْعِدَارِ فَكَمْ خُيَّبَ الْمَرْءُ مِنْ مُنِيَّةٍ^(٨)
 وَإِنْ أَنْتِ يَوْمًا تَخَيَّرْتِ لِي فَشَيْبِي أَصْلَحُ مِنْ مِيتَتِي^(٩)
 فَلَا تَغْضِبِي مِنَ صَنِيعِ الزَّمَانِ فَمَا لَكَ شَيْءٌ سِوَى الْغَضْبَةِ^(١٠)

-
- (١) المعنى: وأنت عندي مثل عيني، وقد تصاب العيون بما يؤذيها.
 (٢) المفردات: الحزون: مفردا الحزن، وهي الأرض الغليظة. الصفاة: الحجارة الصلبة.
 المعنى: والحب الآن مني كل صعب وأرخصي كل عنيد في.
 (٣) المفردات: المؤاتي: المطيع والموافق.
 المعنى: وعجبوا أن رأوني عشقت، فقلت لهم: إن عشقي كما يرغب به حبي، فمن المطيع؟
 (٤) المعنى: أهوى حبيبًا لا أقدر على وصفه، وكلما حاولت أعيثني الحيل.
 (٥) المعنى: ولا شيء يحول دون الحب أو يأتي عوضًا عنه، ولو أمكن ذلك لقدرة عليه من يدافع عني.
 (٦) المعنى: أتعجب أسماء أن شيبت وقد جاوزت الستين من العمر؟
 (٧) المعنى: والعجب الأكبر أنني لو لم أشب ولم تكبر سني.
 (٨) المعنى: فإن كنت ترفضين شيب بعض شعري، فكثيرًا ما يقع المرء في خيبته.
 (٩) المعنى: وإن كنت اخترت لي بين اثنين رأيت أن أشيب عن أن أموت.
 (١٠) المعنى: فلا تثيري غضبك مما يفعله الزمان، ولا فائدة من غضبك.

قافية الشاء

- 99 -

وقال في الفخر: [من الطويل]

- قفا بي على تلك الطُّلولِ الرِّثائِثِ مُجِينَ بَنَسَجِ الْمُعْصِرَاتِ المَوَاكِثِ^(١)
 ولا تَسْأَلُوا عَنِ اصْطِبَارِ عَهْدَتُما فَقَدْ بَانَ عَنِّي بَانْتِهَاكِ الحَوَادِثِ^(٢)
 كَأَنَّ فُؤَادِي بِالتَّوَيِّ لَعَبْتُ بِهِ نِيوبُ أُسُودٍ أَوْ مَخَالِبُ ضَابِثِ^(٣)
 أُجُولُ فِي الْأَطْلَالِ نَظْرَةً عَابِثِ وَمَا أَنَا حُزْنًا وَاشْتِيَاقًا بَعَابِثِ^(٤)
 كَأَنِّي وَقَدْ سَارَتْ مَطْيًى حُدُوجِهِمْ أَلَا طِمُّ مَوْجِ اللَّجَّةِ الْمُتَلَاطِثِ^(٥)
 فَلِلَّهِ حِلْمِي يَوْمَ مَرَّتْ رِكَابُنَا عَلَى عَجَلٍ مِنْهَا بِرِمَثِ العِنَاكِثِ^(٦)

- (١) المفردات: الرثائث: الباليات. المعصرات: السحب الماطرة.
 المعنى: يخاطب الشاعر صديقيه ويطلب منهما أن يتوقفا عند الأطلال البالية، والتي
 محت آثارها الرياح (يلاحظ أن المخاطب يتبدل من مثني إلى الجمع).
 (٢) المعنى: ولا تعجبا من نفاذ صبري الذي تعلمانه، فقد زال صبري بما فعلته الأيام.
 (٣) المفردات: الضابث: القابض بشدة.
 المعنى: وقد عبث البعد بقلبي فكأنه أنياب أسود أو مخالب حادة.
 (٤) المعنى: وإنني أطوف في أرجاء هذه الآثار كعابث جوال، ولستُ بذاك العابث، إنما
 تجوالي تجوال حزين مشتاق.
 (٥) المفردات: الحدودج: الهودج. المتلاطم: المتلاطم.
 المعنى: وحين رحلت أمامي مطيهم حاملة هودج من أحب غدوت كمن يصارع موج
 البحر المتلاطم.
 (٦) المفردات: الرّمث: مرعى الإبل. العناكث: مفردها العنكث، وهو نوع من النبات.
 المعنى: وأين اصطباري القلق حين مرت ركابنا عجلة بمراعي نباتاتهم؟

وودَّ فُوَادِي أَنَّهُنَّ رَوَائِثُ وَهُنَّ بِمَا يُخْفَرْنَ غَيْرُ رَوَائِثٍ^(١)
جَحَدْتُ الْهَوَى لِمَا سُئِلْتُ عَنْ الْهَوَى وَكَمْ غِرَّةٌ مِنْ ذِي شَجَا فِي الْمَبَاعِثِ^(٢)
وَأَلَيْتُ خَوْفَ الشَّرِّ إِلَّا أَحْبَبْتُكُمْ وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللَّهِ حِلْفَةٌ حَانَتْ^(٣)
بَنِي عَمَّنَا لَا تَطْمَعُوا فِي لِحَاقِنَا فَكَمْ بَيْنَ أَسْمَاكِ السُّهَى وَالْكَثَاكِثِ^(٤)
سَبَقْنَاكُمْ عَفْوًا وَلَمْ تَلْحَقُوا بَنَا عَلَى جَهْدٍ مَجْهُودٍ وَلَهْثَةٍ لَاهِتٍ^(٥)
وَقَدْ مَّا عَهْدُتُمْ دَفَعْنَا عَنْكُمْ وَقَدْ غَضِبْتُمْ بِأَنْيَابِ الْخُطُوبِ الْكُورِاثِ^(٦)
وَنَحْنُ عَلَى إِمَّا جِيَادٍ ضَوَامِرٍ وَإِمَّا عَلَى أَقْتَادٍ خُوصٍ دَلَائِثِ^(٧)
وَمَا زِلْتُمْ مُسْتَمْطَرِينَ سَحَابًا بَنَصْرُكُمْ مَا بَيْنَ تِلْكَ الْهَثَاثِ^(٨)

(١) المفردات: الروائث: المبطنات. يحفزن: يحشن.

المعنى: وكم تمنى قلبي أن تبطئءءكابنا في سيرها، ولكنها لم تكن كذلك.

(٢) المفردات: الغرّة: الغفلة. الشجا: الحزن. المباعث: مفردها المبعث، وهو مكان الانبعاث.

المعنى: وحين سألتوني عن الحب أنكرته، وكثيرًا ما يتغافل العاقل عما يشيره.

(٣) المفردات: الحانث: الناكث عن يمينه. آليت: حلفت، وآليتُ أفعلُ كذا، أي حلفت بألا أفعله.

المعنى: وقد أقسمتُ لهم إنني لا أحبك، وأقسم بالله إن قسمي لهم قسم ناكث عن يمينه.

(٤) المفردات: السُّها (وبالمقصورة): نجم صغير من بنات نعش الصغرى. الكثاكث: مفردها الكثكث، وهو التراب وفتات الحجارة.

المعنى: ويتنقل إلى الفخر، فيخاطب أبناء عمه بأنهم لا يقدرّون على اللحاق به فستان بين الثرى والثريا.

(٥) المفردات: اللاهث: المتعب المجهد.

المعنى: وقد فُقمناكم بالمرتبة عن طبع منا لا عن جهد ولا عن لهاث وإرهاق.

(٦) المفردات: الكوارث: الشدائد.

المعنى: ومنذ القديم تعلمون أننا نفوقكم، وحين حاولتم وقعتم في المآزق والشدائد.

(٧) المفردات: القتد: خشب الرحل؛ ذكر الجزء وأراد الكل. الخوص: مفردها الأخوص، وهو الغائر العينين. الدلائث: مفردها الدلاء، وهي الناقة المسرعة.

المعنى: ونُمضي حياتنا إما على جِيَادٍ نحيلة في الحرب، وإما على رحال نوق سريعة في الرحلة والسلم.

(٨) المفردات: الهثاثة: مفردها الههثة، وهي الأمر الشديد والاختلاط في القول أو العمل.

المعنى: وأنتم تبحثون عن السحب وتطلبون منها الخير في هذه الأجواء المختلطة.

فَخَرْتُمْ بغيرِ الدِّينِ فينا وإنَّما (١)
وإنَّ لكم أطمارَ ذُلٍّ كأنَّها (٢)
وقلْتُمْ بأنَّا آمِرونَ عليكم (٣)
وما ضَرَّنا أنا خَلِيتونَ مِن غِنَى (٤)
قَعَدْتُمْ عَنِ الإِجمالِ فينا بِباعِثٍ (٥)
وما غَرَّكُمْ إِلَّا التَّغافلُ عَنْكُمْ (٦)
فأَقْسَمُ بِالْبَيْتِ الَّذِي جَوَّلْتُ بِهِ (٧)
وبالْبُذَنِ في وادي مَنى يَوْمَ عَقْرِهِمْ (٨)
تَخالُ رِياطُ الفاتِقينَ نَحورَها (٩)
فَخَرْتُمْ بِأَنسابِ لِثامِ خَبائِثِ (١)
مِنَ الشَّيْنِ أَطمارُ النِّساءِ الطَّوامِثِ (٢)
وذاك بِأسبابِ ضَعافِ نِكاثِ (٣)
وكم شَبِعَ يَهْفُو بِهِ غَزْتُ غارِثِ (٤)
وَقُمنا بِهِ فيكم بِلا بَعَثِ باعِثِ (٥)
على ظالِمٍ مِنْكُمْ لَدِينا وَعائِثِ (٦)
أَخامِصُ أَقوامٍ كِرامٍ مَلاوِثِ (٧)
يُقَدِّنُ إلى أَيْدٍ هَناكَ فَوارِثِ (٨)
بِرِشٍّ دَمٍ مِنْها غُلالَةٌ طامِثِ (٩)

(١) المعنى: ولقد تباهيتم بكل شيء عدا الدين، وما تباهيتم إلا بالنسب السيء المرذول.
(٢) المفردات: الأطمار: مفردا الطمر، وهو الثوب الخلق. الطوامث: مفردا الطامث، وهي الحائض.

المعنى: وأنتم غارقون في أسوأ الذل، مما يشبه في عاره ثياب الطوامث البالية.
(٣) المفردات: النكاث: مفردا النكيثة، وهي المنقوصة.

المعنى: وزعمتم أننا آمرون زعماء عليكم، وادعائكم هذا لضعف فيكم ومنقصة.
(٤) المفردات: الغرث: الجوع، والغارث اسم فاعل منه. يهفو: يخفق ويزل.
المعنى: ولا يضرنا أننا لسنا أغنياء، وقد يخفق فؤاد الشايع إلى جوع الجائع.
(٥) المفردات: الإجمال: الترفق في الطلب.

المعنى: وقد تقاعستم عن اللطف في معاملتنا لما في نفوسكم، بينما أقدمنا على مساعدتكم من غير دافع معين.
(٦) المفردات: العائث: المفسد.

المعنى: لقد تهيا لكم أننا غفلنا عن ظلامكم ومفسديكم، وفي الحق أننا نتصنع الغفلة.
(٧) المفردات: الملاوثة: الشرفاء. الأخامص: مفردا الأخمص وهو القدم ووسط البدن.
المعنى: أقسم بالكعبة التي طاف حولها كرام شرفاء.

(٨) المفردات: البدن: مفردا البذنة، وهي الناقة المعدة للذبح. الغوارث: مفردا الغارث، وهو القاطع والشاق.

المعنى: وأقسم بالنوق التي قيدت إلى وادي منى لتقاد إلى الذبح.
(٩) المفردات: الرياط: مفردا ربطة وهي صُدرة الجزار. الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب.
الطامث: الحائض.

وَمَنْ بَاتَ فِي جَمْعٍ كَلِيلًا مِنَ الْوَجَا
لنَحْنُ بَنَشْرِ الْفَخْرِ أَعْبَقُ مِنْكُمْ
لَنَا السَّلَفُ الْأَعْلَى الَّذِي تَعَهْدُونَهُ
هُمْ أَوْسَعُوا فِي النَّاسِ ضِمْنَ أَكْفِهِمْ
وَهُمْ وَرِثُوا آبَاءَهُمْ مَأْثَرَاتِهِمْ
وَهُمْ نَزَّهُوا أَوْلَادَهُمْ بِأَوَاخِرِ
وَنَحْنُ غَدَاةَ الْجَذْبِ خَيْرُ مَخَاصِبِ
وَأَطَعْنُ مِنْكُمْ لِلْكُلَى بِمُثَقِّفِ
إِلَى شُعْبٍ مِنَ الشَّرَى وَأَشَاعِثِ^(١)
وَأَسْمَقُ مِنْكُمْ فِي الْجِبَالِ اللَّوَابِثِ^(٢)
عَلَقْنَا بِهِ مِنْ وَارِثٍ بَعْدَ وَارِثِ^(٣)
وَهُمْ أَوْسَعُوا فِي الْأَزْمِ جَوْعَ الْمَغَارِثِ^(٤)
وَأَنْتُمْ مِنَ الْعِلْيَاءِ غَيْرُ مَوَارِثِ^(٥)
وَشِثْتُمْ قَدِيمًا كَانَ مِنْكُمْ بِحَادِثِ^(٦)
وَنَحْنُ غَدَاةَ الرُّوعِ خَيْرُ مَغَاوِثِ^(٧)
نَضُمُّ عَلَيْهِ بِالطُّوَالِ الشُّوَابِثِ^(٨)

- =المعنى: وتشبه الدماء التي ترش ثياب الجزارين حين نحرها، بالغلالة التي لوثتها الحائض، وقد كرر مثل هذا المعنى في مطلع القصيدة.
- (١) المفردات: جمع (تأتي منكراً): الوجا: الحفا. الشعث: مفردا الأشعث وهو المغبر الشعر.
- المعنى: وأقسم بالحجاج الذين أمضوا ليلتهم مرهقين لأنهم حفاة شعث الشعور لسيرهم ليلاً.
- (٢) المفردات: أسمع: أطول. اللوابث: الرواسي.
- المعنى: وأكد بقسمي الأنف الذكر بأن عيبر فخرنا أركى من فخركم وأعلى من الجبال الراسية.
- (٣) المعنى: وأنتم تعلمون مكانة جدودنا الذين نتسبب إليهم أباً عن جد.
- (٤) المفردات: الأزم: مفردا الأزمة، وهي الشدة والقحط. أوسعوا: تحمّلوا بالإطعام والإغاثة. المغارث: المجاعات.
- المعنى: وعرف عن أجدادي الكرم الذي لا يبلغه كرم؛ فقد قدّموا العون قدر طاقتهم، وأطعموا وأغاثوا في الشدائد وأوقات القحط.
- (٥) المعنى: وتصرفهم هذا وغيره من الشماثل إنما هو ميراث وطبع، وليس لكم ما تراثونه من مجد.
- (٦) المفردات: نزّه نفسه عن القبيح: نحّاها وباعدها. شان: عاب.
- المعنى: حفظ أجدادي أولادهم إلى الأبد من كل عيب، بينما أوقعتم أولادكم في العيوب منذ الأصل.
- (٧) المعنى: نحن خير الناس عطاء في أيام القحط، وخيرهم عوناً وغوثاً في الأزمات والحروب.
- (٨) المفردات: المثقف: الرمح المستقيم. الشوابث: مفردا الشايب، وهو التعلق.
- المعنى: ونحن أقوى طعنًا للأحشاء برماحنا المستقيمة ونلحقها بالسيوف الطويلة التي تشبث بالأجسام.

وأَضْرَبُ مِنْكُمْ لِلرُّؤُوسِ لَدَى وَغَى وَأَوْهَبُ مِنْكُمْ لِلْهَجَانِ الرَّوَاعِثِ^(١)
لَنَا فِي النَّدى سَخٌّ وَهَظْلٌ وَوَابِلٌ وَكَيْفَ لَكُمْ فِيهِ بِقَطْرِ الدَّثَائِثِ؟^(٢)
وَمَا خَزَيْتُ مَنَا رُؤُوسٌ بَرِيَّةٌ تُكْشِفُهَا فِي النَّاسِ نَبْثُ نَابِثٍ^(٣)
فَكَيْفَ لَكُمْ نَكْثٌ بَنَا وَمِنْ أَجْلِنَا وَلَمْ تُبْتَلَوْا مَنَا بِنَكْثَةِ نَاكِثٍ؟^(٤)
فَلَا تَكْشِفُوا أَنْوَارَنَا بِظِلَالِمِكُمْ وَلَا تَعْدِلُوا أَصْقَارَنَا بِالْأَبَاغِثِ^(٥)
خُذُوا مِنْ كَلَامِي الْيَوْمَ زَفْرَةَ زَافِرٍ وَأَنَّهُ مَكْرُوبٌ وَنَفْثَةٌ نَافِثٍ^(٦)

* * *

(١) المفردات: الهجان: النوق الكريمة. الرواعث: مفردها الراغث، وهو الراضع. المعنى: وفي الحرب نحن أقوى منكم في قطع الرقاب، وفي الكرم نفوقكم عطاء للصغار النجائب.

(٢) المفردات: الدثائث: المطر الخفيف. السخ: الصب. المعنى: عطاؤنا يفوق بغزارته أشد المطر، ولا أراكم تمنحون القليل.

(٣) المفردات: النابث: النابش. المعنى: ولم يجرؤ أحد أن يوجه إلينا ريبة، فلم يعترنا خزي يوماً.

(٤) المفردات: الناكث: الناقض للعهد. المعنى: فكيف تنقضون عهودنا ولم ترونا ضدكم يوماً؟

(٥) المفردات: الأباغث: مفردها الأبعث، وهو طائر مائي. أصقار: مفردها صقر. المعنى: إن خيرنا عميم ونورنا ساطع فلا تغطوهما بجهلكم؛ إذ لا تقاس صغار الطير بالصقور.

(٦) المعنى: وهذا خطابي لكم، إنه أنه محزون وحسرة متضايق، وآهة مفزود منكم.

قافية الجيم

- 100 -

وقال معنفاً [من الوافر]

أَمِنْكَ الشَّوْقُ أَرْقَنِي فَهَاجَا وَقَدْ جَزَعْتُ رِكَائِبُنَا النَّبَاجَا؟^(١)
وَطَيْفُكَ كَيْفَ زَارَ بَذَاتِ عِرْقِي مَضَاجِعَ فِتْيَةٍ وَلَجُوا الْفِجَاجَا؟^(٢)
تَطَرَّقْنَا وَنَحْنُ نُخَالُ أَلَّا يَعُوجُ بِنَا مِنْ الْبَلَوَى فَعَاجَا^(٣)
فَأَوْهَمَنَا اللَّقَاءَ وَلَا لِقَاءَ وَنَاجَى لَوْ بِصَدَقٍ مِنْهُ نَاجَى^(٤)
أَلَمْ بِنَا وَمَا رَكَبَ الْمَطَايَا وَلَا أَسْرَى وَلَا ادْلَجَ ادْلَاجَا^(٥)
وَمُعْتَكِرِ الْغَدَائِرِ بَاتَ وَهْنَا يُسْقِنِي بِرَيْقَتِهِ مُجَاجَا^(٦)
أَضَاءَتْ لِي صَبَاحَتُهُ فَكَانَتْ -وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُلْتَبِسٌ- سِرَاجَا^(٧)

(١) المفردات: جزع: قطع. النجاج: قرية بالبادية.

المعنى: أنت سبب شوقي الذي أقض مضجعي وأثار كوامني حين تخطت نوقنا قرية النجاج؟

(٢) المفردات: ذات عرق: موضع بالبادية. الفجاج: مفردا الفج، وهو الطريق الواسع بين جبلين.

المعنى: وكيف تمكن طيفك من الوصول إلى ذات عرق حيث الفتيان بين الوديان نائمون؟

(٣) المفردات: تطرقنا: أتينا ليلاً. يعوج: يقيم.

المعنى: قدمنا ليلاً وكنا نعتقد أنه لن يقيم بيننا لما أصابنا، لكنه قدم وحل.

(٤) المعنى: وغشنا طيفها فظنناه قدم لزيارتنا وخاطبنا، وكنا نتمنى أن تكون مناجاته صادقة.

(٥) المعنى: قدم إلينا من غير أن يركب ناقة ولا أن يسير ليلاً أو بعض الليل.

(٦) المفردات: المعتكر: الشديد السواد. الغدائر: الضفائر. المجاج: العسل وريق الفم.

المعنى: محبوبتي سوداء الضفائر، أمضت ليلتها مرهقة وهي تبادلني المعسول من ريقها.

(٧) المعنى: قدمت إلي والليل دامس، فأضاء جمالها ما حولي كأنها سراج.

وَمُنْتَسِبٌ إِلَى كَرَمِ الْبَوَادِي خَبَرْتُ فَكَانَ الْأَمُّ مَنْ يُفَاجَا^(١)
غَذَاهُ اللَّؤْمَ صِرْفًا وَالِدَاهُ فَضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ صَلَفٍ مِزَاجَا^(٢)
وَكَفَّ لَا تُمَدُّ إِلَى جَمِيلٍ كَأَنَّ بِهَا وَمَا شَنَجَتْ شَنَاجَا^(٣)
عَدَانِي بِالطَّفِيفَةِ مِنْ حَقُوقِي وَأَطْبَقَ دُونَ ضَفَّتِي الرِّتَاجَا^(٤)
وَقَدْ حَاجَجْتُهُ فِيهَا مُبِينًا فَمَا أَرَعَى مَسَامَعَهُ الْحِجَاجَا^(٥)
يَلْجُ وَكَمْ أَدَالَ اللَّهُ مَمَّنْ عَلَى غُلُوءِهِ رَكَبَ اللَّجَاجَا^(٦)
أَلَا قُلْ لِلْأَجَادِلِ مِنْ بُؤْيِهِ: أَرَى أَوْدًا شَدِيدًا وَاعُوجَاجَا^(٧)
وَمُثْقَلَةً كَوْودًا لَا تُدَاوِي وَدَاهِيَةً صَمُوتًا لَا تُنَاجِي^(٨)
دِيَارُكُمْ لَكُمْ قَوْلًا وَيَجْبِي سِوَاكُمْ مِنْ جَوَانِبِهَا الْخَرَاجَا^(٩)
وَفِي أَرْجَاءِ دِجْلَةٍ مُؤَبَّدَاتٍ وَأَدَوَاءَ تَرِيدُ لَهَا عِلَاجَا^(١٠)
رَعَانَا بَعْدَكُمْ مَنْ كَانَ يَرَعَى عَلَى الْغَيْطَانِ إِنْبَلًا أَوْ نِعَاجَا^(١١)

- (١) المعنى: وينتقل إلى وصف من لا يحبه، فيرى أنه ينتسب إلى البادية وكرم أهلها، وعندما جربته بدا لي لؤمه.
- (٢) المعنى: واللؤم الذي يبدو عليه ورثه بتمامه عن والديه، وزاد عليه جلافته من طبعه.
- (٣) المفردات: شنجت اليد: تقبضت ولم تسترح.
- المعنى: إن يده لم تعتد أن تمتد لخير، فتظنها منقبضة عن كل جميل.
- (٤) المفردات: عداني: ظلمي. الضفة: الحاجة. الرتاج: الباب العظيم.
- المعنى: لقد ظلمني في أبسط حقوقي، وحال دون حاجتي وسد علي السبل.
- (٥) المعنى: وناقشته في مطلبي وشرحت له حاجتي فلم يعبأ بكلامي ولم يُعْرِنِي التَفَاتًا.
- (٦) المفردات: لج: تمادى. أداله الله من عدوه: جعل له الكثرة عليه. الغلواء: الكبر.
- المعنى: إنه يتمادى في العناد، وكثيرًا ما جعل الله الكثرة على كبره، لكنه أمر على عناده.
- (٧) المفردات: الأجادل: مفرداها الأجدل، وهو الصقر. الأود: الاعوجاج.
- المعنى: أخبر شجعان بني بويه بأنني ألمس اعوجاجًا وانحرافًا شديدًا.
- (٨) المفردات: الكؤود: الصعبة.
- المعنى: وأرى مصيبة كبرى لا يرجى دواؤها، ورزية صماء لا تقبل الجدل.
- (٩) المعنى: إن ما أراه أن البلاد لكم بالكلام، في حين أن الفعل والجباية لغيركم.
- (١٠) المفردات: المؤبدات: الدوامي.
- المعنى: وألاحظ دواهي ومصائب متشرة على أطراف نهر دجلة تحتاج إلى عناية منكم.
- (١١) المفردات: الغيطان: مفرداها الغوط، وهو المطمئن من الأرض.

وَذُوبَانُ تَخْطَفُ كُلَّ يَوْمٍ لَكُمْ مَا خَفَّ مِنْ نَعَمٍ وَرَاجَا^(١)
فَمِنْ عَنَّا يَبْلُغُكُمْ خُطُوبًا إِذَا ذُكِرَتْ يَصْمُّ لَهَا الْمُنَاجَى؟^(٢)
تَمْلِكُنَا بِبُعْدِكُمُ الْأَعَادِي وَعَادَ نَمِيرُنَا مِلْحًا أَجَاجَا^(٣)
فَمَا نَرْجُو لِتَيْهَتِنَا رَشَادًا وَلَا نَرْجُو لَضَيْقَتِنَا انْفِرَاجَا^(٤)
وَأَنْ بَنَا وَمَا يَدْرِي الْمُعَافَى شَجَا فِي الصَّدْرِ يَعْتَلِجُ اغْتِلَاجَا^(٥)
وَأَنْ السَّرْحَ تَحْمِيهِ أَسْوَدَ فَلَا ذَرًّا نَصِيبُ وَلَا نَتَاجَا^(٦)
وَنَحْنُ وَغَيْرُكُمْ وَالِ عَلَيْنَا كظَالِعةٍ نُطَالِبُهَا الرِّوَاஜَا^(٧)
وَمَنْ ضَرَبَ الْقَلِيبَ يَبْطِنُ سَجَلٍ وَلَمْ يَشْدُذْ إِلَى وَذَمٍ عِنَاجَا^(٨)
أَرُونَا النُّصْفَ فِيمَنْ جَارَ دَهْرًا فَإِنَّ بَنَا إِلَى الْإِنْصَافِ حَاجَا^(٩)

=المعنى: هيا الله لنا من يعتني بنا أمثالكم، كالراعي المخلص لأنعامه في الأراضي الخصبة.

(١) المعنى: ويحيط بكم ذئاب تنهش من أموالكم كل خفيف الحمل ومشهور.

(٢) المعنى: فمن يخبركم ما لمسته من أمور عصبية تذهل من يخاطب بها.

(٣) المفردات: الماء النмир: العذب. الأجاج: المر.

المعنى: لقد عتا علينا الخصوم حين رأوكم بعيدين عنا، فتحولت سعادتنا إلى تعاسة، وغدا حلونا مرًا.

(٤) المعنى: ولم نعد نأمل لضياعنا من صلاح ولضيقنا من فرج.

(٥) المفردات: الشجا والشجن: الحزن. يعتلج: يثور ويشد.

المعنى: فألمت بنا الأمراض مما يدركها السليم، وأمراضنا أحزان تثور في الصدور.

(٦) المفردات: السرح: ما يسرح من الأنعام. الدر: اللبن. التاج (بفتح النون): ولد البهيمة.

المعنى: وسيطر على الخير عتاة فامتنع عنا كل أنواع العطاء.

(٧) المفردات: الظالعة: العرجاء. الرواج: الجد والسرعة.

المعنى: فإن تولى أمرنا غيركم غدونا كالناقة العرجاء التي يطالبها راكبها بالسرعة.

(٨) المفردات: القلب: البئر القديمة. السجل: الدلو. الودم: السيور بين آذان الدلو.

العناج: حبل يشد في أسفل الدلو والعري.

المعنى: وكمن قذف بالدلو في البئر من غير أن يحكم ربطه.

(٩) المفردات: النصف (مثلثة النون): العدل والإنصاف. جار: ظلم.

المعنى: أمنيئنا منكم أن تنصفونا ممن ظلمنا زمانًا طويلًا، فقد مسّت الحاجة إلى العدل بعد الظلم.

فإنَّكُمْ الشِّفَاءَ لِكُلِّ داءٍ وَيَأْبَى كَيْكُم إِلَّا نِضاجاً^(١)
وَصُونُوا الدُّوْلَةَ الغُرَاءَ مِمَّنْ يُداجي بِالْعِداوَةِ أَوْ يُداجِي^(٢)
يَرِيمُ كَصَلِّ رَمْلَةً بِطَنِ وادٍ فِيمَا فَرْصَةً هاجِثُهُ هاجاً^(٣)
وَلَا تَنْظُرُوا فِي الحَرْبِ مِنْهُمْ تَمَاماً طالِماً نُتِجَتْ خِداجاً^(٤)
فَمَا زَالُوا مَتَى قُرِعُوا صُخُوراً مُلَمَّمَةً وَإِنْ صُدِعُوا زجاجاً^(٥)
لَعَلِّي أَنْ أَرَاهَا عَنْ قَرِيبٍ عَلَى الزُّوراءِ تَمْتَرُقُ العِجاجاً^(٦)
عَلَيْهَا كُلُّ أَزْوَاعٍ مِنْ رِجَالٍ كَرَامٍ طالِماً شَهِدُوا الهِياجاً^(٧)
تَرَاهُمْ يُولِغُونَ ظُباً المِواضِي وَيُزَوِّونَ الأَسِنَّةَ وَالزُّجاجاً^(٨)
وَتَلْقَاهُمْ كَأَنَّ بِهِمْ أَوَاماً إِلَى أَنْ يَنْزِلُوا بِدَمٍ وِداجاً^(٩)

- (١) المعنى: فأنتم شفاء لكل أمراضنا، ولا يجوز كي الجرح إلا إذا راعيتم شفاءه تماماً.
(٢) المفردات: يداجي (مبني للمجهول): يداري.
المعنى: ومهمتكم أن تحموا الخلافة المصونة من كل من يداري في الحكم وممن يداري.
(٣) المفردات: يريم: يقيم. الصل: جنس خبيث من الحيات.
المعنى: وهذا المداري أشبه بشعبان خبيث يعيث في الوادي فساداً، وهو يتربص لإثارة الفتن.
(٤) المفردات: الخداج: الولادة قبل مضي أوانها.
المعنى: ولا تترثوا في حربهم، وقد رأيتم أنهم بدؤوا بفتنتهم قبل أوانها.
(٥) المفردات: المللمة: المجموع بعضها إلى بعض.
المعنى: وظلوا يعيشون فساداً حتى جابهتموهم بعزم أكيد، وإن بدوا كالزجاج السريع الانكسار.
(٦) المفردات: الزوراء: بغداد لانحراف قبلتها. تمرق: تخرق. العجاج: الغبار.
المعنى: وأتوقع أن تثوروا على بغداد قريباً ثورة تخرق الغبار.
(٧) المفردات: الأزوع: الشجاع. الهياج: الحرب.
المعنى: يقود ثورتكم خير الشجعان المعتادين على خوض الحروب.
(٨) المفردات: يولغون: يسقون. الظبا: مفردا الطبة، وهي حد السيف أو السنان. الزجاج: مفردا الزجاج، وهو كعب الرمح ويكون من الحديد.
المعنى: ونرى الشجعان يسقون حد السيوف القاطعة، ويروون الرماح وكعوبها بدماء أعدائهم.
(٩) المفردات: الأوام: العطش. الوداج: مفردا الودج، وهو عرق في النحر. ييزلون: يشربون ويصفقون.
المعنى: ويبدو هؤلاء الشجعان وكأنهم عطاش إلى تصفية الدماء من العروق.

فدونك يا شقيق اللؤم قولا يسوؤك ثم يوسعنا ابتهاجا^(١)
 وخذ ما هجت من كلم بواق فما حق المفوه أن يهاجا^(٢)

- 101 -

قال يرثي أبا محمد الحسن بن محمد بن المسلمة: ^(٣) [من الكامل]
 كم ذا سرى بالموت عنا مدلج أبكي اشتياقا بي إليه وأنشج^(٤)
 وأود أني ما تعررى جانبي مني ولم يخرجهُ عني مخرج^(٥)
 وكذا مضى عنا القرون يكبهم خطب أخو سرف وصرف أعوج^(٦)
 خدعتهم الدنيا برائق صبغها واقتادهم شوقا إليها الزبرج^(٧)
 فتطامحوا وتطاوحوا بيد الردى وتقوموا ثم انثنوا فتعوجوا^(٨)
 وكأنهم لماعموا بظلام أز ماس لهم ما أشرقوا أو أبلجوا^(٩)

- (١) المعنى: فإليك أيها اللئيم كلاما يزعجك ولكنه يسرنا.
 (٢) المعنى: وتناول مني ما تبقى من كلامي، فالمفوه المتكلم لا يجوز له أن يفعل فيسكت.
 (٣) هو أبو محمد الحسن بن أحمد، من أسرة ذات مكانة. اشتهر برواية الحديث والعدل. ولد في بغداد سنة ٣٦٩ وتوفي فيها سنة ٤٣٠ هـ. وهو والد ابن المسلمة وزير القائم.
 (٤) المفردات: المدلج: السائر ليلاً. أنشج: أغص بالبكاء.
 المعنى: كثيراً ما كان الحبيب يتخطانا ليلاً، وبعد رحيله أبكي عليه طويلاً.
 (٥) المعنى: وكم أتمنى ألا يترك حبيبي فراشي بعد أن كان كالغطاء لي، ولم يُبعده عني شيء.
 (٦) المفردات: القرون: مفردا القرين، وهو الشبيه والشجاع. يكبهم: يصرعهم. السرف: الجهل. صرف الدهر: نوائبه.
 المعنى: وقد ولى عنا الشجعان يصرعهم الجهل ونوائب الزمان العاتية.
 (٧) المفردات: الزبرج: (فارسية) الزينة من وشي أو جوهر.
 المعنى: وقد سلبهم بريق الدنيا، وجذبتهم إليها زينتها شوقاً وطمعاً.
 (٨) المفردات: تطاوحوا بالأمر: تنازعوه.
 المعنى: ففرهم الطموح وتنازعوا الطمع وهم بين أيدي الموت، فانصلحوا ثم عادوا فانحازوا عن الحق.
 (٩) المفردات: الأرماس: مفردا الرمس، وهو القبر. أشرقوا: دخلوا في الشروق. أبلجوا: دخلوا في الصباح.
 المعنى: وهم إذ اعتراهم العمى من ظلام القبور لم يعرفوا الشروق ولا انبلاج الصباح.

لم يُنَجِّهِمْ وَقَدْ اتَّوَى بِهِمُ الرَّدَى وَإِلَيْهِ يُمَضَّى أَوْ عَلَيْهِ يُعْرَجُ^(١)
وهو الزَّمانُ فمُسْنِمٌ أَوْ مُهْزِلٌ طَوَلَ الحَيَاةَ وَمَحْزَنٌ أَوْ مُبْهِجٌ^(٢)
وَمُسْلَمٌ لَا يَنْتَلِي وَمُسَالَمٌ وَمُوَادِعٌ لَا يَخْتَلِي وَمُهِيجٌ^(٣)
وَالمرءُ إمَّا راحِلٌ أَوْ قد دنا مِنْهُ وَمَا يَدْرِي الرَّحِيلُ المَزْعَجُ^(٤)
بَيْنَا تَرَاهُ فِي النَّدِيِّ مُنْشَرًّا حَتَّى تَرَاهُ فِي الحَفِيرَةِ يُدْرَجُ^(٥)
تَسْرِي بِهِ نَحْوَ الرَّدَى طَوَلَ المَدَى بَيْضٌ وَسَوْدٌ كَالرَّكائبِ تَهْدِجُ^(٦)
وَإِذَا الرَّدَى كَانَ المَصِيرَ فَمَا الأَسَى مَتَا عَلَى نَشَبٍ وَثُوبٍ يَنْهَجُ؟^(٧)
لَوْلَا المَقَادِرُ قاضِيَاتٌ بَيْنَنَا خَبَطًا لَمَّا سَبَقَ الصَّحِيحُ الأَعْرَجُ^(٨)
يَا نَاعِيَّ ابْنَ مُحَمَّدٍ لَيْتَ الَّذِي خَبَّرْتَنِيهِ عَنِ الحَقِيقَةِ أَعْوَجُ^(٩)
أَفْصَحْتَ لَا أَفْلَحْتَ بِالنَّبَا الَّذِي لِلْقَلْبِ مِنْهُ تَوْقُذٌ وَتَوْهْجُ^(١٠)
وَلَطَالَمَا ضَنَّ الرُّجَالُ بِمِثْلِ مَا صَرَّخْتَ عَنْهُ فَجَمَّعُوا أَوْ لَجَلَجُوا^(١١)

- (١) المفردات: التعرّيج: الإقامة.
المعنى: لكن هذا لم ينقذهم لأن الموت مال عليهم، والمرء ذاهب إلى الموت ومقيم عليه لا محالة.
(٢) المعنى: وهذه هي حال الدنيا.. فإما أن تسخو وإما أن تضنّ، وهي إما تسعد وإما تبئس.
(٣) المفردات: الموادع: المصالح. يختلي: يستأصل.
المعنى: وترى في الدنيا مسلمًا غير مصاب، وآخر لا يتدخل في أمر أو مشيرًا للفتن.
(٤) المعنى: والمرء إما ميت أو دنا موته المقيت وهو لا يعلم.
(٥) المفردات: الندي: النادي. منشَرًا: حيًا.
المعنى: وبينما تراه حيًا بين نادي قومه حتى تراه وقد طواه الثرى.
(٦) المفردات: البيض والسود: كناية عن الأيام والليالي. تَهْدِج: تسرع.
المعنى: يقوده تتابع الأزمان إلى الموت من غير توان، فهو أشبه بأحمال النوق المسرعة.
(٧) المفردات: النشب: المال. ينهج: ييلى.
المعنى: وإذا كنا صائرين إلى الموت فلماذا نأسف على مال أو على ثوب بال؟
(٨) المعنى: ولولا أن المَقْدَرُ مكتوب علينا لما سبق الأعرج الصحيح الجسم.
(٩) المعنى: أيا من نقل إلي نعي أبي محمد ليتك لم تصدقني في كلامك.
(١٠) المعنى: وللأسف فإنك أكدت الخبر وحرّمت بمن يحبه القلب ويرتاح إليه، لا بارك الله فيك.
(١١) المعنى: وخبرك هذا كثيرًا ما أخرج الرجال عن التصريح به فكثروا وتلعثموا.

يا ذاهباً عني ولي من بعده
أعزُّ عليَّ بأن أراك مُسَرَّبلاً^(٢)
في هُوَّةِ ظلماء ليس لداخل
بيني وبينك شاهدٌ لا يُرتَقَى
ويُصدُّ عنك القاصدون، فما لهم
كم ذا لنا تحت التراب أناملُ
من أين لي في كلِّ يوم صاحبُ
هيهات فرَّ من الحمام مُغامِرُ
وكرَّغتُ منك الودَّ صِرْفاً صافياً
لا تُسَلِّبي عنه؛ فتسليَةُ الفتى
قلبٌ به متلهَّب متأجِّجٌ^(١)
بالموت تُدفنُ في الصَّعيدِ وتولِّجُ^(٢)
فيها على كرِّ اللَّيالي مخرُجُ^(٣)
طُولا وبابٌ للمنيَّة مُرتجُ^(٤)
أبداً على شِغْبٍ حلَّلت مُعرَّجُ^(٥)
تَندي نَدَى وجبينُ وجهٍ أبلجُ^(٦)
يرضاهُ منِّي الدَّاخلُ المُتولِّجُ؟^(٧)
حيثُ وكَّعَ عن الحِمام مُدجِّجُ^(٨)
ولَكنم نرى ودًّا يُثابُ ويُمزجُ^(٩)
عَمَّن به شَغَفُ الفؤادِ تهيجُ^(١٠)

(١) المعنى: فيا من تركني ورحل، إن قلبي متحرق عليك لاهج بحبك.

(٢) المفردات: مسربلاً: مرتدياً. الصَّعيد: التراب. تولج: تدخل.

المعنى: يعز علي أن أراك ملفوفاً بثوب الموت مدفوناً داخل التراب.

(٣) المعنى: ويعز علي أن أراك في حفرة معتمة، لا يخرج منها داخلها.

(٤) المفردات: مرتج: مغلق.

المعنى: لقد فصل بيني وبينك بحاجز عال لا أبلغه، وأغلق باب الموت بيني وبينك.

(٥) المعنى: وقد حرم محبوبك من رؤيتك، فلم يجدوا وسيلة لرؤيتك في مقامك.

(٦) المفردات: أبلج: مضىء.

المعنى: وكثيراً ما حاولنا النزول إليك فما هي ذي أناملنا ندية من ترابك، ونحن محبون متشوقون.

(٧) المعنى: ولن أجِد في هذا الزمان صديقاً مثلك يدخل إلى قلبي ويرضى عنه لي.

(٨) المفردات: كع: جبن وضعف. هيهات: بعد؛ اسم فعل ماض.

المعنى: ولكن لا مفر من الموت، فلا المغامر الشجاع استطاع أن يهرب من الموت، ولا جرؤ المدجج بالسلاح على مجابهته.

(٩) المفردات: يشاب: يخلط (مبني للمجهول).

المعنى: كانت صداقتك خالية من أي شائبة، فشربت من محبتك الصداقة الصافية، مع أننا نرى المحبة ممزوجة بعكسها.

(١٠) المعنى: لا تُسقطني المحبة عنه لأن مسرة المرء من تغلي محبته في الأفئدة.

وَلَكُمْ غَطَا مِنْ التَّجْمُلِ فِي الْحَشَا
فَاذْهَبْ كَمَا شَاءَ الْقَضَاءُ وَكُنْ غَدَا
لَهُمْ بِأَفْنِيَةِ الْجِنَانِ مَسَاكِنُ
وَسَقَى تَرَابِكَ كُلُّ مُنْخَرِقِ الْكُلَى
لِلرَّعْدِ فِيهِ قَعَاقِعُ وَزَمَاجِرُ
وَالنُّورُ فِي حَافَاتِهِ مُتَفَسِّحُ
وَإِذَا سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ رَحْمَاتِهِ
مِنْ لَاعِبَاتٍ فِي الْأَضَالِعِ تَلْعَجُ^(١)
فِي الْقَوْمِ إِمَّا سُودُوا أَوْ تَوُجُوا^(٢)
طَابَتْ مَسَاكِنُهَا وَظَلُّ سَجَسَجُ^(٣)
يَسْرِي إِذَا مَاشَتْهُ أَوْ يُذْلِجُ^(٤)
وَالْبَرْقُ فِيهِ تَوْهْجُ وَتَمْوُجُ^(٥)
وَالْأَقْحَوَانُ بِجَانِبِيهِ مُفْلَجُ^(٦)
فَلَأَنْتَ أَسْعَدُ مَنْ أَتَاهُ وَأَفْلَجُ^(٧)

- 102 -

وقال في الافتخار: [من الكامل]

أَعْلَى الرِّكَائِبِ سَارَتْ الْأَحْدَاجُ وَالْبَيْنُ مَا عَنْهُ هُنَاكَ مَعَاجُ؟^(٨)
لَا تَطْلُبُوا مِنِّي السُّلُوفَ فَلَيْسَ مِنِّي حَاجِي وَلِي فِي مَنْ تَرْحَلُ حَاجُ^(٩)

- (١) المفردات: غطا الماء: ارتفع. لاعج: محرق. المعنى: كثيراً ما طغى استحسانى نحوه في كبدي مما يحرق الأضالع.
- (٢) المعنى: فارحل رحلتك المقدرة، وسترى الناس بعدك سادة أو مسودين.
- (٣) المفردات: ظل سجسج: لا حر فيه ولا برد. المعنى: وهم يعيشون في ساحات الجنائن عيشة طيبة وظلاً وارفاً.
- (٤) المفردات: يذلج: يسير في أول الليل. المعنى: وأغاث تربتك أشد الرعد الذي يسير نحوك ليلاً.
- (٥) المعنى: وهذا الرعد ذو أصوات وهدير، والبرق يلمع من بين الغيوم بخطوط متمايلة، دلالة على تراحم الغيم.
- (٦) المفردات: النور: الزهر الأبيض. الأقحوان: زهرة الريحان. مفلج: مفتح. المعنى: والزهر الأبيض متناثر حول قبرك وعلى جوانبه تفتح أزهار الأقحوان.
- (٧) المفردات: أفلج: اسم تفضيل، أي أكثر فوزاً وظفراً. المعنى: وإذا من الله على قبرك بالسقيا كنت أسعد الموتى وأكثرهم ظفراً.
- (٨) المفردات: الأحداج: مفردا الحدج وهو الهودج. البين: الفراق. المعاج: الإقامة. المعنى: هل نقلت الهودج على النوق؟ ولا سبيل إلى إلغاء البعد والإقامة؟
- (٩) المفردات: الحاج: مفردا الحاجة. المعنى: لا تطالبوني بالنسيان فليس هدفي، وإنما هدفي في رؤية من رحلوا.

قالوا: اصْطَبِرْ والصَّبْرُ لَيْسَ بِزَائِلٍ
ودواءُ أمراضِ النفوسِ كثيرةٌ
بَيْنِي وَبَيْنَ تَجَلُّدِي وَتَمَاسُكِي
هَمْ أَوْقَدُوا نَارَ الْهَوَى فِي أَضْلَعِي
فِي سَاعَةِ مَا إِنَّ بِهَا إِلَّا جَوَى
عَاجُوا عَلَيْنَا بِالْوَدَاعِ وَلَيْسَ لِي
وَسَرَوْا بِمُسْنُودٍ بِهِمْ مَالَهُمْ
وَإِذَا هُمْ بِالرُّغْمِ مَنَّا أَدْلَجُوا
وَلَقَدْ نَعَى وَضَلِي لَكُمْ وَبَكَى بِهِ
نَادَى فَازْعَجَ كُلٌّ مِنْ لَمْ يَأْتِهِ
لَمْ شِرْبُكُمْ عِنْدِي التَّمِيرُ وَعِنْدَكُمْ
مَنْ عِنْدَهُ بِالْغَانِيَاتِ لَجَاجُ^(١)
وَالْحَبُّ دَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ عِلَاجُ^(٢)
-وَالْعَيْسُ تُرْحَلُ لِلْفِرَاقِ-رِتَاجُ^(٣)
بِفِرَاقِهِمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَهَاجُوا^(٤)
يُضْنِي وَسِيلُ مَدَامِ نَجَّاجُ^(٥)
صَبْرٌ عَلَيْهِ فَلَيْتَهُمْ مَا عَاجُوا^(٦)
إِلَّا وَجْهُ الْبَيْضِ فِيهِ سِرَاجُ^(٧)
أَوْدَى الْمُتَيَّمِ ذَلِكَ الْإِدْلَاجُ^(٨)
قَبْلَ الْفِرَاقِ النَّاعِقُ الشَّحَاجُ^(٩)
لَوْلَاهُ إِقْلَاقٌ وَلَا إِزْعَاجُ^(١٠)
شِرْبِي عَلَى الظَّمَا الشَّدِيدِ أَجَاجُ؟^(١١)

- (١) المعنى: وطالبوني بالصبر، والصبر دائم.. ولا سيما من يلح بطلب الحسان.
(٢) المعنى: إن الأمراض عديدة ولكل منها دواء، إلا الحب فهو داء لا براء منه.
(٣) المفردات: التجلد: التصبر. العيس: الإبل. الرتاج: (هنا) الباب.
المعنى: صبري نقد، ولقد حيل بيني وبين الصبر باب محكم سببه رحيل الإبل معلنة الفراق.
(٤) المعنى: وهم حين أعلنوا الرحيل أشعلوا في فؤادي لهيب الحب وأثاروه.
(٥) المفردات: شجاج: سيال.
المعنى: لم تكن ساعة رحيلهم إلا حُرقة ممضئة وسيلاً غزيراً من الدموع.
(٦) المفردات: عاجوا: مروا أو أقاموا.
المعنى: لقد مروا بنا يريدون وداعنا، وكانوا في عجلة من أمرهم. وكنت أتمنى لو لم يمروا.
(٧) المعنى: رحلوا في ليلة حالكة السواد، فلم أر منهم إلا وجوههم المنيرة كالنباريس.
(٨) المفردات: أودى: أهلك. الإدلاج: السير ليلاً كله أو آخره.
المعنى: وهم إذا رحلوا ليلاً غصباً عنا فقد أهلكنا هذا السير ليلاً.
(٩) المفردات: الشجاج: الغراب.
المعنى: هذا الغراب اللعين هو الذي نعب فأنهى إلي أن الوصل انقطع، وما بكأؤه إلا نفاق النعي.
(١٠) المعنى: نعب ولولا نعيه لم يقلق أحد ولم يزعج حبيب.
(١١) المفردات: الماء التميم: العذب. الأجاج: المح المر.

وَإِذَا ضَعِفْتُمْ بِالْعَطَاءِ فَلَيْتَهُ
وَالْبُخْلُ مِلءُ بَيْوتِكُمْ فَمَتَى يُرَى
وَأَنَا الْفَصِيحُ فَإِنْ شَكُوتُ إِلَيْكُمْ
وَفَلَاخُ قَلْبٍ لَا يُرْجَى بَعْدَمَا
أَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَحَوْلَهُ
عَرَفْتَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ هَزَلًا
وَمِنَى وَبُذِنَ مَا صُرِغَنَ بِثَرِبِهَا
وَالْمَوْقِفَيْنِ عَلَيْهِمَا وَإِلَيْهِمَا
لَوْلَايَ لَمْ يَكُ لِلنَّدَى سَيْلٌ وَلَا
مَا ضَرَّنِي أَنْ لَيْسَ فَوْقَ مَفَارِقِي
وَأَنَا الْغَبِيْنُ لَنْ رَضِيتُ بِأَنْ تُرَى

مَا كَانَ إِفْقَارٌ وَلَا إِحْوَاجُ؟^(١)
يُثْرِي وَيَقْنِي مِنْكُمْ الْمَحْتَاجُ؟^(٢)
جَنَفَ الْغَرَامِ فَإِنِّي اللَّجْلَاجُ^(٣)
وَلَيْتَ عَلَيْهِ الطُّفْلَةَ الْمِغْنَاجُ^(٤)
لِلزَّائِرِيهِ مِنَ الْوُفُودِ ضَجَاجُ^(٥)
بِيدُ عِرَاضٍ دُونَهُ وَفَجَاجُ^(٦)
إِلَّا لَتُبْزَلَ عِنْدَهُ الْأَوْدَاجُ^(٧)
طَلَبَ النَّجَا وَتَزَاوَحَ الْحُجَّاجُ^(٨)
فِي الرَّوْعِ الْجَاثِ وَلَا إِسْرَاجُ^(٩)
تَاجُ وَمِنْ فَضْلِي عَلَيَّ التَّاجُ^(١٠)
فَوْقِي الْعُيُوبُ وَتَحْتِي الْهِمْلَاجُ^(١١)

=المعنى : لماذا أرحب بكم ولا ترحبون بي؟ لماذا مائي لكم عذب وماؤكم لي ملح أجاج مع أنني عطشان؟

(١) المعنى : كم كنت أتمنى ألا أحتاج إليكم وألا أحسن بفقري به . . وبخلكم بعطائي هو سبب ألمي .

(٢) المعنى : إن كل ما في دياركم يدل على البخل ، ترى متى يغنى فقيركم؟

(٣) المفردات : الجنف : الميل . اللجلاج : الثقل اللسان المتردد في الكلام .

المعنى : يتعثر لساني مع فصاحته حين أريد الشكوى من ميل حبكم عني .

(٤) المعنى : ولا يرجى شفاء للقلب بعد أن استولت عليه هذه الحسناء المتدللة .

(٥) المعنى : أقسم بالكعبة وبالطائفتين الكبيرتين .

(٦) المفردات : عرقتهم : أهزلتهم .

المعنى : وقد أهزلهم العناء حتى وصلوا إلى البيت منهكين ، بعد أن طووا البوادي والقفار .

(٧) المفردات : تبزل : (مجهول) تشق . الأوداج : مفرداها الودج ، وهو عرق في النحر .

المعنى : وأقسم بمنى وبالنوق المسمنة للذبح والتي أنيخت لتراق دماؤها .

(٨) المعنى : وأقسم بالموقفين المقدسين اللذين تزاوح الحجاج حولهما ونشدوا فيهما النجاة .

(٩) المعنى : أنا صاحب الكرم العميم ، وأنا الذي يلجم فرسه ويسرجه يوم الحرب «ولولاي لما كان الاثنان» .

(١٠) المعنى : إنني ملك ولا يضرنني أن ليس على رأسي تاج ، والتاج فضلة علي .

(١١) المفردات : الهملاج : البرذون الحسن السير .

وبأن تَقِلَّ مَكَارِمُ مِنِّي وَلِي
والضَّاحِكُونَ بِيَوْمِهِمْ مَا فِيهِمْ
دَغَ مَنْ يَكُونُ جَمَالُهُ وَفَخَارُهُ
فَثِيَابٌ مِثْلِي يَوْمَ سِلْمٍ عِفَّةٌ
قُلْ لِلأُلَى سَخِطُوا الْجَمِيلَ فَمَالَهُمْ
لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا لَعَلَّمْتُمْ
مَا فِيكُمْ لَوْلَايَ لَوْ أَنْصَفْتُمْ
كُلَّ الْفَضَائِلِ فِي يَدَيَّ وَمَا لَكُمْ
وَمَعَالِمِي خَفَرُ الذُّوَابِ لَمْ يَسِرْ
وَلَقَدْ ظَهَرْتُ فَلَيْسَ يُخْفِي شَهْرَتِي
وَعَشِيَّتُمْ مِنِّي وَفَوْقَ رُؤُوسِكُمْ
ثَمَرَ كَثِيرٍ سَائِغٍ وَخَرَّاجٍ^(١)
إِلَّا الَّذِي هُوَ فِي غَدٍ نَشَاجٍ^(٢)
فِي الْفَاخِرِينَ: الْوَشْيُ وَالذِّيَابُ^(٣)
وَثِيَابُ جِسْمِي فِي اللَّقَاءِ عَجَاجٍ^(٤)
يَوْمًا إِلَى كَسْبِ الْعُلَا مِنْهَا: ^(٥)
عَلِمِي فَلَيْسَ عَلَى الْعُلُومِ سِيَابُ^(٦)
دَخَالُ كُلِّ كَرِيهَةٍ خَرَّاجٍ^(٧)
مِنْهُمْ أَفْرَادٌ وَلَا أَزْوَاجُ^(٨)
فِيهِمْ إِخْلَاقٌ وَلَا إِنْهَاجُ^(٩)
فِي النَّاسِ إِدْرَاجٌ وَلَا إِدْمَاجُ^(١٠)
بِالرُّغْمِ يَلْمَعُ كَوَكْبِي الْوَهَّاجُ^(١١)

=المعنى: وإنني أشعر بغبن نفسي إن قبلت بأن تحوم العيوب حولي وأنا أمتطي برذونًا سريعًا.

(١) المعنى: كما أشعر بالغبن إن قلت مكارمي وأنا الثري صاحب الخير ولا أسخو.

(٢) المفردات: النشاج: البكاء.

المعنى: وأرى الذين يعمهم السرور في حاضرهم، وما دروا أنهم سيكون غداً.

(٣) المفردات: الوشي: النقش والزركشة. الديباج: (فارسية) الحرير.

المعنى: ولا تهتم بمن يتباهى بزيتته ويلبسه الحرير.

(٤) المعنى: إن ثوبي يوم السلم عفة وإباء، ودرعي يوم الحرب غبارها.

(٥) المعنى: أخبر من أنكروا الجميل ولم يقدروه، ولم يضعوا خطة مرسومة لبلوغ المجد:

(٦) المعنى: كان عليكم أن تتعلموا مني، فلا حاجز لطلب المعرفة.

(٧) المعنى: لو تعلمون، ولو أنصفتكم، أن ليس غيري يجابه صروف الزمان ويخرج منها مستصراً.

(٨) المعنى: لن تجدوا فضيلة لا أمتلكها، في حين أنكم لا حيلة لديكم ولا فضل.

(٩) المفردات: المعالم: مغلطات الطريق. الإخلاق: الإبلاء، وكذا الإنهاج.

المعنى: إن معالم هدايتي واضحة وسخية لم يعترها البلى ولا الخلق.

(١٠) المعنى: وهأنذا بينكم، فلا تقدرون على إخفاء شهرتي أو طيها.

(١١) المعنى: وعميتم عني وما زال كوكب شهرتي اللامع يضيء فوق رؤوسكم.

فَالْمَكْرُمَاتُ عَقِيمَةٌ مِنْكُمْ وَلِي مَا فِيكُمْ صَفَوُ وَلَكِنْ أَنْتُمْ قُومُوا أَرُونِي تَابِعًا فَرْدًا لَكُمْ وَالتَّقْصُ مُلْتَحِفٌ بِكُمْ مَا فِيكُمْ حَتَّى سُوِيَعَاتُ السُّرُورِ قَصِيرَةٌ وَإِذَا رَضِيتُمْ بِالْحُطَامِ فَلَا اِزْتَوَى مَنْ لِي بِخَلٍّ يَسْتَوِي لِي عِنْدَهُ وَإِذَا عَرَّتْنِي فِي الزَّمَانِ شَدِيدَةٌ مَا يَسْتَوِي جَذْبٌ وَخِصْبٌ لَا وَلَا بِشْنَا وَنَحْنُ الْمُغْرَقُونَ تَقُودُنَا مَا وَزَدُنَا فِي الدَّهْرِ إِلَّا رَنْقَهُ

مِنْهُمْ فِي كُلِّ الزَّمَانِ نِتَاجُ^(١)
كَدَرٌ لَصْفُورٍ فِي الْوَرَى وَمِزَاجُ^(٢)
وَدَعُوا الَّذِي أَتْبَاعُهُ الْأَفْوَاجُ^(٣)
عَنْهُ الْمَحِيصُ وَلَا لَهُ إِفْرَاجُ^(٤)
فِيكُمْ وَوَضَعُ الْحَامِلَاتِ خِدَاجُ^(٥)
صَادٍ وَلَا امْتِلَأَتْ لَكُمْ أَعْفَاجُ^(٦)
يُسْرِي وَعُسْرِي وَالْغِنَى وَالْحَاجُ؟^(٧)
فَهُوَ الْمَكْشُفُ كَرَبِّهَا الْفَرَاجُ^(٨)
وَشَلٌّ وَبَحْرٌ فَائِضٌ عَجَاجُ^(٩)
بَيْنَ الْعِدَى وَتَسْوِقُنَا الْأَعْلَاجُ^(١٠)
وَلَنَا الْإِضَاعَةُ فِيهِ وَالْإِمْرَاجُ^(١١)

- (١) المعنى: لا يصدر عنكم عمل حميد، في حين أن أعمالنا العظيمة تتوالد مع توالي الأيام.
- (٢) المعنى: أنتم لستم أهل صفاء، ولكنكم تكثرون صفو الناس وتعكرون مزاجهم.
- (٣) المعنى: أروني محبًا واحدًا لكم، وانظروا من يتبعه الكثير.
- (٤) المعنى: إن التقص يحيط بكم من كل جانب، ولا تقدرُونَ على ترك نقائصكم.
- (٥) المفردات: الخداج: الولادة قبل أوانها.
- المعنى: إن كل شيء في حياتكم قصير؛ فساعات سروركم قصيرة، والنساء يلدن قبل الأوان.
- (٦) المفردات: الصادي: العطشان. الأعفاج: الأمعاء.
- المعنى: وإن قنعتم بالبقايا فلا شبع عطشانكم ولا امتلأت أمعاء جائعكم.
- (٧) المعنى: أين هو الصديق الذي يظل على صدقه معي في عسري ويسري، وفقرى وغناي؟
- (٨) المعنى: وإذا دهنتني داهية في يوم من الأيام أقدم على إزاحة كربها عني؟
- (٩) المفردات: الوشل: الماء القليل. العجاج: الماء الهادر.
- المعنى: إن الجذب لا يعادل الخصب، والماء القليل لا يشبه ماء البحر الكثير.
- (١٠) المفردات: المعرق: الكريم الأصل. الأعلاج: مفردا العليج، وهو الكافر من غير العرب والعجم.
- المعنى: نحن أصحاب كرم أصيل، ولكننا نحيا بين الأعداء والكفار.
- (١١) المفردات: الرنق: الكدر. الإمراج: الاختلاط.
- المعنى: مناجع مياهنا غير صافية وحياتنا كدرة، ضائعون فيها مضطربون.

لا خَيْرَ في هامٍ بغيرِ أَرْمَةٍ فينا وسَجَلٍ ليس فيه عِناجٌ^(١)
ومن الضَّرورةِ أن يكونَ مع الثَّرى الذِّ
ما حقُّ مثلي وهو ممَّن قَوْلُهُ يَسري إلى الآفاقِ منه لِهاجٍ^(٢)
ما حقُّ مثلي وهو ممَّن قَوْلُهُ يَسري إلى الآفاقِ منه لِهاجٍ^(٣)

- 103 -

وقال ملغزاً: [من الطويل]

ونَجلاء لا تَرَقا لها الدَّهرَ دَمعةً لها بينَ أطباقِ الضُّلوعِ نَشيجٌ^(٤)
تُضيقُ رَتَقاً ما بها من تَفَتُّقٍ وتُفرِّجُ فيما ليس فيه فُروجٌ^(٥)
فلا دارُها في ساعةِ النَّأيِ تَنثني ولا بُزؤُها فيما يَعوجُ يَعوجُ^(٦)
تَصمُّ عن الرَّاقيَنَ منها كأنَّها مُصِرٌّ على عَذلِ اللُّحاةِ لَجوجٌ^(٧)
تُفادى وتُخشى بالسُّبارِ فَسَبَرُها دَخولٌ إلى أعماقِها وخَروجٌ^(٨)

-
- (١) المفردات: السجل: الدلو العظيمة. العناج: حبل يربط به الدلو.
المعنى: لا جدوى من الإبل غير المربوطة، ولا الدلاء التي لم تحزم.
- (٢) المفردات: النذب: السيد الكريم. الهلباج: النذل.
المعنى: ولا بد من وجود السادة الكرام في البلاد إذا برز الأندال إلى الساحة.
- (٣) المفردات: اللهاج: المثابرة.
المعنى: إن كلامي يسري في الشرقين، فلا حاجة لمثلي الإكثار من الكلام.
- (٤) المفردات: ترقا: (مخففة الهمزة) تجف. النشيج: البكاء. النجلاء: الواسعة.
المعنى: ورب فتاة واسعة العينين لا تهدأ دمعته، ترسل بكاءها من بين أضلاعها.
- (٥) المفردات: الرتق: الخياطة، وعكسها الفتق.
المعنى: تراها ترأب صدعاً لا وجود له، وتخرج من غير وجود فرجة.
- (٦) المفردات: يعوج: يبقى.
المعنى: ودارها ليست بعيدة لحظة البعاد، ولا يبقى شفاؤها.
- (٧) المفردات: الراقي: قارئ التعويذة. اللحاة: مفرداها اللاحي وهو العائب.
المعنى: لا تبعاً بقارئ التعاويز، فكأنها تصر على لوم العائنين بشدة.
- (٨) المفردات: تفادى (مجهول): تحامى. السبار: فتيلة من القطن يحشى بها الجرح. سبر الجرح: قياس عمقه بالسبار، وهو ميل يقاس به.
المعنى: وهي تحامى وتسد بالقطن، وقياسها مفتوح إلى أعماق، فترى المسبار يدخل ويخرج.

لَهَا فَغَرَّةٌ إِنْ شَاءَ يَوْمًا وَلَوْجَهَا خَرَوْقٌ لَهَا بِالرُّمَحِ فَهَوَ وَلَوْجٌ^(١)

- 104 -

وقال في النسب: [من الطويل]

سَقَى دَارَهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى مِنْ الْمُزْنِ مَخْرُوقُ الْمَزَادِ خَدُوجُ^(٢)
وَكُنْتُ إِذَا مَا سَرْتُ قَصْدًا لغيرِهَا أَمِيلُ إِلَى أَبْيَاتِهَا وَأَعْوَجُ^(٣)
فَلِي مِنْ جَوَى فِيهِنَّ رَنَّةٌ عَاشِقٍ وَلِي أَدْمَعُ تَجْرِي دَمًا وَنَشِيجُ^(٤)
فَإِنْ تَلَحَّنِي يَوْمًا وَقَلْبُكَ طَيِّعُ خَلِيٌّ فَلِي قَلْبٌ بِهِنَّ لَجُوجُ^(٥)
حَلَفْتُ بَرِّ الْوَاقِفِينَ عَشِيَّةً عَلَى عَرَفَاتٍ وَالْمَطِيِّ وَلُوجُ^(٦)
وَبِالْبُذْنِ تَهْوِي نَحْوَ جَمْعٍ خِفَافُهَا مَنْ الْأَيْنِ مِنْهَا رَاعِفٌ وَشَجِيجُ^(٧)
وَمَا عَقْرُوهُ فِي مَنَى مِنْ مُسِنَّةٍ لَهَا بَيْنَ هَاتِيكَ الْجِمَارِ خَدِيجُ^(٨)

(١) المفردات: الفغرة: الفوهة.

المعنى: ذات فتحة، إن أراد أحدهم أن يخرقها برمحها رآها سهلة الإيلاج.

(٢) المفردات: المزاد: مفردا المزايدة، وهي وعاء جلدي يملأ ماء. الخدوج: غير المحتفظ بما فيه.

المعنى: أرجو من الله أن يغيثها بالمطر الغزير ويسقي ديارها حيث هي.

(٣) المعنى: وإنني كلما قصدت زيارة أحد عطفت على زيارتها وملت إلى ديارها.

(٤) المعنى: وسبب زياراتي أنني أتحرق في نفسي لعشقي، وها هي ذي دموعي تنسكب دما، وهذا هو بكائي.

(٥) المعنى: فإن أردت أن تلومني لتخبرني أن قلبك متجاوب مع النسيان فاعلم أن قلبي مفعم بحبك ملخ على طرق بابك.

(٦) المفردات: الولوج: مفردا الوالج، وهو الداخل.

المعنى: أقسم بالله رب من يحجون بيته ويبيتون على عرفات، وما زالت النوق داخلة.

(٧) المفردات: البدن: مفردا البدنة، وهي الناقة المسمنة للذبح. جمع: موضع بمنى وهو المزدلفة. الأين: التعب. الراعف: الذي يخرج الدم من أنفه. الشجيج: المجروح الرأس.

المعنى: وأقسم بالذبائح التي سيقن نحو المزدلفة وقد تقرحت خفافها وتجرحت من التعب.

(٨) المفردات: الجمار: الموضع الذي تلقى فيه الجمرات بمنى. الخديج: من يولد قبل أوانه.

المعنى: وأقسم بالنوق التي عقرت في منى يتبعها صغارها بين الجمار.

وبالبيتِ لاذَ المُحرِّمونَ بركنِهِ وطاف به بعدَ الحجيجِ حَجِيجُ^(١)
ولمّا قَضَوْا أوطارَهُم منه ودَّعُوا وأرزاقَهُم من ضيقهنَّ فَرُوجُ^(٢)
لَحْبُكُ من قلبي كقلبي كرامةً فليسَ له عُمَرُ الزَّمانِ خُرُوجُ^(٣)
فإن عَذْلُوهُ زِيدَ شَجْوًا وهاجَهُ على وجديهِ ما لا يكادُ يَهِيْجُ^(٤)
وكيف يفيدُ العَذْلُ والعَذْلُ ظاهرُ وحَبْكُ ما بينَ الضُّلوعِ وَلُوجُ؟^(٥)

- 105 -

وقال يفتخر: [من الكامل]

برباعكم يا أهلَ يثربَ حاجي وعليكمُ دونَ الأنامِ مَعاجي^(٦)
ومتى ادَّلبجتُ إلى زيارةِ أرضكم حَذَرَ الوشاةِ فحبِّذا إِذْلاجي^(٧)
كَمْ فيكمُ لَمَنِ الهوى من شأنِهِ من مَبْسِمِ رَتْلِ وطَرْفِ ساجِ^(٨)
ومُحَكِّمِ في الحسنِ يُكرِّعُ عندهُ كأسُ الهوى صِرْفًا بغيرِ مِزاجِ^(٩)
ماذا على مَنْ ضنَّ دهرًا بالندى لو كان يومًا ضنَّ بالأحداجِ^(١٠)

- (١) المعنى: وأقسم بالبيت العتيق الذي التجأ حجاجه المحرمون بركنه، وطاف حوله حجاج يتلوهم حجاج.
- (٢) المعنى: وحين أتموا مراسيم الحج وكل رغباتهم ودعوا وعادوا، وقد أوسع الله عليهم الأرزاق بعد ضيقها.
- (٣) المعنى: أقسم بكل ما ذكرت بأن حبي لك يشبه حبي لقلبي، ولا يخرج حبك منه طول العمر.
- (٤) المعنى: وكلما عاتبوا قلبي ازداد وجدًا، ويزداد وجدته حتى يبلغ فوق طاقته.
- (٥) المعنى: واطمئني لأن اللوم لا ينفع، لأن ظاهري، وحبي لك متشعب بين أضلاعي.
- (٦) المفردات: المعاج: الإقامة. الأنام: الناس.
- المعنى: مطلبي في دياركم يا أهل يثرب، وإقامتي في ربوعكم لا في غيرها.
- (٧) المفردات: الإذلاج: السير ليلاً.
- المعنى: وحين أريد زيارتكم فإني آتي ليلاً كيلا يراني الوشاة.. وما أحبه من وقت!
- (٨) المفردات: الرتل: المتناسق. ساج: فاتر.
- المعنى: ومحبوبي في دياركم وهواي عنده وهو ذو فم متناسق ونظرة فاترة.
- (٩) المعنى: وهو لا نذ له في الحسن يسكر العاشق بكأس حبه صرفاً من غير أن يمزج.
- (١٠) المفردات: ضن: بخل. الأحداج: الهوداج.
- المعنى: هذا المحبوب بخيل في كل حياته.. فلماذا لم يبخل كذلك على حركة الهوداج =

- ويسوؤني وهو الذي في كفّه
 ويزودني وبّي الصّدّي عن عَذْبِهِ
 وَضَلْ كَعَشَوَاءِ الظَّلَامِ تَرْدُودًا
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ اللّوَاتِي بِاللّوَى
 مَا زَلَنْ بِالرَّجْلِ الصَّحِيحِ مِنَ الْهَوَى
 يَا صَاحِبِي تَنْظُرَا بِأَخِيكَمَا
 حَتَّى التَّوْتُ هَامَ الْكَوَاكِبِ مُيَّلاً
 وَأَبِي الظُّعَائِنِ يَوْمَ رُحْنٍ عَشِيَّةٍ
 لَقَدْ احْتَوَيْنَ عَلَى قُلُوبِ مَعَاشِرِ
 وَدَعْنَنَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِالَّذِي
 وَالرَّكْبُ بَيْنَ مَغِيضٍ كَمَدَ الْهَوَى
- ما شئتُ من جَذَلِي وَمِنْ إِبْهَاجِي^(١)
 فَإِذَا سَقَاكَ سَقَاكَ كُلُّ أَجَاجِ^(٢)
 وَقَطِيعَةٌ تَجْرِي عَلَى مِنْهَاجِ^(٣)
 أَوْرَطُنْنَا حُبًّا وَهَمًّا نَوَاجِ^(٤)
 حَتَّى تَعَايَا فِيهِ كُلُّ عِلَاجِ^(٥)
 أَنْ تَسْتَشِيرَا الْعَيْسَ بِالْأَحْدَاجِ^(٦)
 وَالْفَجْرُ فِي عَقَبِ الدُّجَى كَسْرَاجِ^(٧)
 وَالْبَيْنُ شَاهِدُنَا بِغَيْرِ خِلَاجِ^(٨)
 خَفْتُ كَمَا خَفَّ الْقَطِينُ النَّاجِي^(٩)
 أَوْدَعْنَنَا مِنْ جَاحِمٍ وَهَاجِ^(١٠)
 فِي لُبِّهِ أَوْ مُغُولٍ بِنَشَاجِ^(١١)

=فتأخر قليلاً؟

(١) المفردات: الجَذَل: السرور.

المعنى: بيده سعادتي وأفراحي، ولكنه يزعجني ببخله في رؤيتي.

(٢) المفردات: يزودني: يطردي. الصدى: العطش. الأجاج: الملح المر.

المعنى: إنني شديد العطش ولكنه يمنعني عن ورود مائه العذب. وإن سمح بالشرب لم يقدم إلا الماء الملح.

(٣) المعنى: وإن من بالوصل فأشبهه بظلمة الليل في تردده، وإن قاطعني فبنظام.

(٤) المعنى: لعن الله صبايا اللوى، فقد أوقعتنا في حبهن ونجين من هذا الحب.

(٥) المعنى: ويدأبن خلف الرجل الخالي من الحب حتى يوقعه في داء الحب الذي لا علاج له.

(٦) المعنى: يا صاحبي أرفأ بحال صاحبكما فلا تستعجلا رحيل النوق الحاملة للهوارج.

(٧) المعنى: حتى تميل الكواكب إلى المغيب ويزغ الفجر الساطع.

(٨) المفردات: بغير خلاج: بغير شك. البين: الفراق.

المعنى: أقسم بمالك الطعائن حين رحلن ذات مساء، وكان الفراق شاهداً من غير شك.

(٩) المفردات: خف: رحل. القطين: أهل الدار.

المعنى: أقسم بأنهن ملكن قلوب أناس وارتحلت مثلما ارتحل الجار بسلام.

(١٠) المفردات: الجاحم: الجمر الشديد.

المعنى: حين ارتحلن ودعنا من غير أن يعلمن بأنهن تركن في أفئدتنا نيراناً متقدة.

(١١) المفردات: المغيض: المغفور. النشاج: البكاء.

=

يَذْرِي دَمًا مِنْ عَيْنِهِ فَكَأَنَّهُ يَنْكِي أَحِبَّتَهُ مِنْ الْأَوْداجِ^(١)
وَأَنَا الَّذِي اسْتَوَطَنْتُ ذِرْوَةَ هَاشِمٍ وَحَلَلْتُ مِنْ عَدْنَانَ فِي الْأَثْبَاجِ^(٢)
الضَّارِبِينَ الْهَامَ فِي يَوْمِ الْوَعَى وَالْقَائِلِينَ الْفَضْلَ يَوْمَ حِجَاجِ^(٣)
وَالزَّاحِمِينَ تَرْفَعًا وَتَنْزُهَا لِلطَّالِعَاتِ دُجَى عَنِ الْأَبْرَاجِ^(٤)
وَالسَّاحِبِينَ إِلَى دِيَارِ عَدُوِّهِمْ أَذْيَالَ كُلِّ مُعْضَلٍ رَجْرَاجِ^(٥)
كَالْبَحْرِ تَلْتَمِعُ الْأَسْنَةُ وَالظُّبَا فِي قَعْرِهِ بَدَلًا مِنَ الْأَمْوَاجِ^(٦)
يَحْوِي رَجَالًا لَا يُبَالُونَ الرَّدَى إِلَّا رَدَى فِي غَيْرِ يَوْمِ هِيَاجِ^(٧)
نَبَذُوا الْحَيَاةَ وَأَمْرَجُوا أَرْوَاحَهُمْ بَيْنَ الْمَنَايَا أَيَّمَا إِمْرَاجِ^(٨)
وَأَتَوْا عَلَى صَهَوَاتٍ جُرْدٍ ضَمِيرٍ مَلَأَى مِنَ الْإِلْجَامِ وَالْإِسْرَاجِ^(٩)
أَكَلَ الْغَوَارُ لَحُومَهَا وَتَعَرَّقَتْ أَوْصَالُهَا أَنْيَابُ كُلِّ فَجَاجِ^(١٠)
فَأَتَتْ كَمَا شَاءَ الشُّجَاعُ خَفَائِقًا مِثْلَ الْقِدَاحِ تُجِيلُهُنَّ لِحَاجِ^(١١)

=المعنى: وكان الركاب فئتين: منهم من أخفى ألم الحب في أعماقه، ومنهم من فارقه صبره فراح يبكي ويعول.

- (١) المعنى: وهذا العاشق المعنى يذرف دمًا من عينيه، فكأنه يبكي محبيه من عروق دمه.
- (٢) المفردات: الأثباج: مفرداها الثبج، وهو من كل شيء أعلاه ووسطه.
- المعنى: ومُقامي بين آل هاشم في القمة العليا، وأقيمت في أسمى مقام من آل عدنان.
- (٣) المعنى: وهم المعروفون بضرب الرقاب في الحروب، وأصحاب الكلام الفصل في المجالس.
- (٤) المعنى: وهم الذين يدافعون البارزات من الكواكب ليحتلوا مكانها رفعة ومكانة.
- (٥) المفردات: المعضل من الجيوش: الكثيف الذي تضيق به الأرض. الرجراج: المتماوج.
- المعنى: وإذا هاجموا عدوًا زحفت إليهم جيوش كثيرة العدد متماوجة لكثرتها.
- (٦) المعنى: ويتحرك الجيش فتلمع حرابه وسيوفه كما تلمع الأمواج في البحار.
- (٧) المعنى: ورجال هذا الجيش لا يخافون الموت في الحروب، ولكنهم يخافونه في أيام السلم.
- (٨) المفردات: أمرجوا: خلطوا.
- المعنى: وهم عافوا الحياة واستخفوا بها ومزجوا أرواحهم بالموت مزجًا عجيبًا.
- (٩) المعنى: وأقدموا فرسانًا على صهوات خيلهم السريعة النحيلة وهي ملجمة ومسرجة.
- (١٠) المفردات: الغوار: الإغارة. تعرقت: أهزلت. الفجاج: الطرق في الوديان.
- المعنى: وهي من كثرة إغارتها وهجومها ذابت لحومها وهزلت أطرافها لجريانها في الوديان.
- (١١) المفردات: القداح: سهام الميسر.
- المعنى: فبدت الخيل خفيفة كما يريد الشجعان فغدت السهام يحركها قارعها لحاجته.

قَوْمٌ دَفَاعُهُمُ النَّجَاةُ لَخَائِفٍ	وَنَدَى أَكْفُهُمُ الْيَسَارُ لِرَاجٍ ^(١)
لَا يَغْضَبُونَ إِذَا الرُّجَالُ تَغَاصَبَتْ	إِلَّا الْعَقَائِلُ مِنْ عَظِيمِ التَّاجِ ^(٢)
وَإِذَا الْوُجُوهُ تَكَالَحَتْ حَذَرَ الرَّدَى	فُوجُوهُهُمْ أَقْمَارُ كُلِّ عَجَاجٍ ^(٣)
وَمَتَى شَبِيهِهِمْ طَلَبَتْ وَجَدَتَهُمْ	ضَرَبُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ بَرِتَاجٍ ^(٤)
وَلَقَدْ طَلَبْتُ عَلَى الْعَظِيمَةِ مُسْعِدًا	فَرَجَعْتُ مُنْقَلَبًا عَلَى أُدْرَاجِي ^(٥)
وَوَجَدْتُ أَطْمَارَ الْحَفَائِظِ بَيْنَنَا	فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلَى إِنْهَاجٍ ^(٦)
زَمَنٌ عَقِيمٌ الْأُمّهَاتِ مِنَ الْحِجَا	فَإِذَا حَمَلْنَ وَضَعْنَهُ لَخِدَاجٍ ^(٧)
كَمْ حَامِلٍ فِيهِ لِعِبَاءٍ فَهَاهُةٍ	مُتَعَثِّرٍ بِلِسَانِهِ لَخَلَاجٍ ^(٨)
غَرٌّ تَجَرُّ النَّائِبَاتُ لِسَانَهُ	فَإِذَا اطمَأَنَّ فِدَائِمُ التَّشْحَاجِ ^(٩)

(١) المفردات: اليسار: الغنى.

المعنى: وحرّبهم لإنقاذ خائف، وكرم أيديهم الغنى الذي يأمله المحتاج.

(٢) المفردات: العقائل: مفردها العقيلة، وهي الكريمة المخدرة من النساء.

المعنى: وإذا سبى الرجال النساء فلا تراهم يقبلون إلا الأميرات الكريمات.

(٣) المفردات: تكالحت: تعايست.

المعنى: وإذا حام الموت حول قوم فعبست وجوههم خوفاً من الموت ظلت وجوههم مشرقة لأنهم لا يخافون الموت.

(٤) المعنى: إذا أردت أن تبحث عن نظراء لهم لم تقدر لأنهم أقفلوا على أحسابهم.

(٥) المعنى: بحثت عن مسعد لي في الملمة الكبرى فلم أجد وعدت خائباً.

(٦) المفردات: الأطمار: مفردها الطمر، وهو الثوب البالي. الحفائظ: الذم. الشارقة: الصباح. الإنهاج: الإخلاق والإبلاء.

المعنى: ولاحظت أن ثياب الذم الفاصلة بيننا تزداد تمزقاً كل صباح.

(٧) المفردات: الحجا: العقل. الخداج: الولادة قبل أوانها.

المعنى: نحن في زمن جامد العقول لا ينبج، وإن أنجب كانت الخبرة فجئة وناقصة.

(٨) المفردات: الفهامة: العمي والوهن.

المعنى: ما أكثر من يعيا في هذا الزمان ويضطرب لسانه ويتلعثم بالكلام.

(٩) المفردات: الغر: الجاهل القليل التجربة. التشحاج: صوت الذئب أو نعيب الغراب.

المعنى: أو تراه جاهلاً بطيء الخبرة ألجمت المصائب لسانه، حتى إذا انجلت عنه لم يحسن الكلام وكان كلامه أشبه بالنعيب.

كَلِفَ بِيضِ الْأَزْرِ لَكِنْ قَدْ غَدَا مَتَقَنَّاعًا فِينَا بِعِزِّ دَاجٍ^(١)
 وَتَرَاهُ يَرْضَى خِفَّةً مِنْ سُودَدٍ إِنَّ بَاتَ يَوْمًا مَوْقَرَ الْأَعْفَاجِ^(٢)
 قَدْ قَلْتُ لِلْبَاغِي الْمَرْوَةِ عَنْهُمْ يَرْمِي الْقَلِيبَ بِغَيْرِ ذَاتِ عِنَاجٍ^(٣)
 مَاذَا تُكَلِّفُ ذَاتَ بَطْنٍ حَائِلٍ جَدَاءٌ مِنْ دَرٍّ لَهَا وَنِتَاجٍ؟^(٤)
 وَتَرِيدُ أَنْ تَحْطِيَ بِجَمَاتِ الْغِنَى مِنْ مَعْدِنِ الْإِقْتَارِ وَالْإِنْفَاجِ؟^(٥)
 وَمِنْ الْغَبَاوَةِ أَنْ يَظُنَّ مُؤْمَلٌ جُرْعَ الْإِسَاعَةِ مِنْ مِعْصُ شَاجٍ^(٦)

- 106 -

وقال في النسب: [من المنسرح]

مَوْلَايَ يَا بَدَرَ كُلِّ دَاجِيَةٍ خُذْ بِيَدِي قَدْ وَقَعْتُ فِي اللَّجَجِ^(٧)
 حُسْنُكَ مَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ كَالْبَحْرِ حَدَّثَ عَنْهُ بَلَا حَرَجٍ^(٨)

-
- (١) المعنى: وتراه يعتني بجميل الثياب وبياض لونها، لكن عرضه بين الناس أسود.
 (٢) المفردات: الموقر: المثقل بالأحمال. الأعفاج: الأمعاء، مفردها العفج.
 المعنى: لا تراه يتابع المجد فيكتفي منه بالقليل إذا امتلأت بطنه بالطعام، وهي همه.
 (٣) المفردات: القليب: البئر القديمة. ذات العنّاج: الدلو.
 المعنى: أما الذي رأيته ينشد النخوة والرجولية من غير وسيلة فهو كمن يطلب الماء من البئر من غير دلو.
 (٤) المفردات: الحائل: التي مضى علي حملها حول. الجدّاء: التي جفّ ضرعها. الدّر: اللبن.
 المعنى: قلت له إنك تسعى من غير جدوى، وهل يطلب اللبن والولادة من ناقة حامل لما تلد وقد جفّ ضرعها؟
 (٥) المفردات: الإقتار: البخل. الإنفاج: الافتخار بما ليس عنده.
 المعنى: وهل تقدر على كسب الثراء والشهرة وليس في حيلتك سوى البخل والتباهي؟
 (٦) المفردات: المِعْصُ: الكثير الغصص. الشاجي: الذي يصيبه الشجاء، وهو ما يعترض الحلق من عظم ونحوه.
 المعنى: وغبي ذلك الذي يتوقع البلع من امرئ يغص كثيرًا ويعلق في حلقه ما يمنعه من الطعام.
 (٧) المعنى: يا سيدي يا قمر الليالي الحالكة أعني فأنا غارق في الأمواج المتلاطمة.
 (٨) المعنى: أنت في غاية الحسن ومحاسنك لا تتوقف عند حد، كالبحر الذي لا ينتهي الكلام عن كنوزه ودرره.

بِحَقِّ مَنْ خَطَّ عَارِضِيكَ وَمَنْ سَلَّطَ سُلْطَانَهَا عَلَى الْمُهَجِّ^(١)
مُدَّ يَدِيكَ الْكَرِيمَتَيْنِ مَعِي ثُمَّ ادْعُ لِي مِنْ هَوَاكَ بِالْفَرَجِ^(٢)

- 107 -

وقال في الغزل: [من مجزوء الكامل]

إِنَّ الَّتِي حَكَتِ الضُّحَى وَالصُّبْحُ فِي أَسْرِ الدِّيَاجِي^(٣)
مَا كُنْتُ يَوْمَ تَعَرَّضْتُ لِي مِنْ حِبَالَتِهَا بِنَاجٍ^(٤)
أَذَوْتُ فَوَادِي مِنْ صَبَا بَتِّهَا وَضَنْتُ بِالْعِلَاجِ^(٥)
وَلَقَدْ أَقُولُ لَهَا وَضَلْ لَ عَنْ النَّصِيحَةِ مَنْ يُدَاجِي^(٦)؟
يَا حُلْوَةً كَمْ دُونَ حُلْدٍ وَكِ لِلْمَتِّيمِ مِنْ أَجَاجٍ؟^(٧)
وَإِذَا ضَنْنْتُ فَقَدْ أَسَأْتُ فِي يَدِيكَ بَلَوُغُ حَاجِي^(٨)

* * *

(١) المفردات: العارض: صفحة الخد.

المعنى: أحلفك بمن أنبت شعر خدك، وبمن جعلها تسيطر على القلوب.

(٢) المعنى: أحلفك أيها المحبوب بأن تدعو معي وترفع يديك العزيزتين عسى الله يخلصني من داء حبك.

(٣) المعنى: هذه التي شابها إشراق الشمس حين يتحلل الصباح من سيطرة الليل عليه.

(٤) المعنى: هذه الصبيحة أسرنتني ولم أستطع التخلص منها حين برزت لي.

(٥) المعنى: لقد أوقعت قلبي في داء حبها ولم تمنحني العلاج الشافي.

(٦) المعنى: سأقول لها قولاً صريحاً أنصحها من غير مخاتلة:

(٧) المعنى: أيتها الحلوة.. كم يتعذب العاشق ويلقى العناء حتى ينال المتيماً بك بعضاً من طعمك العذب؟

(٨) المعنى: وبخلك هذا إساءة لي، ومطلبي عندك فلا تبخلي عليّ به.

قافية الحاء

- 108 -

قال في الشيب: [من الرمل]

فَضَحَ الشَّيْبُ شِبَابِي فَافْتَضَحَ وَنَكَا قَلْبِي بِهِ ثُمَّ جَرَحَ^(١)
جَدُّ لِي مِنْ بَعْدِ مَزْحٍ صَبَغُهُ وَرَكَوبُ الْجِدِّ مَنْ كَانَ مَزَحَ^(٢)
فَاشْتَفَى مِنِّي عَدُوِّي وَاکْتَفَى وَرَأَى كُلَّ الَّذِي كَانَ اقْتَرَحَ^(٣)
وَذَنُوبٌ كُنَّ لِي مَغْفُورَةً عَادَ فِيهَا كُلُّ مَنْ كَانَ صَفَحَ^(٤)
كَلَّمَا نَادَيْتُهُ نَحْوِي مَضَى وَإِذَا قُلْتُ: دَنَا مِنِّي انْتَرَحَ^(٥)
وَالَّذِي طَيَّرَ عَنِّي غُمَمِي حِينَ وَافَى حَلَّهُ بَعْدُ جَلَحَ^(٦)
فَاغْجَبُوا كُلُّكُمْ مِنِّي إِذَا أَعَشَقْتُ اللَّيْلَ وَلَا أَهْوَى الصُّبْحَ

- 109 -

وقال في النسيب: [من مجزوء الرمل]

- (١) المفردات: نكا الجرح: (مخففة من نكا) أثاره وقشر جلده.
- المعنى: هذا الشيب الخصم لشبابي قد فضحه، وقرح فؤادي وجرحه.
- (٢) المعنى: كنت أظن هذا اللون مازحاً إذا بي أراه جاداً، وقادني إلى الجد بعد اللهو.
- (٣) المعنى: حين رأيي خصمي ما حل بي اعتراه السرور والشماتة، فتحقق له كل ما كان يتمنى.
- (٤) المعنى: كانت تغفر لي كل خطأ يصدر عني، وحين تراءى لها الشيب لم تعد تصفح.
- (٥) المفردات: انترح: بعد.
- المعنى: كان دائماً يبتعد عني ولا يستجيب لندائي. وإذا أحسستُ بقربه عاد فابتعد.
- (٦) المفردات: الجلع: سقوط الشعر من جانبي مقدم الرأس، كالصلع.
- المعنى: وحين قدم محبوبي انزاحت عني غمة أحزاني، فإذا به يعود فيدعني.

لا قَضَى اللهُ لقلبي في الهوى أن يستريحاً^(١)
أنا راضٍ من هوى البید ضٍ بأن كان قريحاً^(٢)
يا مليح الوجه لم تضد نغ ما ليس مليحاً؟^(٣)
إنما يُعذِرُ في الثَّف بيح من كان قبيحاً^(٤)
أنا مُشفٍ من تجنيب ك وقد كنت صحيحاً^(٥)
والذي صيّر من حُب بك في جسمي روحاً^(٦)
لا أطاع القلب مني أبداً فيك نصيحاً^(٧)

- 110 -

قال يفخر ويعرّض ببعض أعدائه : [من البسيط]

أما سمعتَ حمامَ الأيِّك إذ صدحا غنى ولم يدرِ أني بعضُ مَنْ جرحاً؟^(٨)
لم أقترح منه ما غنى الغداة به وربّ مَنْ نال ما يهوى وما اقترحا^(٩)

-
- (١) المعنى : لم يأمر الله هدوء قلبي واستراحته من الحب .
(٢) المفردات : القريح : الجريح .
المعنى : مع أن حبي للحسان جريح إلا أنني أقبل به .
(٣) المعنى : أنت مليح الوجه فلماذا تخالف معاملتك حسنك ؟ لماذا لا تكون مليحاً كوجهك ؟
(٤) المفردات : يُعذر : يبالغ .
المعنى : والمعروف أن القبيح هو الذي يبالغ في التقييح .
(٥) المفردات : مشف : مشرف .
المعنى : أشرف على الداء من ادعائك بعد أن كنت سليماً .
(٦) المعنى : وحبك الذي خلق الروح في جسمي .
(٧) المعنى : إن قلبي لم يستجب إلى أية نصيحة ، إنه لا يطيعني .
(٨) المفردات : الأيِّك : مفردا الأيكة ، وهي الشجر الملتف .
المعنى : ألم تسمع هديل حمام الخمائل ؟ حين شدا الحمام جرح عشاقاً وأنا واحد منهم ، من غير أن يدري .
(٩) المعنى : أنا لم أطلب منه أن يشدو الذي شدا به هذا الصباح ، وقد يغنم المرء ما يهوى وما يريد ، من غير أن يطلب .

ولي جفونٌ من البلوى مُسَهَّدةٌ
فقلْ لِمُمرضٍ قلبي بعدَ صحَّتِهِ :
قد جدَّ بي المزحُ من صدُّ ذهيتُ به
ماذا على القلبِ لولا طولُ شِقْوَتِهِ
يا مُثْكِلي نومَ عينٍ فيه ساهرةٌ
وفيَّ ضدانِ لا أسطيعُ دَفْعَهُمَا
وقد عدلْتُم فؤادًا بالهوى كَلِفًا
صَحَا الَّذِي يشربُ الصَّهْبَاءَ مُتْرَعَةً
لم يبرحِ الوجدُ قلبي بعدَ أنْ عدَلُوا
وقد ثوى أُمُّ رأسي للصَّبابَةِ ما
ليت الفراقَ الَّذي لا بدَّ أكرعُ مِنْ

لا تعرفُ العَمَضَ ممَّا ترقُبُ الصُّبْحَا^(١)
إنَّ السَّقِيمَ الَّذِي أدويتَ ما صلَحَا^(٢)
وطالما جدَّ بالأقوامِ من مَزَحَا^(٣)
مِنْ نازلٍ حلَّ أو من نازحٍ نَزَحَا^(٤)
جَفَنِي عليك بدمعي فيك قد قُرَحَا^(٥)
نارٌ بقلبي وماءٌ بالهوى سَفَحَا^(٦)
لو كانَ يقبلُ نُضْحًا للَّذي نَصَحَا^(٧)
وشاربُ الحبِّ أعيَا أنْ يُقالَ : صَحَا^(٨)
على صَبَابَتِهِ لَكُنْه بَرَحَا^(٩)
يُغري بمغصيتي مَنْ لآمني وَلَحَا^(١٠)
كاساتِهِ الصَّبْرَ صِرْفًا لا يكونُ ضَحَا^(١١)

- (١) المعنى : وجفوني لم تعرف النوم مما ابتليت به ، فغدت مسهدة مما تتوقعه .
(٢) المعنى : فأخبر الذي أوقع قلبي في داء هوى كان خليًا منه أن مريضك لم يشف .
(٣) المعنى : وعن لي أن أداعب من ابتلاني ، وقد يمازح المرء من كان جادًا .
(٤) المعنى : لولا ما يعانیه القلب من طول شقائه لم يكن يعبأ بذهاب أو بقاء .
(٥) المعنى : يا من أصابني بسهر العينين ، لقد جرححت عيني من الدمع .
(٦) المعنى : اعتراني أمران متناقضان لا يمكن التخلص منهما ، هما لهيب فؤادي ودموع مذرقة .
(٧) المعنى : لقد عتبتم على فؤادي أنه وقع في هواكم ، إنه لا يقبل النصيحة بالابتعاد عنك .
(٨) المعنى : إن من يسكر بالخمرة سيصحو ، لكن الذي يشرب الهوى لن يصحو أبدًا .
(٩) المعنى : لم يبرح : لم يفارق . برح : عظم .
المعنى : مع أنهم عاتبوا قلبي على حبه إلا أنه لم يفارق هواه ، بل تأزم واشتد .
(١٠) المفردات : ثوى : أقام . لحاه : لآمه عابه .
المعنى : لقد أسكن الحب قمة رأسي من غير أن يلومني ويعيب علي من يشجعني على بقاء الحب .
(١١) المفردات : ضحا : بدا وبرز .
المعنى : كم كنت أتمنى ألا يصحو هذا الفراق الذي يسقيني الصبر والمر من غير مزج ، وشربي له لا مندوحة منه .

وليت أذم المَهَارَى النَاهِضَاتِ بما
طَوَوْا رَحِيلَهُمْ عَنِّي فَنَمَّ بِهِ
وقد طلبتُ ولكن ما ظَفِرْتُ بِهِ
أَهْوَى مِنَ الْحَيِّ بَدْرًا لَيْسَ يَطْلُعُ لِي
أَبْتُ مَلَاَحَتَهُ مِنْ أَنْ يَجُودَ لَنَا
وكان لي جَلَدٌ قَبْلَ الْغَرَامِ بِهِ
وزائِرٍ زارني وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرٌ
كَأَنَّهُ كَلِمٌ رَاعَتْ وَلَيْسَ لَهَا
لو أَنَّهُ زارني وَالْعَيْنُ سَاهِرَةٌ
أَعْطَى إِلَى الْعَيْنِ مِنِّي قُرَّةً وَأَتَى
تَحْوِي الْهُوَادِجُ كَانَتْ رُزْخًا طُلْحًا^(١)
عَزَفُ الْيَلَنَجُوجِ وَالْجَادِي إِذَا نَفَحَا^(٢)
مَنْ الْفِرَاقِ الَّذِي أُمُوهُ مُنْتَدِحَا^(٣)
يَوْمًا وَظَنِّي فَلَاةً لَيْتَهُ سَنَحَا^(٤)
فَلَيْتَهُ فِي عَيُونِ الْعِشْقِ مَا مَلَحَا^(٥)
فَالآنَ أَفْنَى اصْطَبَارِي وَجَدُهُ وَمَحَا^(٦)
وَالصُّبْحُ فِي قَبْضَةِ الظُّلُمَاءِ مَا وَضَحَا^(٧)
مَعْنَى وَلَمْعَةٌ بَرَقَ خُلْبٍ لَمَحَا^(٨)
أَعْطَيْتُهُ مِنْ نَصِيبِ الشُّكْرِ مَا اقْتَرَحَا^(٩)
قَلْبِي فَأَذْهَبَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالتَّرْحَا^(١٠)

- (١) المفردات: الأدم: مفرها الأدماء، وهي الناقة البيضاء. الرزح: الساقطة إعياء مفردها الراححة. الطلح: مفردها الطليح، وهي الهزيلة.
- المعنى: وكنت أتمنى أن تكون النوق القوية تنوء بما تحمله من الهوادج ومن الطعائن فيها.
- (٢) المفردات: العرف: الرائحة. واليلنجوج: العود الطيب. الجادي: الزعفران.
- المعنى: بعدوا عني بعد أن نشروا أطيب العبير.
- (٣) المفردات: المنتدح: السعة والفسحة. أموه: قصوده.
- المعنى: حاولت أن أحول بينهم وبين الفراق، لكنني لم أوفق في محاولتي.
- (٤) المعنى: إن عشقي كامن بقمر من صبايا الحي لا يبرز لي، وغزال لو يسمح لي بلاقائه.
- (٥) المعنى: لم يجذ علينا بطلعته البهية، فليته لم يكن محببًا في عيون عشاقه.
- (٦) المعنى: كنت أعرف الصبر قبل أن أقع في هواه، لكن حبه الآن أزال من نفسي كل اصطبار.
- (٧) المفردات: اعتكر الليل: اشتد سواده. وضح: أضاء.
- المعنى: زارني محبوبي والظلام حالك السواد، ولم يضيء نور الفجر بعد.
- (٨) المفردات: البرق الخلب: الذي يلمع فيخدع ولكن من غير مطر.
- المعنى: وكأن زيارته لي كلام يجذب ولكن من غير معنى، أو ضياء برق لا يعقبه مطر.
- (٩) المعنى: كنت أرجو أن يزورني وأنا يقظان لأزداد له شكرًا.
- (١٠) المفردات: قُرَّت عينه: بردت سرورًا. الترح: الحزن.
- المعنى: لو زارني يقظان إذا بردت عيني سرورًا، واستراح فؤادي.

زَوْرُ أَبِيْتُ بِهِ جَذْلَانِ مُنْتَفَعَا وَبَاتَ يَسْمَحُ لِي مِنْهُ بِنَائِلِهِ
وَكَمْ مِنَ الزَّوْرِ مَا طَرْنَا بِهِ فَرَحًا^(١) يَا صَاحِبِي إِنْ تُرِذْ يَوْمًا مُوَافِقَتِي
لَكِنَّهُ رَاجِعٌ فِيمَا بِهِ سَمَحًا^(٢) جَنَّبَنِي اللَّهُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
فَقَدْ بَلَغْتَ بِي الْأُوطَارَ وَالنُّجَحَا^(٣) وَلَا تُهَبْ بِي إِلَى ثَنِيٍّ بُلْهَنِيَّةٍ
وَعَاطٍ غَيْرِي إِذَا غَنِيَّتَهُ الْقَدَحَا^(٤) فَلَسْتُ أَفْرَحُ إِلَّا بِالَّذِي مَدَحْتَ
وَاجْعَلْ نِدَاءَكَ لِي مِنْ فَادِحٍ فَدَحَا^(٥) وَكَنْ إِذَا اصْطَبَحَ الْأَقْوَامُ فِي طَرَبٍ
مَنْيَ الرِّجَالُ فَلَا تَطْلُبْ لِي الْفَرَحَا^(٦) مَنْ لِي بِحُرٍّ مِنَ الْأَقْوَامِ ذِي أَنْفٍ
بِالْمَجْدِ مُغْتَبَقًا وَالْحَمْدِ مُضْطَبِحَا^(٧) تَرَاهُ وَالذَّهْرُ شَتَّى فِي تَقْلُبِهِ
يَنْحُو طَرِيقِي الَّذِي أَنْحَوهُ حِينَ نَحَا^(٨) وَإِنْ مَضَى لَمْ تُعِجْهُ الذَّهْرُ عَائِجَةً
لَا يَقْبَلُ الذَّلَّ كَيْمَا يَقْبَلُ الْمِنْحَا^(٩) حَلَفْتُ بِالْبَيْتِ طَافَتْ حَوْلَهُ غُصْبٌ
وَلَا يُقَادُّ إِلَى الْإِقْدَامِ إِنْ جَنَحَا^(١٠) مِنْ لَاثِمٍ رَكْنَهُ أَوْ مَاسِحٍ مَسَحَا^(١١)

(١) المفردات: الزور: الزائر. الجذلان: الفرحان.

المعنى: يسعدني هذا الزائر ويجعل ليلتي مجدية، أما الزوار الآخرون فلا يفرحوننا ذلك الفرح.

(٢) المعنى: وأمضى ليلته يمنحني ويسخو بي، لكنه تراجع عن كرمه فاسترجع ما تكرم به.

(٣) المعنى: ويخاطب صاحبه فيقول إن رغبت في رضائي حققت بغيتك ونجاحك.

(٤) المعنى: أبعد عني الملذات سرًا وعلانية، وحققها لغيري، واسقِه قدح السرور.

(٥) المفردات: لا تهب: لا تهتف. الشئ: الطبة. البلهنية من العيش: أرغده. الفادح: الشاق الصعب.

المعنى: ولا تنادني لتمضية رعادة من العيش، وادعني للشاق من الأمور.

(٦) المعنى: فلا يسعدني إلا ما وجد الرجال فيّ وهو قساوة الحياة، فلا تطالبني باللهم.

(٧) المفردات: المغتبق: الذي يشرب الغبوق وهو شراب المساء. المصطلح: الشارب صباحًا.

المعنى: واسهر واصطبح ساعيًا وراء المجد حين يكون الناس منشغلين منذ الصباح في حراهم.

(٨) المعنى: أبحث عن فتى حرّ ذي كبرياء يتتهج منهجي المذكور.

(٩) المعنى: هذا الفتى الحرّ يرفض المذلة بأخذ منح الآخرين إذا تقلبت به الأيام وعادته.

(١٠) المفردات: جنح: مال. عاج: وقف.

المعنى: لا يعوقه في مسيرته عائق طول حياته، ولا يبدل شيء من وجهته.

(١١) المعنى: أقسم بمن طاف حول الكعبة ولثم أركانه ومسح الحجر الأسود.

والبُذْنِ حَلَّتْ ثَرَى جَمْعٍ وَقَدْ وُدِجَتْ
وبالحُصَيَّاتِ يُقَذَفْنَ الْجَمَارُ بِهَا
وشاهدي عَرَافَاتِ يَوْمَ مَوْقِفِهِمْ
لقد حَلَلْتُ مِنَ الْعَلِيَاءِ أَفْنِيَّةً
وقد مُنِحْتُ وَضِلُّ النَّاسِ كُلُّهُمْ
كَانَ الزَّمَانُ بِهِمَا قَبْلَ أَنْ مَنَحْتُ
وقد رَجَحْتُ عَلَى قَوْمٍ وَزَنْتُ بِهِمْ
فَإِنْ كَذَحْتُ فِي عَزٍّ أَضُنُّ بِهِ
مَا زِلْتُ أَسَا وَبَاقِي النَّاسِ أَبْنِيَّةً

وَأِنَّمَا بَلَغَ الْأَوْتَاطَارَ مَنْ رَزَحَا^(١)
وبالْهَدْيِ عَلَى وَادِي مَنَى ذُبَحَا^(٢)
يَسْتَصَفَحُونَ كَرِيمًا طَالَمَا صَفَحَا^(٣)
مَا حَلَّهَا بَشَرٌ نَحْوَ الْعُلَا طَمَحَا^(٤)
عنه طَرِيقًا لَطِيبِ الذِّكْرِ مَا فُتِحَا^(٥)
فَضَائِلِي جِلْدَهُ الْأَوْضَاحَ وَالْقُرَحَا^(٦)
وَمَا عَلَيَّ مِنَ الْأَقْوَامِ مَنْ رَجَحَا^(٧)
وَضِلُّ مَنْ فِي حُطَامِ عَمْرِهِ كَذَحَا^(٨)
وَكُنْتُ قُطْبًا وَحَوْلِي الْعَالَمُونَ رَحَا^(٩)

- (١) المفردات: البُذْن: مفردها البَذَنَة، وهي الناقة المسَمَّنة المعدة للذبح. جَمْع: موضع بمنى، وهو المزدلفة. وُدِجَتْ (مجهول): قطعت عروقها. رَزَح: سقط من الإعياء. المعنى: وأقسم بالإبل المعدة للذبح وقد قطعت عروقها من نحورها. ولا يبلغ مأربه إلا من تعب من أجله.
- (٢) المفردات: الجمار: من مناسك الحج. الهدى: ما أهدي إلى الحرم من نعم. المعنى: وأقسم بالحصى التي ترمي في موضع الجمار، وبالأنعام التي يهديها الحجاج لذبحها في منى.
- (٣) المعنى: وأقسم بمن شهدوا عرفات وهم يتהלون إلى الله أن يصفح عنهم.
- (٤) المفردات: الأفنية: مفردها الفناء، وهو الساحة. المعنى: أقسم بكل ما سلف إنني بلغت في مراتب المجد ما لم يبلغ أحد.
- (٥) المعنى: لقد وهبت المجد الذي لم يبلغه أحد من الناس، وهذا المجد هو الذي خلدني وأخمل غيري.
- (٦) المفردات: الأوضاح: مفردها الوضع، وهو البياض. القرَح: الجروح، مفردها المقرحة. المعنى: كانت الدنيا سوداء، حتى منحتها فضائلي فأشرققت وزالت أوجاعها.
- (٧) المعنى: وازنوا بيني وبين الناس فرجحت كفتي، وماذا يهمني إذا خُفَّت موازينهم؟
- (٨) المفردات: الكدح: السعي. أضن: أبخل. المعنى: ولقد تعبت حتى نلت ما أبغي من العز وأنا لن أفرط به، أما غيري فقد أتعب نفسه من غير جدوى، وعاش حياته تائهاً.
- (٩) المفردات: الأس: أصل البناء. الرِّحَا والرحى: الطاحون. المعنى: أنا الأساس والناس يرتفعون بي، أنا القطب والورى طاحون يدور حولي.

وَأَيُّ ثِقَلٍ وَقَدْ أَعْيَا الرِّجَالُ عَلَى
وَسُدَّتْ قَوْمِي فِي عَصْرِ الصُّبَا حَدَّثًا
فَكَمْ قَدَحْتُ وَأَضْرَمْتُ الْوَرَى لَهَبًا
فَقُلْ لِقَوْمٍ غَرَسْتُ الْبِرَّ عِنْدَهُمْ
لَيْتَ الَّذِي غَرَّ قَلْبِي مِنْ تَجْمُلِكُمْ
وَلَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ يَوْمًا عَرَفْتُكُمْ
قَدْ عَادَ صَدْرِي مِنْكُمْ ضَيْقًا حَرَجًا
فَلَا تَرُومُوا لِدُودِي أُوبَةَ لَكُمْ
طَرَحْتُمُونِي كَأَنِّي كُنْتُ مُطَرِّحًا
وَحَلْتُ أَنْكُمْ تَجْزُونَنِي حَسَنًا
فَلَا تَظُنُّوا اصْطِلَاحًا أَنْ يَكُونَ لَنَا
ظَهْرِي الَّذِي حَمَلَ الْأَثْقَالَ مَا طَرِحَا؟^(١)
وَلَمْ يَسُودُوا مَشِييًا لَا وَلَا جَلَحَا^(٢)
وَكَمْ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَكْدَى وَمَا قَدَحَا^(٣)
فَمَا رَبَّخْتُ وَكَمْ مِنْ غَارِسٍ رَبِّحَا: ^(٤)
مَا سَالَ فِينَا لَهُ وَاِدٍ وَلَا رَشَحَا^(٥)
وَكُنْتُ مِنْكُمْ بَعِيدَ الدَّارِ مُنْتَرِحَا^(٦)
وَكَانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ جَرَّبْتُ مُنْشَرِحَا^(٧)
إِنَّ الْجَوَادَ جَوَادَ الْوُدِّ قَدْ جَمَحَا^(٨)
وَلُمْتُمُونِي كَأَنِّي كُنْتُ مُجْتَرِحَا^(٩)
فَالآنَ أَوْسَعْتُمُونِي مِنْكُمْ الْقُبْحَا^(١٠)
فَلَمْ يَدْغْ مَا أَتَيْتُمْ بَيْنَنَا صُلْحَا^(١١)

(١) المعنى: إنني أتحمّل الأثقال والأحداث مما تنوء ظهورهم بحمله.

(٢) المفردات: الحدث: الشاب. الجلح: صلح مقدم الرأس.

المعنى: منذ كنت فتى يافعاً كنت سيد قومي، بينما هم شابوا وصلعوا ولم يبلغوا مرتبة السيادة.

(٣) المفردات: أكدي: أتعب وأعجز. قدح: أوري الزناد.

المعنى: يشبه نفسه بحجر الزناد الذي يقدح ناراً، فهو ألهب النار بلهيه، أما الناس فقد أنهكوا أنفسهم ولم يلمعوا ولم يقدحوا.

(٤) المعنى: أخبر من منحتهم خيري فلم ينجع ما نشرت ولا ما غرست:

(٥) المعنى: أخبرهم أنني كنت أتمنى ألا يأخذني مظهركم ولا تزئينكم، ولا ارتبطنا بكم أي ارتباط.

(٦) المفردات: المنترح: البعيد.

المعنى: بل أتمنى لو لم أعرفكم، وكان منزلي بعيداً عنكم.

(٧) المفردات: الحرج: الضيق.

المعنى: كنت مرتاح البال قبل أن أبلى بمعرفتكم، حتى إذا عرفتم ضاق صدري وتبلبلت أفكاري.

(٨) المعنى: فاعزفوا عني ولا تطلبوا صداقتي ثانية فقد نفرت منكم، وشبه نفسه بالجواد الجامح.

(٩) المفردات: المجترح (اسم فاعل): الأثم.

المعنى: لقد أهملتكموني كأنني بضاعة مزجاة، وأوقعتم اللوم بي كأنني آثم.

(١٠) المعنى: وكنت أظن أنكم تقدمون لي الخير إذا بي تغمرونني إيذاءً.

(١١) المعنى: لا تتصوروا أن الصلح يحتمل بيننا، فما أزعجتكموني به لم يترك إمكانية للمصالحة.

ولو جزيثكم سوءًا بسوءتكم^(١) لكنت أنبح كلب الحي إن نبأ^(٢)
 ولا سقتكم من الأنواء ساقية^(٣) ولا نشختم إذا ما معشر نشأ^(٤)
 ولا يكن عطن منكم ولا وطن^(٥) متسعًا بالذي تهوون منفسح^(٦)
 ولا لقيتم بضراء لكم فرجًا ولا أصبتم بسرائر بكم فرحًا^(٧)

- 111 -

قال يهنىء فخر الملك بالمهرجان^(٨) الواقع في شهر ربيع الأول سنة ٤٠٣ : [من الطويل]

سل الجزع أين المنزل المتنازع^(٩) وهل سكن غاد من الدار رائح^(١٠)
 وقد كنت قبل البين أكتتم الهوى فباح به دمع من العين سافح^(١١)
 يجود وإن أزرى وأنب ناصح^(١٢) ويهمي وإن أغرى وألب كاشح^(١٣)
 ألا إن يومًا نلت فيه مني الهوى برغم العدى يوم لعمرك صالح^(١٤)
 ولما تلاقينا بشغب مغمس^(١٥) على شرف فيه الوكور الجوارح^(١٦)

(١) المعنى: لأن أسواءكم كثيرة، ولو أردت أن أردّها عليكم لنبحث مثل كلب الحي لكثرتها.

(٢) المفردات: الأنواء: مساقط النجوم المشعة بسقوط المطر. نشح: شرب.

(٣) المفردات: العطن: مبرك الجمل عند الماء.

المعنى: ولن يكون لكم مجال أو إقامة ممكنة حولنا على ما ترغبون.

(٤) المعنى: وأدعو إلى الله كذلك ألا يخلصكم من ضرركم ولا يحقق لكم سرورًا.

(٥) المهرجان: من أهم أعياد الفرس. وهو عيد الخريف يبدأ في ٢٢ أيلول.

(٦) المفردات: المتنازع: البعيد. الجزع من الوادي: محلة القوم.

المعنى: أسأل طرف الوادي عن منزلهم البعيد، وهل ساكنه الذي مشى صباحًا سيتابع سيره ليلاً؟

(٧) المعنى: قبل أن يرحل ساكن الدار ما كنت أبوح بحبي، والآن فضحني دمعي المنسكب وكشف أمري.

(٨) المفردات: أزرى: عاب. أنب: لام. ألب: جمع. الكاشح: العدو.

المعنى: يهمع دمعي ولو لآمني ناصحي، ويهطل بسعادة مع محبوبي غصبًا عن الأعداء.

(٩) المعنى: أقسم لك إنني حظيت ذات يوم بسعادة مع محبوبي غصبًا عن الأعداء.

(١٠) المفردات: الشعب المغمس: موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة لهدم الكعبة.

الشرف: المكان العالي. الوكور: الطيور الراجعة إلى وكرها.

خَلَطْنَا نُفُوسًا بِالنُّفُوسِ صَبَابَةً
 وَلَيْلَةً أَضَلَلْنَا الطَّرِيقَ إِلَيْكُمْ
 وَإِلَّا سَقِيطُ الدَّرُّ زَعَزَعَ سِلْكَهُ
 فَإِنْ لَمْ يُشَافِهْنَا بِكُمْ أَبْطَحُ الْجَمَى
 وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمَسَارْحُ مُلْتَقَى
 يَضِئُونَ بِالْجَدْوَى عَلَيَّ وَإِنِّي
 وَمَنْ قَبْلُ شَاقَتْنِي وَنَحْنُ عَلَى مَنَى
 يَتَخَنَ وَلَمْ يُضْمِرَنَّ شَجْوًا وَإِنَّمَا
 فَلَلَهُ يَوْمُ الْحُزْنِ حِينَ تَطَلَّعَتْ
 شَبَبْنَ الْهَوَى فِينَا وَهَنَّ سَوَالِمُ
 وَضَاقَ اعْتِنَاقُ بَيْنَنَا وَتَصَافَحُ^(١)
 فَلَمْ يَهْدِ إِلَّا الْعَنْبَرُ الْمُتَفَاوَحُ^(٢)
 غُصُونُ تُشْنِيهَا الرِّيحُ النَّوَافِحُ^(٣)
 فَلَا سُقَيْتَ مَاءَ السَّحَابِ الْأَبَاطِحُ^(٤)
 لِأَهْلِ الْهَوَى فَلَا عَمِزْنَ الْمَسَارِحُ^(٥)
 لِأَمْنَحُهُمْ مِنْ خَيْرِ مَا أَنَا مَائِحُ^(٦)
 حَمَائِمُ مِنْ فَرْعِ الْأَرَاكِ صَوَادِحُ^(٧)
 شَجَاً وَاشْتِيَاقًا مَا تَنُوحُ النَّوَائِحُ^(٨)
 لَنَا مِنْ نَوَاحِيهِ الْعَيُونُ الْمَلَائِحُ^(٩)
 وَغَادَرْنَا مَرْضَى، وَهَنَّ صَحَائِحُ^(١٠)

=المعنى: حين جمعنا الشعب في رأس التل، حيث أعشاش الطيور الجارحة،

(١) المعنى: امتزجت نفوسنا عشقًا وتلاحم جسدانا اعتناقًا. . وتصافحنا حبًا.

(٢) المعنى: وأذكر ليلة ضل الطريق بنا نحوكم، فدلنا عنبرك الذي كان يغطي المكان، ولولاه لما اهتدينا إليكم.

(٣) المعنى: وساعدنا على الوصول إليكم كذلك حبات الدر التي تناثرت من سلكها من كثرة تمايل جسدك الريان من هبات الريح.

(٤) المفردات: المشافهة: المخاطبة والمدانة. الأبطح: مسيل واسع فيه رمل وحصى.

المعنى: وإن لم يُدنا منكم مسيل الديار فلا سقيت البلاد بالأمطار.

(٥) المعنى: وإن لم تكن تلك السهول ملاذ العشاق فلا عمرها الله.

(٦) المفردات: الجدوى: العطاء. المائح: من يستقي الماء مغترفًا.

المعنى: ييخلون عليّ بالعطاء مع أنني أغترف لهم أفضل ما عندي.

(٧) المفردات: شاقنتني: بعثت فيّ الشوق. الأراك: شجر تتخذ من عيدانه المساويك.

المعنى: حينما كنت على منى ذات يوم بعثت إلي حمامات صدّاحة من على أغصان شجرة الأراك أشواقها.

(٨) المعنى: كانت هذه الحمامات تبكي من غير أن تضرر الحزن، أما الحزن والشوق فهو الذي تبكيه النائحات.

(٩) المعنى: وما آلمه ذلك اليوم المؤلم الذي نظرت إلينا فيه العيون الجميلة.

(١٠) المعنى: فأثارت هذه العيون نيران الحب مع أنها سليمة من دائه، وتحولت أنظارهن عنا سليمان ونحن مرضى الهوى.

أَمِنْ بَعْدِ أَنْ دُسْتُ الثَّرِيًّا بِأَخْمَصِي وَطَاطَأَ عَنِّي الْأَبْلُخُ الْمَتَطَامِحُ؟^(١)
تَرُومِينَ أَنْ أَغْنَى بَدَارِ دَنَاءَةٍ وَلِي عَنْ مَقَامِ الْأَدْنِيَاءِ مَنَادِحُ؟^(٢)
وَقَدْ عَلِمْتُ أَحْيَاءُ فَهْرٍ بِنِ مَالِكٍ بَأْنِي عَنْ تِلْكَ الْعَضَائِهِ نَارِخُ^(٣)
وَأَنِّي لَا أَدْنُو مِنَ الرَّيْبَةِ الَّتِي تَسَامَحُ فِيهَا نَفْسُهُ مَنْ تَسَامَحُ^(٤)
وَأَنِّي لَا أَرْضَى بِتَعْرِضٍ مَعْشَرٍ يُدْعِدُغُ عِرْضِي قَوْلُهُ وَهُوَ مَارِخُ^(٥)
يَحْزُ فَلََا يَدْرِي لِمَنْ هُوَ جَارِحُ وَيَقْدَحُ لَا يَدْرِي بِمَا هُوَ قَادِحُ^(٦)
وَمَا غَرَّنِي مِنْ مَوْضٍ فِي مِدْحَةٍ وَمَا غَرَّتِ الْأَقْوَامَ إِلَّا الْمَدَائِحُ^(٧)
وَلَوْلَا فَخَارُ الْمَلِكِ مَا كُنْتُ ثَاوِيَا وَرَخَلِي عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ بَارِخُ^(٨)
وَلَا طَالَعَا إِلَّا مُخَارِمَ لَمْ يَكُنْ لِيَطْلَعَهَا إِلَّا الشَّجَاعُ الْمُشَايِخُ^(٩)
وَقَلَقَلَهَا رُكْبَانُهَا نَحْوَ بَابِهِ كَمَا طَاخَ مِنْ أَعْلَامِ نَهْلَانٍ طَائِحُ^(١٠)
إِذَا مَا بَلَغْنَاهُ فَقُلْ لِمَطِيْنَا: حَرَامٌ عَلَى أَخْفَاكِئِنَّ الصَّحَاصِيْحُ^(١١)

- (١) المفردات: أخمص القدم: أسفلها. الأبلخ: المتكبر.
المعنى: يا حبيبتى بعد أن فقت كوكب الثريا ووطنته بقدمي، وانحنى أمامي المتكبر الطامع؟
(٢) المفردات: المنادح: مفردها المندوحة، وهي السعة.
المعنى: تطلبين مني أن أثري ولو على حساب كرامتي، وتعلمين أنني أترفع عن ديار الأدنياء؟
(٣) المفردات: العضائه: مفردها العضيهة، وهي البهتان. النازح: الراحل البعيد.
المعنى: وقد علمت قبائل بني فهر بأنني أعلى مقامًا من هذه الأكاذيب.
(٤) المعنى: وبأنني أبتعد عن مواضع الشبهات التي يرتضيها من تقبل نفسه.
(٥) المعنى: وبأنني أرفض من يتعرض لعرضي وإن كان مازحًا.
(٦) المعنى: وهو بمزاحه يجرح ولكن عن غير قصد، ويعيب ولا يدري ماذا يفعل.
(٧) المفردات: أومض الرجل: أشار إشارة خفية رمزًا أو غمزًا، فهو مومض.
المعنى: ولم تجذبني مدحة بإشارة، ولم يغرّ الناس إلا بالمدائح.
(٨) المفردات: البارح: المقيم، ومثلها الثاوي.
المعنى: ولولا فخر الملك لما بقيت، ولا ظلت أحمالي على ظهر الناقة.
(٩) المفردات: المخارم: الطرق في الجبال. المشايخ: المقاتل الشديد.
المعنى: ولولا لما سلكت الطرق الجبلية التي لا يرقاها إلا الأبطال الصناديد.
(١٠) المفردات: نهلان: اسم جبل. قلقل الشيء: حركه. طاخ: هلك وتاه.
المعنى: ولما وجه الركبان نوقهم نحوه كما تاه سادة من سادات جبل نهلان.
(١١) المفردات: الصحاصح: مفردها الصحصاح، وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد. =

أَنْخَنَ بَمَنْ لَا نَبْتَغِي بَدَلًا بِهِ فَمَا ضَرُّ شَيْئًا أَنْكُنَّ طَلَائِحُ^(١)
 بَحِثُ الْجَفَانُ الْغُرُّ تُفْهَقُ لِلْقَرَى مِلَاءٌ وَمِيزَانُ الْعَطِيَّةِ رَاجِحُ^(٢)
 إِلَى مَلِكٍ لَا يَأْلَفُ الْهَزْلَ جِدُّهُ وَلَا تُضْمَرُ الْفَحْشَاءُ مِنْهُ الْجَوَانِحُ^(٣)
 وَقُورٌ وَأَحْلَامُ الْأَنَامِ طَوَائِشُ وَيُبْدِي ابْتِسَامًا وَالْوَجُوهُ كَوَالِحُ^(٤)
 سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا لَنَا فِي ظِلَالِهِ فَهَنْ لَأَظْلَامِ الزَّمَانِ مَصَابِحُ^(٥)
 لِيَالِي تَنْهَلُ الْأَمَانِي حُقْلًا عَلَيْنَا كَمَا انْهَلَتْ غَيُومٌ طَوَافِحُ^(٦)
 وَلَمَّا تَنَاهَبْنَا الثَّنَاءَ بِفَضْلِهِ وَجَاشَتْ بِمَا تُؤَلِي يَدَاهُ الْقَرَائِحُ^(٧)
 ثَنَاءً كَنَشْرِ الْمُنْدَلِيِّ تَعَبَّقَتْ بِهِ فِي ابْتِلَاجِ الصُّبْحِ هَوَجٌ بَوَارِحُ^(٨)
 تَقَاصَرَ عَنْ عَلِيَاءٍ مَجْدِكَ قَائِلُ وَقَصَرَ عَنْ إِيَابِ حَقِّكَ مَادِحُ^(٩)

=المعنى: وبعد أن وصلنا دياره طلبنا من مطيئا التوقف، خوفاً على أخفافها من السير في المفاوز.

- (١) المفردات: الطلائح: مفردا الطليحة، وهي الناقة المهزولة المجعدة.
المعنى: وأمرناها بأن تتوقف وتستريح فليس بعد بابها مطلب، ولا يهم إن كتن منهنكات من السفر، فوجودكن في دياره خير كبير.
- (٢) المفردات: الغر: مفردا الغراء، وهي البيضاء. تفهق (مبني للمجهول): تملأ.
المعنى: وعنده الأطباق الناصعة تملأ كرمًا، وميزان سخائه فائض.
- (٣) المفردات: الجوانح: الأعضاء.
المعنى: قاصد ملكا ليس لجده هزل، ولا تنطوي نفسه على الأذى.
- (٤) المفردات: الكوالح: مفردا الكالح، وهو العابس المغضب.
المعنى: وهو متزن والناس خفيفة الحلوم، ويستقبلهم بالبشر ووجوه الآخرين عابسة.
- (٥) المعنى: ما ألد تلك الأيام التي عشناها في كنفه، فقد كانت نورًا ساطعًا لما سلف من زمان عابس.
- (٦) المفردات: الحقل: الممتلئات.
المعنى: تلك الأيام التي كانت الآمال تتوافد عليّ مزدحمة كما تهطل الأمطار الغزيرة.
- (٧) المعنى: وحين أشدنا بخصاله السخية وطفحت يداه الممتلئة بكرمه.
- (٨) المفردات: المندلي: عود البخور. تعبقت: انتشرت.
المعنى: كان ثناؤه ينضح بأطيب العبير الذي ترسله الريح عند أول الصباح.
- (٩) المعنى: ومقامك أسمى من هذا الثناء ويعجز عن أداء حقك أي مَادِح.

وَمَنْ كَتَمَ التُّغْمَىٰ عَنِ النَّاسِ رَاجِيًا ۖ تَنَاسِيَهَا نَمَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاحُ^(١)
وقد عَلِمُوا، لَمَّا عَرَا الْمَلِكُ دَاوُدَ ۖ
بَأَنَّكَ عَنْ سَاحَاتِهِ الدَّاءَ طَارِدٌ
وَمَا شَعَرُوا حَتَّىٰ صَبَخَتْ دِيَارُهُمْ
وَجُرِدَ تَهَاوَىٰ كَالْقِدَاحِ أَجَالُهَا
فَمَا رِمَتْ حَتَّىٰ الطَّيْرُ تَعْتَرِقُ الطَّلَىٰ
وَكَمْ لَكَ مِنْ يَوْمٍ لَهَ أَنْتَ حَاقِرٌ
أَتَيْتَ بِهِ عَفْوًا مِرَارًا وَلَمْ يَطْرُ
وَمَا أَنَا إِلَّا مَنْ مَدَدَتْ بِضْبِعِهِ
إِلَىٰ حَيْثُ لَا تَرْنُو الْعَيُونُ الطَّوَامِحُ^(٩)

(١) المفردات: تناسيها: مفعول به لاسم الفاعل راجيًا. المنائح: مفردها المنيحة وهي الناقة تقرضها ليتنفع بلبتها.

المعنى: ومن حاول أن يغمط الناس نعماءهم أملًا في أن ينسوها كشفها ما تناقله الناس.
(٢) المعنى: وقد أدرك الوري أن الداء الذي أصاب إدارة البلاد، وليس من وسيلة له شافية،
(٣) المفردات: الأكتاد: مفردها الكتد، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

المعنى: أدركوا أنك الوحيد الذي يطرد ما يعتريه من أدواء، وأنت القادر على إزاحة الأثقال عن كاهله.

(٤) المعنى: ولم يحسوا إلا وقد داهمتهم صباحًا بجيوش مجتمعة تعج فيها الرماح والسيوف.
(٥) المفردات: القداح: السهام. الجرد: الخيل لا شعر لها؛ صفة تدل على القوة.
المعنى: وهم يركبون خيلًا قوية ترتمي في الحرب كما تُرمى قداح الميسر قد حركها امرؤ يبحث عن الغلبة والنصر.

(٦) المفردات: رمت: برحت. الطلى: الرقاب، مفردها الطلية. تعترق: تنقي اللحم من العظم.
المعنى: وما هي إلا وهلة حتى حطت الطيور الجارحة تلتهم الرقاب، وحتى نضحت الأرض بدمائهم.

(٧) المفردات: حافر: مستصفر.

المعنى: لقد استصفرت ذلك اليوم، وكان يمكنك أن تنجح لو طلبت النجاح.

(٨) المفردات: لم يطر: لم يلم به، ومضارعه يطور. الكادح: الساعي.

المعنى: قدمت في هذا اليوم من غير عمد عدة مرات ولم يستطع أحد أن يبلغه رغم سعيه.

(٩) المفردات: الضبع: الإبط. رنا: أدام النظر.

المعنى: وأنا الذي مددت العون إليه وسندته إلى مكان رفيع لا يبلغه طامح.

أرواح وأغدو كلَّ يومٍ وليلةٍ وظَهري من أعباءِ سَنِيكَ دالِحٌ^(١)
 أنساكَ تُدنيني إلى الجانِبِ الَّذِي نَصِيبِي فِيهِ مِنْ عَطَائِكَ رابِحٌ؟^(٢)
 وتوسَّعُ لي في مشهَدِ القومِ مَوْضِعًا تضيقُ بهِ مِنْهُمْ صُدُورُ فِساخٍ^(٣)
 فما أنا إِلَّا في رِياضِكَ راتِعٌ ولا أنا إِلَّا مِنْ زنادِكَ قادِحٌ^(٤)
 هَنِيئًا بيومِ المِهْرَجانِ فَإِنَّهُ وكلُّ زمانٍ نَحْوَ فخرِكَ طامِحٌ^(٥)
 تَعِزُّ بِكَ الأَيَّامُ وَهِيَ ذَلِيلَةٌ وتَسْخو اللَّيالي مِنْكَ وَهِيَ شَحائِحٌ^(٦)
 فهذا أوانٌ مِيسَمُ اليُمْنِ بَيِّنٌ عَلَيْهِ وَعُنوانُ السَّعَادَةِ لائِحٌ^(٧)
 ولا زِلْتَ تَسْتَقْري الزَّمانَ وأهلَهُ لَكَ الخَلْدُ فِيهِ والمَدَى المُتَطاوِحُ^(٨)

- 112 -

وقال في الغزل: [من الكامل]

يا قلبُ قل لي: أينَ صادفَكَ الهوى أم كيفَ عَنَّ لَكَ الغزالُ السَّانِحُ؟^(٩)

(١) المفردات: السيب: العطاء. الدالح: المثقل.

المعنى: وأكثر من زياراتي إليك، وفي كل مرة تحمّلني عطاء أعجز عن حمله.

(٢) المعنى: وكيف أنسى فضلك وأنت تقربني من جانبك الرابع؟

(٣) المعنى: وتقدم مقامي في الجلوس على ملأ من الناس، وتفسح لي ما تضيق به صدور غيرك الواسعة.

(٤) المعنى: فأحسّ بأني أمرح في أرباضك وأقدح بزنادك.

(٥) المعنى: أهنئك بعيد المهرجان الذي يفخر بك هو وسائر الأيام.

(٦) المعنى: مهما كانت الأيام مزعجة فإنها تمنحنا الفخار بوجودك، ويتكرم الزمان علينا مع أنه ضنين.

(٧) المعنى: فنحن في زمان حلت علينا فيه البركة وشاعت مساعدتك لنا.

(٨) المفردات: تستقري: تستقصي. المتطاوح: الممتد.

المعنى: وتبقى متابعًا لهذا الزمان وللناس وهبك الله السعادة الأبدية والأيام المديدة.

(٩) المفردات: عن: عرض. السانح: الذي يأتيك من جانب اليمين، والعرب تتيمن به.

المعنى: أخبرك أيها القلب في أي مكان لقيك الحب، أو كيف عرض لك الغزال القادم من اليمين؟ وهذا يمن لك.

كَيْفَ أَطْبَاكَ إِلَى الْهَوَى غَمْرٌ بِهِ سَكْرُ الصُّبَا جَذَعًا وَأَنْتَ الْقَارْحُ؟^(١)
 إِنَّ الَّذِينَ عَلَى مَنَى عُلِقَتْهُمْ رَاخُوا وَكَمْ أَرَدَى الْمَقِيمَ الرَّائِحُ^(٢)
 مَا ضَرَّهُمْ طَرَحُوا الْحُدُوجَ، وَإِنَّمَا أَحْدَاجُهُمْ مُهَجَّ لَنَا وَجَوَانِحُ^(٣)
 وَتَكَلَّفُوا ذَبَحَ الْهَدْيِ وَإِنَّمَا أَلْحَظْهُمْ لَنَا هُنَاكَ ذَوَابِحُ^(٤)

- 113 -

وقال في أبي سعد بن عبد الرحيم، وقد عادَ إلى الوزارة^(٥): [من مجزوء الكامل]

مَنْ رَأَى الْأَظْعَانَ فَوْقَ الْبَيْدِ مِنْ بَعْدِ تَلُوحٍ؟^(٦)
 كَسَفَيْنِ عَصْفَتْ فِي هِنٍّ لِلنُّكْبَاءِ رِيحُ^(٧)
 أَوْ غَمَامٍ هُوَ بِالْمَا ءِ الَّذِي فِيهِ دَلُوحُ^(٨)

(١) المفردات: أطباك: دعاك. الغمر (مثلثة الغين): الجاهل غير المجرب. الجذع من الإبل: صفارها. القارح: الذي خرج نابه.

المعنى: وكيف دعاك جاهل في الحب إلى الحب، يمرح في عز الشباب وأنت في هذه السن؟
 (٢) المعنى: هؤلاء الذين يقيمون على منى ووقعَت في هواهم، رحلوا. وكثيرًا ما يقتل الراحل المقيم.

(٣) المفردات: الحدودج: الهودج.

المعنى: ولماذا لا يدعون هودجهم، وقلوبنا وضلوعنا هودج لهم؟

(٤) المفردات: الهدى: النوق الأضاحي.

المعنى: وعذبوا أنفسهم بذبح الأضاحي عند منى، وعيونهم تذبذب ذبح السكين.

(٥) هو عميد الدولة محمد بن أبي القاسم، كان جده من عمال عضد الدولة. وأبو سعد غدا وزير جلال الدولة. توفي سنة ٤٣٩هـ.

(٦) المفردات: الأظعان: مفردها الظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج. البيد: مفردها البيداء، وهي الفلاة.

المعنى: ترى من رأى الهودج تحمل الصبايا وهي تعبر البيداء من بعيد؟

(٧) المفردات: النكباء: ريح تهب منحرفة عن مهاب الريح.

المعنى: وهي تسرع في سيرها مثل سفينة عصفت بها رياح هوجاء.

(٨) المفردات: الدلوح: المثقل.

المعنى: أو هي في عبورها أشبه بالغيوم المثقلة بالمطار.

أَوْ رِئَالٍ رَاتِكَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ طَلِيحٌ^(١)
 رُخْنٌ بِالرُّغْمِ مِنَ الْأَنْدِ فِ وَمَا إِنْ قَلْتُ: رَوْحُوا^(٢)
 فَفَوَادِي بَعْدَ أَنْ بِنَ نَ كَمَا شِئْنَنَ قَرِيحٌ^(٣)
 وَغَبُوقِي دَمْعُ عَيْنِي يَ هَتُونَا وَالصَّبُوحُ^(٤)
 وَثَنَايَا بَيْنَهُنَّ الـ خَمْرُ وَالْمَسْكُ يَفُوحُ^(٥)
 وَمَلِيحُ الْعِطْفِ لَوْ كَا نَ لَهُ عَطْفٌ مَلِيحٌ^(٦)
 أَيُّ شَيْءٍ ضَرَّ وَالْحَا دِي بِمَا يَخْشَى صَدُوحُ؟^(٧)
 مِنْ سَلَامٍ لَمْ يَكُنْ بِالسُّدِّ سِرٌّ مِنْ وَجْدٍ يَبُوحُ؟^(٨)
 إِنَّ مَنْ شَحَّ عَنِ الصَّدِّ يَانَ بِالْمَاءِ شَحِيحٌ^(٩)
 وَلَقَدْ هَاجَ اشْتِيَاقِي نَوْحٌ قُمْرِيٌّ يَنْوَحُ^(١٠)
 غَرْدٌ مَسْكَنُهُ الطُّبُّ بَاقٌ أَوْ لَا فَالطُّلُوحُ^(١١)

(١) المفردات: الرئال مفردها الرأل، وهو فرخ النعام. الراتكات: المسرعات. الطليح:

الجميل الهزيل من كثرة السير.

المعنى: أو كأنها فراخ النعام المسرعة التي لا تعرف التعب.

(٢) وقد رحلن غصبًا عني، ولم أطلب منهن الرحيل.

(٣) المعنى: وغدا قلبي جريحًا بعد أن رحلن.

(٤) المفردات: الغبوق: الشرب بالعشي. الصبوح: الشرب الغداة.

المعنى: وانسابت عيوني، فغدا شرابي دموعي صباحًا ومساءً.

(٥) المعنى: ولهن أسنان تقطر الخمرة منها ويفوح العطر المسكي.

(٦) المفردات: العطف: الجانب.

المعنى: وهذا الحبيب المليح أتمنى لو يعطف علي.

(٧) المعنى: ما ضره لو أنه، حين كان الحادي يشدو ويحث النوق على الرحيل.

(٨) المعنى: من أن يلقي السلام علينا سرًا، فلا ينكشف حبنا؟

(٩) المعنى: ذلك أن ضنَّ بالماء على العطش بخيل.

(١٠) المعنى: والذي زاد هيامي نوح القمري على أليفه.

(١١) المفردات: الطباق: شجر منابته جبال مكة. الطلوح: شجر عظيم، وقيل هو شجر

الموز، ومفرده الطلح.

المعنى: وهذا القمري يُحسن التغريد، وعشه بين أشجار الطباق والطلح.

أَيُّهَا الدَّانِي إِلَيْنَا لَا يَكُنْ مِنْكَ التُّزُوحُ^(١)
نَحْنُ أَجْسَادُ وَأَنْتَ الذِّ^(٢) ذَهَرَ فِي الْأَجْسَادِ رُوحُ^(٣)
وَبِحَرْبٍ ثُمَّ فِي جَدِّ^(٤) بِ جَنُوحٍ وَمَنْوُوحُ^(٥)
وَإِذَا لَمْ يَنْفَحِ الْقَوُ^(٦) مُ فَيُمنَاكَ التَّنْفُوحُ^(٧)
وَإِذَا الْجُرْمُ بِذِي الْجِلْدِ^(٨) م هَفَا أَنْتَ الصَّفْوَوحُ^(٩)
إِنْ شَكَّكُمْ مِنْهُ فِي النَّجْدِ^(١٠) دَّةٌ وَالشُّكُّ فُضُوحُ^(١١)
فَانْظُرُوهُ فِي الْوَعْيِ يَخُ^(١٢) جِلُّهُ الطَّرْفُ السَّبُوحُ^(١٣)
وَالْقَنَا يَوْلُغُ مِنْ نَحْ^(١٤) رٍ نَجِيْعًا وَالصَّفِيْحُ^(١٥)
حَيْثُ لَا يُطَوِّى عَلَى الْمَيْدِ^(١٦) تٍ مِنْ الْأَرْضِ ضَرِيْحُ^(١٧)
لَيْسَ إِلَّا نَاطِحٌ بِأَلْ^(١٨) طَعْنٍ قَغْصًا أَوْ نَطِيْحُ^(١٩)
وَرَكُوبٌ حَظُّهُ طَفُ^(٢٠) نُ الْكُلَى فَهُوَ طَرِيْحُ^(٢١)

(١) المعنى: يا قريئاً منا لا ترحل عنا.

(٢) المعنى: إن كنا أجساداً فأنت روح هذه الأجساد.

(٣) المفردات: الجنوح: العاطف والمائل. المنوح: المعطي.

المعنى: وأنت عطوف وهوب في الحرب وفي المحل.

(٤) المعنى: وإذا ضن الناس فيذك اليمنى هي المانحة.

(٥) المفردات: هفا: أسرع.

المعنى: إذا أسرع الجرم بالعاقل ووقع فيه عفوت عنه وصفحته.

(٦) المعنى: إن اعتراكم الشك في نجدته، والشك فضيحة.

(٧) المفردات: الطرف: الكريم من الخيل.

المعنى: فما عليكم إلا أن تراقبوه في ساحة الحرب وهو ممتط جواداً أصيلاً.

(٨) المفردات: النجيع: الدم. الصفيح: السيف. يولغ: يشرب بطرف لسانه.

المعنى: ورأيتكم رمحه وسيفه يلعبان الدم من رقاب الأعداء.

(٩) المعنى: ولن تجد هناك قبراً لميت.

(١٠) المفردات: القعص: الموت في مكان الأصابة.

المعنى: لن تجد هناك سوى المطعون الميت في مكانه أو المنطوح.

(١١) المعنى: أو ترى من جاء حظه الطعن في كليته، فانطرح.

وَكُرُورٌ وَمُشِيخٌ وَفَرُورٌ وَمُليحٌ^(١)
 وَمَضَى الْبَيْنُ فَلَا عَا دَ بِعَاذَ وَنُزُوحٌ^(٢)
 فَقَلُوبٌ حَرِجَاتٌ هُنَّ فِي ذَا الْيَوْمِ فَيَحُ^(٣)
 قَدْ رَأَتْ مَا كَانَ يَرْجُو بَعْضَهُ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ^(٤)
 وَرَأَيْنَا ثَمَرَ الْحُسْنِ نَى وَمَا يَجْنِي الْقَبِيحُ^(٥)
 وَمَضَى الصَّغْبُ وَلَمْ يَبْ قَ لَنَا إِلَّا السَّمِيحُ^(٦)
 وَانْقَضَى الضُّيُوقُ وَوَاثَا نَا مِنْ الْعَيْشِ الْفَسِيحُ^(٧)
 قُلْ لِمَنْ كَانَ جَرِيحًا: دَمِلَتْ تِلْكَ الْجُرُوحُ^(٨)
 لَيْسَ إِلَّا أَمَلٌ قَدْ نِيلَ أَوْ بِيْعَ رَبِيحُ^(٩)
 وَلَنَا فِي الْأَمْنِ بِالْذُّو وَ سُرُوبٌ وَسُورُوحٌ^(١٠)
 وَخُيُولٌ نَحْوَ مَا تَهْ وَى مِنْ الْأَمْرِ جُنُوحٌ^(١١)
 وَقَلُوبٌ سَاكِنَاتٌ وَجَنَانٌ مُسْتَرِيحٌ^(١٢)

- (١) المفردات: المُشِيخ: البطل المقدم المانع لما وراء ظهره. المليح: الملوّح بالسيف في يده.
 المعنى: أو ترى من يكرّ، ومن يفر، ومن يهاجم ويتقدم، ومن يلوح بسيفه.
 (٢) المعنى: وانتهى الفراق.. فلن تجد ابتعادًا ولا قدومًا.
 (٣) المفردات: الفيح: مفردها أفّيح، وهو الواسع.
 المعنى: فالقلوب مضطربة واسعة في هذا اليوم.
 (٤) المعنى: ولقد رأت العيون ما كانت تتمنى.
 (٥) المعنى: وبدت لنا نتائج الأعمال الحسنة، والأعمال القبيحة.
 (٦) المعنى: وزالت الصعاب من أمامنا وظل كل شيء سهلًا وسمحًا.
 (٧) المعنى: وانقضت المكاره، وجاءنا العيش الهنيء.
 (٨) المعنى: أدعو لمن جرح بأن جراحه تماثلت للشفاء.
 (٩) ولم يبق لنا سوى ما ظفرناه من الأمل، وما رُبِحَ بيعه.
 (١٠) المفردات: الذُّو: البرّية. السُّروب: المواشي، ومثلها السُّروح.
 المعنى: وضمنّا الأمان بالبراري لمواشينا.
 (١١) المفردات: الجنوح: الخضوع.
 المعنى: كما ضمنّا لخيّلنا الحرية والراحة.
 (١٢) المفردات: الجنان: القلب.

- ولنا الأعوادُ ما فيها وُصومٌ وجُروحٌ^(١)
والجلودُ المُلسُ ما فيها قُروفٌ وقُروحٌ^(٢)
فاقبلِ الثَّوبَةَ مِن دَهْرٍ خَلا مِنْهُ قَبِيحٌ^(٣)
غَشٌّ حِينًا وَهُوَ الْآ نَ بِمَا نَهَوَى نَصُوحٌ^(٤)
بِاسْمٍ طَلَّقَ وَكَمْ بَا نَ لَنَا مِنْهُ الْكُلُوحُ^(٥)
إِنَّمَا الْجَدُّ لِمَنْ نَا لَ الْمَدَى وَهُوَ مُرِيحٌ^(٦)
سَوْفَ تَأْتِيكَ كَمَا تَهَى وَى فُروخٌ وُفْتُوحٌ^(٧)
وسعودٌ ما محاهُنْ نَ دُرُوسٌ ومُصُوحٌ^(٨)
ولِما أَجْمَلْتُ تَفْصِيحٌ لَ طَوِيلٌ وشُروحٌ^(٩)
فخِذِ التَّغْرِیضَ حَتَّى يَأْتِيَ الْقَوْلُ الصَّريحُ^(١٠)
وَإِذَا عَنَّ اتِّقَاءَ عَيِّ بِالْقَوْلِ الْفَصِيحُ^(١١)

=المعنى: وكما ضمنا لقلوبنا السكن والاستراحة.

(١) المفردات: الوصوم: العيوب.

المعنى: لنا المناصب من غير عيوب أو جروح.

(٢) المفردات: القروف: مفردها القِرْفَة، وهي القشرة اليابسة فوق الجرح.

المعنى: ولنا الجلود الناعمة من غير عيب.

(٣) المعنى: فهذا هو الدهر ينتظر منك أن تقبل توبته خاليًا من كل عيب.

(٤) المعنى: يعترف بخطئه على غشه سابقًا، وقد تاب وها هو ذا بين يديك نقي.

(٥) المفردات: الكلوح: العبوس والقطوب.

المعنى: وتراه أمامك مبتسمًا طلق المحيا بعد أن كان ينزل علينا غضباته.

(٦) المفردات: الجد: الحظ. المدى: الغاية.

المعنى: والحظ الحسن لمن ربح الغاية القصوى وهي مسعدٌ لمن حوله.

(٧) المعنى: ويتنبأ المرتضى للوزير أبي سعد بالنصر والفتح وانفراج المصائب على ما يصبو إليه.

(٨) المفردات: الدروس والمصوح: عفاء الأثر.

المعنى: وحظوظ سعيدة لا تزول ولا تمحى.

(٩) المعنى: وما ذكرته موجز يحتاج إلى إطالة وشرح.

(١٠) المعنى: فاكتف الآن بما ذكرت وستسمح فيما بعد العرض الصريح المسهب.

(١١) المفردات: عَنَّ: عرض.

لا تزل في نَعَم تَغْدُو عليها وتروخ^(١)
 ونأى عن مَشْيٍ عِزُّ لَكَ أَيْنُ ورزوخ^(٢)
 وعِراضُ لك لا أَفْ وَينَ من خِصْبٍ وسوخ^(٣)
 وليطخ عنك الذي لم ترضه فيما يطبخ^(٤)
 فالفتى من كان مجداً قاصراً عنه المديح^(٥)

- 114 -

وقال يتشوق إلى الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم: [من الكامل]
 خلّ المدامع في المنازل تسفح والقلب من ذكر الأحيّة يفرخ^(٦)
 ما كان عندي أنّ غزلان النقا لسواد طرفي يوم رامة تسنخ^(٧)
 لما مرزّن بنا خطفن قلوبنا وقلوبهنّ مقيمة لا تبرخ^(٨)
 والدار من بعد الشواغف إنّما هي للجوى والحزن مغنى مطرخ^(٩)

=المعنى: وإذا عرض لي ما يمنعني من الاسترسال فلأنني أكون عيت عن التصريح.

(١) المعنى: يدعو له بدوام النعم المتلاحقة.

(٢) المفردات: الأين: التعب. الرزوخ: الضعف من التعب.

المعنى: ولا اعترض طريق مجدك تعب أو إرهاق.

(٣) المفردات: العراض: مفردها العرصة، وهي الساحة. أقوين: أقفرن. السوح: مفردها الساحة.

المعنى: ووهبك الله دياراً فسيحة وساحات عريضة لا يتوقف فيها الخصب.

(٤) المفردات: طاح: هلك.

المعنى: وليهلك مع من يهلك ممن لا ترضى به.

(٥) المعنى: فالرجل العظيم هو الذي يعاني المديح من تعداد مآثره.

(٦) المعنى: دع الدموع تنسكب في الديار، وليرقص القلب فرحاً حين تذكر أحبته أمامه.

(٧) المفردات: النقا: الكثيب من الرمل. رامة: موضع بالبادية. تسنخ: تعرض وتمر على التفاؤل.

المعنى: ما كنت أظن أن الصبايا البدويات - وشبههن بالغزالات على التلال - سيخطرن يوم التقيتهن برامة.. وقد وفدن من اليمين تفاؤلاً.

(٨) المعنى: وحين مر موكبهن سلبن قلوبنا من غير أن تتأثر قلوبهن.

(٩) المفردات: المعنى: المنزل.

لله زَوْرَ زارنا وقتَ الكرى والليلَ جَوْنَ أديمِه لا يوضَحُ^(١)
 والعيسُ من بعدِ الكلالِ مُناخَةٌ والركبُ فيما بينهنَّ مُطرَحُ^(٢)
 فيما طرقتَ ولیلنا مُستَحِلِكُ لو ما طرقتَ وصُبحنا متوضَحُ^(٣)
 بينا يؤلّفنا أغمُّ مُظلمٌ حتّى يفرّقنا مضيءٌ أجْلَحُ^(٤)
 يا صاحبيّ على الزّمانِ تأمّلاً ما جرّه هذا الزّمانُ الأقبحُ^(٥)
 في كلِّ يومٍ لي خليطٌ يَنْتَي عني ودارٌ بالمسرةِ تَنْزَحُ^(٦)
 وهمومٌ صدرٍ كلّما دافعتها آلت طوالَ الدّهرِ لا تَنْزَحُ^(٧)
 لا أستطيعُ لها الشّكايةَ خيفةً والهَمُّ لا يُشكى لقلبِكَ أْجْرَحُ^(٨)
 وإذا طلبتُ لي الأخاءَ فليس لي من بينهم إلا السّؤُولُ الأرسَحُ^(٩)

=المعنى: وغدت دورنا بعد مرورهن محطة للأحزان وحرقة للنفوس.

- (١) المفردات: الزور: الزائر. الكرى: النوم. الجون: الأسود (ضد). الأديم: الجلد. المعنى: لقد أسعدني زائر ضيف وقد علي حين الناس نيام والليل مظلم لا يكشف عن القادمين.
- (٢) المعنى: وكانت الإبل قد بركت بعد تعب، وكان من بين المسافرين من طرحهن الهوى.
- (٣) المفردات: مستحكك: مظلم. طرقت: أتيت ليلاً. المتوضح (اسم فاعل): المبيض المضيء. المعنى: عندما زرتنا أيها الطيف كان ليلاً أسود حالكاً، ولو لم تزرنا كان صبحنا مضيئاً أبيض.
- (٤) المفردات: الأجلح: الأصلح من مقدم رأسه.
- المعنى: فلا يؤلف بيننا ويسهل لقاءنا إلا الليل المظلم، حتى إذا بزغ الفجر وانحسر الظلام عدنا إلى الفراق. . ذلك أن الطيف لا يأتي إلا ليلاً.
- (٥) المعنى: أعيناني يا صديقي على هذا الزمان الجائر. . فانظرا ما فعل بي سوء معاملته؟
- (٦) المفردات: ينتهي: يتبعد. تنزح: تبعد. الخليط: الجار والصاحب. المعنى: إنني أكابد وأتألم، لأنني كلما صاحبت عزيزاً رحل عني، وخلت الدار من المسرات.
- (٧) المفردات: آلت: أقسمت. المعنى: والأحزان تخيم على حياتي وكلما حاولت دفعها استمرت متكالبة لا تنزاح.
- (٨) المعنى: ولا أقدر على بث شكواي منها خوفاً من الفضيحة، والهموم التي لا يمكن البوح بها تجرح القلوب.
- (٩) المفردات: السؤول: الكثير السؤال. الأرسح: الأقبح. المعنى: والمخلصون في هذه الدنيا نادرون، فإذا أردت اختيار واحد رأيت كثير الاستفسارات قبيح المعاملة.

من كلٍّ مشتهرِ العيوبِ وعندهُ
ومجاوِرٍ ما كنتُ يومًا راضيًا
ومعاشِرٍ نَبذوا الجميلَ فما لهم
ومنَ البليَّةِ أنِّي - حُوشِيَتِما -
في كربَةٍ لا تَنجُلي وشديدةٍ
جَمَري تناقلَهُ الأكفُ ولم تجذُ
وإذا عزمْتُ على النِّجاءِ فليسَ ما
قُل للذي يعدو به في مَهَمِّهِ
بَلِّغْ بَلِّغْتَ عميدَنَا وزعيمَنَا
إِنِّي بَبُعدِكَ في بهيمٍ مُظلمٍ
أَنَّ العيونَ لعيبهِ لا تَلْمَحُ^(١)
بجوارهِ ومشاوِرٍ لا يَنْصَحُ^(٢)
إِلَّا بأوديةِ القَبائحِ مَسْرَحُ^(٣)
أَمسي كما يَهوى العدوُّ وأُصْبِحُ^(٤)
لا تَنْقُضي ودُجْنَتُهُ لا تُصْبِحُ^(٥)
لَفَحًا له، وجمارُ غيري تَلْفَحُ^(٦)
أُنْجُو به إِلَّا الطَّلَاحُ الرُّزْحُ^(٧)
طِرْفُ تَخِيرُهُ الفوارسُ أَقْرَحُ^(٨)
ومشرِّفًا دُنْيًا لنا لا يَمْصَحُ^(٩)
لَمَّا عداني مَن به أَسْتَصْبِحُ^(١٠)

- (١) المعنى: ومن الأصحاب من تراه غارقًا في عيوبه ولا يرى عيب نفسه.
(٢) المعنى: ولي جار لم يعجبني تصرفه مطلقًا، ولي صديق إن استشرته لم يقدم لي الرأي الصحيح.
(٣) المعنى: وآخرون رفضوا فعل الخير، وأغرقوا الساحة بقييح أفعالهم.
(٤) المعنى: وإذا استثنيتكما، فإنني - مما يؤلم ويحرق الفؤاد - أحيا ليلي ونهاري قلقًا كما يشتهي العدو.
(٥) المفردات: الدجنة: الظلمة.
المعنى: وإنني غارق في أحزان لا تنقشع، ومصائب لا تنتهي، وظلمة لا تنكشف غمتها.
(٦) المفردات: تناقله: تناقله. لفحت النار وجهه: أحرقت.
المعنى: إن غضبي لا يؤذي وإن وجهته إلى فئات، فما لي أرى غضبهم يؤذي؟
(٧) المفردات: الطلاح: مفرداها الطليح وهو الجمل المتعب. الرُّزْح: المرهقة تعبًا.
المعنى: وإن حاولت التخلص من أدران عيشتي لم أجد إلا وسائل واهية لا تغني.
(٨) المفردات: المهمه: المفازة. الطرف: الكريم من الخيل. الأقرح: الفتى من الإبل، واستعاره للخيال التي لا تجرب.
المعنى: فأخبر من يخطو في الصحارى على جواد عنيد اختاره له الفرسان.
(٩) المفردات: يمصح: يبلى ويزول أثره.
المعنى: أخبز عميدنا ورئيسنا من شرف الدنيا أبدًا، أوصلك إليه بالسلامة.
(١٠) المعنى: بَلِّغْهُ أَنِّي أَحيا في ظلام داس لبعدك عني حين ابتعد عني وجهك الصبوح الذي أَسْتَصْبِحُ به.

إِنَّ طَابَ لِي طَعْمُ الْحَيَاةِ أَمْرُهُ شَوْقٌ إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ مَبْرَحُ^(١)
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ زَمَانَ تَبْغِي كَارَهَا قُرْبِي بِبُعْدِكَ أَنَّنِي لَا أَرْبَحُ^(٢)
 وَأَنَا الَّذِي مِنْ بَعْدِ نَأْيِكَ مُبْعَدٌ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ الْإِرَادَةُ مُنْزَحُ^(٣)
 فِي أَسْرِ أَيْدٍ بِالْأَذَى مَفْتُوحَةٌ لَكِنَّهَا عِنْدَ النَّدَى لَا تُفْتَحُ^(٤)
 وَمُهِوْنٌ عِنْدِي الشَّدَائِدُ أَنَّهَا تَذْنُو الْأَنَامَ وَأَنْتَ عَنْهَا الْأَنْزَحُ^(٥)
 وَإِذَا عَدْتُكَ سَهَامٌ دَهْرٍ تَرْتَمِي فَدَعِ السُّهَامَ لَجِلْدٍ غَيْرِكَ تَجْرَحُ^(٦)
 مَا ضَرَرْنَا وَقُلُوبُنَا مُلْتَفَّةٌ دَوٌّ تَعَرَّضُ بَيْنَنَا أَوْ صَخْصَخُ^(٧)
 فَلَا بُعْدُونَ مَعَ الْمَوْدَةِ حُضْرٌ وَالْأَقْرَبُونَ بِلَا الْمَوْدَةِ نُزْحُ^(٨)
 وَلَقَدْ فَضَحْتَ مَعَاشِرًا لَمْ يَبْلُغُوا شَأْوًا بَلَغْتَ وَفَضْلٌ مِثْلَكَ يَفْضَحُ^(٩)
 وَتَرَكْتَنَا مِنْ بَعْدِ حَقٍّ كَانَ فِي كَفِّكَ نَغْبُقُ بِالْمُحَالِ وَنَضْبَحُ^(١٠)

- (١) المعنى: إن من علي الزمان بلذيد العيش أنقضه وأقض مضجعي شوق جامع نحوك.
- (٢) المعنى: أنا أعلم أنك حاولت مرارًا أن تدعوني إليك رغم أشغالك، لكنني كنت أدرك بحصافتي أنني لن أفوز بشرف اللقاء.
- (٣) المفردات: منزح: مبعد.
- المعنى: وحين بعدت عني أصبحت محروماً من كل ما أتمنى.
- (٤) المعنى: ولقد وقعت بين من يسعى إلى إيذائي ولا يفتح يديه للكرم.
- (٥) المفردات: الأنزح: الأبعد.
- المعنى: والذي يهون المصاعب علي أنها تصيب الناس جميعاً وتستثنيك.
- (٦) المعنى: وإذا وجهت نحوك سهام معادية فلا تتصد لها بل دعها تنصب على غيرك فتجرحه.
- (٧) المفردات: الدو والصخص: المفازة.
- المعنى: لا يهم أن يكون بيننا مسافات بعيدة، المهم أن قلوبنا متألقة متحابّة.
- (٨) المعنى: فأنا بين فئتين؛ فئة بعيدة عني قريبة بمحبتها، وفئة قريبة مني انعدمت منها المحبة.
- (٩) المفردات: الشأو: الغاية.
- المعنى: حاول أناس أن يساموك في علاك فأجهزت عليهم وكشفت مساعيهم، وأنت أهل لذلك.
- (١٠) المفردات: نغبق: نشرب الغبوق وهو شرب المساء. نصبح: نشرب الصبوح، وهو شرب الصباح.
- المعنى: ولقد حُرمتنا من لقاءك وكان من حقنا أن نلتاق صباحاً ومساءً.

وَإِذَا بَنُو عَبْدِ الرَّحِيمِ تَبَوَّءُوا
الْمَسْرِعُونَ إِلَى الصَّرِيحِ فَإِنْ قَضَوْا
لَا أَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُمْ وَلِرَبِّمَا
وَأَنَا الْجَوَادُ فَإِنْ سَأَلْتُ تَحَوُّلاً
قَوْمٌ وَقَوْنِي الشَّرُّ وَهُوَ مُصَمَّمٌ
إِنْ نَاكَرُوا الْأَمْرَ الذَّمِيمَ تَبَاعَدُوا
وَإِذَا دَعَوْتَهُمْ لِنَصْرِكَ مِنْ رَدَى
مِثْلَ الدَّبَا لَفْتَهُ فِينَا زَعَزَعٌ
وَالْبَيْضُ فِي قُلُلِ الْكُمَاةِ غَمُودُهَا
فَعَلَيْكَ مِنِّي غَائِبًا عَنْ مُقْلَتِي

شِغْبًا فَإِنِّي بَيْنَهُمْ لَا أْبْرَحُ^(١)
وَطَرَ الْوَعَى فَهُمْ الْجِبَالُ الرَّجَّحُ^(٢)
فَارَقْتُ مَنْ بَفِرَاقِهِمْ لَا أَسْمَحُ^(٣)
عَنْ قَرِيبِكُمْ فَأَنَا الْبَخِيلُ الشَّخْشُخُ^(٤)
وَكَفَوْنِي الضَّرَاءَ وَهِيَ تُصْرُخُ^(٥)
أَوْ بَاكَرُوا الْمَغْنَى الْكَرِيمَ تَرَوُّحُوا^(٦)
جَاءَتْ إِلَيْكَ بِهِمْ جِيَادٌ قُرْخُ^(٧)
وَالسَّيْلُ ضَاقَ بِهِ عَلَيْنَا الْأَبْطَحُ^(٨)
وَالسُّمْرُ مِنْ مَاءِ التَّرَائِبِ تُنْضَحُ^(٩)
فَدَمَوْعُهَا حَتَّى تَرَاهُ تَسْفَحُ^(١٠)

(١) المفردات: تبوَّأ: نزل وحل.

المعنى: وإذا حل أهل الوزير في ديار حلت بينهم لا أغادرهم.

(٢) المعنى: هؤلاء أصحاب نجدة وإغاثة، حتى إذا هدأت الحرب ولبوا الطلب عادوا راسخين كالجبال.

(٣) المعنى: وإنني لا أحتمل البعد عنهم، وإن حصل البعد قسراً فقد أفارق فؤادي.

(٤) المعنى: الكل يعلم مدى كرمي وسخائي، ولكنني أغدو بخيلاً شديد البخل إن طلب مني الرحيل عنكم.

(٥) المعنى: وكيف لا أحبهم وهم الذين حموني من كل داهية مهاجمة، وأبعدوا عني كل ما يضرني.

(٦) المفردات: المغنى: المنزل.

المعنى: وهم يستنكرون كل فعل ذميم ويتعدون عنه، ويقبلون على كل فعل كريم ولا يحيدون عنه.

(٧) المفردات: القرخ: مفردا القارح وهو الجواد الفتى شق نابه وطلع.

المعنى: وإذا طلبتهم مستنجداً تدافعوا لنجدتك على خير الجياد.

(٨) المفردات: الدبا: الجراد قبل أن يطير. الأبطح: سيل عريض فيه رمل وحصى. زعزع: شديد.

المعنى: جاؤوك كالجراد عدداً، وفاق زحفهم مسيل المياه التي طغت على أباطحها.

(٩) المفردات: الترائب: الصدور. تنضح: ترشح. القلل: مفردا القلة، وهي أعلى مكان.

المعنى: وقد وضعوا خوذاتهم على رؤوسهم، بينما رماحهم ترشح بدماء صدور الأعداء.

(١٠) المعنى: فلك مني كل الحب، وهذه دموعي تنذر فحبا على غيابك عني.

تَسْلِيمَةً لَا تَنْقُضِي وَتَحِيَّةً يَمْضِي الْمَدَى وَقَلْبُهَا لَا يَنْزَحُ^(١)
وَصَفَحْتُ عَنْ ذَنْبِ الزَّمَانِ وَإِنِّي عَنْ ذَنْبِهِ بِفِرَاقِنَا لَا أَصْفَحُ^(٢)

- 115 -

وقال في الغزل: [من مجزوء الرمل]

لَيْسَ فِي الْعَشَقِ جُنَاحٌ بَلْ هُوَ الدَّاءُ الصُّرَاحُ^(٣)
هُوَ جِدُّ جَرِّهِ مَعَ قَدَرِ اللَّهِ الْمِزَاحُ^(٤)
وِظْلَامٌ مَا لَسَارِيهِ مَدَى الدَّهْرِ صَبَاحُ^(٥)
هُوَ سُكْرٌ مِثْلَمَا دَبَّ بَثُّ بِأَعْضَائِكَ رَاحُ^(٦)
وَسَقَامٌ مَا بِهِ بُزْءٌ وَلَا فِيهِ صَلَاحُ^(٧)
وَعَذَابٌ إِنْ نَأَى عَنْهُ وَصَالٌ وَسَمَاحُ^(٨)
وَيْحَ أَهْلِ الْعِشْقِ فِي لُجْجِ غَزِيرِ الْعُمُقِ طَاحُوا^(٩)
جَحَدُوا الْحَبَّ وَلَكِنْ كَتَمُوهُ ثُمَّ بَاحُوا^(١٠)

(١) المفردات: القلب: البئر القديمة.

المعنى: ولك مني السلام والتحية لا ينضب معينهما مدى الحياة.

(٢) المعنى: وقد تغاضيت عن عيوب الزمان كلها، إلا عن تقصيره لفراقنا، فهذا مما لا أغفر له.

(٣) المفردات: الجناح: الإثم. الصراح: الخالص من كل شيء.

المعنى: لا إثم في الحب، مع أنه الداء الأصيل.

(٤) المعنى: يبدأ بأمر الله مزاحًا، ثم يتحول إلى جد.

(٥) المعنى: وهو عناء يسير فيه المرء ضالًا لا هداية له.

(٦) المعنى: وهو أشبه بالسكران الذي تسربت الخمرة في أعضائه.

(٧) المعنى: وهو داء عضال لا أمل في الشفاء منه.

(٨) المعنى: وإن اعتري الحب فراق وبخل في اللقاء صار عذابًا لصاحبه.

(٩) المفردات: ويح: كلمة ترحم وتوقع، وهي بالنصب على إضمار فعل، وبالرفع على الابتداء.

المعنى: إنني أتألم لحال العشاق الذين غرقوا في بحار الهوى العميقة.

(١٠) المعنى: هم أنكروا الحب بادية ذي بدء فأسرّوا لواعجه، حتى إذا طغى عليهم باحوا

به.

ولهم السُّنْ دمع تَرجمت عنه فصاح^(١)
ليت أهل العِشْقِ ماتوا فأراحوا واستراحوا^(٢)

- 116 -

وقال في العتاب: [من الطويل]

رأيتك لا ترعى حُقوقِي ولم تُصخ
فجهرُك لي مُرضٍ وسِرُّك مُسَخِطٌ
وودُّك لي إِمَّا سَرابٌ بِقِيعَةٍ
وإِلَّا هَشِيمٌ في فضاءٍ تكدُّهُ
وما لي منك اليومَ إِلَّا أَظافرٌ
تُمزقني عَمداً كأنك مخطيءٌ
إلى القولِ مِنِّي حيثما أنا ناصحٌ^(٣)
ووجهُك بِسَامٍ وقلْبُك كالحِ^(٤)
وإِلَّا فبرقُ خُلْبُ الوَمَضِ لائِخٌ^(٥)
محكَّمةٌ فيه الرِّياحُ البوارِخُ^(٦)
جِدادٌ وأنيابٌ بجلدي جوارِخُ^(٧)
وتَقذِفني جِداً كأنك مازِخُ^(٨)

- 117 -

وقال يرثي أبا الحسن عبد الواحد بن عبد العزيز الشاهد^(٩): [من الخفيف]

-
- (١) المعنى: والذي فضح أمرهم هذه الدموع التي تترجم عن مكنون هواهم.
(٢) المعنى: وكم أتمنى لهم الموت، فيريحون أنفسهم ويريحون غيرهم.
(٣) المعنى: رأيت منك جحوداً ونكراناً، ولم تصغ إلى نصائحي الصادقة.
(٤) المفردات: كالح: عابس مقطب.
المعنى: إن تصرحك يرضيني أكثر من سرِّك الذي يرضيني، وأرى وجهك مشرق الأسارير، بينما أنت تضر لي الحقد.
(٥) المفردات: القِيعَة: القاع. البرق الخلب: البرق اللامع لا مطر يعقبه.
المعنى: أما صداقتك فلا أراها وهي أشبه بسراب في واد، أو هي برق لا جدوى منه.
(٦) المعنى: أو هو كالقش في الفضاء الفسيح تذروه الرياح العاتية.
(٧) المعنى: ولا أرى منك إلا حقداً مؤذياً، وشبهه بالأظافر الحادة والأنياب الجارحة.
(٨) المعنى: فتهاجمني وتؤذي عَمداً وتظاهر بأنك أخطأت، وتشتمني وتظاهر بأنك تداعبني.
(٩) أبو الحسن عبد الواحد أصله من بلدة «عكبرا». وهو محدث يذهب مذهب التشيع. توفي سنة ٤١٩ هـ.

يابنَ عبد العزيز إنَّ فؤادي منذُ فارقتني عليك جريحُ^(١)
 إنَّ جَفَنِي عليك حزنًا جوادُ وهو في كلِّ مَنْ سواكَ شحيحُ^(٢)
 عَذَلُونِي وما استَوَى عند أهلِ الدِّ نَصَفِ والعَدْلِ سالمٌ وجريحُ^(٣)
 داءِ قلبي يُدَوِّي وفيهِ من الأشدِّ جانٍ ما فيه ما يقولُ الصَّحيحُ^(٤)
 وإذا لم تكنْ مُصِيحًا إلى عَذْ لِ فَسَيَّانٍ أعجمُ وفصيحُ^(٥)
 لي لسانٌ ومدمعُ حَمَلًا رُزْ ءَكَ ذا كاتَمٍ وذاك يَبُوحُ^(٦)
 ويراني الصَّحيحُ مَنْ ليس يَذْري أنَّ غيري هو السَّليمُ الصَّحيحُ^(٧)
 وَبِرَغْمِي غَرِيتُ منك وبُوعِدْ تَ رَدَى واختَوَى عليك الضَّرِيعُ^(٨)
 مفردٌ والأنيسُ عنك بعيدُ ليس إلَّا جنادلٌ وصفيحُ^(٩)
 وغمامٌ موكَّلُ الجَفَنِ بالقَطْ رِ ووُزِقَ مِنَ الحِمَامِ ينوخُ^(١٠)
 ليس يَنْجو مِنَ الحِمَامِ مليحُ لا ولا صادقُ الضَّرَابِ مُشِيعُ^(١١)

- (١) المعنى: منذ ابتعدت عني يا بن عبد العزيز انجرح فؤادي لفراقك.
- (٢) المعنى: إنني بخيل في كل ما يتعلق بك، إلا دموعي فهي سخية عليك.
- (٣) المعنى: استخدم الشاعر ألفاظ الحديث لأن المرثي يحدث للتعبير عن حبه له، فقد عاتبه الناس على حبه له لكن أهل الحديث لم يفرقوا بين السالم والجريح.
- (٤) المفردات: يدوي (مجهول): يعالج.
- المعنى: يعالج مرض قلبي وتظل الأحزان متفشية فيه رغم أنهم لا يرون فيه شيئاً.
- (٥) المعنى: إذا صممت آذانك عن كلام العذل تشابه عندك الفصيح والآخرس.
- (٦) المعنى: لساني لا يصرح ودمعي لا يكتم.. وكلاهما حمل مصيبتك (رزءك).
- (٧) المعنى: مع كل ما بي نحوك يظنونني صحيحاً، مع أن غيري هو السليم.
- (٨) المعنى: ولقد فقدتك غصباً عني، والذي أبعدني هو موتك ووضعك في القبر.
- (٩) المفردات: الجنادل: الصخور العظيمة. الصفيح: الحجارة العريضة.
- المعنى: تركوك وحيداً بعيداً عن مؤانسك، وفوقك الصخور وحجارة القبر.
- (١٠) المفردات: الورق: مفردها الورقاء، وهي الحمامة.
- المعنى: وليس من يسليك سوى سحب أوكلت أمر هطلها إلى الجفون، وحمام يبيك من الموت.
- (١١) المفردات: المشيع: البطل المقدم المانع لما وراء ظهره.
- المعنى: الموت حق يصيب الناس جميعاً ولا يستثنى المرء المليح ولا البطل المقدم.

والمنايا إذا طَلَبْنَ مما تُدَّ جِي خَفَافٌ يَغْدُو بِهِنَّ السَّرِيحُ^(١)
وإذا أَمَّكَ الْجِمَامُ فما يُغْدُ نِي مِنَ الطَّيْرِ بَارِحٌ وَسَنِيحُ^(٢)
وَمِنْ أَيْنَ الْبَقَاءُ وَالْجِسْمُ تُرْبُ يَتَلَاشَى؟ وَإِنَّمَا الرُّوحُ رَوْحُ^(٣)
وإذا غَايَةُ الْفَتَى كَانَتْ الْمَوْتُ فَماذَا التَّعْمِيمُ وَالتَّمْلِيحُ؟^(٤)
كُلُّ يَوْمٍ لَنَا بِطَرْقِ الرَّزَايَا طَلَبَ الْغُنْمَ رَاوِحٌ وَطَلِيحُ^(٥)
رَائِحٌ مَالُهُ غُدُوٌّ، وَإِذَا ذُو غُدُوٍّ لَكِنَّهُ لَا يَرَوْحُ^(٦)
وإذا فَاتَنَا غَبُوقُ الْمَنَايَا بِاتِّفَاقِ الزَّمَانِ فَهُوَ الصَّبُّوحُ^(٧)
كَمْ لَنَا مُودَعًا إِلَى سَاعَةِ الْحَشْدِ بِبَطْنِ التَّرَابِ وَجْهٌ صَبِيحُ^(٨)
وَجَلِيلًا مُعْظَمًا كَانَ لِلَّهِ مَالٌ فِيهِ التَّرْحِيبُ وَالتَّرْشِيحُ^(٩)
أَيُّهَا الذَّاهِبُ الَّذِي طَاخَ وَالْأَحْزَانُ زَانٌ مِنَّا عَلَيْهِ لَيْسَ تَطْيِيحُ^(١٠)
لَا عَرَفْتَ الْقَبِيحَ فِي دَارِكَ الْأَخْزَانِ رِي، فَمَا كَانَ مِنْكَ فَعَلٌ قَبِيحُ^(١١)

(١) المفردات: السريح من الخيل: المعجل السريع.

المعنى: وإذا قصد الموت أحدهم فلا تنفذه خيل خفيفة سريعة العدو.

(٢) المفردات: البارح: طائر يمر من اليمين يتشاءم العرب منه. السانح: الذي يمر من اليسار يتفاءلون به.

المعنى: وإذا داهمك الموت فلا يخيك التفاؤل والتشاؤم.

(٣) المعنى: وكيف يظل الجسم حيًا وهو تراب؟ لكن الذي يبقى هو الروح لأنها لا تفسد.

(٤) المفردات: التمليح: التزين والتحسين.

المعنى: فإذا كان الموت لا بد واقع فلماذا يتزيا المرء ويتزين؟

(٥) المفردات: الراوِح: الساقط من الإعياء. الطليح: المهزول.

المعنى: المصائب تداهمننا دومًا ولا يمكننا التخلص منها، مثل من ينشد النصر على جواد هزيل ضعيف.

(٦) المعنى: والمرء إما ينام فلا يستيقظ، أو يستيقظ فلا ينام.

(٧) المعنى: وإذا لم يفاجئنا الزمان بالموت مساءً هاجمنا بأمره صباحًا.

(٨) المعنى: وقد دفن كثير من خيرة رجالنا، وسيظلون يدفنون إلى ساعة الحشر.

(٩) المعنى: وكم فقدنا رجالًا أجلاء كانوا ذخرا تعقد عليهم الآمال المنشودة.

(١٠) المعنى: فيا أيها الراحل عنا، وأحزاننا لا تفارقنا عليك.

(١١) المعنى: لا اعتراك في دارك الأخرى عذاب، لأن أعمالك في الدنيا كلها صالحة.

ليس إلا الصلاة والصَّومُ والتَّسْبِيحُ هَيْدُ جُنْحِ الظَّلَامِ وَالتَّسْبِيحُ^(١)
وَحَدِيثُ تَرْوِيهِ مَا فِيهِ إِلَّا وَاضِحٌ نَيْرٌ وَحَقٌّ صَحِيحٌ^(٢)
إِنَّ قَوْمًا مَا زَالَ حَشَوْا لِأَضْلَا عِكَ وَدُّ لَهُمْ نَقِيٌّ صَرِيحٌ^(٣)
لَكَ وَرَدٌ مِنْ حَوْضِهِمْ غَيْرُ مَطْرُو قِي وَبَابٌ إِلَيْهِمْ مَفْتُوحٌ^(٤)
وَالْتِقَاءُ بِهِمْ وَحَوْلَهُمُ النَّاسُ سُبُ؛ فَذَا خَاسِرٌ وَذَاكَ رَبِيحٌ^(٥)
وَالثَّوَابُ الَّذِي يَضِيقُ بِقَوْمٍ هُوَ مِنْ أَجْلِهِمْ عَلَيْكَ فَسَبِيحٌ^(٦)
لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكَ عُسْرًا وَمِنْهُمْ لَكَ مُعْطٍ وَنَافِعٌ وَمُصْبِحٌ^(٧)
فَسَقَى قَبْرَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ مُسَبِّلٌ هَامِلٌ السَّحَابِ سَفُوحٌ^(٨)
كَلَّمَا جَاؤَهُ غَمَامٌ نَزِيحٌ جَاءَهُ مُثْقَلُ الرِّبَابِ دَلُوحٌ^(٩)
وَإِذَا زَارَهُ الرَّجَالُ فَلَا زَا لَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ الذُّكَاءُ يَفُوحُ^(١٠)

- (١) المعنى: فقد أمضيت حياتك في العبادة ليلاً ونهاراً.
(٢) المعنى: ولم ترو من الأحاديث إلا الصحيحة الواضحة، ولم يصدر عنك إلا الحق الناصع.
(٣) المعنى: والناس من حولك استفادوا وارتوتوا من علمك الصافي النقي.
(٤) المفردات: المطروق: الماء الذي خاضت فيه الإبل وبالت.
المعنى: ينالون من خير علمك الصافي، ويفدون على بابك المفتوح لهم.
(٥) المعنى: أما من أخطأ الورد فهو خاسر، والآخرون الذين نهلوا منك كانوا رابحين.
(٦) المعنى: ومن يضمن بتقديم الثواب للناس، يجدونه عندك فسيحاً.
(٧) المفردات: نافع: منتشر الأريج. مُصْبِح: يسهل الغرف منه.
المعنى: لا أخاف عليك جهلاً وصعوبة شرح، فأنت تظل تعطي وتمنح وتغرف لهم من عميم علمك.
(٨) المعنى: يدعو لقبره بالسقيا من سحب ترسل المطر مدراراً.
(٩) المفردات: النزيع: المبتعد. الرباب: مفردها الربابة، وهي السحابة البيضاء. الدلوح: المثقل.
المعنى: كلما تخطى قبرك غيم توافدت عليه غيوم مثقلة بالأمطار.
(١٠) المفردات: الذُّكَاء: اسم علم للشمس.
المعنى: وإذا زار الناس قبره أرسلت عليهم الشمس عبير تربته الذكي.

وقال في الشيب: [من الكامل]

إِنْ عَاقَبَ الشَّيْبُ السَّوَادَ بِمَفَرَّقِي فَالْليلُّ يَتْلُوهُ الصَّبَاحُ الْوَاضِحُ^(١)
 مَنْ أخطأَتْهُ وَقَدِ رَمَتْ قَوْسُ الرَّدَى تَبْيِضُ مِنْهُ مَفَارِقُ وَمَسَائِحُ^(٢)
 لَوْ كَانَ لِلَّيْلِ الْبَهِيمِ فَضِيلَةٌ لَمْ تُدَنَّ مِنْهُ مَقَابِسُ وَمَصَابِحُ^(٣)
 الْبَيْضُ لِلْعَيْنَيْنِ وَجَهٌ ضَاحِكٌ وَالسُّودُ لِلْعَيْنَيْنِ وَجَهٌ كَالْحُ^(٤)
 وَأَشَدُّ مِنْ جَذَعِ الْجِيَادِ إِذَا جَرَتْ جَرِيًّا وَأَصْبَرُهُنَّ نَهْدُ قَارِحُ^(٥)
 وَالْبُزْلُ تَغْتَالُ الطَّرِيقَ سَلِيمَةً وَعَلَى الطَّرِيقِ مِنَ الْبِكَارِ طَلَائِحُ^(٦)

وقال وسئل أن ينظم بنوع التفریع من البديع^(٧): [من الطويل]

فَمَا مَاءٌ مُزْنٍ بَاتَ جَفْنٌ سَحَابَةٍ يَصُوبُ عَلَى أَعْلَى الصُّخُورِ وَيَسْفَحُ^(٨)

- (١) المعنى: إن كان عقاب شعري الأسود بياضه، فإن الليل المظلم يتبعه الصباح المشرق.
- (٢) المفردات: المسائح: مفردا المسيحة، وهي شعر جانبي الرأس.
- (٣) المفردات: المصاييح: المصاييح، ومثلها المقابس.
- (٤) المعنى: لو كان لليل المظلم فضل لم تستخدم فيه المصاييح والمشاعل.
- (٥) المعنى: والناس تشرق أساريها للبياض، وتعبس للسواد.
- (٦) المفردات: الجذع: الجواد في سنته الثانية. النهْد: البارز. القارح: الجواد الذي شق نابه وطلع.
- (٧) المعنى: والشيب يأتي أسرع من الجواد الفتى، ويصبر أكثر من الجواد المعتاد على الصعاب.
- (٨) المفردات: البزل: مفردا البازل، وهو الذي طلع نابه من الإبل. البكار: مفردا البكرة، وهي الفتية من الإبل. الطلائح: الهزيلة.
- (٩) المعنى: وقد تجد جوادًا فتى يقطع الطريق بسرعه، ويتخطى خيار الخيل وصابرها في طريقه.
- (١٠) التفریع: وضع شيء لاحتياج السابق إلى اللاحق، وهو في البديع أن يثبت لأمر حكم بعد إثباته لأمر آخر.
- (١١) المعنى: ليس ماء مطر انبت من أطراف السحب يهطل على أعلى الصخور.

توزَّعَهُ عَبْرُ الرُّبَا فَكَأْنُهُ مَلَاءَ رَحِيضٌ بِالْفَلَاةِ مُطْرَحُ^(١)
وإن صافحته الرِّيحُ وهي ضعيفةٌ تمرُّ عليه قلتُ: صُخْفُ تُصَفِّحُ^(٢)
بأعذبٍ مِنْ فيها إذا ما توسَّنتُ وهبَّتْ وجلدُ اللَّيْلِ بالصُّبحِ يوضِّحُ^(٣)

*

وما روضةٌ باتَ الخُزامى يحفُّها ونورُ الأقاحي وسطُّها يتفسَّحُ^(٤)
كأنَّ بمغناها تُفَضُّ لَطِيمةٌ مُجْجِعةٌ أو مندَلُ الهندِ ينفُحُ^(٥)
بأطيبٍ مِنْ أردانها حينَ أقبلتُ وغصنُ النِّقا في دِرْعها يترنُّحُ^(٦)

*

وما مُغزِلٌ أضحت بدوٌ صريمةٌ تفسَّحُ في تلك الفيافي وتسرحُ^(٧)

(١) المفردات: الملاء: مفردها الملاءة، وهي الإزار. رحيض: مغسول. العبر من الوادي: ناحيته.

المعنى: فانتشر المطر في أطراف الروابي، فغدا أشبه بالمآزر المغسولة المنشورة في الفلاة.

(٢) المعنى: والنسائم تداعبها وتهز صفحاتها بدت للناظر صفحات كتاب تُقَلَّب.

(٣) المفردات: توسَّنت: نامت، من السنة التي هي أول النوم. يوضح: يضيء.

المعنى: ما تلك الأمطار النظيفة أحلى من فم الحسنة وقد داعبها النوم في أواخر الليل قبل انبلاج الصباح.

(٤) المفردات: الخزامى: نبت طيب الرائحة. الثور: الزهر الأبيض. الأقاحي: مفردها الأقحوان، وهو زهر. يتفسح: ينتشر.

المعنى: لن تجد حديقة أحاط بها زهر الخزامى، وأحرق في وسطها زهر الأقحوان الأبيض وهو ينتشر عييره.

(٥) المفردات: المغنى: الدار. اللطيمة: العنبر لطم بالمسك. المجمعجة: المصونة. المندل: عود البخور.

المعنى: كأن اللطائم المخبوءة والمندل الهندي ينشران عبيهما في ديارها.

(٦) المفردات: النقا: الكتيب من الرمل. الأردن: مفردها الردن وهو طرف الكم الواسع.

المعنى: لا يعادل ما ذكرت من الطيب ما يفوح من أكمام محبوبتي وهي تُقبل وجسمها الممتلىء يتمايل داخل قميصها.

(٧) المفردات: المغزل: ذات الغزال. الدو: البيداء. الصريمة: المقطوعة.

المعنى: إن غزاة منقطعة في البيداء، تنتقل في الصحارى وتجوب الأرجاء.

تَفِيءُ إِلَى ظِلِّ الْكِنَاسِ وَتَارَةً
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَتْ فَوْدَعَتْ
تَشَوُّفٌ مِنْ أَعْلَى الْهَضَابِ وَتَسْنَحُ^(١)
قُبَيْلَ التَّنَائِي وَالْمَدَامَعِ تَنْزَحُ^(٢)

*

وَمَا وَرَدُ مَطْرُودٍ عَنِ الْوَرْدِ خَامِسٍ
تُسَقَّى الْهَيْامُ حَوْلَهُ وَهُوَ ظَامِيءٌ
لَهُ كَبِدٌ مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ تُقْرَحُ^(٣)
فَلَا الْوَرْدُ يُدْنِيهِ وَلَا هُوَ يَبْرَحُ^(٤)
بَارَوْى وَأَشْهَى مِنْ رُضَابٍ تَمُجُّهُ
ثَنَايَا عَذَابٍ مِنْ ثَنَايَاكَ تَمْتَحُ^(٥)

*

وَمَا نُوحُ قُمْرِيٍّ عَلَى فَرْعِ أَيْكَةٍ
لَهُ مَدْمَعُ الشَّاكِي جَفُونًا وَقَلْبُهُ
يَمُنُّ لَهُ ذِكْرُ الْفِرَاقِ فَيَصْدَحُ^(٦)
بِمَا جَرَّهُ فَقَدْ الْأَلَيْفِ مُقَرَّحُ^(٧)
بِأَشَجَى شَجَا مَنِي غَدَاةَ ذَكَرْتُكُمْ
وَوَادِي مَنِي بِالْعَيْسِ وَالْقَوْمِ يَطْفَحُ^(٨)

(١) المفردات: الكناس: مسكن الظبي. تشوف: تتشوف أي تطل. تفيء: ترجع. سنج الغزال: سار إلى الميامن.

المعنى: تأتي إلى كناسها حينًا وحينًا تطل من أعلى الهضاب أو تظهر من ميامن الطريق.
(٢) المعنى: هذه الغزالة بكل جمالها وحركتها لا تضارع محبوبتي يوم نهضت لتودعني قبل رحيلها والدموع تهطل.

(٣) المفردات: الخامس: من أظماء الإبل، بأن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء في اليوم الرابع.
المعنى: إن إقبال الجمل على الماء بعد حرمانه أربعة أيام، وكبده مجروحة شوقًا إلى الماء.

(٤) المفردات: الهيام: مفردا الهائم، وهو العطشان.
المعنى: يرى الإبل العطاشى تشرب وهو ظامىء بينها، فلا هو يشرب ولا هو يرحل عن الماء.

(٥) المفردات: تمتح: (مجهول) تستقى.

المعنى: إن ذلك الشوق إلى الماء لا يعادل اشتهائي إلى رضاب محبوبتي الذي يرويني، والذي ينضح من بين أسنانها العذبة.

(٦) المفردات: الأيكة: الشجرة الكبيرة الملتفة. يعن: يعرض.

المعنى: ما بكاء قمري على غصن شجرة يخطر على باله فراق محبوبته فيفرد.

(٧) المعنى: جفونه تؤلمه من كثرة الدمع، وقلبه جريح لفقد أليفه.

(٨) المعنى: بأكثر حزنًا مني حين ذكرتك والمطايا وأهلك يملؤون وادي مني.

وما هزّة الدّوح المُبِينُ بقفّرة^(١) تُزعزَعُ منه الرّيحُ ما يتسمّعُ^(١)
 إذا انتشرت فيه الشّمالُ عشيةً^(٢) رأيتَ حَمَامًا فوقه يترجّعُ^(٢)
 بأظْهَرَ مِنِّي هزّةً يومَ أقبلتُ^(٣) تشكّى الهوى وخيًا به لا تُصرّخُ^(٣)
 تعاوَرَهَا خوفُ النّوى والعِدَى معًا^(٤) فلا هي تطويه ولاهي تُفصّحُ^(٤)

*

وما مُنيّةٌ سيقّتْ إلى كَلِفٍ بها^(٥) مُقيمٌ على تَطْلَابِهَا ليس يبرحُ^(٥)
 إذا لَامَهُ الّلاحون فيها طَمًا بهِ^(٦) إلى نيلها شوقٌ لَجوجٌ مُبرّحُ^(٦)
 بأشهى وأحلى من لقائك موهِنًا^(٧) وألحاظٌ من يبغي النّميمةَ نُزْحُ^(٧)

*

وما مُقْفَلُ الكفِّ شخْطٌ عن النّدى^(٨) له راحةٌ من ضِنَّةٍ لا ترشّحُ^(٨)
 أتاه الغنى من بعدِ يأسٍ وكَبْرَةٍ^(٩) فليس بشيءٍ خيفةَ الفَقْرِ يسمَحُ^(٩)

- (١) المفردات: الدوح: مفردها الدوحة. المبین: المقيم. يتسمع: يتساهل.
 المعنى: ليس اهتزاز الشجرات النابتة في الأرض القفر والريح تهزها من غير توقف.
 (٢) المعنى: إذا هبت عليها ريح الشمال ذات مساء رأيت الحمام الرابض على أغصانها يتمايل.
 (٣) المعنى: أصعب مني إذا انتشيت لقدمها تشكو لي حبها رمزًا وكناية من غير تصريح.
 (٤) المفردات: تعاورها: تداولها.
 المعنى: وقد اعتراها خوفان: خوف البعد وخوف الأعداء، فلم تستطع كتمانها كما لم تقدر على الكسوت عنه.
 (٥) المعنى: ما خطرت أمنية على بال طالبا مصرًا على تحقيقها.
 (٦) المفردات: طمت همته: علت. اللاحى: اللائم والعائب.
 المعنى: إذا عاتبه المعاتبون طفى عليه شوق جامع مؤلم.
 (٧) المفردات: الموهن: الآتي في منتصف الليل؛ الوهن: منتصف الليل. نُزْح: بعيدة.
 المعنى: ليس ما ذكرت أحلى إلي من لقائك يا محبوبتي في منتصف الليل، في حال أن عيون الوشاة بعيدة عنا.
 (٨) المفردات: المقفل الكف: اللثيم لا يكاد الخير يخرج من بين يديه. الشخط: البعيد.
 الضنة: البخل.
 المعنى: ليس اللثيم البعيد عن الكرم، ذو اليد البخيلة التي لا تنضح بالخير.
 (٩) المعنى: جاءه المال والغنى بعد أن ينس وكبرت سنه، فلا يمتن بشيء مخافة فقر متوقع.

بأبخل مني يوم ساروا بنظرة إليك وأحداق الرفاق تلمح^(١)

*

حلفت برب الراقصات عشية^(٢) إلى عرفات وهي حسرى ورزح^(٣)
ومن ضمه جمع وبين بلادهم إذا اقتربوا سهب عريض مطوح^(٤)
وبالبدن تهدى في منى لمليها وتدنى، إلى أخرى، الجمال فتذبح^(٥)
لأنت على رغم العدو من الذي يضيء سواد الليل أبهى وأملح^(٦)
ونجواك تشفي السقم طورًا وتارة يعل بنجواك السليم المصحح^(٧)
وأنت وإن أوقدت في القلب جمرة تلظى على كر الليالي وتلفح^(٨)
أعز عليه موضعًا من سواده وأعذب فيه من مناه وأزوح^(٩)

- 120 -

وقال في الغزل: [من مجزوء الرمل]

إن من يعدل نضحًا في الهوى غير نصيح^(٩)

-
- (١) المعنى: بأكثر بخلًا من عيني نحوك حين سارت ركابكم، وأصحابي يحدجونني بنظرهم.
(٢) المفردات: حسرى: مكشوفات الروس. رزح: سواقط من أثر الإعياء. الراقصات: النوق التي تكثر من حركتها صعودًا وانخفاضًا.
المعنى: أقسمت بالذي يهز الصاعدات إلى جبل عرفات مساء، وهي منهكة حاسرة الرأس.
(٣) المفردات: جمع: موضع بمنى هو المزدلفة. السهب: الفلاة. المطوح: المهلك المضيع.
المعنى: وبمن وفد على المزدلفة وقد بعدوا عن ديارهم، وبينهم وبينهم مسافات شاسعة.
(٤) المفردات: البدن: مفردا البدنة وهي الناقة أو غيرها المسمنة المعدة للذبح.
المعنى: وأقسمت بالذبائح المهداة إلى منى والمذبوحة باسم خالقها.
(٥) المعنى: أراك - رغم العدو - أجمل من القمر المنير في الظلام وأكثر بهاء.
(٦) المفردات: النجوى: الحديث السري بما في الفؤاد من الأسرار والعواطف. يعل: يمرض.
المعنى: وحديثك السري الصادق يشفي حينًا من الأسقام، ويمرض به الملدوغ المعافى.
(٧) المعنى: ومع أنك ألهب جوى قلبي، وجعلته مع مرور الليالي نارًا متقدة لافحة.
(٨) المعنى: فإنك أعز إلى قلبي من سويدائه وأبرد عليه من كل أمانيه.
(٩) المعنى: إن من يلوم العاشق على عشقه ليس ناصحًا.

ما لمن ينصفُ أن يُدَّحَى على غيرِ القبيحِ^(١)
 أيُّ ثقلٍ لك يا لا حي على القلبِ القريحِ؟^(٢)
 كلُّ ما لا يشتَهي يدَّحَى سليمٌ من صحيحِ^(٣)
 إنما تُدخلُ عدلاً بينَ جُثمانِي وروحي^(٤)!
 والذي تبغي به الرَّا حةً لي غيرُ مريحِ^(٥)

- 121 -

سأله الوزير أبو علي الحسن بن حمد عمل أبياتٍ تتضمن نقض المعنى
 الذي قصده جريزٌ بقوله^(٦):

تقولُ العاذلاتُ: علاك شيبٌ أهذا الشيبُ يمنعني مَراحي؟:

فقال: [من الوافر]

وما مَرَحُ الفتى تَزَوَّرُ عنه خُدودُ البِيضِ بالحدَقِ المِلاحِ^(٧)
 ويُصبِحُ بينَ إعراضٍ مُبينٍ بلا سَبَبٍ وهجرانٍ صَراحِ^(٨)
 وقالوا: لا جُنَاحَ، فقلتُ: كلاً مَشِيبِي وخَدَهُ فيكم جُنَاحِي^(٩)
 أليس الشَّيبُ يُذني من مَماتي ويُطِمِعُ مَنْ قَلَّاني في رَوَاحِي؟^(١٠)

(١) المعنى: لا يجوز للمعاتب أن ينصف في عتابه إلا على القبيح من الفعل.

(٢) المعنى: فما يزعجك أيها اللائم من قلب جريح؟

(٣) المفردات: السليم: الملدوغ على التفاؤل.

المعنى: إن الملدوغ بالحب يلقي كل ما لا يحب من المعشوق.

(٤) المعنى: وأراك تُدخل عتابك بين الجسم والروح!.

(٥) المعنى: فإن كنت تقصد بعتابك أن تريحني فغير صحيح لأنه لا يريح.

(٦) هو البيت الثاني من قصيدته المشهورة في مدح عبد الملك بن مروان.

(٧) المعنى: لا يسر الفتى الذي تنحرف عنه خدود الصبايا ذوات العيون الجميلة.

(٨) المعنى: حيث إنه يحيا وقد أعرض عن إعراضاً فاضحاً من غير سبب، وهجرته هجراً مؤلماً.

(٩) المفردات: الجناح: الإثم.

المعنى: وأدعين أنهن أعرضن عني من غير إثم. فأخبرتني بأن مشيبي هو إثمِي عندكن.

(١٠) المفردات: قلاه: أبغضه.

مَشِيبٌ شُنٌّ فِي شَعَرٍ سَلِيمٍ	كَشَنُ الْعُرِّ فِي الْإِبِلِ الصُّحَا ^(١)
كَأَنِّي بَعْدَ زَوْرَتِهِ مَهِيضٌ	أَدِفُ عَلَى الْوُظِيفِ بِلَا جَنَاحِ ^(٢)
أَوِ الْعَانِي تَوَرَّطَ فِي الْأَعَادِي	فَسُدَّ عَلَيْهِ مُطْلَعُ السَّرَاحِ ^(٣)
سَقَى اللَّهُ الشَّبَابَ الْغَضُّ رَاحًا	عَتِيقًا أَوْ زُلَالًا مِثْلَ رَاحِ ^(٤)
لِيَالِي لَيْسَ لِي خُلُقٌ مَعِيبٌ	فَلَا جِدِّي يُذَمُّ وَلَا مِزَاحِي ^(٥)
وَإِذْ أَنَا مِنْ بَطَالَاتِ التَّصَابِي	وَنَشَوَاتِ الْغَوَانِي غَيْرُ صَاحِ ^(٦)
وَإِذْ أَسْمَاعُهُنَّ إِلَيَّ مِيلٌ	يُصِخُنَّ إِلَى اخْتِيَاري وَاقْتِرَاحِي ^(٧)
فَدُونَكُهَا ابْنُ حَمْدٍ نَاقِضَاتِ	لِقَوْلِ فَتَى تَجَلَّدَ لِلْوَاحِي ^(٨)
فَقَالَ - وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ قَوْلٍ - :	«أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحِي؟» ^(٩)
وَقَانِي اللَّهُ فَقَدَكَ مِنْ خَلِيلٍ	ثَنَّتْ مِنِّي مُودَّتُهُ جِمَاحِي ^(١٠)

=المعنى: ألا يكفي أن يكون الشيب دليل قرب موتي، ويُغري مبغضي في رحيلي؟

(١) المفردات: شُنٌّ: رشٌ. العَرَّ: الجرب.

المعنى: إن انتشار الشيب في الشعر الأسود شبيه بانتشار الجرب في الإبل الصحاح.

(٢) المفردات: المهيض: المكسور. دف الطائر: حرك جناحيه. الوظيف: ما فوق الرسغ إلى الساق.

المعنى: وغدوتُ بعد زيارة الشيب كمكسور الجناح يطير بيديه.

(٣) المفردات: العاني: الأسير. المطلع: المخرج. السراح: التفريج والإطلاق.

المعنى: أو مثل أسير وقع في قبضة الأعداء فسدت عليه منافذ الهرب.

(٤) المفردات: الراح: الخمرة.

المعنى: ما أحلى أيام الشباب الرقيقة، منحها الله خمرة معتقة، أو ماء عذبًا كالخمرة.

(٥) المعنى: في تلك الأيام الحلوة لم يكن فيَّ ما يعيب، جدًا مني أو مزاحًا.

(٦) المعنى: ولم أكن آنئذٍ خليئ البال من هفوات الفتوة ولا بعيدًا عن السرور بالحسان.

(٧) المعنى: وكن في تلك المرحلة الحلوة مقبلات علي، راغبات في كلامي، مستجيبات لكل ما أقترحه وأطلبه منهن.

(٨) المفردات: تجلد: تصبر. اللواحي: العاذلات.

المعنى: فاسمع قصيدتي المناقضة لقول شاب تصبر على كلام العاذلات يا بن حمد.

(٩) المعنى: فهو الذي تساءل (وهل يمنعي شبي من سروري؟) وليس كل تساؤل مقبولًا.

(١٠) المفردات: الجِمَاح من الخيل: اعتزازها وإياؤها من أين يركبها أحد.

المعنى: حماك الله ولا حرمني من مودتك، فأنت الصديق الذي اقتادني بحبه.

فكان على قذى الأيام صفوي وكان على حنادسها صباحي^(١)

- 122 -

وقال يرثي والده^(٢) : [من الوافر]

ألا يا قومُ للقدَرِ المُتاحِ ولللأَيامِ ترغِبُ عن جِراحِي^(٣)
وللدُنْيا تُماطِلُ بالرِّزايا مِطالَ الجُربِ للإبلِ الصُّحاحِ^(٤)
تُسالِمُنِي ولي فيها خَبِيءٌ أَغصُّ عليه بالعَذْبِ القَرّاحِ^(٥)
ويا لِمِلْمَةٍ نَزَعَتْ يَمِينِي وَحَصَّتْ بالقِوادمِ مِنْ جَناحِي^(٦)
فُتِنْتُ بها ومنظرُها قَبِيحٌ كما فُتِنَ المُتَيِّمُ بالملاحِ^(٧)
ألا قلْ للأخايرِ من قَرِيشِ وَسُكَّانِ الظُّواهرِ والبِطاحِ^(٨)
هَوَى من بينكم جَبْلُ المعالي وَعِزْنِ المِكارِمِ والسَّماحِ^(٩)

(١) المفردات: الحنادس: مفردها الحندس: الليل الشديد الظلمة.

المعنى: منع كل ما يؤذيني في حياتي، وأضاء لي سوادها.

(٢) وقد توفي سنة ٤٠٠ هـ.

(٣) المفردات: المتاح: المقدّر.

المعنى: أستنجد بكم أيها الناس على ما كتب علي وعلى الأيام التي ترفض مداواة جروحي.

(٤) المعنى: وأستنجدكم على هذه الدنيا التي تمنيني بمصائبها كما تُعدي الإبل الجرباء رفيقاتها السليمات.

(٥) المفردات: القراح: النقي.

المعنى: تتظاهر بالنية الطيبة وهي تُخبيء لي المصائب التي تحول دون سعادتي، والتي تمنعني من شرب الماء العذب النقي.

(٦) المفردات: الملمة: النازلة. حصّت: أزال وأذهبت. القوادم: عشر ريشات من مقدم جناح الطائر.

المعنى: وأستغيث بكم لنازلة حلت بي فأنكهتني وهذت من قواي.

(٧) المعنى: لقد سُحرت بهذه الدنيا مع أنها قبيحة المنظر كما يُسحر العاشق بالصبايا الملاح.

(٨) المفردات: الظواهر: أعالي الأودية وأشراف الأرض. البطاح: مسايل المياه.

المعنى: ألا أعلموا أفاضل أهل قريش؛ قريش الظواهر وقريش البطاح.

(٩) المفردات: العرين: الأنف.

المعنى: لقد سقط جبل المكارم في دياركم وسقط معه شمائل المجد والكرم.

وَجِبَّ اللَّهُ غَارِبَكُمْ فَكُونُوا كظالعةٍ تحيدُ عن المَراح^(١)
 يُدْفَعُهَا مُسَوِّفُهَا الْمُعْنَى وَقَدْ شَحَطَ الْكَلَالُ عَنِ الْبُراحِ^(٢)
 وَغَضُّوا اللَّحْظَ عَنْ شَغْفٍ إِلَيْهِ فَمَا لَكُمْ الْعَشِيَّةَ مِنْ طَمَاحِ^(٣)
 غُلِبْنَاهُ كَمَا غُلِبَ ابْنُ لَيْلٍ وَقَدْ سَنِمَ الشُّهَادَ عَلَى الصُّبَاحِ^(٤)
 فَقُلْ لِمَعَاشِيرٍ رَهَبُوا شَبَاتِي وَمَا تَجْنِي رَمَاحِي أَوْ صِفَاحِي^(٥)
 رِدُّوا مِنْ حَيْثُمَا شِئْتُمْ جِمَامِي فَإِنِّي الْيَوْمَ لِلْأَعْدَاءِ ضَاحِ^(٦)
 وَرُومُونِي وَلَا تَخْشَوْا قِرَاعِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ مُسْتَلَبَ السِّلَاحِ^(٧)
 وَقُودُونِي فَمَا أَنَا فِي يَدَيْكُمْ عَلَى مَا تَعْهَدُونَ مِنَ الْجِمَاحِ^(٨)
 وَلَا تَتَنَظَّرُوا مِنِّي ارْتِيَا حَا فَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ مُوسَى بَارْتِيَا حِي^(٩)
 فَلِلْسَبَبِ الَّذِي يُشْجِي التَّزَامِي وَلِلْسَبَبِ الَّذِي يُسْلِي اطِّرَاحِي^(١٠)
 لَوَانِي مَا لَوَانِي عَنْ مُرَادِي وَحَالَ الدَّهْرُ دُونَ مَدَى اقْتِرَاحِي^(١١)

(١) المفردات: جبَّ: قطع. الغارب: الكاهل. الظالعة: العرجاء. المَراح: الموضع الذي يراح إليه أو منه.

المعنى: لقد هدأ الله قواكم فصرتم أشبه بالدابة العرجاء التي حادت عن مسلكها.

(٢) المفردات: شحط: بعد. الكلال: التعب. البراح: التحول والمكان الذي لا زرع فيه ولا شجر. المعنى: وكان سائق الأظعان يسوقها بعناء بعد أن أبعدته التعب عن مكانه المنشود.

(٣) المعنى: وقللوا من حبكم نحوه، إذ لم يعد لكم أمل بعد هذا المساء.

(٤) المعنى: لقد فقدناه وخسرناه كما يخسر العاشق الذي يسهر الليل من سهاد أقض مضجعه حتى الصباح.

(٥) المفردات: الشياة: حد السيف.

المعنى: أخبر من خافوا حد سيفي وما يجني عليهم رمحي وسلاحي.

(٦) المفردات: الجمام: الماء الكثير.

المعنى: اهجموا علي من أي جانب شئتم، فأنا اليوم مستعد للأعداء.

(٧) المعنى: اقصدوني ولا تخافوا مصاولتي، فأنا أمامكم مسلوب السلاح.

(٨) المعنى: خذوني أسيرًا، فلست بعنفواني الذي تعهدون.

(٩) المعنى: ولا تتوقعوا مني الراحة، فقد ولت مني بذهاب أبي ابن موسى.

(١٠) المفردات: يُشْجِي: يحزن. اطِّرَاحِي: إبعادي.

المعنى: وهذا هو سبب حزني، وهو نفسه الذي يُنسي إبعادي.

(١١) المعنى: وهو الذي أمالني وأبعدني عن كل آمالي، وقد منع الدهر طموحاتي.

فلا دَوْ تَخُبُّ به ركابي ولا جَوْ تَهْبُّ به رياحي^(١)
فَمَنْ للخيْلِ يقدِّمها مُغْدًا يُنازغنَ الأعنةَ كالقِداحِ؟^(٢)
وَمَنْ للبيضِ يُولِّغُها نَجِيعًا مَنْ الأعداءِ في يومِ الكفاحِ؟^(٣)
وَمَنْ للحربِ يُوقِدُ في لَظاها إذا اختَدَمَتْ أنابيبُ الرِّماحِ؟^(٤)
وَمَنْ لِمُسزَبَلٍ في القِدِّ عانٍ على وَجَلٍ يُذاذُ عن السِّراحِ؟^(٥)
ومن للمالِ يَغْصِي فيه بَذَلًا أساطيرَ العواذِلِ واللِّواحي؟^(٦)
ومن لِمُسَوِّفٍ بالوعدِ يُلَوِّى ومَطروحٍ عنِ الجدوى مُزاحِ؟^(٧)
هي الدنيا تُجَمِّجُ ثم تأتي مِنَ الأمرِ المبرِّحِ بالصُّراحِ؟^(٨)
تُنِيلُ عطيةً وتردُّ أخرى وتَطوي الجدَّ في عينِ المِزاحِ؟^(٩)
فمن يُعدي على أمِّ الرِّزايا إذا جاءتْ بقاسيةِ الجِراحِ؟^(١٠)

- (١) المفردات: الدو: الفلاة. الخب: نوع من عدو الخيل.
المعنى: فلا أرى فلاة تعدو بها مطيتي، ولا فضاء تتحرك فيه نسائي. . . ليس حولي ما
يشيرني ويغريني.
- (٢) المفردات: مغدًا: حائًا على السرعة. الأعنة: مفردها العنان، وهو زمام الجواد. القداح:
مفردها القدح، وهو السهم.
- (٣) المعنى: وقد كان جوادي يسبق الخيل المسرعة، يأبى على الأعنة أن تقوده، وهو يطير كالسهم.
- (٤) المفردات: يولغها: يُلْعَقُها. النجيع: الدم.
- (٥) المعنى: وكان سيفي الأول الذي كنت أسقيه دم الأعداء في يوم النضال.
- (٦) المعنى: ومن غيري للحرب يُلْهِبُها حين تلتحم الرماح؟
- (٧) المفردات: المسزبل: الذي يرتدي الدرع أو القميص ونحوهما. القد: قيد جلدي.
- (٨) المعنى: الأسير. يذاذ: يُطْرَد. السراح: التسريح.
- (٩) المعنى: ومن غيري أسر الصنديد المتدرع وربطه بالحبال، وكان خائفًا ويحاول الهرب
ولكن يمنع منه.
- (١٠) المعنى: ومن مثلي في السخاء، يبذل المال ويرفض أقاصيص العذال واللائمين.
- (١١) المعنى: ومن يلبي طلب امرئ كثيرًا ما وعد ولم يلبَّ وعده، ومحروم عن العطاء مبعده عنه؟
- (١٢) المفردات: تجمجم: تتكلم بما لا يفهم. الصراح: الخالص النقي.
- (١٣) المعنى: هذه هي الدنيا، تبدأ بحركات غير مفهومة ثم تنقلب علينا لتأتينا صريحة بما يؤلم.
- (١٤) المعنى: تمنحنا مرة وتسلبنا أخرى، وتظاهر بالمداعبة وهي جادة في أمرها.
- (١٥) المفردات: يعدي: يعين. أم الرزايا: المنية.

سلامُ الله تنقله الليالي ويُهديه الغدوُ إلى الرّواح^(١)
على جدثٍ تشبّث من لؤيٍ بينبوع العبادة والصّلاح^(٢)
فتى لم يزوَ إلا من حلالٍ ولم يك زاده غير المُباح^(٣)
ولا دَنَسَتْ له أزرُ بعارٍ ولا عَلِقَتْ له راحُ براح^(٤)
خفيفُ الظَّهرِ من حَمَلِ الخطايا وعُريانُ الصَّحيفة من جُناح^(٥)
مَسوقٌ في الأمورِ إلى هُداها ومَذلولٌ على بابِ النّجاح^(٦)
مِنَ القومِ الذين لهم قلوبٌ بذكرِ الله عامرةٌ النّواحي^(٧)
بأجسام من التّقوى مِراضٍ لمبصرِها وأديانٍ صِحاح^(٨)
بني الآباء قوموا فاندبوه بالسّنة بما تُثني فصاح^(٩)
وإن شئتم له عقرًا فسلّوا نفوسَ ذوي اللّقاح عن اللّقاح^(١٠)

=المعنى: ألا هل من يعينني على الموت إذا هبّ في تجريحه؟

(١) المعنى: أحبك بتحيات دائمت، تأتيك من الصباح إلى المساء.

(٢) المفردات: الجدث: القبر.

المعنى: سلامي الدائم أرسله إلى قبر أحكم القبض على سليل لؤي العابد الصالح الصادق.

(٣) المعنى: إنه لم يذق حرامًا طوال عمره، ولم يعرف غير الحلال من غذائه.

(٤) المفردات: الأزّر: مفردها الإزار. الراح (الأولى): الكف، والثانية: الخمرة.

المعنى: لم يعرف العار عمره، ولم يذن من حرام، ولم يشرب خمرة ولا مسّت يده كأسًا محرّمة.

(٥) المعنى: لم يحمل وزرًا ولم يوصم بخطيئة، ولم يكن له في حياته كلها أي إثم.

(٦) المعنى: نقّي الطوية فيهدي إلى أموره بخير، حتى يبلغ مرحلة النجاح.

(٧) المعنى: وهو من ذوي القلوب المؤمنة العامرة بذكر الله في كل الأعمال.

(٨) المعنى: إن من طبع الثقة أن تبدو أجسادهم مريضة وما هي بذلك. إن هو إلا تواضع رجال الدين حيث يظهرون بمظهر المرضى وهم صحاح الأجسام والاعتقاد.

(٩) المعنى: فانهضوا يا ذوي الأحساب فاثنوا عليه بما يليق به بفصيح الكلام.

(١٠) المفردات: العقر: قطع أطراف الناقة بالسيف، ويريد الذبح. شلوا: اطرّدوا. اللّقاح: ماء الفحل.

المعنى: إن أردتم إظهار حزنكم فاعقروا له ما تقدرون عليه، وامنعوا الذكور من الإناث.

أَصَابَكَ كُلُّ مُنْهَمِرٍ دَلُوحٍ وَحَامِلُ كُلِّ مُثْقَلَةٍ رَدَاحٍ^(١)
 وَرَوَّاءُ الْغَمَامِ الْجُونُ يَسْرِي بَطِيءَ الْخَطْوِ كَالْإِبِلِ الرُّزَاحِ^(٢)
 تَرَابٌ طَابَ سَاكِنُهُ فَبَاتَتْ تَأْرُجُ فِيهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ^(٣)
 غَنِيٌّ أَنْ تُجَاوِرَهُ الْخُزَامَى وَتُوَقَّدَ حَوْلَهُ سُرُجُ الْأَقَاحِي^(٤)

- 123 -

وقال في الافتخار: [من البسيط]

لِي مِنْ رُضَابِكَ مَا يُغْنِي عَنِ الرَّاحِ وَنُورٌ وَجْهَكَ فِي الظُّلُمَاءِ مِصْبَاحِي^(٥)
 وَحَمْرَةٌ نُشِرَتْ فِي وَجَّتَيْكَ بِهَا مَلَكْتَ نَاصِيَتَيَّ وَرِدٍ وَتُفَاحِ^(٦)
 وَقَدْ لَحُونِي عَلَى وَجْدِي فَقُلْ لَهُمْ: كَيْفَ اثْنَى خَائِبًا مِنْ طَاعَتِي الْآلَاحِي؟^(٧)
 تَلُومُنِي وَالتِّيَاعُ مَا يَفَارِقُنِي مِلءُ الضُّلُوعِ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُرْتَاحِ^(٨)
 وَأَنْتَ صَاحٍ وَلاَحٍ مَنْ بِهِ سُكْرٌ وَمَا اسْتَوَى فِي الْهَوَى السُّكْرَانُ وَالصَّاحِي^(٩)

- (١) المفردات: الدلوح: الثقيل. الرداح: الكبيرة المنبسطة.
 المعنى: سقاك المطر الثقيل والغيم الضخم الزاخر بالماء.
- (٢) المفردات: الجون (بالضم): مفردا الجون (بالفتح) الأبيض (وهو ضد). الرزاح: مفردا الرازح، وهو الساقط من الإعياء.
- المعنى: وأنزلت السحب البيضاء أمطارها عليك بطيئة مثل بطاء الإبل المنهكة.
- (٣) المفردات: تأرج: تتأرجح؛ تتعطر.
- المعنى: أسعد الله ساكن هذا التراب، وفاحت منه أنواع العبير.
- (٤) المعنى: تحيط به أزاهير الخزامى، وتلتهب ألوان الأقحوان حوله.
- (٥) المفردات: الرضاب: الريق. الراح: الخمرة.
- المعنى: إن رشفي لريقك يا حبيبي يعوضني عن الخمرة، ورؤية وجهك ليلاً لا يحيجني إلى مصباح.
- (٦) المعنى: وحمرة خديك فاقت لون الورد والتفاح.
- (٧) المعنى: لقد لامني المعاتبون على حبي لك، وإنني لأعجب كيف لم يُطعنني العاتب على حبي؟
- (٨) المفردات: الالتياح: احتراق الفؤاد شوقاً.
- المعنى: تعاتبني على حبي ولهيب الشوق محيط بي ملثم بأضلاعي، تارك فؤادي ملتاعاً.
- (٩) المعنى: أنت لم تعرف نشوة الحب وتلوم الغارق فيه.. ومتى تساوى العاشق والخالي البال؟

قُمْ غَنِّني بِأَحَادِيثِ الْهَوَى طَرَبًا وَسَقِّنِي مِنْ دَمَوْعِي مِلءً أَقْدَاحِي^(١)
 وَلَا تَمِلْ بِي إِلَى مَنْ لَا أُسْرُ بِهِ فِي يَمِينِكَ أَحْزَانِي وَأَفْرَاحِي^(٢)
 وَقَدْ شَجِيتُ بِقُمْرِيٍّ عَلَى غُصْنِ بَاكِ بَلَا أَدْمُعَ يَجْزِينَ نَوَاحِ^(٣)
 قَلٍّ لِلَّذِينَ أَرَادُوا مِثْلَ مَفْخَرَتِي: أَنِّي لَكُمْ مِثْلُ غُرَاتِي وَأَوْضَاحِي؟^(٤)
 وَهَلْ تَبْتَونَ إِلَّا فِي حِمَى كَنَفِي فِي خَفَارَةِ أَسْيَافِي وَأَرْمَاحِي؟^(٥)
 مَنْ فِيكُمْ وَقَدْ اشْتَدَّ الْخِصَامُ لَهُ مِنْ دُونِكُمْ مِثْلُ إِضْوَاحِي وَإِفْصَاحِي؟^(٦)
 مَا زَالِ رَائِدُكُمْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ لَوْلَايَ فِيكُمْ بَوَاجِهِ غَيْرِ وَضَاحِ^(٧)
 وَقَدْ بَلَغْتُ مَرَامًا عَزَّ مَطْلَبُهُ لَمْ تَبْلُغُوهُ وَعِيسِي غَيْرُ أَطْلَاحِ^(٨)
 وَكَمْ ثَوَتْ مِنْكُمْ الْأَحْوَالُ فَاسِدَةً حَتَّى صَرَفْتُ إِلَيْهَا وَجَهَ إِصْلَاحِي^(٩)
 لَا لَذَّةَ لِي فِي غَيْرِ الْجَمِيلِ وَلَا فِي غَيْرِ أَوْدِيَةِ الْمَعْرُوفِ أَفْرَاحِي^(١٠)
 دَفَعْتُ عَنْكُمْ بِمَا تَجْلُو الْقِيُونَ وَقَدْ دَفَعْتُمْ الشَّرَّ عَجْزًا عَنْهُ بِالرَّاحِ^(١١)

(١) المعنى: وأريد منك أن تنشُد لي مناجاة الحب، وتسقيني من دموعي كل طاقتي.
 (٢) المعنى: ولا تأخذني إلى من لا أحبه، فأنا بين يديك.. وبهما أفراحي وأتراحي.
 (٣) المعنى: وقد أسعدني غناء القمرى على الشجرة.. وهويكي على فقد إلفه ولكن من غير دموع.
 (٤) المفردات: الغرة: البقعة البيضاء على جبين الفرس. الأوضاح: مفردا الوضع، وهو البياض.

المعنى: أخبروا من يحاولون منافرتي أنهم لن يستطيعوا بلوغ مجدي وسمعتي.
 (٥) المعنى: وكيف تتباهون علي وأنتم تعيشون تحت كنفي وبحماتي؟
 (٦) المعنى: من يجرؤ منكم على مجابهة الخصوم بمثل فصاحتي وبياني؟
 (٧) المفردات: الرائد: الذي يسبق القوم لمعرفة مواضع الكلا.
 المعنى: حتى رائدكم إلى المكارم لولا عوني له لعاد إليكم بخفي حنين.
 (٨) المفردات: الأطلاق: مفردا الطليح، وهو الهزيل. العيس: الإبل البيضاء الكريمة.
 المعنى: وقد وصلت إلى مرتبة من العلاء لا يمكن لأحد أن يرقاها، وما زلت مجتهداً في الصعود.

(٩) المعنى: وكثيراً ما ساءت أوضاعكم، ولم تصلح حتى اهتممت لها وأصلحتها.
 (١٠) المعنى: لا أعرف طعماً للسعادة إلا في بذل الخير والعمل الصالح، ولا يطيب العيش لي إلا في أداء المعروف.

(١١) المفردات: القيون: مفردا القين، وهو الحداد ويعني صانع السيوف. الراح: الراحة.
 المعنى: وقد دافعت عنكم بالسيوف التي صقلها الحدادون، ولم تزعجوا أنفسكم تجاه =

- سَيَانِ سِرِّي وَجَهْرِي فِي ظَهَارَتِهِ
 إِنْ كَانَ رَبِّحُكُمْ مَا لَا يَفَارُقُكُمْ
 وَرِثْتُ هَذِي الْخِصَالِ الْغُرَّ دُونَكُمْ
 قَوْمٌ إِذَا رَكَبُوا يَوْمًا عَلَى عَجَلٍ
 تَرَى جِيَادَهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
 هُمْ الْبَحُورُ لِمَنْ يَعْتَادُ رِفْدَهُمْ
 لَوْ طَاوَلُوا النَّجْمَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى أَحَدٍ
 أَوْلَاكَ قَوْمِي فَجِئْتُونِي بِمِثْلِهِمْ
 مَعَالَمٌ لَا مَرُورُ الدَّهْرِ يُخْلِقُهَا
 وَمُسْتَوٍ خَمْرِي فِيهِ وَتَزْوَاحِي^(١)
 فَلَيْسَ غَيْرَ الْأَيَادِي الْبَيْضِ أَرْبَاحِي^(٢)
 عَنْ كُلِّ قَرْمٍ طَوِيلِ الْبَاعِ جَحْجَاحٍ^(٣)
 ضَاقَ الْفَضَاءُ وَسَدَّوْا كُلَّ صَخْصَاحٍ^(٤)
 تُلْقِي مِنَ الْأَرْضِ صُفَاحًا بِصُفَاحٍ^(٥)
 وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ أَوْشَالٍ وَضَخْضَاحٍ^(٦)
 أَوْ صَاوَلُوا النَّارَ لَمْ تَظْهَرْ لِقْدَاحٍ^(٧)
 فِي مَنْزِلٍ هَابِطٍ أَوْ ظَاهِرٍ ضَاحٍ^(٨)
 وَلَا يَخَافُ عَلَى مَخْوٍ لَهَا مَاحٍ^(٩)

=الشّر الذي يحيط بي.

- (١) المفردات: الظُّهارة: ما يظهر للعين. الخمر: التستر. الترواح: الرواح مساء.
 المعنى: يتعادل سري وإعلاني في شكله، ويتساوى تستري وذهابي.
 (٢) المعنى: إن كنتم تعتقدون أن سعادتكم بكسب المال فاعلموا أنه زائل، أما أنا فربحي هو الأعمال الطيبة.
 (٣) المفردات: القرم: الشجاع. الجحجاح: السيد الكريم.
 المعنى: وما أتحدى به من عظيم الشمائل فمن ميراث أجدادي السادة الشجعان، مما لا عراقة عندكم مثله.
 (٤) المفردات: الصخصاح: المفازة.
 المعنى: وجدودي إذا استعجلهم أمر وركبوا من أجله كان عددهم ضخماً، تضيق الدنيا بهم وتنسد المفازات.
 (٥) المفردات: الصفاح: الحجارة العريضة.
 المعنى: أما خيلهم فإنها تدفع بحوافرها صفائح الحجارة لقوتها في ساحات الحرب.
 (٦) المفردات: الأوشال: الماء القليل، والضخضاح مثله.
 المعنى: وكرمهم أشبه بالبحر لمن اعتاده، وكرم الباقيين لا يعادل إلا بالماء الضحل القليل.
 (٧) المعنى: وهم بعلبائهم يفوقون النجوم ويخمدون نورها، أو إن حاربوا النيران اضمحلت لكل قاذح لها.
 (٨) المعنى: هؤلاء هم أهلي، فابحثوا عن مثل لهم في أرض وجبل.
 (٩) المعنى: ذوو مقام راسخ لا يوهنها تتابع الأيام والأزمان، ولا يخشى لها زوال.

وقال في الغزل: [من مجزوء الكامل]

- يا مَليحَ الوجهِ لِمَ فَعَدَ لُكَّ لي غيرُ مَليحٍ؟^(١)
 إِنَّ مَن يَبْذُلُ نَفْسًا في الهوى غيرُ شَحيحٍ^(٢)
 لَم تَخِرْ جِسمي فَرَدًا لَكَ مَع جِسمي رُوحِي^(٣)
 والهوى بَلَوَى وَلَكِن لِسَقِيمٍ بِصَحيحٍ^(٤)
 كَم لَيَالٍ سَهَرِي فيكَ غَبُوقِي وَصَبُوحِي^(٥)
 بِتُ أَشكو غُصَصَ الحُبِّ بَإِلَى غيرِ مُريحٍ^(٦)
 لو خَطَانِي جُرْحُهُ وَفَدَا لِدَاوِيثُ جُروحِي^(٧)
 لي بَكاءٌ مَن دَمِ صِرَ فِ مَن الجَفْنِ القَريحِ^(٨)
 كُلَّمَا استَبَدَلْتُ أُبَدِّلُ تَ قَبِيحًا بِقَبِيحٍ^(٩)
 وَإِذَا طَاوَعْتُ أَمْرًا الـ حُبُّ عَاصِيَتْ نَصِيحِي^(١٠)

وقال يرثي أحد الوزراء: [من المتقارب]

- (١) المعنى: لماذا يا جميل فعلك ليس جميلًا مثلك؟
 (٢) المعنى: لا يعدّ بذل النفس في سبيل الهوى تهورًا بل يعدّ كرمًا.
 (٣) المعنى: أنت لم تختار قتل جسمي وحده، بل أتبعته بروحي.
 (٤) المعنى: والحب مصيبة يُحلّها الصحيح في السقيم.
 (٥) المفردات: الغبوق: شرب العشي. الصبوح: شرب الصباح من الخمرة.
 المعنى: أمضي الليالي ساهرًا بحبك، وأذكرك صباحًا ومساءً.
 (٦) المعنى: أشكو حبي وألمه لمن لا يهتم به.
 (٧) المعنى: ولو أنه أهمل جرحي وإيذاثي حينًا من الزمان لداويت جراحي.
 (٨) المعنى: وإنني أبكي دمًا صرفًا لا يشوبه دمع، ينذر من جفون جريحة.
 (٩) المعنى: كلما حاولت تبديله جاءني شيء مكان شيء.
 (١٠) المعنى: إن الذي يعظني يطلب مني أن أترك حبي، وإن أطعت حبي عصيت ناصحي.

سلام على العمل الصالح	وغادٍ من التُّسكِ أو رائح ^(١)
سلام على السَّنَنِ المستقيم	سلام على المَثَجِرِ الرَّابِحِ ^(٢)
سلام على صَوْمِ يومِ الهجير	وهبّةٍ ذي مَدَمَعٍ سافِحِ ^(٣)
سلام على عَرَصَاتِ خَلَوُ	نَ لِلدِّينِ من غَابَقٍ صابِحِ ^(٤)
وفارقنا يومَ جدِّ الرّحبي	لُ عُرِيَانٍ مِن مِّيسَمٍ فاضِحِ ^(٥)
فتى كان في دارنا هذه	بطَرْفٍ إلى غيرِها طامِحِ ^(٦)
تراهُ إذا غَسَقَ الخابطون	على منهجٍ للهُدَى واضحِ ^(٧)
محمّدُ فارقنا عَنوةً	فجرحي الرُّغيبُ بلا جارِحِ ^(٨)
وأودعتني في صَمِيمِ الفؤا	دِ مِنِّي ما ليسَ بالبارِحِ ^(٩)
وهوَنَ رُزْءُكَ أُنَى أَقولُ	مضيتَ إلى مُنيةِ الفارِحِ ^(١٠)
إلى نَعَمٍ ليس كالْأَعْطِيَاتِ	ونافحُها ليس كالنّافِحِ ^(١١)

- (١) المعنى: نودع الأعمال الصالحة، والزهد والعبادة في أي حال.
- (٢) المفردات: السَّنَنِ: الطريق.
- المعنى: نودع طريقًا سليمًا وتجارة غائمة.
- (٣) المفردات: الهجير: شدة الحر في النهار.
- المعنى: نودع رجل صيام وعبادة حتى في الأيام الحارقة، يعبق منه الإيمان وتندرف من عينيه الدموع المسفوحة.
- (٤) المعنى: نودع ساحات الدين التي خلت من الوافدين عليها صباحًا ومساءً.
- (٥) المعنى: حين وافته المنية رحل عنها ساكنًا هادئًا طاهر السمعة.
- (٦) المعنى: حين كان معنا في هذه الدنيا الفانية كانت عيناه ترقبان نعيم الآخرة بشغف.
- (٧) المفردات: غسق: أظلم.
- المعنى: لا نراه يبرز إلا إذا لمس انحرافًا عن الدين وعن المنهج القويم.
- (٨) المفردات: عنوة: قهراً وغصبًا. الرغيب: الواسع.
- المعنى: غادرتنا أيها الوزير - واسمه محمد - غصبًا عنا، وها هي ذي جراحي بلا طبيب.
- (٩) المعنى: وغرزت في سويداء قلبي ألماً صامدًا لا يبرح.
- (١٠) المعنى: والذي هوَنَ مصابنا بك حين نقول إنك رحلت إلى حيث يتمنى المرء السعيد.
- (١١) المفردات: النافع: الواهب.
- المعنى: ترحل إلى هبات لا تعادلها هبات، والذي يمنحها يختلف كليًا عن الواهب في الدنيا.

وإنَّ الوزارةَ مُذْ فارَقْتَ جنابَكَ في مطرحِ الطَّارِحِ^(١)
كنارِ العَراءِ بلا مُصْطَلِ وسَجَلِ القَلِيبِ بلا ماتِحِ^(٢)
ودارِ السَّياسَةِ مجفُوَّة وغُدرائِهِنَّ بلا ناشِحِ^(٣)
وكنْتَ وقد طَرَحْتَها بَناءُ كَ مُحْتَقِرًا خَيْرَ ما طارِحِ^(٤)
فلو سُئِلْتَ عنكَ لاستعجلْتَ إلى منطِقِ الشَّاكرِ المادِحِ^(٥)
وكم لك في المجدِ من ثورَةٍ إلى البلدِ الشَّاحِطِ النازِحِ^(٦)
على كُلِّ مَنفَرَجِ الكاذَتَيْنِ كَثُومٍ لأنفاسِهِ سابِحِ^(٧)
تراهُ إذا اسوَدَّ ليلُ العَجاجِ مِنَ الرُّوعِ كالكوكبِ اللائحِ^(٨)
وقد عَلِمُوا حينَ شَبُّوا الأوارَ مَجَسَّكَ من لاذِعِ لافِحِ^(٩)
بأنَّكَ أضربُ من حاملٍ لسيفٍ وأطعنُ من رامِحِ^(١٠)
وأكثَمُ للسُّرِّ حينَ اكثَوْتَ خُطوبُ على النَّاشرِ البائِحِ^(١١)

(١) المعنى: ومنذ رحلت عنا والوزارة حزينة مهمة.

(٢) المفردات: السجل: الدلو. القليب: البئر القديمة. الماتح: المستقي.

المعنى: غدت الوزارة لا يفد عليها أحد كالنار الموقدة في الصحراء ولا من يتدفأ بها، وكالدلو ولا صاحب للماء به من البئر.

(٣) المفردات: الناشح: الشارب دون الري.

المعنى: وأهمل الناس زيارة دار الحكومة، فلم يفدوا إليها للارتواء.

(٤) المعنى: ومع أهميتها أهملتها غير عابئ بخيرها الكثير.

(٥) المعنى: وهي ما زالت تلهج بذكرك العطر وتشكر ما كنت تقوم فيه.. هذا هو جوابها فيما لو سألتها أحدهم عن حكومتك.

(٦) المفردات: الشاحط: البعيد.

المعنى: وقد كان لك إقدام عنيف في طريق المجد في أقصى البلاد.

(٧) المفردات: الكاذتان: ما نتأ من اللحم في أعالي الفخذ.

المعنى: وأنت تمتطي جوادًا قويًا منفرج الساقين لسرعته، يكتم أنفاسه كالسباح في الماء.

(٨) المعنى: يبدو هذا الجواد في ساحة الحرب وحين تزاحم غبار النقع لامعًا مثل النجم.

(٩) المفردات: شب النار: أوقدها. الأوار: النار (في الأصل هي الدخان).

المعنى: وقد أيقنوا حين أثاروا الفتنة قدرتك على الصمود والهجوم.

(١٠) المعنى: أيقنوا بأنك أقوى من يحمل السيف ويطعن بالرمح.

(١١) المعنى: وأدركوا بأنك لا تبوح بما يقع من ملقات تفضح المصاب بها.

- وَأَنْتَ مُنْتَقِمًا إِذْ تَكُونُ لَذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الصَّافِحِ^(١)
تَفِيءُ إِلَى الْأَبْلَجِ الْمُسْتَنِيرِ مِنْ الرَّأْيِ فِي الْمُعْضِلِ الْفَادِحِ^(٢)
وَأَنْ عَنْ يَوْمٍ حَبَاءٍ هَطَلَتْ وَفِي النَّاسِ مَنْ لَيْسَ بِالرَّاشِحِ^(٣)
مَضِيَّتَ خَفِيفًا مِنَ الْمَوْبِقَاتِ وَأَيْنَ الْخَفِيفُ مِنَ الدَّالِحِ؟!^(٤)
وَلَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ ثَرْبًا أَهِيلَ عَلَى جَسَدٍ نَاصِعٍ نَاصِحِ^(٥)
لَزَارَوْهُ وَاسْتَنْزَلُوا عِنْدَهُ عَطَاءٌ مِنَ الْمَانِعِ الْمَائِحِ^(٦)
فَإِذَا نَزَحَتْ وَرَاءَ الصَّفِيحِ فَلَسْتَ عَنِ الْخَيْرِ بِالنَّازِحِ^(٧)
فَلِّلِهِ قَبْرٌ أَرَاقُوا بِهِ ذُنُوبًا مِنَ الدُّخْرِ الصَّالِحِ^(٨)
تَمَرُّ بِهِ أَرْجُ الْخَافِقِينَ مَلَّانَ مِنْ عَبَقٍ فَائِحِ^(٩)
فَإِنْ نَحْنُ قِسْنَا إِلَيْهِ الْقُبُورَ أَبَرُّ بِمِيزَانِهِ الرَّاجِحِ^(١٠)

(١) المفردات: الذحل: الثَّار.

المعنى: وأدركوا بأنك عنيف الثَّار لا تميل إلى الصَّفح.

(٢) المفردات: تفي: ترجع. الأبلج: المشرق الواضح. الفادح: الصعب المثقل.

المعنى: وأنت تحسن التفكير في معضلات الأمور والصعاب من القضايا.

(٣) المفردات: عَنْ: عرض. الحباء: العطاء.

المعنى: وأنت سريع العطاء تسرع إليه كالْمَطَرِ الْهَاطِلِ، حين يكون غيرك لا يقدم الثَّر.

(٤) المفردات: الدالح: المثقل.

المعنى: خرجت من هذه الدنيا طاهرًا تكاد تكون خاليًا من الشوائب، وهل يقارن الغارق في آثامه بك؟

(٥) (٦) المفردات: المانع: المعطي.

المعنى: وإن أرادوا عدلاً لهذا التراب الذي غطى هذا الجسد النظيف الواعظ لوفدوا عليه ولأهالوا عليه الثناء الذي يغنون به.

(٧) المفردات: نزحت: بعدت. الصفيح: حجارة القبر.

المعنى: وإن خيرك ما زال عميماً وأنت بعيد تحت حجارة قبرك.

(٨) المفردات: الذُّنُوب: الدلو الكبيرة.

المعنى: ما أسعده من قبر رموا فيه رجلاً مفعماً بالعمل الصالح.

(٩) المفردات: الأرج: العطر. العبق: انتشار رائحة الطيب.

المعنى: فإن مررت بهذا القبر شممت عييراً طافحاً عَمَّ عطره الخافقين.

(١٠) المعنى: ونحن إن قارنا قبره بقبور الآخرين رجحت كفته بما منح صاحبه الناس من برّه.

ولا زالَ منهمُ الطُّرَّتَيْنِ يَسُحُّ بماءٍ له سائِحٌ^(١)
عليه وإنْ كانَ مُستَغْنِيًا بما فيه من كرم طافِحٍ^(٢)
تساوى الأنامُ بهذا الحِمَامِ فسهلُ المعاطِفِ كالجامِحِ^(٣)
وقامتْ به حَجَّةُ الزَّاهِدِينَ وضاقَ لَهُ عُذْرُ الكادِحِ^(٤)
وكلُّ مُصَيِّخٍ وإنْ كانَ لا يَحِسُّ إلى هَتَفَةِ الصَّائِحِ^(٥)

- 126 -

وقال في العتاب : [من الطويل]

ووثقتُ بكم حتى خجلتُ وكم جنتُ لنا ثقةً من خجلةٍ في الصَّفائِحِ^(٦)
وما كنتُ أخشى قبلها أنْ كُشِفْتُكُمْ أَكْشَفُكُمْ عن مثلِ هذي القبائِحِ^(٧)
هبوني امرءًا لا مَنُّ منه عليكم ولا كانَ يومًا عنكمُ بمُنافعِ^(٨)
وإنْ قادَكُم كُرْهاً إلى ربوةِ العلا نكصتُم على الأَقْناءِ نكصَ طلائِحِ^(٩)
ولم يسعَ فيما تبتغون ودونهُ حجازٌ من الأعداءِ ليس ببارِحِ^(١٠)

(١) المفردات: الطرّة: الطرف من كل شيء.

المعنى: وها هي ذي السحب تغمره بأمطارها من جانبيها.

(٢) المعنى: والأمطار مع أنها تسقيه، إلا أنه لا يحتاج إليها لكرمه الفائض.

(٣) المفردات: المعاطف: مفردها العطف، وهو الجانب.

المعنى: ولقد تعادل الناس أمام الموت... يأتي على اللين الجانب وعلى العنيد معاً.

(٤) المعنى: وهو الذي دافع عنه الزاهدون يقيناً منهم ولم يستجب لأعداء المرهقين.

(٥) المفردات: مصيخ: مستجيب مستمع. يحس: يرق.

المعنى: يستجيب للموت كل سامع ولا يرق للمستغيث الراجي.

(٦) المعنى: توهمتُ بكم حين وثقت برأيكم، وكثيراً ما نُصدم من تقصير السيوف.

(٧) المعنى: وما كنت أخاف أن أفضحكم وأظهر عيوبكم قبل هذه.

(٨) المفردات: المنافع: المدافع.

المعنى: أين هو من لم يمتن عليكم ولا دافع عنكم؟

(٩) المفردات: نكصتم: رجعتم. الطلائح: مفردها الطليحة، وهي الناقة الهزيلة من التعب.

المعنى: وإن دفعكم أحدهم إلى طريق المجد رفضتم وتراجعتم كما تراجع الناقة المرهقة.

(١٠) المعنى: لم تحاولوا الوصول إلى أمانيتكم خوفاً ممن يحول دون تحقيقها.

وأذناكم عفواً إلى جانب الغنى وقد صلحت أيامكم باجتهاده وأظفركم بالعز والعز شاهق شحذتكم سيفاً أضد به العدى وإن الذي أغراكم بقطيعتي وإني لسمخ باذل بفراقكم تبدلت لما أن أربتم ولم أعن وأخرج ما أبذعتم من مساءة ولما شربت الود منكم بسومكم ولولاي في ميزانكم يوم خيرة فلا تحسبوا أنني مقيم على أذى وكلكم ما بين ناء ونازح^(١) فلم يومه ما بينكم غير صالح؟^(٢) وأنتم بلا طزف إلى العز طامح^(٣) وما كان عندي أن سيفي جارحي^(٤) - وقد كنت وصلاً لكم - غير نازح^(٥) وما كنت فيه برهة بالمسامح^(٦) على ربيكم بيضا بسود المسائح^(٧) هوى لكم قد كان بين الجوانح^(٨) رجعت بكف بيعها غير رابح^(٩) لما كان إلا شائلاً غير راجح^(١٠) فأنى مورتور كثير المنادح^(١١)

(١) المفردات: النائي: البعيد. النازح: الراحل.

المعنى: ولم تحاولوا بلوغ الثراء وإن كان قريبكم، وأنتم عنه إما بعيدون أو راحلون.

(٢) المعنى: أسفقتكم الأيام بحسن تصرفها، فلماذا لا تحسنون التصرف فيما بينكم؟

(٣) المعنى: بذل العز لكم كل جهده مع صعوبة نيله، وأظل أراكم لا تبدون اهتماماً بارتقائه.

(٤) المعنى: أعددتكم لتكونوا لي نعم المعين على الأعداء، إذا بي أراكم تهاجموني وتجرحوني.

(٥) المعنى: كنت طول حياتي محباً لكم مرتبطاً بكم، لكنكم قاطعتموني بإغراء من لم يزل بينكم.

(٦) المعنى: وفرحتُ برحيلكم عني وبذلت وسعي في بعدكم عني، وما كنت أَرْضَى بالتنازل عن الأحباب.

(٧) المفردات: المسائح: مفردها المسيحة، وهي شعر جانبي الرأس. أربتم: أوقعتم في الريبة. المعنى: لم أكن هكذا، لكنني تغيرت حين شككت بتصرفكم، ولم أتكلف بريبتكم ولم أزعج نفسي ولم يبيض شعر جانبي رأسي.

(٨) المعنى: وتصرفكم المشين ساعد على اقتلاع حبكم من قلبي بعد أن كان معشاً فيه.

(٩) المعنى: وحين لمست أنكم تساومون على حبي بعتمكم بيعة خاسرة لا تريد ربحاً.

(١٠) المعنى: لقد كنت المشير الناصح لكم، ولولا نصائحي لكشف جهلكم ولفضحت خبرتكم.

(١١) المفردات: الموتور: من قتل له قتيلاً ولم يثار له. المنادح: مفردها المندوحة، وهي السعة والفسحة.

إذا ضرّني يومًا صديقي وساءَني
تقطّع وُدّ كان بيني وبينكم
فمالي إلى أوطانكم من مطامح
ومالي إلمامٌ بدارِ حلولكم
وإن كانت البطحاء دارَ مقامكم
وأيقنتُ أنّي ثاويًا في دياركم
وكنْتُ وما جرّبتكم كلفًا بكم
لنا في تلاقينا وجوهَ ضواحكُ
وقد كنْتُم صُبْحًا بغيرِ دُجْنَةٍ
فما هو إلّا كالعدوّ المكاشح^(١)
وطاحت به في الأرضِ إحدى الطوائح^(٢)
ومالي ألى أعطانكم من مسارح^(٣)
وما كنْتُ إلّا بينَ غادٍ ورائح^(٤)
فمالي تعريجٌ بتلك الأباطح^(٥)
مقيمٌ على آلِ القفارِ الصّحاصح^(٦)
فأظفروني تجريبكم بالفصائح^(٧)
وكم دونهنّ من قلوبٍ كوالح^(٨)
فقد صرْتُم جُنْحًا بغيرِ مصابح^(٩)

- =المعنى: ولا تظنوا أنني أذعن لمن يؤذيني، فأنا رحب الصدر مع احتفاظي بحق الثأر.
- (١) المفردات: المكاشح: العدو الذي يبطن عداوته.
- المعنى: إن الصديق الذي يضرني وسيء إلي في نظري كالعدو الذي يبطن عداوته.
- (٢) المفردات: الطوائح: القواذف.
- المعنى: وهكذا انصرفت حبال الصداقة بيني وبينكم وأبعدتها قواذف في متاهات الأرض.
- (٣) المفردات: الأعطان: مبارك الإبل والأغنام.
- المعنى: ولم يعد عندي مأرب في حلول دياركم ولا مقصد في النزول بساحاتكم.
- (٤) المعنى: وانعدمت رغبتني في زيارتكم، وقد كنت أمرّ بكم مرورًا.
- (٥) المفردات: البطحاء: مسيل الماء فيه رمل وحصى.
- المعنى: لن أعرج على أوطانكم ولو كانت في الأراضي الخصبة.
- (٦) المفردات: الآل: السراب. الصحاصح: القفار.
- المعنى: وبعد هذا التصرف المشين الذي لقيته منكم أدركت أنني أحيًا على سراب في قفار معكم.
- (٧) المعنى: ولقد رأيت أن أختبركم لا حبًا بكم ولكن لأكشفكم، فتجّبت تجربتي عن فضحكم وتعريتكم.
- (٨) المفردات: الكوالح: مفردا الكالح، وهو العابس.
- المعنى: حين ألقاكم ألمح وجوهًا مشرقة في الظاهر، وهي في الحقيقة لا تكشف عما في صدوركم من عبوس وحقد.
- (٩) المفردات: الدجنة: الظلام. جنح الليل: طرف منه.
- المعنى: حين كنتم مخلصين معي كانت أيامكم سعيدة ليس ما يعكر صفوها، والآن أنتم في ظلام لا نور لكم.

فلا تسألوني عن صفاء عَهْدَتُمْ فقد طَارَ في هُوجِ الرِّيحِ البوارحِ ^(١)
 فَإِنْ تَشَحَّطُوا بَعْدَ اجْتِمَاعِ وَالْفَةِ ببعضِ الرِّزَايا الهَاجِمَاتِ الفَوَاحِ ^(٢)
 فقلبي عَنْكُمْ مُعْرَضٌ غَيْرُ مَائِقٍ ودمعي عَلَيْكُمْ جَامِدٌ غَيْرُ سَافِحٍ ^(٣)
 وَمَا كُلُّ مَا لَاقَيْتُمْ مِنْكُمْ شَكْوَتُهُ وَأَوَّلُ جِدِّ الْمَرءِ تَعْرِضُ مَازِحٍ ^(٤)
 فَشَتَّانَ لَوْ أَنْصَفْتُمْ مِنْ نَفُوسِكُمْ وَلَمْ تَظْلَمُوا مَا بَيْنَ هَاجٍ وَمَادِحٍ ^(٥)
 وَإِنَّ غَبِينَ النَّاسِ مَن بَاتَ عِرْضُهُ تُعْرِضُهُ السُّوءَى لِبَعْضِ الْقَرَائِحِ ^(٦)

- 127 -

وقال في العتاب أيضًا: [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَشْغُوفٍ بِعَذْلِي فِي مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ: ^(٧)
 لَا تَلْمَنِي فِي هَوَى الْبِيدِ ضِيقِ فَإِنِّي غَيْرُ صَاحٍ ^(٨)
 أَيُّ قَلْبٍ هُوَ خَلُوُ الْ سِرٍّ مِنْ عِشْقِ الْمِلَاحِ؟ ^(٩)
 كُنْ كَمَا شِئْتَ وَدَعْنِي فِي غَدُوِّي وَرَوَاحِي ^(١٠)

(١) المعنى: فلا تسألوني عن بشاشة كنتم سعداء بها، فقد ولت إلى غير رجعة، حملتها الرياح الهوجاء على أجنحتها.

(٢) المفردات: تشحطوا: تبتعدوا.

المعنى: فإن بعدتم عني بعد لقاء ومحبة بما ريمتموني من مصائب وخيمة.

(٣) المفردات: المائق: الذي يكاد يبكي من شدة الغيظ.

المعنى: فاعلموا أن قلبي هجركم غير آسف، وأن دمعي لن يجري على فقدكم.

(٤) المعنى: ولم أشتك من كل أفعالكم، فقد اعتبرت أوائل تصرفكم كالمداعبة.

(٥) المعنى: وكم كنت أتمنى لو كنتم منصفين في معاملتكم معي، فالفرق شاسع بين من يهجو ومن يمدح.

(٦) المفردات: الغبين: المخدوع.

المعنى: فالمخدوع من الناس هو الذي يوصم منهم ببعض الإساءات.

(٧) المعنى: أخبر من يهوى عتابي دومًا.

(٨) المعنى: لا تعاتبني على حبي للحسان فأنا في غشاوة من أمري.

(٩) المعنى: وهل هناك قلب لا يعشق الملاح في سره؟

(١٠) المعنى: دعني كما أهوى في كل حياتي، وعش كما تشاء.

ما على غيري مني في فسادي وصلاح^(١)
وإذا أفلحت فاترك للورى غير الفلاح^(٢)

- 128 -

وقال في الغزل: [من مجزوء الكامل]

بيني وبين عواذلي في الحب أطراف الرماح^(٣)
أنا خارجي في الهوى لا حكم إلا للملاح^(٤)

* * *

(١) المعنى: ولا يهتم غيري بي ولا يسعين إلى خيري أو شري.

(٢) المعنى: وإذا نجحت مع غيري فدع الناس على هواهم.

(٣) المعنى: بيني وبين من يعاتبني على حبي حرب شعواء.

(٤) المعنى: إنني على مذهب الخوارج الذين يقولون: «لا حكم إلا الله»، وأنا مثلهم، ولكن أقول: لا حكم إلا للملاح.

قافية الخاء

- 128 -

قال يتظلم ويفتخر: [من الطويل]

أبي يعصبُ الغاؤون ما في عيَابِهِمْ وَيَلْطَخُنِي بِالشَّرِّ مَنْ هُوَ مُلْطَخُ^(١)
ولو شئتُ أضحي بين داري وبينهم بَسَاطَ بَعِيدَ لَلْمَطَايَا وَبِرَزْخُ^(٢)
كأني مقيم بين قوم أذلة أَمِيمُ رَزَايَا بِالْجَنَادِلِ يُشْدَخُ^(٣)
ولي مُهْجَةٌ لم يبقَ إِلَّا طُلُولُهَا تُرْشُ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ وَتُرْضَخُ^(٤)
إذا قلتُ يومًا قد مضى ما يريُّهَا تَرَاخِ بِي مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلُ يَرْسُخُ^(٥)
ويشمخُ قومٌ ناقصون عن العُلا وَكَمْ بَيْنَنَا أَنْ كُنْتُ بِالْفَضْلِ أَشْمَخُ^(٦)

(١) المفردات: عصب به الأمر: ألصقه به ونسبه إليه. العياب: مفردا العيبة، وهي وعاء جلدي كالزنبيل. الغاوي: الضال.

المعنى: أيصمني الضالون بما يوصفون به، وينسبون إلي الشر الذي في نفوسهم؟

(٢) المفردات: البساط: الأرض الواسعة. البرزخ: الحاجز بين الشيئين.

المعنى: وإنني أستطيع أن أبعد ديارى عن ديارهم لا تصل المطايا إليها، وأن أضع سدًا بيننا.

(٣) المفردات: الأميم: المضروب على قمة رأسه. شدخ: كسر.

المعنى: وكأنني أعيش بين أناس ذليلين مضروب الرأس مشدوخًا بالصخور.

(٤) المفردات: رضخ: ضرب.

المعنى: وقد فقدت معظم روحي بما هاجمتها الهموم وكسرتها، فلم تبق إلا أطلالها.

(٥) المعنى: وإن ذكرت أن المصائب قد ولت عني وزال ما يشككها عادت إلي مصائب أخرى لم تكن في الحسبان.

(٦) المفردات: شمخ: علا وترفع.

المعنى: وأرى أناسًا ليسوا أهلًا للمجد فيترفعون عنه، وأنا صاحب الفضل وأترفع عنه.

فقل للذي يبغى لحاقي غباوة: أفي غير فحم أنت دهرك تنفخ؟^(١)
وما أنت إلا يزعم الدو كارع وإلا فغرثان ولا نار يطبخ^(٢)

* * *

(١) المعنى: أعلم من يحاول تقليدي ومتابعتي أن هذا غباء منه؛ فهل ينفخ المرء في شيء غير الفحم إذا أراد نارا؟

(٢) المفردات: اليرمع: حصى لامعة بيضاء سهلة التفتيت. الدو: البيداء. الغرثان: الجائع. المعنى: وأنت في لحاقلك لي أشبه بمن يشرب حصى البيداء، أو كالجائع وليس عنده نار يطبخ بها.

قافية الدال

- 129 -

وقال في الغزل: [من مجزوء الخفيف]

لا تَلْمَنِي عَلَى الْهُوَى فَالهُوى غَالِبُ الْجَلْدِ^(١)
أَيُّمَا صَالِحٍ مَضَى بِهِوى الْبَيْضِ مَا فَسَدُ؟^(٢)
ليس يَنْجُو مَنْ أَنْ يُصَا دَ بِحَبْلِ الْهُوى أَحَدُ^(٣)
أَنَا أَهْوَاهُ ظَالِمًا مُخْلَفًا مَا بِهِ وَعْدُ^(٤)
كَلَّمَا قَمْتُ طَالِبًا وَضَلَّه فِي الْهُوى قَعْدُ^(٥)
وَإِذَا مَا نَفَى وَشَرَزَ رَدَّ عَنِي الْكَرَى رَقْدُ^(٦)

- 130 -

قال يهنىء أباه الطاهر بعيد الفطر: [من الطويل]

سَمِئْتُ مُقَامِي فِي الْغَيْبَةِ مُغَمِّدًا يَرَاوِحُنِي فِيهَا الْمَلَامُ كَمَا غَدَا^(٧)

(١) المعنى: لا تعاتبني على الحب لأنه قوي عنيد.

(٢) المعنى: أرى أمراً صالحاً واحداً لم يفسده حبه للحسن.

(٣) المعنى: ليس هناك إنسان لا يقع في أحبل الحب.

(٤) المعنى: مع ظلمه وعدم تليته لما وعدني به أظل أحبه.

(٥) المعنى: كلما دنوت منه أريد وصلاً تراجع عني وقعد.

(٦) المعنى: يهنأ في نومه عندما يتركني أرقاً شارد العينين.

(٧) المفردات: الغيبة: الخديعة.

المعنى: يزعجني أن أكون حيس الخديعة واللوم يهاجمني صباحاً ومساءً.

ألا إنَّ جَارَ الذُّلِّ مَنْ بَاتَ يَتَّقِي سِنَانًا طَرِيرًا أَوْ حُسَامًا مُهَنَّدًا^(١)
وما خِيفَةُ الْإِنْسَانِ إِلَّا غِبَاوَةٌ وخَوْفُ الرَّدَى لِلْمَرءِ شَرٌّ مِنَ الرَّدَى^(٢)
تَرَكْتُ الْهُوَيْنَى لِلرَّدَى وَإِنِّي إِذَا غَارَ مُغْتَرٌّ بِهَا كُنْتُ مُنْجِدًا^(٣)
وَأَيُّ مُرَادٍ لَمْ أَتْلُهُ بَعِزَّةٌ؟ فَأَنْفُسُ حَظِّي مِنْهُ أَنْ يَتْبَعَدَا^(٤)
وما شَعَفِي بِالْحَرْبِ إِلَّا لِأَنِّي أَرَى السِّيفَ أَهْدَى وَالْكَرْيَهَةَ أَقْصَدًا^(٥)
سَقَى اللَّهُ قَلْبِي مَا أَعَفَّ عَنِ الْهُوَى وَأَقْسَى عَلَى نَأْيِ الْحَبِيبِ وَأَجْلَدًا^(٦)
وَإِنِّي مَتَى ضَنَّ الصَّدِيقُ بِقَرْبِهِ أَكُنْ مِنْهُ أَسْخَى بِالْبِعَادِ وَأَجُودًا^(٧)
أَرَى الْهَمَّ يَرْمِينِي إِلَى كُلِّ غَايَةٍ وَمَنْ لِي بِأَنْ تَرْضَى هُمُومِي مَقْصَدًا؟^(٨)
لَعَلِّي أَنْ أَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا يَكُونُ عَلَى حُرِّ الْمَطَالِبِ مُسْعِدًا^(٩)
وَهِيَهَاتَ، أَعْيَا الْعِزُّ كُلُّ مُغَامِرٍ وَأَفْنَى عَلَى الدُّنْيَا مَسُودًا وَسَيِّدًا^(١٠)

(١) المفردات: السنان: الرمح. الطرير: المحدد.

المعنى: إن من يهاب الرماح الحادة والسيوف القوية ذليل.

(٢) المعنى: ذلك أن تخوف المرء تصرف غبي، وإن الخوف من الموت شر من الموت نفسه.

(٣) المفردات: الهوينى: الذل. غار: دخل في الغور، المنجد: صعد النجد.

المعنى: عزفت عن الذل وتركته للمرء الرديء، فإن هو هبط الأغوار صعدت الهضاب.

(٤) المعنى: معلوم لديكم أنني بلغت كل ما تمنيته بإباء وأنفة، وأفضل حظوظي وأمانتي هي النائية.

(٥) المفردات: الشَّعَف: الحب والوله، مثل الشَّغَف. الكريهة: النازلة في الحرب. أقصد: أرشد.

المعنى: ليس عشقي للحرب وإقدامي فيه إلا إيمانًا مني بأن السلاح والحرب أقوم وسيلة في الحياة.

(٦) المعنى: أعان الله قلبي، إنه عفيف في حبه لا يذل أمام محبوبه، وشديد الصبر إذا ابتعد عنه.

(٧) المعنى: ومن طبعي أنني إن قصر الصديق بلفائه لي ولم يُجِدْ علي بنظرة سبقتة فكنت أكرم منه وأكثر سخاء ولكن بالبعد عنه.

(٨) المعنى: إن همومي كثيرة وتتقاذفني طويلاً لتوصلني إلى أهدافي، ولم أجد من الأصحاب من يعينني على بعض همومي مخففاً أو محققاً.

(٩) المعنى: وأملني أن أجد بين من حولي مخلصاً يسعى بكل قواه ليكسب من الحياة أنقى المطالب وأشرفها.

(١٠) المعنى: وأين هو؟ لقد تعب العز من إيجاد جريء يخوض غمار الحياة ويعارك في سبيل بغيته كل من أمامه.

إذا الله لم يُدِنِ الفتى من مُرادِهِ
وسرّ حجبُ النَّاسِ عنه كأنما
وداريتُ عنه صاحبي وهو دائبٌ
عَذولِي، ما أَخَشَى جنايةَ كاشح
لحا اللهُ هذا الدَّهرَ تأتي حظوظُهُ
إذا نِلْتُ منه اليومَ حالًا حميدةً
تُنْقِلُنَا الأَيَّامُ عن كُلِّ عادةٍ
ولو كنتُ موفورَ الحياةِ مِنَ الأذى
وهوَنَ ما أَلْقَى مِنَ الدَّهرِ أَنَّهُ
وليستُ حياةُ المرءِ إِلَّا شرارةً
أما ووجيفِ العيسِ تَنْضُو شِفَاهُهَا
فما زَادَهُ الإِقْدَامُ إِلَّا تَبْعُدَا^(١)
قَذِفْتُ بِهِ فِي لُجَّةِ البحرِ جَلْمُدَا^(٢)
ينازعه عَرَضُ الحديثِ إذا بدا^(٣)
إذا الحزمُ واراني خَفِيتُ عنِ العِدَى^(٤)
خطاءَ وَيَغْشَى ضَيْمُهُ متعمِّداً^(٥)
أبى فتقاضاني ارتجاعَتِهَا غَدَا^(٦)
وتُبدِلُنَا من مَوردِ العيشِ مَوردَا^(٧)
على نَبَواتِ الدَّهرِ كُنْتُ مَخْلُدَا^(٨)
تَعَمَّدَنِي بِالْغَدْرِ فيمَنْ تَعَمَّدَا^(٩)
ولا بَدَّ يوماً أَنْ تَنَاهَى فَتَخْمُدَا^(١٠)
لُغَامًا تُحَلِّاهُ الأَزْمَةُ مَزِيدَا^(١١)

(١) المعنى: بلى إن السعي في طلب الأمانى منوط برضا الله، وهو الذي يسهل له السبل، وإن لم يكن الله راضياً عنه تنقلب مساعيه إلى فشل ذريع.

(٢) المعنى: لقد أخفيتُ أمراً عن الناس، وأبعدته عنهم بعد صخرة قذفتها إلى قاع البحر.
(٣) المعنى: ومنعته عن صديقي رغم أنه كان يلاحقني من أجله ويحاول أن يستشف من بين الحديث أمر هذا السر.

(٤) المفردات: الكاشح: العدو الذي يضر عداوته. واراني: أخفاني.
المعنى: أيا عاتبي أنا لا أهاب ما يفعله العدو بي، فإذا توانى الحزم من مساندتي رأيت السلامة بالابتعاد عن عدوي.

(٥) المفردات: لحا الله فلاناً: قُبَّحه ولعنه. الضيم: الظلم.
المعنى: لعن الله هذا الزمان ما أسوأ سبله! يرسل حظوظه لغير أهلها بينما لا يخطيء في ظلمه.
(٦) المعنى: فإن هو من عليٍّ بما يسعدني إذا به يتراجع ويطلبني بما أعطاني بعد حين.
(٧) المعنى: وهذا الدهر لا يدعنا وشأننا فهو دوماً يكرهنا على ترك عاداتنا ويغير لنا موارد رزقنا.

(٨) المعنى: ما دمنا بشرًا فسيلحقنا ما نشكو منه، وإن خلت حياتي من أي مصيبة من مصائب الدهر عشت خالدًا ولنأى الموت عني.

(٩) المعنى: والذي خفف من غُلوائِي أن الدهر وافاني بغدره كما وافى غيري.

(١٠) المعنى: أرى أن الحياة ومضة ولا بد لهذه الومضة من أن تنطفئ.

(١١) المفردات: الوجيف: العدو والسير السريع. العيس: الإبل. تنضو (هنا): ترسل؛ من =

ونهضة أبناء اللقاء لخطّة
 لقد ألصقتني «بالحسين» خلائق
 هو المرء إن قلّ التقدّم مُقدّم
 أبيّ على قولِ العواذلِ سمعهُ
 وأزوع من آل النبيّ إذا انتمى
 كرام سَعَوْا للمجد من كلّ وجهةٍ
 وما فيهم إلا فتى ما تلبّست
 وقاؤك من صرفِ الردى كلُّ ناكل
 جريء إذا ما الأمنُ أخلى جنائهُ
 تجرّ مماتًا أو تقلّد سُؤددا^(١)
 أعذّن قديمَ المجدِ غضًا مجددا^(٢)
 وإن عزّ زاد في العشيرة زودا^(٣)
 إذا أعرضوا دون الحفيظة والندى^(٤)
 أصاب عليًا والدًا ومحمّدا^(٥)
 كما بسطوا في كلّ مكرمة يدا^(٦)
 به الحربُ إلا كان غضبًا مجرّدا^(٧)
 إذا صدمته النّائباتُ تبلّدا^(٨)
 فإن رابه ريبٌ تولّى وعردا^(٩)

=نضا السيف: استله. اللغام: الزبد الذي يخرج من أفواهها. تحلاه: تصيره حلوا. الأزيمة: مفردا الزمام، وهو المقود.

المعنى: أقسم بعدو النوق التي تنضح زبداً ويجعله المقود حلوا لها.

(١) المعنى: كما أقسم بمن تجمعوا على أمر وقرروا إما النصر والمجد وإما الموت الزؤام.

(٢) المفردات: الحسين: اسم أبي المرتضى.

المعنى: يربط نفسه وأباه بالنسل المحمدي، فال البيت هم الذين يجددون المجد دومًا.

(٣) المعنى: والمرء بطبعه إن وجد نفسه بين متوانين مقصرين تقدّم ليحرز سبق، وإن وجد أن طعام أسرته قليل سعى إلى إحضاره.

(٤) المفردات: الحفيظة: الذمام. الندى: العطاء. الأبى: المترفع عن الدنيا.

المعنى: يترفع أبي عن سماع كلام المعاتين إذا أعرضوا عن حفظ الذمام وقبول العطاء.

(٥) المفردات: الأروع: السيد الحسن الرواء.

المعنى: وإنه سيد ينتمي إلى بيت النبي (ﷺ) فوالداه محمد رسول الله والإمام علي.

(٦) المعنى: وآل النبي (ﷺ) رجال كرام الأصل حرصوا على أسمى المراتب في كل ناحية، وآلوا على أنفسهم أن يذلوا ما في وسعهم كل سخاء.

(٧) المفردات: العضب: السيف القاطع.

المعنى: وكلهم محاربون أبطال، كلما طلبوا للحرب برزوا كأنهم السيوف المسلولة.

(٨) المفردات: صرف الردى: نواب الموت. الناكل: الجبان.

المعنى: لا يهاب نواب الموت إلا كل جبان، تراه إذا حلت به مصيبة جمد في مكانه وحر عقله.

(٩) المفردات: الجنان: القلب. عرد: هرب.

المعنى: هذا الجبان تراه شجاعاً جريئاً إذا أحس بالأمن، فإن اعتراه شك ولى هارباً.

وَأَنْتَ الَّذِي لَا يَثْلُمُ الرُّعْبُ «شَدَّهُ» وَقَدْ لَفَّتِ الْخَيْلُ السَّوَادَ الْمَشْرِدَا^(١)
وَكُنْتَ مَتَى لَاذَتْ بِنَصْرِكَ بِلْدَةً ضَمَمْتَ إِلَيْهَا قَطَرَ أَنْحَمَ أَرْبَدَا^(٢)
رَجَالًا كَأَمْثَالِ الْأَسْنَةِ رُكَّزًا وَخَيْلًا كَأَمْثَالِ الْأَعْنَةِ شُرْدَا^(٣)
وَلَا أَمِنْ إِلَّا أَنْ تُرَدَّ صَدُورُهَا مَنْ الطَّعْنِ يَسْحَبْنَ الْقَنَا الْمُتَقَصِّدَا^(٤)
طَوَالَعٍ مِنْ لَيْلِ الْعِجَاجِ كَأَنَّمَا زَحَمْنَ الدُّجَى عَنْهُمْ حَتَّى تَقْدَدَا^(٥)
وَقَدْ سَلَبَ الْإِقْدَامُ لَوْنَ جُلُودِهَا وَأَلْبَسَهَا بِالطَّعْنِ ثَوْبًا مَوْرَدَا^(٦)
وَيَوْمَ طَرَدْتَ الْعُدَمَ عَنْهُ كَأَنَّمَا طَرَدْتَ بِهِ جُنْدًا عَلَيْكَ مَجْنَدَا^(٧)
وَلَمْ تُلَقَ إِلَّا بِاسْطًا مِنْ يَمِينِهِ بِيَذِلِ النَّدَى أَوْ ضَارِبًا فِيهِ مَوْعَدَا^(٨)
هَنِيئًا لَكَ الْعَيْدُ الْمَخْلُفُ سَعْدُهُ عَلَيْكَ مِنَ التَّعْمَاءِ ظِلًّا مُمَدَّدَا^(٩)
وَلَا زَلْتَ فِيهِ بِالْغَا كُلَّ إِزْبَةٍ وَلَا زَالَ مَكْرُورًا عَلَيْكَ مُرْدَدَا^(١٠)

(١) المفردات: شده: حمله على العدو.

المعنى: أما أنت يا أبي فلا يشني الرعب من هجومك حين ينتشر الفرسان ويحيطون بالأعداء.

(٢) المفردات: الأسحم: الأسود. الأربد: الذي فيه رُبدة، وهي الغبرة.

المعنى: وأنت من ينجد بلدانًا.. فإن التجأت إليك واحدة أرسلت عليها مطرًا أسود مغبرًا، كناية عن الجيش الضخم.

(٣) المعنى: ترسل لنجدتها رجالًا نحافًا من كثرة حروبهم غدت قاماتهم كالرماح في نحولها وثباتها، يركبون خيلًا شاردة كالأعنة المتراخية.

(٤) المفردات: المتقصد: المتكسر.

المعنى: ولا تطمئن إلا إذا طعنت فتراجعت من شدة ضربها، ثم ينسلن الرماح المتكسرة.

(٥) المفردات: زحمن: دفعن وضايقن. تقدد: تشقق.

المعنى: وتخرج الخيل بالغبار اللاصق على أجسادها من الحرب، فنافس لونها الأسود المغبر الليل بسواده إلى أن بزغ الفجر.

(٦) المعنى: وخوضها ساحة لحرب بذل لون جلودها الأصلي، وجعله أحمر ورديًا من كثرة الطعن.

(٧) المعنى: وأذكر يومًا غلبت فيه الفقر وكأنك طردت جنودًا أحاطوا بك.

(٨) المعنى: ولم يرك أحد إلا ماذا يدك اليمنى للعتاء، أو لتعد أحدًا بعتائك.

(٩) المعنى: أهنتك بالعيد راجيًا من الله أن ينشر أفراحه حولك ويظلك بخيراته العيمة.

(١٠) المفردات: الإربة: الحاجة يريد المرء قضاءها.

المعنى: وأدامه عليك محققًا فيه كل مآربك، وافدًا عليك دومًا.

تَهْبُ رِيحُ الْجَوِّ حَوْلَكَ كُلَّهَا نَسِيمًا وَيَطْلُغَنَّ الْكَوَاكِبُ أَسْعَدًا^(١)

- 131 -

وقال في النسيب: [من الطويل]

سَقَانِي وَلَمْ أَسْتَسْقِهِ فَضَلَ خَيْرِهِ فلم يَسْقِنِي إِلَّا الذُّعَافَ الْمَصْرَدًا^(٢)
وما زالَ يدعوني إلى دارٍ وصلِهِ فلَمَّا دَنَوْتُ الدَّارَ وَلَّى وَعَرَّدًا^(٣)
فماذا على مَنْ خَانَنِي في وداده إذا لم يكنْ منه الْوِدَادُ تَوَدَّدًا؟^(٤)
ولو كَانَ يَجْنِي مَخْطَأًا لَعَذْرَتُهُ ولكنَّه يَجْنِي عَلَيَّ تَعَمُّدًا^(٥)
وَإِنِّي مَمَّنْ إِنْ نَبَا عَنْهُ مَنْزِلُ وَأَنْكَرَ مَثْوَاهُ نَاهُ فَأَبْعَدًا^(٦)

- 132 -

وقال في الزهد: [من الرجز]

قُلْ لِلَّذِي رَاحَ بَعْزٌ وَاعْتَدَى يَسْحَبُ مِنْهُ مِطْرَفًا مَوْرَدًا^(٧)
صَنِيعَ مَنْ يَطْمَعُ أَنْ يُخْلَدًا: جَمَعْتَ مَا لَا بَدَأُ أَنْ يُبَدَّدًا^(٨)
إِنْ لَمْ يَزُلْ فِي يَوْمِهِ زَالَ غَدًا يَا جَامِعًا لغيرِهِ مُحْتَشِدًا^(٩)

(١) المعنى: وتغدو الرياح التي تهب عليك نسائم ناعمة، وتأتيك الحظوظ السعيدة.

(٢) المفردات: الزعاف: السم. المصرد: الخالص.

المعنى: رجوته أن يهتم بي بعض الاهتمام فأولاني الإهمال المقيت؛ استسقيته من بعض ما عنده وليس أفضله، فلم يقدم لي سوى السم.

(٣) المفردات: عرّد: هرب.

المعنى: كثيرًا ما يدعوني لزيارته، فلما لبيت دعوته واقتربت من منزله هرب مني.

(٤) المعنى: وماذا يضير من لم يصدق في حبه معي أن يتظاهر بالحب الذي ليس من طبعه؟

(٥) المعنى: ولما أخطأ أنه يؤذيني قاصدًا، ولو أنه أخطأ في إيدائي لسامحته.

(٦) المعنى: ومن طبعي أنني أرحل عن منزل ينكر بقائي فيه.

(٧) المفردات: المطرف: رداء من خز ذو أعلام.

المعنى: قل لمن يتباهى بالرفهية ويتبخر، ويسحب ذيل ثوبه من ورائه كبرياء.

(٨) المعنى: يفعل كمن يأمل الخلد في الحياة: إنك جمعت مالا وتباهيت به وهو زائل لا محالة.

(٩) المعنى: توقع أن يزول عنك هذا العز اليوم أو قريبًا، وما تجمعته هو لغيرك لا لك.

نَضَدَتْ مَا لَا هَلْ نَضَدَتْ أَمْدًا؟ سَيَانِ مَنْ سَارَ يَجْرُ الْعَدَا^(١)
 وَمَنْ يَظَلُّ وَاحِدًا مُنْفَرِدًا كلاهما مفارقٌ ما وَجدا^(٢)
 وَصَائِرُ مَا يَقْتَنِيهِ قَدَا وَإِنْ أَتَاهُ حَتْفُهُ لَا يُفْتَدَى!^(٣)
 هِيَهَاتَ مَا أَغْفَلْنَا عَنِ الْهَدَى وَأَوْضَحَ الْحَقُّ لَنَا لَوْ قُصِدَا!^(٤)
 كَمْ نَرَكَبُ الْوَعَرَ وَنَقْرِي الْجَدَا وَنَأْخُذُ الْغَيَّ وَنُلْقِي الرِّشْدَا!^(٥)
 وَكَمْ يَرَى الرَّاؤُونَ فِينَا الْأَوْدَا قَدْ آتَى فِي زَهِيدِنَا أَنْ نَزْهَدَا^(٦)
 وَبَعْدَ جَوْرِ قَدْ مَضَى أَنْ نَقْصِدَا وَأَنْ تُرَى عَنِ الدُّنْيَا حُيْدَا^(٧)
 صَبْرًا عَنِ الْوِزْدِ وَإِنْ طَالَ الصَّدَى إِنْ فَاتَنِي الْعِدُّ أَبَيْتُ الثَّمْدَا^(٨)
 وَلَسْتُ أَرْضَى بِالْهَجَانِ النَّقْدَا أَمَا تَرَى زَمَانَنَا مَا أَنْكَدَا؟^(٩)
 كَأَنَّا إِذَا سَأَلْنَاهُ الْجِدَا نُزْجِلُ مِنْهُ بَازِلًا مُقَيَّدَا^(١٠)

(١) المعنى: أراك كنت الذهب ولم أرك تكثر الزمان! أنت لا تختلف عن الذي يسير وقد خلف الكثير.

(٢) المعنى: ومن يظل في حياته فريداً..؟ الكل سيرحل عن الدنيا خالياً مما جمع.

(٣) المفردات: القدد: الفراق. الحتف: الهلاك.

المعنى: وسيغدو ما يجمعه مرقاً متفرقة، وإن جاءه داعي الموت لم يستطع أن يفدي نفسه.

(٤) المعنى: نحن لم نتهاون في حق الهدى ولم ننسه. وهذا الهدى يدلنا على الحق لو طلبناه.

(٥) المفردات: الجدد: الأرض الغليظة المستوية.

المعنى: ونحن كثيراً ما نخطئ حيث نهمل الطرق المستوية ونسير على الطرق الوعرة، ونتبع الضلالة ونهمل طريق الرشاد.

(٦) المفردات: الأود: الكذ والتعب.

المعنى: يعتقد الناس الناظرون إلينا أننا نستطيع إعالتهم، ألم يأن لنا بأن نزهد حتى بقليل ما نملك؟

(٧) المعنى: ألم يحن الوقت بعد أن لقينا هذا الظلم أن نقلل من عنائنا، وأن نبتعد عن الأمور التافهة؟

(٨) المفردات: العِدّ: الماء الكثير. الثمد: الماء القليل. الصدى: العطش.

المعنى: تحمل عن ورود الماء وإن طال عطشك، فأنا أكتفي بالقليل إن لم يأتي الكثير.

(٩) المفردات: الهجان: مفرداها الهجين، وهو الجواد الذي أمه برذونة. النقد: العطاء.

المعنى: أنا لا أقبل بالمال المشبوه، لأن دهرنا قاس.

(١٠) المفردات: الجداء: العطاء. البازل: البعير إذا شق نابه بدخوله السنة التاسعة. =

أَوْ نَجْتَلِي الشَّمْسَ بَعَيْنِي أَرْمَدَا أَوْ نَمْتَرِي النَّارَ بَزَنْدٍ أَصْلَدَا^(١)
 وَصَاحِبٍ أَيْقَظَنِي وَرَقْدَا وَرَامَ أَنْ يُضْلِحَنِي فَأَفْسَدَا^(٢)
 يَحْسُدَنِي وَلَا أَرَى أَنْ أَحْسَدَا بَاتَ يُلَاحِظُنِي عَلَى بَذْلِ النَّدَى^(٣)
 فَقُلْتُ لَمَّا لَامَنِي وَفَنَّدَا مَصُوبًا وَتَارَةً مُصْعَدَا^(٤)
 أَلَيْسَ عَذْلًا بِالْغَنَى أَنْ أُحْمَدَا بَشْنَا بِذَاتِ الْعَلَمِينَ سُهْدَا؟^(٥)
 نَرُقُبُ فِي لَيْلٍ طَوِيلٍ أَسْوَدَا كَأَنَّمَا ذَرَّ عَلَيْنَا الْإِثْمَدَا^(٦)
 أَوْ كَانَ بِالطُّولِ لِزَامًا سَرْمَدَا فَجَرًّا كَمَصْقُولِ الْغِرَارِ جُرْدَا^(٧)
 كَأَنَّمَا الْأَفَقُ بِهِ إِذَا بَدَا حَالَ لُجِينَا لَوْنُهُ وَعَسَجَدَا^(٨)
 وَإِنَّمَا نَنْشُدُ أَوْتَارَ الْعِدَى بِكُلِّ غُرْيَانٍ الْعِذَارِ أَمْرَدَا^(٩)

=المعنى: وهذا الدهر يقصّر كثيرًا في عطائه إن طالبناه، ويسايرنا بخطى الجمل المسنّ المقيد.

(١) المفردات: نجتلي: نظرت. نمترى: نفتدح. الزند: العود الذي تقتدح به النار. الأصلد: الزناد الذي لا ينقدح.

المعنى: وأملنا في الدهر أشبه بمريض العين ينظر إلى الشمس، أو من يشعل النار بزند لا يشتعل.

(٢) المعنى: ولي صديق غير مخلص؛ نهني وغفا، وحاول إصلاحني فأساء إلي.

(٣) المفردات: يلاحيني: يقرعني باللوم.

المعنى: يحسدني وليس فيّ ما يحسد، ويقرعني على سخائي.

(٤) المفردات: فند: كذب. مصوبًا: جادًا.

المعنى: وحين عاتبني وكذب في عتابه مداعبًا مرة وجادًا أخرى قلت له:

(٥) المفردات: ذات العلمين: موضع.

المعنى: أليس جميلًا أن يحمد المرء على غناه، وقد بتنا قبلاً أرقين جوعًا بذات العلمين؟

(٦) المفردات: الإثم: حجر يكتحل به.

المعنى: وكنا في تلك الليلة نراقب الظلام الدامس الذي يحيط بنا؛ فكأنه رشنا بالكحل الأسود.

(٧) المفردات: الفرار: حد السيف. السرم: الدائم.

المعنى: أو كان الليل لطوله دائمًا علينا، وبعده فجر يشق الظلام كأنه السيف المسلول.

(٨) المفردات: اللجين: الفضة. العسجد: الذهب.

المعنى: وكان الأفق ظهر لنا بلون الفضة والذهب.

(٩) المفردات: نشد: نطلب. الأوتار: مفرداتها الوتر، وهو الثار. العذار: الشعر النابت على

جانبى الوجه. الأمرد: الشاب طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

ذي همّةٍ لم تَرِمَ إِلَّا صُعُداً إذا احتذى بالحمدِ يوماً وارتدى^(١)
 ومدّ بالبيضِ أو السُّمْرِ يدا لم يدنُ من خِزومه خوفُ الرّدى^(٢)
 أسودّداً ولا أرومُ سُودّداً وما قضيتُ في الأعادي موعداً؟^(٣)
 ولم أرمِ طولَ الحياةِ البلداً مُجتمعاً أحسبُ همّاً صرداً^(٤)
 مُزملّاً بكلِّ وثرٍ مُكَمّداً مُوطئاً للمثقلاتِ الكتداً^(٥)
 مَنْ شاءَ أنْ يعدّو في ما لي عداً نهضاً فقد أمكنَ ألاّ تقعداً^(٦)
 وأستلّ للفرصةِ نضلاً مُغمّداً ورذ حياضَ العزِّ فيمن ورداً^(٧)
 فمن بغى المجدَ بجِدٍّ أيّداً

- 133 -

وقال يهنىء أبا سعد عبد الرحيم بتحويل مولده في شوال سنة ٤٢٨ هـ:

[من المجتث]

=المعنى: ونحن نطلب ثأرنا من أعدائنا بشباب هم في شرح شبابهم لم تنبت لحاهم بعد.

(١) المفردات: الصعد: العلو. احتذى: انتعل.

المعنى: هذا الشاب الذي نثار به همته تقصد أعلى المراتب، ينهض لها حين يعقد العزم ويتأهب له.

(٢) المفردات: الحيزوم: الصدر.

المعنى: يشهر هذا الفتى سيفه ويرفع رمحه، من غير أن يعتره الخوف من الموت.

(٣) المفردات: السؤدد: كرم المنصب والسيادة. أروم: أقصد.

المعنى: أأطلب كرم منصب؟ كيف أطلبه ولم أؤدّ ما علي بعد وعدي للأعداء؟

(٤) المفردات: لم أرم: لم أفارق (ضد). شيخ هم: فان. الصرد: الذي يشعر بالبرد سريعاً.

المعنى: كيف أطلب المجد ولم أفارق بلدتي بعد، وأعد نفسي شيخاً فانياً يبرد كثيراً؟

(٥) المفردات: مزملّاً: ملتقاً. الوثر: الثأر. المكمد: المحزون. المثقلات: الرزايا. الكتد: ما بين الكاهل والظهر.

المعنى: أحمل على كاهلي أوتاري متألماً، أطأطأ للمصائب ظهري حزناً.

(٦) المفردات: نهضاً: مصدر منصوب بمعنى: انهض نهضاً.

المعنى: من أراد أن يحتوي ما أملك هجم، فانهضوا يمكنكم ألا تقعدوا.

(٧) المفردات: استلّ: فعل أمر هنا. رد: فعل أمر من ورد الماء. =

أَما رأيتَ ضَحَيَا	أُذِمَ الرُكائبِ تُخَدَى؟ ^(١)
يُرِدْنَ نَجْدًا وما اشتا	قَ مَنْ عَلِيهِنَّ نَجْدًا ^(٢)
وفوقهِنَّ وجوه	مثلُ النجومِ تَبْدَى ^(٣)
يَغْرُبْنَ بَدْرًا ويَطْلُغْنَ	نَ بِالْإِيَابَةِ سَغْدًا ^(٤)
وقد تجلَّذتُ حَتَّى	يَخَالِنِي القومُ جَلْدًا ^(٥)
وما رَدِيتُ وممَّا	أودُّ أَنِّي أَرْدَى ^(٦)
قُل لِّلْقِلاصِ خِفَافًا	يَخِذْنَ بِالظَّعَنِ وَخُدًا ^(٧)
تَخَالُهُنَّ سِرَاعًا	رُبْدًا يُبَارِينَ رُبْدًا: ^(٨)
بِمَنْ حَمَلْتَنَّ وجدي	وما حَمَلْتَنَّ وَجْدًا؟ ^(٩)
حلفتُ بِالْبَيْتِ جَاؤُوا	إِلَيْهِ رَكْضًا وَشَدًّا ^(١٠)
مَطُوفِينَ عَلَيْهِ	تُقَى كُهُولًا وَمُزْدًا ^(١١)

=المعنى: فاشهر سيفك المغمد واهتبل الفرصة المناسبة فيها هي ذي ساحات العز مُواتية

لمن يريد. فمن اجتهد في طلب العز تحقق مراده.

(١) المفردات: الأدم: مفردها الأدم والأدماء: الأسمر.

المعنى: ألم تر ذات صباح المطايا السمراء تُحَثُّ على السير؟

(٢) المعنى: قاصدات نجدًا، وركاب هذه المطايا لا يريدون نجدًا.

(٣) المعنى: وعلى المطايا وجوه الصبايا الجميلات مثل الكواكب إذا بزغن.

(٤) المعنى: إذا رحلن فكان البدر غاب، وإن عُدن كنَّ سعدًا لي.

(٥) المعنى: وتظاهرت بالصبر حتى ظنني أهلي صبورًا.

(٦) المفردات: رديت: هلكت.

المعنى: لم أمت برحيلهن، وإن كان الموت من جملة أمانتي.

(٧) المفردات: القلاص: مفردها القُلوص، وهي الناقة الفتية. يخذن: يسرعن.

المعنى: ألا قل للنوق الفتية الخفيفة وهن يسرعن بما يحملن من الطعائن.

(٨) المفردات: الربد: الربداء، وهي النعامة.

المعنى: وتظنهن بسرعتن نعومات تتسابق في عدوها.

(٩) المعنى: أنتن تحملن هيامي.. من أحب وحبى معهن.

(١٠) المعنى: أقسمت بالكعبة التي وفد عليها الحجاج مسرعين.

(١١) المعنى: وهؤلاء الطائفين حول البيت الوريين شيئًا وشبابًا.

والواردين	ظِمَاءٌ	من ماءٍ زَمَزَمَ رَغْدًا ^(١)
والبائتينَ	بَجَمْعٍ	لاقينَ في الله جُهْدًا ^(٢)
يُقْلِلْنَ من مَزَوْ جَمْعٍ	لِلرَّمِي زَوْجًا	وَفَزْدًا ^(٣)
لهم أناملُ عِطَطٌ	من جِلْدِها ثَمَّ	جِلْدًا ^(٤)
وبالنَّحَائِرِ	تُلْقَى	عندَ الجِمارِ فُتْرَدَى ^(٥)
تُهدَى إلى الله بِرًّا	والبِرُّ	لله يُهدَى ^(٦)
وواقفي	عَرَفَاتٍ	يرجونَ لله رِفْدًا ^(٧)
ما أن تَرَى ثَمَّ إِلَّا	رَبًّا لِعَبْدٍ	وعَبْدًا ^(٨)
عَدُوا الَّذِي كان منهم	واستنفروا منه	عَدًّا ^(٩)
لقد خَلَفْتُ أَلُوفًا	لِلنَّاسِ عَهْدًا	وَوُدًّا ^(١٠)
وما تعاطيتُ هَزَلًا	ولا تعافيتُ	جِدًّا ^(١١)

(١) المعنى: ومن قدموا عطشى إلى ماء زمزم سعداء بوصولهم إليها.

(٢) المعنى: وبالذين أمضوا ليلتهم عند مزدلفة للقاء الله تعالى بعد عناء.

(٣) المفردات: المرو: الحصى.

المعنى: يحملون منه الحصى لرميها واحدة واحدة واثنين اثنين.

(٤) المفردات: ثم: هناك.

المعنى: وتبدلت أناملهم هناك.. إشارة إلى تقليمها.

(٥) المفردات: النحائر: مفردها النحيرة، وهي ما يُنحر من الدواب. الجمار: مواضع قذف الجمرات.

المعنى: وأقسم بالذبائح التي تذبح عند الجمار.

(٦) المعنى: ترجع إلى الله بتقواها، والتقوى توجهه إلى الله.

(٧) المعنى: وأقسم بالواقفين على جبل عرفات يأملون من الله أن يمنحهم المغفرة.

(٨) المعنى: حيث لا ترى في تلك البقعة المقدسة إلا رب الناس وعبيده.

(٩) المعنى: بذلوا له ما عندهم من توبة وعبادة، ورجوه قبولاً ومغفرة.

(١٠) المعنى: لقد وعدت آلاف الناس بعهدي وودي (وهو جواب القسم).

(١١) المفردات: تعافيت: كرهت وتركت.

المعنى: لم أعرف الهزل في حياتي ولا كرهت الجد في عملي.

ولا صددتُ بوجهي	عَمَّنْ جَنَى لِي صَدَا ^(١)
ولا تَجَاوَزْتُ قَصْدًا	ولا تَعْدَيْتُ حَدَا ^(٢)
ولا وهبتُ وِدَادًا	وَسُمْتُ مُعْطَاهُ رَدَا ^(٣)
قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي سَعْدٍ	بِ الَّذِي جَلَّ مَجْدَا: ^(٤)
يَا أَوْثَقَ النَّاسِ عَقْدًا	وَأَعَذَبَ النَّاسِ وِرْدَا ^(٥)
لَا رَاعَهُمْ مِنْكَ بَيْنٌ	ولا رَأَوْا مِنْكَ بُغْدَا ^(٦)
فَمَا اسْتَطَاعُوا لِفَضْلِي	آتَاكَ رَبُّكَ جَخْدَا ^(٧)
وَقَدْ أَرَاغُوا وَلَكِنْ	قَصْدًا وَمَا مَلَتْ قَضْدَا ^(٨)
سَلُّوكَ طَوْرًا وَلَكِنْ	لِلسَّلِّ صَانُوكَ غَمْدَا ^(٩)
فَإِنْ ضَرَبْتَ فَمَاضٍ	قَدْ الضَّرِيبَةُ قَدْ ^(١٠)
مَا زِلْتُ فِيهِمْ سِنَانًا	لِلرُّمَحِ وَالسَّيْفِ حَدَا ^(١١)

- (١) المعنى: وما لم أشح بوجهي عنم آذاني.
- (٢) المعنى: ولم أتخط ما رسمته لنفسي ولا تجاوزت حدي.
- (٣) المعنى: ولم أحن ما بذلت من محبة ولم أستردها.
- (٤) (٥) المعنى: أخبر الوزير أبا سعد صاحب القدر العالي: أنت أفضل الناس عهدًا، وأحسنهم استقبالا لطالبي الرشد.
- (٦) المفردات: راعهم: أفرعهم.
- المعنى: لم يفرعهم تباعد منك ولا رأوا منك جفاء.
- (٧) المعنى: لم يقدرُوا أن ينكروا فضلاً جاءك من الله.
- (٨) المفردات: أراغوا: طلبوا على وجه الخديعة. القصد: الطريق المستقيم.
- المعنى: وهم راوغوا وكادوا لطريقك المستقيم، من غير أن تقبل الانحراف.
- (٩) المعنى: وهم أثاروك حينًا ولكنهم حافظوا عليك فأبقوك كالسيف المغمد.
- (١٠) المفردات: قَدْ: قطع. الضريبة: المضروبة.
- المعنى: وحين تضرب خصمك تقطعه بعنف.
- (١١) المعنى: فأنت لهم زُجَّ الرمح وحد السيف.

وما أردت على الهو ل نَجْدَةً منك جُنْدًا^(١)
فإن رُمُوا كنت تُرسًا وإن وروا كنت زُنْدًا^(٢)
وإن دَجَوْا كنت صُبْحًا وإن ضَحَوْا كنت بَرْدًا^(٣)
خذ ملء كَفِّكَ مِن عا مِكَ الَّذِي جاء رِفْدًا^(٤)
وما وُعدت به خُذْ وَمَن يَدِ الدَّهْرِ نَقْدًا^(٥)
ما كنتَ تَمْطُلُ وَغَدًا فَكَيْفَ تُمْطِلُ وَغَدًا؟^(٦)
واستشعرِ النُّجَجَ دِرْعًا وَالْبِسْ مِنَ الْيُمْنِ بُرْدًا^(٧)
وعشْ فما العيشُ إِلَّا ما كانَ رَحْبًا وَرَغْدًا^(٨)
يُراخُ بابُكَ فِينا قَصْدًا إِلَيْهِ وَيُغْدِي^(٩)
واخلُذْ فخلُذْكَ أَوْفَى مِنّا عَلِينا وَأَجْدِي^(١٠)
ولا يزلنَ نِيوبُ الـ خَطوبِ حَوْلَكَ دُزْدًا^(١١)
ولا رَأِينا لشيءٍ نَهَوَاهُ عِنْدَكَ فَقْدًا^(١٢)

(١) المعنى: تهجم من غير أن تستنجد بجندك في الأوقات العصيبة.

(٢) المفردات: وري الزند: خرجت ناره. الترس: المجن.

المعنى: إن رمى عسكريك كنت مجنًا لحمايتهم، وإن أشعلوا نارهم كنت موقدها.

(٣) المفردات: دجوا: أظلموا.

المعنى: إن أظلمت دنياهم كنت صباحهم، وإن حمي الجو في النهار كنت بردًا عليهم.

(٤) المعنى: فاستمتع قصارك من عامك الذي حل سخاء عليك.

(٥) المعنى: وخذ مما وعدت به من الزمان نقدًا لا وعدًا.

(٦) المعنى: لم يكن من طبعك التواني عن تنفيذ وعدك، فكيف تؤخره الآن؟

(٧) المعنى: وتدرّع بالنجاح، وارفل بثياب اليمن الجميلة.

(٨) المعنى: وانعم بحياتك بسعادة ورغادة.

(٩) المعنى: يستقبل قصرِكَ الوافدين صباحًا ومساءً.

(١٠) المعنى: وعش خالداً؛ فخلودك أنفع لنا وأضمن.

(١١) المفردات: الدرد: مفردها الأدرد، وهو الذي ذهب أسنانه.

المعنى: أضعف الله مصائب الأيام عليك، وجعلها غير مؤذية.

(١٢) المعنى: ولا فقدنا عندك ما نحبه ونتمنى وجوده.

وقال يجيب العميدَ أبا بكرٍ القَهْستاني^(١) عن قصيدة وردت منه: [من

الطويل]

أَبْتُ زَفَرَاتُ الْحَبِّ إِلَّا تَصْعُدَا وَيَأْبَى لَهَيْبُ الْوَجْدِ إِلَّا تَوْقُدَا^(٢)
وَلَمْ أَرِ مِنْ بَعْدِ الَّذِينَ تَشْرُدُوا لَأَغِينَنَا إِلَّا رُقَادًا مُشْرَدَا^(٣)
تَذَكَّرْتُ بِالْغُورِينَ نَجْدًا ضَلَالَةً وَمِنْ أَيْنَ ذَكَرْتُ غَائِرِ الدَّارِ مُنْجِدَا؟^(٤)
مَضَى الْبَيْنُ عَنَّا بِالْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ الْبَيْنِ شَيْءٌ سِوَى الرَّدَى^(٥)
فَقُلْ لِلَّذِي يَنْوِي الْفِرَاقَ وَعِنْدَهُ بَأْتِي مُطِيقٌ فِي الْفِرَاقِ التَّجَلُّدَا: ^(٦)
وَعَدْتُ بَيْنَ يَسْلُبِ الْعَيْشِ طَيْبُهُ فَمَا كَانَ ذَاكَ الْوَعْدُ إِلَّا تَوْعُدَا^(٧)
وَمَا كَانَ عِنْدِي أَنْ يُفَرِّقَ شَمْلُنَا وَيَبْعُدُ عَنِ دَارِي الْعَمِيدُ تَعْمُدَا^(٨)
وَمَا سَرَّنِي أَنْ سَرَتْ عَنِّي وَأَنْتِي مَقِيمٌ بِأَرْضِي أَوْ تَغِيبَ وَأَشْهَدَا^(٩)
سِرْحَمَنِي مَنْ كَانَ بِالْأَمْسِ حَاسِدِي وَمَا عَادَلَ الْمَرْحُومُ فَيْكَ الْمُحْسَدَا^(١٠)

(١) هو أبو بكر علي بن الحسين، ينتسب إلى منطقة كوهستان الجبلية والواقعة بين هراة ونيسابور. وهو أديب شاعر. ولي عدة ولايات واتصل بالسلاجقة أمراء خراسان.

(٢) المعنى: الحب الذي اعتراني رفض إلا أن يزداد أواره، وتفور نيرانه.

(٣) المعنى: ومنذ رحل الأحبة عنا وتوزعوا في الآفاق غاب النوم عنا ونسيت جفوننا الرقاد.

(٤) المفردات: الغوارن: اسم موضع، والغور: ما انهبط من الأرض. الغائر: الذي يسير في الغور. المنجد: الذي يصعد النجد.

المعنى: من جهلي أنني حين كنت بالغورين خطرت نجد بيالي، وكيف لمن هو في الغور أن يصعد ذكرياته إلى أعالي نجد؟

(٥) المعنى: هذا البعد الساحق بيننا ألغى كل سعادة وكل حياة، ولم يترك لنا سوى الميت.

(٦) المعنى: أخبر من قرر أن يفارقنا وظن أننا قادرون عليه صابرون.

(٧) المفردات: البين: الفراق. التوعد: التهديد.

المعنى: وعدت بالفراق وهذا الوعد وحده يحرمني لذائذ الحياة. فلم يكن وعدك إلا تهديدًا.

(٨) المعنى: المحبوب هو العميد أبو بكر، ولم يكن الشاعر يظن أن داره ستبعد عن دار العميد ويتفرق بذلك البعد شمل الأحبة.

(٩) المعنى: ولم يسعدني رحيلك عني، بأن تتركني في مكاني وتختار لك مكانًا بعيدًا تستقر فيه.

(١٠) المعنى: كثر من كان يحسدني على جيرتك ومحبتك، وهم اليوم بعد أن بدا الأسى علي برحيلك عطفوا علي ورحموني، وشتان بين حاسد وراحم ومحسود ومعطوف عليه.

وَأَبْقَى وَحِيدًا بَعْدَ أَنْ كُنْتُ ثَانِيًا وَمَا زِلْتُ دَهْرًا بِالتَّفْرِقِ قَانِعًا هَزَزْتُكَ سَيْفًا مَا اثْنَى عَنْ ضَرِيَّةٍ وَكَانَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ كُلُّهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ سِنْخٌ يُوْلَفُ بَيْنَنَا وَمَنْ قَرَّبَتْهُ دَارٌ وَدَّ مُصَحَّحٌ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْتَنِي فِيكَ أَتْلِي وَأُسْقَى بِكَ الْعَذَبَ النَّمِيرَ وَيَتْنِي وَلَوْ لَمْ تَرُخْ عَنِّي لَمَا كُنْتُ بِالَّذِي وَقَدْ زَادَنِي مِنْكَ النُّظَامُ كَأَنَّهُ وَقَلَّدَنِي مَنَّا وَمَا كُنْتُ قَبْلَهُ

وَمَنْ ذَا بُعِيدَ الْأُنْسِ يَرْضَى التَّوْحْدَا؟^(١) فَمَا زِلْتُ بِي حَتَّى كَرِهْتُ التَّفْرُدَا^(٢) مَضَاءً كَمَا أَنِّي نَقَدْتُكَ عَسَجْدَا^(٣) وَدَادًا وَفِي كُلِّ الرَّجَالِ تَوَدُّدَا^(٤) فَقَدْ أَلْفَتْ فِينَا الْمَوْدَةَ مَحْتِدَا^(٥) إِلَيَّ فَلَا كَانَ الْمُقَرَّبُ مَوْلِدَا^(٦) وَتُخْرِجُ عَنْ كَفِّي مِنْكَ الْمَهْنَدَا^(٧) فِرَاقُكَ يَسْقِينِي الْأَجَاجَ الْمَصْرَدَا^(٨) أَبَالِي بِنَاءٍ رَاحَ عَنِّي أَوْغَدَا^(٩) رِيَاضٌ بِأَعْلَى الْحَزَنِ جَادَلَهَا النَّدَى^(١٠) وَجَدُّكَ مَا بَيْنَ الرَّجَالِ مُقْلَدَا^(١١)

(١) المعنى: ومن المؤلم أن تتركني وحدي بعد أن كنا اثنين، وكيف أقدر على الوحدة بعد أن كنت متأنساً بك؟

(٢) المعنى: كنت زماناً أقنع بالفرقة مع غيرك، وحين رحلت كرهت الوحدة.

(٣) المفردات: الضريبة: المضروبة. نقدتك: اختبرتكَ. العسجد: الذهب.

المعنى: لقد جربتكَ في الحرب فرأيتكَ سيفاً ماضياً، واختبرتكَ فرأيتكَ ذهباً.

(٤) المعنى: ولم يكن بيني وبينك سوى المحبة الصادقة.. ومودتك عامة.

(٥) المفردات: السنخ: الأصل. المحتد: الأصل أيضاً.

المعنى: لم يكن بيننا رابطة دم أو قرابة، ولكنها المحبة هي التي ربطت بيننا.

(٦) المعنى: ومن ارتبط بصداقة وطيدة نسي رابطة القرابة.

(٧) المعنى: كنت أعلم أن المصائب لا بد ستحل، ولكنني ما كنت أعلم أنها ستكون بفقدك، ويطير السيف القاطع من بين يدي.

(٨) المفردات: النمير: الماء المستساغ. الأجاج: الملح المر. المصرد: القليل.

المعنى: وبوجودك أستسيغ الماء، ويتحول بفراقك إلى ماء قليل ملح مر.

(٩) المعنى: ولو لم تغب عني لما أحسست بمن يغيب عني أو يرجع إلي.

(١٠) المفردات: الحزن: ما غلظ من الأرض.

المعنى: وقد أعجبني شعرك وزاد من تقديري، فغدا أشبه بروضة خضراء نبتت فوق الصخر وقد سقاها الطل.

(١١) المفردات: وجدك: يقسم بجده.

ولو أنني أنشدته نَعَمًا به مع الصُّبْح أطربتُ الحَمَامَ المغرُداً^(١)
 كَأَنِّي لَمَّا أَنْ كَرَعْتُ زُلَالَهُ كَرَعْتُ زُلَالًا مِنْ سَحَابٍ عَلَى صَدَى^(٢)
 فَخُذْهُ كَمَا شَاءَ الْوِدَادُ وَشِئْتَهُ نِظَامًا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُنْضِدًا^(٣)
 هُوَ الْمَاءُ طَوْرًا رَقَّةً وَسَلَاسَةً وَإِنْ شِئْتَ طَوْرًا قُوَّةً كَانَ جَلَمَدًا^(٤)
 وَلَمَّا دَعَوْتَ الْقَوْلَ مِنِّي سَمِعْتَهُ وَكَانَ لِمَنْ يَبْغِيهِ نَسْرًا وَفَرْقَدًا^(٥)

- 135 -

وقال في الشيب: [من الطويل]

تَلُومٌ وَقَدْ لَاحَتْ طَوَالُ شَيْبِي وَمَا كُنْتُ مِنْهَا قَبْلَ ذَاكَ مُفْنِدًا^(٦)
 فَحَسْبُكَ مِنْ لُومِي وَإِلَّا فَبَعْضُهُ فَمَا ابْيَضَّ إِلَّا بَعْضُ مَا كَانَ أَسودًا^(٧)
 وَلَا تُلْزِمْنِي الْيَوْمَ عَيًّا بِصَبْغَةٍ سَتَكْتَسِبُهَا إِنْ بَقِيَتْ لَهَا غَدًا^(٨)

=المعنى: وغمرني شعرك بمنه، وأقسم لك بأجدادك بأنني لم أقبل شعر أحد.

(١) المعنى: وإنني لو أنشدت شعرك عند الصباح لعَمَّ الحمام الحبور مما تسمع من حلو النغم.

(٢) المفردات: كرع في الماء: مد عنقه وتناول الماء بغيه من موضعه. الزلال: الكثير الزلق. الصدى: العطش.

المعنى: وإنني حين شربت ماءه المصفى كأنني شربت ماء المطر الطيب على عطش.

(٣) المعنى: فإليك شعري اللؤلؤي نابعا من قلب صادق، وكما ترضاه بنفسك - وسيظل منظوماً باسمك على مر الأيام.

(٤) المعنى: وترى شعري رقيقاً سلساً حيناً، وقوياً متيناً أخرى - كما تشتهي.

(٥) المفردات: النسر: كوكبان أحدهما النسر الطائر، والآخر النسر الواقع. الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي.

المعنى: وأنت حين دعوتني استجبت وأنشدت، وكثيرون هم الذين يتمنون أن أخطبهم به، وهو بعيد عنهم بعد النجوم.

(٦) المفردات: المفند: المعلوم والمخطأ الرأي.

المعنى: تعاتبني محبوبتي حين رأت بواكير الشيب في رأسي، ولم يكن يلومني أحد قبل ذلك.

(٧) المعنى: خففي اللوم عني، أو لوموني بعض اللوم لأن الشيب قليل والسواد كثير.

(٨) المفردات: ستكسيها: كذا، والصواب: ستكسيها، ولكنها تضطرب وزناً.

المعنى: ولا تجبريني على صبغ شعري فهذا عيب، وقريباً إن طال عمرك ستقعين بها.

ولو خُلِّدْتُ لِي حَالَةٌ مَع تَوَلُّعِ الْـ لِمَالِي بِأَحْوَالِي لَكُنْتُ الْمَخْلُودًا^(١)
ولو لَمْ أَشِبْ أَوْ تَتَقِصَّنِي مُدَّةٌ لَكُنْتُ عَلَى الْآيَامِ نَسْرًا وَفَرْقَدًا^(٢)
وإنَّ الْمَشِيبَ فِذِيَّةٌ مِنْ صَغِيرَةٍ أَيْتُ بِهَا صِفْرًا مِنَ النَّاسِ مُفْرَدًا^(٣)
أَوْسَدُ بِالْصَّفَّاحِ لَا مِنْ كَرَامَةٍ وَإِنِّي غَنِيٌّ وَسَطَهَا أَنْ أَوْسَدًا^(٤)
فَلَا تَنْفِرِي يَا نَفْسُ يَوْمًا مِنَ الرَّدَى فَمَا أَنْتِ إِلَّا فِي طَرِيقٍ مِنَ الرَّدَى^(٥)

- 136 -

وقال يعزى سعد الأئمة أبا القاسم بموت ابنه أبي محمد في صفر سنة
٤١٧ هـ: [من البسيط]

هَـذِي الْمَصِيبَةُ مَا أَبَقْتُ لَنَا أَبَدًا صَبْرًا عَلَيْهَا وَلَا خَلْتُ لَنَا جَلْدًا^(٦)
جَاءَتْ وَلَا هَمٌّ فِي قَلْبِي وَلَا كَمَدٌ فَلَمْ تَدْعُ فِيهِ إِلَّا الْهَمَّ وَالْكَمَدًا^(٧)
يَا سَعْدَنَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ الزَّمَانُ وَقَدْ بَلَكَ مَوْضِعَ إِخْشَاعٍ وَقَدْ وَجَدًا^(٨)
انْظُرْ إِلَى الدَّهْرِ لَمَّا أَنْ أَلَمَ بَنَا مِنْ أَيِّ بَابٍ إِلَى مَكْرُوهِنَا قَصْدًا؟^(٩)

(١) المعنى: ولو عذمت الأيام على بقائي على حالتي لخلدت.. ولكن الإنسان يموت شيئًا فشيئًا.

(٢) المفردات: النسر والفرقد: كوكبان.

المعنى: ولو لم يحل الشيب بي أو لم ينقص مني زماني لصرت أحد الكواكب في كبد السماء.

(٣) المعنى: وما الشيب إلا ما يفدني من المصيبة الكبرى، لو حلت بي لهجرني الناس وبقيت وحيداً وصرت لا شيء.

(٤) المفردات: الصفاح: حجارة تبلط بها القبور.

المعنى: ولجاءني الموت ولغطتني حجارة القبور.

(٥) المعنى: فلا تتضايقي يا نفسي من الموت يومًا، لأنه قادم إليك لا محالة.

(٦) المعنى: حلت وفاة ابنك فأفقدتنا صبرنا وعشنا بعدها في هلع.

(٧) المعنى: قبل أن تحل المصيبة كنت خلّي البال لا يكدر صفو عيشي مكدر، حتى إذا داهمتني أفقدتني الصبر وولدت عندي الهم والحزن.

(٨) المعنى: يخاطب سعد الأئمة بأن الزمان حاول أن ينال منك فلم يجد في شخصك شيئاً يقدر عليك فهاجمك بابنك محمد.

(٩) المعنى: راقب الزمان وكيف أنه حين يريد الكيد لنا من أي الأبواب يفد علينا؟

جَبَّ السَّنامَ الذي كُنَّا نَصُولُ بِهِ فما أَفادَ بأنَّ أبقَى شَوَى وَيَدًا^(١)
 أنكى بأفرسٍ مَنْ ناجيته قَدَرُ جارٍ وأفرسٍ مَنْ حاذرتُ منه رَدَى^(٢)
 والموتُ إنَّ لم يَزُرْ يوماً ففي غدِهِ والمرءُ إنَّ لم يَرْخِ سَعِيًا إليه غَدًا^(٣)
 لو يستطيعُ الَّذي يَهوى البقاءَ لَهُ فداءهُ بالتي في جَنبِهِ لَفَدَى^(٤)
 ولو أطافَ الَّذي قِيدَتْ مَشافِرُهُ إلى ورودِ حياضِ الموتِ ما وَرَدًا^(٥)
 وما أرى الصَّبَرَ لي رأيا فأسالُهُ والقصدُ يُغري به مَنْ كان مُقتصدًا^(٦)
 ولستُ أرضى له قولًا وفي كَبدي جَمَرُ المصيبةِ ما أغضى ولا خَمَدًا^(٧)
 فإنَّ أَفَقْتُ فعندي كُلُّ قافيةٍ تَتَرى وقد ضَمِنَ الإنجازَ مَنْ وَعَدًا^(٨)

- 137 -

وقال وكتب بها إلى صاحب له : [من البسيط]

فخرًا فَإِنَّكَ مِنْ قومٍ إذا افْتَحَرُوا مَدُّوا إلى كُلِّ نجمٍ في السَّمَاءِ يَدًا^(٩)

-
- (١) المفردات: جبّ: قطع. الشوى: الأعضاء، أو ما كان غير مقتل منها.
 المعنى: لقد قطع ظهورنا التي كنا نجابه بها، فلم يستفد حين أبقى عضواً أو يدًا.
- (٢) المفردات: أنكى: أوقع في الضرب والقتل؛ اسم تفضيل.
 المعنى: إن أقسى ما فيه أنه قدر ظالم وأجراً من تخوفت موتاً.
- (٣) المعنى: والموت زائر حتمي إن لم يأت اليوم فهو قادم في يوم آخر، وإن لم يذهب المرء إليه هاجمه بنفسه.
- (٤) المعنى: يتمنى المرء أن يفدي عزيزه كيلا يسلبه الموت ولكنه يعلم أن الفداء غير مجدٍ.
- (٥) المفردات: المشافر: الشفاه، وللبعير بخاصة.
 المعنى: ولو ربطت شفاه المرء كي يساق إلى الموت لأبى.
- (٦) المفردات: القصد: الرشد.
 المعنى: ولم يدع الصبر لي مجالاً أستفسر منه والرشد يحث قليل الكلام.
- (٧) المفردات: أغضى على الأمر: سكت وصبر.
 المعنى: ولا أقبل أن أصرّح له بشيء لأن في كبدي حرقه لا تخمد ولا تهدأ.
- (٨) المفردات: تترى: تتلاحق.
 المعنى: حتى إذا صحوت مما أنا فيه قدمت له شعراً تتابعت قافيته لصدق عاطفتي. وهذا وعد مني قطعته على نفسي.
- (٩) المعنى: يحق لك يا صاحبي أن تتباهى بنفسك فأنت من قوم طالت أيديهم إلى النجوم علاء.

مُحَسِّدِينَ وَهَذَا الْفَضْلُ مَرْقَبَةٌ تَجْرُ قَدَمًا عَلَى طُلَاعِهَا الْحَسَدَا^(١)
لَمَّا رَأَيْنَا سَجَايَا مِنْهُمْ سُمِعَتْ كَأَنَّهَا مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدَا^(٢)

- 138 -

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ: [مَنْ الْوَافِر]
سَقَى اللَّهُ الَّتِي طَرَدَتْ وَسَادِي وَكَانَتْ لِي مَعَاصِمُهَا وَسَادَا^(٣)
جَعَلْتُ وَقَدْ خَلَعْتُ نِجَادَ سِيفِي غَدَائِرَهَا لِعَاتِقِي النُّجَادَا^(٤)
فَإِنْ يَكُ مُنْصُلِي عَضْبًا حَدِيدًا فَإِنَّ لِحْسِنِهَا نُصْلًا حِدَادَا^(٥)
فَمَا أَدْرِي وَقَدْ قَضَيْتُ نَخْبِي أَغْيَا كَانَ ذَلِكَ أَمْ رَشَادَا^(٦)

- 139 -

وَقَالَ يَرِثِي زَوْجَتَهُ أُمَ مُحَمَّدٍ^(٧): [مَنْ الطَّوِيل]
أَلَا هَلْ أَتَاهَا كَيْفَ حُزْنِي بَعْدَهَا وَأَنْ دُمُوعِي لَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّهَا؟^(٨)

-
- (١) المفردات: المرقبة: المكان الذي يراقب المرء منه.
المعنى: إن قومك محسودون، وهذا يدل على أن الناس يراقبونهم، دليلاً على مكانتهم منذ القديم.
- (٢) المفردات: السجايا: مفردتها السجية، وهي الطبيعة والخلق.
المعنى: حين تحدث الناس عن خصالهم وطبائعهم لم يتفاخر بها أحد، لأنها من طبيعتهم.
- (٣) المعنى: هنا الله من رفضت أن أنام على وسادتي، وأبت إلا أن تجعل يدها وسادة لي.
- (٤) المفردات: النجاد: حمائل السيف. الغدائر: خصل الشعر المتدلّية على الصدر. العاتق: موضع النجاد من الكتف.
- المعنى: مددت شعرها الطويل على كتفي مثل حبل سيفي الذي خلعته عن عاتقي.
- (٥) المفردات: المنصل: السيف. النصل: مفردتها النضل، وهو حديدة الرمح والسهم.
- المعنى: فإن كان سيفي من الحديد القوي، فإن جمالها متسلح بالنصال الحادة.
- (٦) المعنى: ولم أتنبه بعد أن كدت أموت أفي ضلالة أنا أم في رشاد.
- (٧) ابنة أبو جعفر محمد بن علي المرتضى. وزوجته هذه ماتت في ريعان شبابها (انظر البيت ٣ صفحة ٣١٤).
- (٨) المعنى: أبلغها ما أنا عليه من أحزان وأن دموعي تهطل مدراراً بلا توقف؟

تفيضُ على عينِ مَرى الوجدُ ماءها
غزيرةُ أنواءِ الجفونِ كأنها
وقد كنتُ من قبلِ الفراقِ أهابه
وأشفقُ ممَّا لا محالةَ واقعُ
كأنِّي لمَّا أن سمعتُ نعيَّها
ولم أستطعُ في رزئها عطُّ مُهجتي
ومما شجاني أنِّي لم أجِد لها
وأنِّي لمَّا أن قضى اللهُ هُلُكها
حَنى يومُها الغادي كهولَ عَشيرتي
ولم تستطعُ أن يغلبَ الصَّبْرُ وجَدَها^(١)
تَناهَتْ إلى بعضِ البحارِ فمدَّها^(٢)
كما هابَ ظُلُمانُ الصَّريمةِ أسدَّها^(٣)
وهلُ للمنايا قادرُ أن يردَّها؟^(٤)
أناخَ على الأحشاءِ فارٍ فقَدَّها^(٥)
وأجللتهُ عن أن أمزقَ بُردَها^(٦)
على خِبرتي شيئًا يهونُ فقَدَّها^(٧)
على قلبي المحزونِ بَقِيَتْ بَعْدَها^(٨)
على جَلَدٍ فيهمُ وشيَّبَ مُردَّها^(٩)

(١) المفردات: مَرى: اعتصر.

المعنى: كانت دموعي تنضح من عين اعتصر الحب قطراتها، من غير أن تمتلك الجلد لتوقف.

(٢) المفردات: أنواء الجفون: دمعها، والأنواء: مساقط النجوم المشعرة بسقوط المطر.

المعنى: إن نبع الدموع سخي، لكأنه اتصل بالبحر ورفده من مائه.

(٣) المفردات: الظلمان (وتكسر ظاؤها) مفردها الظليم، وهو ذكر النعام. الصريمة: القطعة من معظم الرمل.

المعنى: وإنني في الواقع أخاف هطول الدمع قبل حلول المصاب كما تخاف ذكور النعام آساد البوادي.

(٤) المعنى: وأعطف على نفسي مما لا بد منه، وهل من يجرؤ على رد القدر المحتوم؟

(٥) المفردات: الفاري: الشاق. قدَّها: شقها.

المعنى: وحين بلغني موتها أحسست كأن شيئًا شق كبدي ففتَّتها.

(٦) المفردات: العط: الشق.

المعنى: وحاولت أن أمزق فؤادي لمصيبي فاستحال علي ذلك، كما أنني أكبرتُ على قلبي أن أمزق شعافه.

(٧) المعنى: ومما آلمني وأحزنني، أنني على خبرتي بالمصائب لم أتوصل إلى ما يخفف عني موتها.

(٨) المعنى: ومما آلمني أيضًا أن الله أبقاني حيًا بعدها، تاركًا قلبي بأحزانه.

(٩) المعنى: وموتها لم يرهقني وحدي، بل ثنى ظهور أعجاز قومي على صبرهم، وشيَّب شبابها.

وحطَّ الرُّجَالُ الشُّمَّ من كُلِّ شامخ
وقلَّصَ عنها العزُّ ما فُِدِحَتْ بِهِ
فكم كَبِدٍ حَرَّى تَقَطَّعُ حَسْرَةً
حرامٌ - وقد غُيِّبَتْ - عَنِّي أَنْ أرى
وسِيَّانٍ عِنْدِي أَنْ حَبَّتْنِي خَرِيدَةٌ
وهيهاتَ أَنْ أُلْفَى أَرْقُحُ صَرَمَةً
ومن أينَ لي في غيرِها عَوْضٌ بها
أَسَامُ التَّسْلِي وهو عَنِّي بِمَعزِلٍ
وبينَ ضُلوعي يا عَذُولُ نوافذُ
وودِّي بَأَنَّ اللهَ يَوْمَ اخْتِرامِها

يُلاقون بالأيدي من الأرض جِلْدَها^(١)
فتحسبُ مَولاها من الذَّلِّ عبدَها^(٢)
وكم عبرةٌ قد أقرَحَ الدَّمْعُ خَدَّها^(٣)
من الخلقِ إلَّا نظرةً لن أودَّها^(٤)
بوصلٍ يُرجى أو حَبَّتْنِي صَدَّها^(٥)
وأطلبُ من دارِ المعيشَةِ رَغَدَها^(٦)
وقد أحرزتُ سُبُلَ الفضائلِ وحدَها؟^(٧)
وكيف تُسامُ النَّفْسُ ما ليسَ عندها؟^(٨)
أبى العَذْلُ والتَّائِبُ لي أنْ يسدَّها^(٩)
تخرَّم من جنبيَّ ما حازَ ودَّها^(١٠)

(١) المعنى: وأنزل الرجال العظام من مقاماتهم السامية ليمسحوا بتراب أرضها.

(٢) المفردات: قلص: شمر.

المعنى: ومن شدة مصابهم نسوا ما هم فيه من عز ومكانة، حتى بدا سيدهم عبداً من الذل الذي هم فيه.

(٣) المعنى: وكم تمزقت من أكبادٍ أسَى عليها، وكم دمة ساخنة سالت على الخدود فأحرقتها وجرحتها.

(٤) المعنى: وبعد أن ووري عليك التراب لم أجد أحداً من الناس إلا وهو حزين مما لا أريده له.

(٥) المفردات: الخريدة: البكر الحساء. حباه: أعطاه بلا جزاء.

المعنى: لا فرق عندي بين أن تهبني الحساء وصلّاً كنت أرقبه، أو تمنحني صدّاً.

(٦) المفردات: أرقح: أصلح. الصرمة: القطيعة.

المعنى: بعيد عليّ أن أرى أنني أصلح قطيعة، وأبحث عن السعادة في الحياة.

(٧) المعنى: لن أقدر على الزواج بغيرها لأنني رأيتها فاقت النساء بفضائلها التي حازتها بنفسها.

(٨) المفردات: أسام: أكلف به.

المعنى: يدفعني الناس على النسيان، والحزن لا يفارقني. وكيف تكلف النفس بما لا تملك؟

(٩) المعنى: يا لائمي كيف تطالبني وتعنفني وأنت تعلم أن ما في قلبي لا يسده شيء؟

(١٠) المفردات: الاخترام: الاستئصال، وهنا هو الموت.

المعنى: كنت أتمنى من الله يوم موتها أن الله قطع نياط قلبي، وهو مستقر حبها.

وَإِنِّي لَمَّا غَالَهَا الْمَوْتُ غَالِنِي
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَيُّهَا الدَّهْرُ نَكْبَةٌ
بَلَغْتُ أَشَدِّي، لَا بَلَغْتُ وَجْزَتُهُ
فَفَزْتُ بِأَسْنَى مَا حَوَتْهُ رَوَاجِبِي
فِيَا قَلْبُ لِمَ أَنْتَ الْجَلِيدُ كَأَنَّمَا
وَمَا كُنْتُ أَهْوَى أَنَّكَ الْيَوْمَ صَابِرٌ
أَلَيْسَ فِرَاقًا لَا تَلَاقِي بَعْدَهُ
أَلَا فَالْبَسِ الْأَحْزَانَ لِبَسَّةٍ قَانِعٍ
وَصَمِّ عَنِ الْمُغْرِبِينَ بِالصَّبْرِ، إِنَّهُمْ
وَقَبْلَكَ مَا نَالَ الزَّمَانُ مُعَلَّقًا

فَبَعْدًا لِنَفْسِي إِذْ قَضَى اللَّهُ بُعْدَهَا^(١)
تَكْذُ حَيَازِيمِي فَأَحْمَلُ كَذَّهَا؟^(٢)
وَأَعْجَلَتْهَا مِنْ أَنْ تَجُوزَ أَشَدَّهَا^(٣)
وَجَاوَزْتُ فِي أُمِّ الْمَصِيبَاتِ حَدَّهَا^(٤)
تَحَادُّكَ الْأَطْمَاعُ أَنْ تَسْتَرِدَّهَا؟^(٥)
وَيَدْعُوكَ فَتَيَانُ الْعَشِيرَةِ جَلْدَهَا^(٦)
وَعَيْبَةُ سَفَرٍ لَا يُرْجَوْنَ وَقْدَهَا؟^(٧)
بِأَثْوَابِهِ لَا يَنْتَغِي أَنْ يُجِدَّهَا^(٨)
يُطْفِقُونَ نَارًا أَلْهَبَ اللَّهُ وَقْدَهَا^(٩)
بِأَجْبَالِ رَضْوَى يَرْتَعِي ثُمَّ مَرَدَّهَا^(١٠)

(١) المفردات: غالها: أهلكها.

المعنى: لما أهلكها الموت أهلكني معها، وإنني أشتم نفسي إذ بعدت عنها.

(٢) المفردات: الحيازيم: مفردا الحيزوم، وهو الصدر. تكذ: تطلب بجده.

المعنى: لماذا أيها الدهر تترى مصائبك علي فتخط على صدري وتحملني عبأها؟

(٣) المفردات: الأشد: القوة، وهو زمان الشباب.

المعنى: أبلغتني مرحلة الشباب وتخطيتها، وليتك لم تفعل. لكنك عجلت عليها صبيئة.

(٤) المفردات: الرواجب: مفردا الراجبة وهي عقدة الأصابع، وأراد اليد. أم المصيبات: المنية.

المعنى: طال عمري فملت أعظم ما أتمنى، وقطعت حدود الموت.

(٥) المعنى: لماذا لا تتجاوب معي أيها القلب وتثبت كالصخر، كأنك تطمع في استرجاع ما

منحتني إياه؟

(٦) المفردات: الجلد: الصابر.

المعنى: أراك اليوم صابرا على ما رزئت به! لا يسعدني صبرك هذا كما لا يريحني أن

يراني أهلي صبوراً.

(٧) المعنى: ألا تعلم أنني فارقت من لن ألقاه، وودعت من لا تؤمل عودته؟

(٨) المفردات: يجدها: يجعلها جديدة.

المعنى: فتحل يا قلب بثوب الحزن واقنع به، ولا تبدل ثياب العزاء مطلقاً.

(٩) المعنى: ولا تصنع إلى من يدعوك إلى الصبر، أيجوز لهم إخماد نار أشعلها الله؟

(١٠) المفردات: المرد: ثمر الأراك. ثم: هناك. يرتعي: يرعى.

المعنى: ويا قلب، إن الزمان لم يقدر على من تعلق بجبل رضوى مطمئناً يرعى شجر الأراك.

تَوَاعَدَ فِي سَمَاءٍ يَرْقُبُ مُزْنَةً تَصُوبُ عَلَيْهِ أَعَذَبَ اللَّهُ وَزَدَهَا^(١)
وتَلْقَاهُ خُلُوعًا لَا يَطَالِعُ رَبِيبَةً وَلَا يَتَّقِي خِطَاءَ اللَّيَالِي وَعَمَدَهَا^(٢)
ودَاءُ الرَّدَى أَفْنَى ظِبَاءٍ سُويْقَةٍ وَطَيْرٍ عَنْ أَجْزَاعٍ تَذْمُرُ رُبْدَهَا^(٣)
وأَفْضَى إِلَى حُجْبِ الْمُلُوكِ وَلَمْ يَخَفْ شَبَاهَا وَلَمْ يَرْقُبْ هُنَالِكَ حَشْدَهَا^(٤)
يَسِيرُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى مَهَلٍ مِنْهُ فَيَسْبِقُ شَدَّهَا^(٥)
وَكَمْ غُصْبَةٍ بَاتَتْ بِظِلِّ سَعَادَةٍ تَخَطَّفُهَا أَوْ أَوْلَجَ النَّحْسُ سَعْدَهَا^(٦)
وَهَدَمَهَا مَنْ كَانَ شَادَ بِنَاءَهَا وَجَرَّدَهَا مَنْ كَانَ أَحْكَمَ غِمْدَهَا^(٧)
سَلَامٌ عَلَى أَرْضِ الطُّفُوفِ وَرَحْمَةٌ مَرَى اللَّهُ سُقْيَاهَا وَأَضْرَمَ زَنْدَهَا^(٨)
وَلَا عَدِمَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ حَفَائِرُهَا مِنْ جَنَّةِ اللَّهِ رِفْدَهَا^(٩)

(١) المفردات: السماء: القمة. المزنة: المطرة. تصوب: تمطر.

المعنى: وكان يتوقع مطرة سخية وهو في أعلى رضوى طهرها الله وطيب مذاقها.

(٢) المعنى: يلقي الأمطار وهو خليئ النفس من كل شك، ولا يعبا بما يحل من خطأ أو عمد.

(٣) المفردات: الأجزاء: مفرداتها الجزع، وهو محلة القوم والمشرف من الأرض. الربد: مفرداتها الربداء وهي النعامة. تدمر: بلدة في قلب البادية الشامية.

المعنى: ولقد أفنى الموت غزالات سويقة، وأخاف نعامات تدمر فأطارها.

(٤) المفردات: شباهها: سيوفها، والشبا: حد السيف.

المعنى: حتى دخل الموت إلى قصور الملوك من غير أن يخاف حد سيوفها، ولم يعبا بتجمعها عليه.

(٥) المفردات: شَدَّهَا: قوتها.

المعنى: يهجم عليها صباحًا ومساءً بكل اطمئنان فيسبق عزيمتها ببطئه.

(٦) المعنى: وكثيرًا ما نفاجأ بأناس أمضوا أيامهم سعداء، فداهمهم الموت واستلب النحس سعادتهم.

(٧) المعنى: والذي عمرها نسفها من جذورها، وكشفها بعد أن كان سترها.

(٨) المفردات: أرض الطفوف: كربلاء، ووردت قبل مفردة «الطف» بـرى سقياها: اعتصر سحابها، وفي الأصل مرى الناقة: مسح ضرعها لتدر اللبن.

المعنى: أحيًا ثرى كربلاء الغالي وسقاها غيثه الصافي، وأثار نارها.

(٩) المفردات: الرشد: العطاء.

المعنى: ولا حرمتها من عطاء جنانه مدى العمر.

فَكُنْ ثُمَّ مِنْ أَشْلَاءِ قَوْمٍ أَعَدَّهَا - لِيُعْطِيَهَا مَا تَبْتَغِي - مَنْ أَعَدَّهَا^(١)
 وَلِلَّهِ مِنْهَا حَفْرَةٌ جُنْتُ طَائِعًا فَأَوْدَعْتُ دِينِي ثُمَّ دُنْيَايَ لَحْدَهَا^(٢)
 وَوَلَّيْتُ عَنْهَا أَنْفَضُ التُّرْبِ عَنْ يَدٍ نَفَضْتُ تَرَابَ الْقَبْرِ عَنْهَا وَزَنْدَهَا^(٣)
 وَلَمْ يَسْلِنِي شَيْءٌ سِوَى أَنْ جَارَتِي قَضَى اللَّهُ بَعْدِي أَنْ تُجَاوَرَ جَدَّهَا^(٤)
 وَإِنِّي لَمَّا أَنْ شَقَقْتُ ضَرِيحَهَا إِزَاءَ شَهِيدِ اللَّهِ أَنْجَزْتُ وَغَدَّهَا^(٥)
 وَكَيْفَ تَخَافُ السَّوَاءَ يَوْمَ حِسَابِهَا وَقَدْ جَعَلْتُ مِنْ أَجْنَدِ اللَّهِ جُنْدَهَا؟^(٦)
 وَتَمْسِكُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْهُمْ بِحُجْزَةِ قَوْمٍ لَا يُبَالُونَ حَدَّهَا^(٧)
 يَقُونَ الَّذِي وَالْأَهْمُ الْيَوْمَ حَرَّهَا وَيُعْطُونَهُ عَفْوًا كَمَا شَاءَ بَرَزَهَا^(٨)

- 140 -

وقال يتلهف على فقد أحد أصدقائه: [من البسيط]

مَتَى أَرَى الدَّهْرَ قَدْ آلتَ مَصَايِرُهُ إِلَى الَّذِي كَانَ مَأْلُوفًا وَمَعْهُودًا؟^(٩)

- (١) المفردات: الأشلاء: مفردها الشلو، وهو العضو من أعضاء اللحم. ثم: هناك.
 المعنى: وفي تلك الديار أعضاء وبقايا لمن كانوا في تلك المعركة، وكانت الأقدار قد
 هياتها وتمنحها ما تستحق.
- (٢) المفردات: اللحد: القبر.
 المعنى: وإنني لأذكر حفرة في تلك الديار وضعت فيها ديني ودنياي. ويقصد معركة
 كربلاء واستشهاد الحسين.
- (٣) المعنى: واعترتني الذكرى لأزيع الغبار الذي غطى بعض الأعضاء كاليد والزند ثم تركتها.
 (٤) المفردات: يسليني: ينسيني. جارتني (هنا): زوجتي.
 المعنى: إن زوجتي كذلك من نسل الحسين، والذي هدا من روعي وخفف من أحزاني أن
 زوجتي توفيت وجاورت جدي وجدها.
- (٥) المعنى: لقد رجعتني أن أدفنها إلى جوار الشهيد الحسين، فليت رجاءها ونفذت طلبها.
 (٦) المعنى: ولن تخاف العاقبة يوم الآخرة وما دامت انضوت تحت جند الله.
 (٧) المفردات: الحجزة: مقعد الإزار. أخذ بحجزتهم: اعتصم بهم.
 المعنى: وفي يوم القيامة، يوم لا يهاب أهل البيت الحساب ستثبت بأهدابهم وتتعلق
 بأذيالهم.
- (٨) المعنى: وهم سيحمون من تبعهم من لظى جهنم، وسوف يتوسطون ليغفر الله لهم.
 (٩) المفردات: آلت: صارت.

- كم ذا أرى كلَّ مذمومٍ ولست أرى بين الورى أبدَ الأيامِ محموداً! ^(١)
- قالت: أراكِ بهمَّ لا تفارقه! فقلت: همِّي لأنِّي ظَلْتُ مجهوداً ^(٢)
- إن شئتَ عزاً بلا ذلٍّ يُطيفُ به فاقطع من الحرصِ حبلاً كانَ ممدوداً ^(٣)
- خذ كيف شئتَ عن الأقطار قاطبةً واطلب من الرزقِ مطلوباً وموجوداً ^(٤)
- فلست تأخذُ إلا ما سبقتَ به ولا تبدل بالمجدودِ مجدوداً ^(٥)
- مضى الثقاتُ فلا عينٌ ولا أثرٌ وأوردوا من حياضِ الموتِ مَوروداً ^(٦)
- وأصبحوا كهشيمٍ باتٍ في جلدٍ بعاصفاتٍ من التكبِّاءِ مَكدوداً ^(٧)
- فما أبالي وقد فارقتُهُم غَبْنًا شحاً من الدهرِ في نفعٍ ولا جوداً ^(٨)
- ولا أضُمُّ يداً منِّي بغيرِهِم ولا أودُّ من الأَقوامِ مَودوداً ^(٩)
- ولا أخافُ على مَنْ كانَ بعدهم نحساً وسعداً ولا بيضاً ولا سوداً ^(١٠)

=المعنى: متى يستعيد الزمان طبعه المعهود عنه؟

- (١) المعنى: ما أكثر المذمومين في هذه الدنيا، ومن عجب ألا أرى من يحمد على أخلاقه.
- (٢) المعنى: عجبت محبوبتي أن رأت الهموم تتواكب علي، فبينت لها الأسباب، وهي تلخص في مجهودي.
- (٣) المعنى: وأنت أيها الصديق إن كنت حريصاً على المجد من غير إذلال يحوم حوله فلا تكن بخيلاً.
- (٤) المعنى: فاسافر وتنقل في البلاد كيف شئت، وابحث عن رزقك المضمون المكتوب.
- (٥) المفردات: المجدود: الحظ والرزق.
- المعنى: ولن تنال إلا ما وصلت إليه قبل غيرك، ولن تبدل حظك بحظ آخر.
- (٦) المعنى: مضى المخلصون الصادقون، وبذهابهم لم أعد أريد أن أرى أحداً، ذلك أنهم ماتوا جميعاً.
- (٧) المفردات: الهشيم: التبن اليابس. الجلد: السماء.
- المعنى: مضوا وغدوا مثل الهشيم المرهق تتقاذفه الرياح العاتية في الفضاء.
- (٨) المفردات: الغبن: الخداع.
- المعنى: وما دمت قد حرمتُ منهم خدعة من الدهر فما عدت أعبأ بما يجود به الزمان علي أو يشخ.
- (٩) المعنى: ولن أصادق أحداً بعدهم، ولا أريد مودة من إنسان.
- (١٠) المعنى: وما داموا هم الذين رحلوا فلن أعبأ بمن يأتي عليه الدور بسوء أو بسعادة.

وقال في الشيب: [من المنسرح]

لا تَطْلُبِي مِنِّي الشَّبَابَ فما عِنْدِي شَبَابٌ وَالشَّيْبُ قَدْ وَقَدَا^(١)
أَيْنَ شَبَابِي وَقَدْ أَنْفَتُ عَلَى السَّدِّ سِتِينَ سِتًّا وَجُزَّتْهَا عَدَدَا؟^(٢)
فَمَنْ بَغَى عِنْدِي الْبَشَاشَةَ وَاللَّهُ وَوَبَعْضَ النَّشَاطِ مَا وَجَدَا^(٣)
فَقَدْ مَضَى مِنْ يَدِي وَفَارَقَنِي مَا لَا أَرَاهُ بِرَاجِعٍ أَبَدَا^(٤)

وقال في النسيب: [من الطويل]

وَحُبْرُتُهَا يَوْمَ التَّقِينَا بِذِي النِّقَا تَعَجَّبُ مِنْ وَجْدِي وَمَا عَرَفْتُ وَجَدَا^(٥)
وَتَحَسَّبُ أَنِّي مُدَّعٍ عِنْدَهَا الْهَوَى وَتُعْرِضُ عَنْ دَمْعٍ بِهَا أَتْرَعَ الْخَدَا^(٦)
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ مِنْهَا صَبَابَةً كَمَا هِيَ ظَنَنْتُ لَا وَلَمْ أَعْرِفِ الْجُهْدَا^(٧)
وَلَمَّا قُرِعْنَا بِالنَّوَى حِينَ غَفَلَةٍ تَجَلَّدْتُ مُشْتَقًا لِتَحْسَبَنِي جَلْدَا^(٨)
وَطَارَ بِقَلْبِي طَائِرُ الْبَيْنِ عَنْ يَدِي عَلَى أَنَّنِي مَا جُرْتُ يَوْمَ النَّوَى قَصْدَا^(٩)

(١) المعنى: يا حبيبتى لا تطالبنى بالشباب فمن أين أملكه والمشيب قد داهمني؟

(٢) المعنى: يذكر المرتضى أن عمره قد زاد على الستين، ومن بلغ الستين فقد شبابه.

(٣) المعنى: فلم يعد عندي لهو ومسرات ولا همّة لمن أرادها.

(٤) المعنى: هذا الشباب رحل عني إلى غير رجعة.

(٥) المفردات: النقا: كثيب الرمل.

المعنى: بلغني أنها عجبت من حبي لها يوم كان لقاؤها قرب الكثيب، من غير أن تبادلني هذا الحب.

(٦) المفردات: أترع: ملأ وسقى.

المعنى: وادعت عدم صدقي في حبي لها، غير عابثة بالدموع الغزار على صفحة خدي.

(٧) المعنى: فتمنيت لو لم أغرق بها حبًا، على طلبها، ولم أعان ما عانيت.

(٨) المفردات: قرعه الأمر: أتاه فجأة. النوى: البعد.

المعنى: وحين أزف الرحيل فجأة تصنعت بالصبر والجلد لتظنني صبورًا.

(٩) المعنى: وحمل غراب البين قلبي بين أجنحته غصبا عني، مع أنني في ساعة الرحيل لم أغضب على نفسي.

وقال يعزي أبا علي الحسن بن حمد علي وفاة والدته سنة ٣٣٩: [من

البيط]

في مثلها يُستثار الصبر والجَلْدُ وعندها يتقاضى الحزم ما يجدُ^(١)
وما الرزية إلا أن تِلْمَ بنا ونحن لاهون عنها غُفْلُ بُعْدُ^(٢)
مثل السّوام رعى في أرضٍ مضيعة نام المسيم بها واستيقظ الأسدُ^(٣)
تمشي الضراء وهام لا تخمرها مخلّق فوقهنّ العارضُ البردُ^(٤)
وإنما المرء في الأيام مُحْتَبَسٌ على المنية تأتيه ومُقتَعَدُ^(٥)
يسعى ولم يسع إلا نحو حُفْرَتِهِ يخال مُعتمدًا أو كيف يعتمدُ^(٦)
جاء البلادَ وعدى عن مصارعِهِ فاخترط مصرعه من بينها بلدُ^(٧)
وكيف ينجو حبالات الردى رجلٌ مُستجمعٌ للمنايا بعده بددُ؟^(٨)
وقد علمنا بأننا معشرٌ أَكُلُّ للموت نوجدُ أحيانًا ونُفْتَقَدُ^(٩)
يرتاح نحو غدٍ من غفلةٍ أبدًا من ليس يدري بما تجني عليه غدُ^(١٠)

(١) المعنى: إن هذه السيدة الجليلة تستحق كل حزن ويُفقد بها الصبر والعزم، ويفقد المحب لها كل حزم يمتلكه.

(٢) المعنى: والمصيبة هي التي تحل بنا ونحن عنها ساهون غافلون.

(٣) المفردات: السوام: الأنعام الراحية.

المعنى: هذه المصيبة المفاجئة أشبه بالأنعام التي نام عنها راعيها وتوثب المفترس لها.

(٤) المفردات: الضراء: الخفاء. تخمرها: تسترها. العارض: السحاب يعترض الأفق.

المعنى: وهي داهية تتسلل خلصة لا تستر الرقاب سحب باردة.

(٥) المعنى: والإنسان في هذه الدنيا يقعد ينتظر قدوم المنية، فإما أن تأتيه وإما أن تتأخر عنه.

(٦) المعنى: مهما أرهق المرء نفسه فإنه ذاهب إلى حتفه، ويظن نفسه مأمونًا.

(٧) المعنى: طاف وتجول ظنًا منه أنه ابتعد عن موطن الموت، ولم يظن إلا أنه اختار مكان موته.

(٨) المعنى: ولن ينجو الإنسان من غائل الموت مهما استعد له واعد.

(٩) المعنى: وقد عرفنا بعد خبرة مما حولنا أن الناس جميعًا طعموا للموت. . . نبقى حينًا ونُفقد حينًا.

(١٠) المعنى: والذي لا يعرف ماذا يأتيه غدًا يظن أنه ضامن غده، وما هو إلا واهم.

كم ذا فَقَدْنَا كَرَامًا لَا إِيَابَ لَهُمْ حُطُّوا مِنَ الْمَنْزِلِ الْأَعْلَى وَنَفْتَقِدُ^(١)
 ذَاقَتْ شِفَاهَهُمْ طَعْمَ الرَّدَى مَقْرًا وَطَالَمَا كَانَ يَجْرِي بَيْنَهَا الشَّهْدُ^(٢)
 وَكَمْ وَرَدْنَا وَمَا تُغْنِي وَرَادَّتُنَا إِنَّا وَرَدْنَا-وَأُغْفُوا- مُرًّا مَا وَرَدُوا^(٣)
 لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ وَقَدْ هَمَّ الْجِمَامُ بِهِمْ مَا جَمَّعُوا لِدِفَاعِ الْبُؤْسِ وَاحْتَشَدُوا^(٤)
 وَلَيْسَ يُجْدِي وَإِنْ أَزْبَى بِكَثْرَتِهِ عَلَى الْفَتَى مَدَدًا إِذَا انْقَضَتْ مُدَدُ^(٥)
 كَأَنَّهُمْ بَعْدَمَا امْتَدَّ الزَّمَانُ لَهُمْ لَمَّا مَضَوْا فِي سَبِيلِ الْمَوْتِ مَا وُلِدُوا^(٦)
 فَنَحْنُ نَبْكِي عَلَى آثَارِهِمْ جَزَعًا نَقُولُ: لَا تَبْعُدُوا عَنَّا، وَقَدْ بَعُدُوا^(٧)
 قُلْ لِلْوَزِيرِ: سِوَاكَ الْمَرْءُ نَوْقُظُهُ وَسَمِعَ غَيْرِكَ يَغْشَى الْعَذْلُ وَالْفَنْدُ^(٨)
 حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِيمَا فَاتَ مُكْتَتِبٌ جَنَى الْجِمَامُ فَلَا عَقْلٌ وَلَا قَوْدُ؟^(٩)
 دَعِ التَّتَبُّعَ لِلْعَمْرِ الَّذِي قَطَعْتَ عَنْهُ الْحَيَاةَ الْمَنَايَا وَانْتَهَى الْأَمْدُ^(١٠)
 مَا دَمْتَ تَطْمَعُ فِيهِ فَاحْزَنْنَ لَهُ فَإِنْ يَيْسَتْ فَلَا حُزْنَ وَلَا كَمْدُ^(١١)

- (١) المعنى: ولقد فقدنا سادة كرامًا لن يعودوا إلينا، فهم نزلوا عن مقامهم السامي ورحلوا.
 (٢) المفردات: المقر: المر أو الحامض.
 المعنى: هؤلاء العظام كانوا سعداء ينقط العسل من أفواههم، وتبدل العسل إلى حنظل.
 (٣) المعنى: وكثيرًا ما نهلنا من هذه الحياة فلم ينفعنا شربنا، بل كان شربنا مرًا. . وأعفي منه غيرنا.
 (٤) المعنى: كل محاولاتهم في رد الضرر عنهم باءت بالخسران حين داهمهم الموت.
 (٥) المفردات: أربى: زاد.
 المعنى: ذلك أن المرء إذا انتهت حياته لا ينفعه عون مهما كثر وزاد.
 (٦) المعنى: فإذا مات أحدهم مهما طال عمره فكأنه لم يولد أصلًا.
 (٧) المعنى: وليس لنا إلا أن نبكي عليهم حزنًا ونرجوهم ألا يفارقونا، وقد فعلوا.
 (٨) المفردات: الفند: تضعيف الرأي واللوم.
 المعنى: ونحن أيها الوزير لا نخاطبك بما نقول بل ننبه غيرك ونوصل عتابنا إلى الضعيف الرأي، فلست تحتاج إلى مثل هذا الكلام.
 (٩) المفردات: العقل(هنا): الدية، ومثلها القود.
 المعنى: فلماذا أراك ما تزال حزينًا، فقد حصد الموت عزيزك ولا بديل ولا دية لفقده.
 (١٠) المعنى: واترك أيام الحزن الذي سببه الموت فقد انتهى كل شيء.
 (١١) المعنى: فإن كنت مصرًا على دوام الحزن فاحزن، وإن يئست من رجعة العزيز بالحزن فاعزف عن الحزن والترح.

واستبقِ دمعك لا تذهب به سرفاً فمصرف فيه يضحى وهو مقتصد^(١)
 وإن جَزَعْتَ لأنْ مُدَّتْ إليك يدُ فبالذي عشتَ ما مُدَّتْ إليك يدُ^(٢)
 ومُنيَةُ الوالدينِ الدهرَ أجمعه أن يكرعا الموتَ حتَّى يسلمَ الولدُ^(٣)

- 144 -

وقال يمدح فخر الملك، ويهنئه بعيد النيروز،^(٤) وأرسلها إلى الأهواز
 سنة ٤٠٣ هـ. : [من الكامل]

تلك الديارُ برامتينِ هُمودُ دَرَسَتْ ولم تدرُسْ لهنَّ عُهودُ^(٥)
 حيثُ التوى ذاك اللوى ثم استوى والتفَّ من شملِ الأراكِ بديدُ^(٦)
 أو ما رأيتَ وقوفنا بمُحَجَّرٍ والدَّمْعُ مِنْ جَفْنِي عليه يجودُ؟^(٧)
 مُترنِّحينَ من الغرامِ كأننا قُضِبَ تَمِيلُ مع الصُّبا وتميدُ^(٨)

(١) المفردات: السرف: تجاوز الحد والاعتدال.

المعنى: ولا تفرط بدمعك وحافظ عليه، ومهما اقتصدت بدمعك فأنت تعتبر مسرفاً.

(٢) المعنى: وإن خفت أن الموت لم يأتك، فعيشك هذا بتقصير يد الموت نحوك.

(٣) المعنى: يذكره بوجود أولاده وأنه مسؤول عنهم، فأمل الآباء أن يبلغوا الموت في سبيل
 سعادة أبنائهم.

(٤) المفردات: النيروز والنوروز: عيد رأس السنة الإيرانية وعيد الربيع، ومعنى الكلمة اليوم
 الجديد. الأهواز: منطقة خوزستان أو عربستان، تقع في جنوبي إيران وفيها اليوم آبار
 النفط.

(٥) المفردات: رامتان: موضع في البادية، وهو مثني. درست: بليت.

المعنى: غدت ديار الرامتين صامته ولكنها تخبىء في طياتها ذكريات لم تنس كما درست
 مرابعنا.

(٦) المفردات: اللوى: منعرج الرمال. الأراك: شجر قاس تصنع من أغصانه المساويك.
 بديد: مبدد.

المعنى: اندرست الديار بعد قلب منعرج الرمال وبعد اعتدالها، وبعد أن طالت أغصان
 الأراك والتفت

(٧) المفردات: محجر: اسم موضع.

المعنى: ألم ترَ لقاءنا عند المحجر، ودموعي تملأ خدي؟

(٨) المفردات: تميد: تتحرك وتضطرب.

المعنى: وكنا غارقين في حينا متميلين كاهتزاز الأغصان وتحركها.

والرَّكْبُ إِمَّا سَادِرٌ مُتَهَالِكٌ أَوْ رَاكِبٌ ثَبَجَ السُّلُوَ جَلِيدٌ^(١)
وعلى أهاضيبِ المُشَقَّرِ غَادَةٌ لِلرَّيْمِ مِنْهَا طَرْفُهُ وَالْجِيدُ^(٢)
صَدَّتْ وَلَمْ تُرِدِ الصُّدُودَ وَرَبَّمَا جَاءَ الْعَنَاءُ وَلَمْ يُرِذْهُ مُرِيدُ^(٣)
وَلَقَدْ طَرَقَتْ وَمَا طَرَقَتْ صَبَابَةٌ عَيْنِي وَنَحْنُ إِلَى الرَّحَالِ هُجُودُ^(٤)
فِي ظِلِّ خُوصٍ كَالْقَسِيِّ طَلَائِحِ أَخَذَتْ عَوَارِيَهُنَّ مِنْهَا الْبِيدُ^(٥)
أَتَى اهْتَدَيْتَ وَكَيْفَ زَرْتِ وَبَيْنَنَا دُونَ الزِّيَارَةِ مُرْبِخٌ وَزُرُودُ؟^(٦)
وَمُفَاوِزٌ مِنْ دُونِهِنَّ مَفَاوِزُ وَتَهَائِمٌ مِنْ فَوْقِهِنَّ نُجُودُ^(٧)
وَعَرَائِرُ أَنْكَرْنَ شَيْبَ ذَوَائِبِي وَالْبَيْضُ مِنِّي عِنْدَهُنَّ السُّودُ^(٨)
أَنْكَرْنَ دَاءً لَيْسَ فِيهِ حِيلَةٌ وَذَمَمْنَ مَفْضًى لَيْسَ عَنْهُ مَحِيدُ^(٩)

- (١) المفردات: سادر: متحد. الشج: ما بين الكاهل والظهر. الجليد الصبور.
المعنى: وكنا في ما نحن فيه حين كان الركب محتارين، وهم بين متعب متهالك وقوي صبور.
- (٢) المفردات: المشقر: اسم موضع. الريم: الغزال.
المعنى: ووقفت حسناء تشبه عيناها ورقبتها الغزال، وهي واقفة على تلة المشقر.
- (٣) المعنى: لم تلتفت إلي وإن كانت تريد النظر إلي، وقد يضطر المرء إلى أمر وهو يكره فعله.
- (٤) المفردات: طرق: زار ليلاً. هجود: نيام.
المعنى: ولقد زارني طيفك ونحن متجهون للنوم، ولم تكن عينك تقصد الحب في زيارتها.
- (٥) المفردات: الخوص: مفردا الخوصاء، وهي الناقة الغائرة العينين من الإرهاق. طلائح: هزيلات.
- المعنى: رعت هذه المطايا منابت الأرض فأسمتها، ولما أجهدا السير وأهزل لحمها صار ما كان أسمها أهزلهما، فكأنه مسترد ما كان أعاره.
- (٦) المفردات: مربخ وزرود: رملان على طريق مكة.
المعنى: مهما حاولت أن أزورها فبيني وبينها رمال ومسافات.
- (٧) المفردات: المفاوز: مفردا مفازة، وهي الصحراء فيها منجاة. تهائم: مفردا تهامة وهي ديار في الحجاز من المنخفضات.
- المعنى: وبيني وبينها صحارى تعقبها صحارى، ووديان فوقها نجود.
- (٨) المفردات: العرائر: مفردا الغريرة، وهي الفتاة لا تجربة لها.
المعنى: والصبايا اللاتي أعرفهن لم يعترفن بشيب شعري، ورأين البياض منه أسود.
- (٩) المعنى: ورفضن هذا الذي يراه غيرهن داءً، وأبين أمراً لا سبيل إلى إهماله.

يُهْوَى الشَّبَابُ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَيُمَلُّ هَذَا الشَّيْبُ وَهُوَ جَدِيدُ^(١)
 لَا تَبْعُدَنَّ عَهْدَ الشَّبَابِ، وَمِنْ جَوَى أَدْعُو لَهُ بِالْقَرَبِ وَهُوَ بَعِيدُ^(٢)
 أَيَّامٍ أَرْمَى بِاللِّحَاطِ وَأَرْتَمِي وَأَصَادُ فِي شَرَكِ الْهَوَى وَأَصِيدُ^(٣)
 قَدْ قُلْتُ لِلرَّكَبِ السَّرَاعِ يَحْتُفُّهُمْ مُتَرَنِّمٌ بِخُدَائِهِ غَرِيدُ^(٤)
 فِي سَبَسَبٍ خَافِي الْمَعَالِمِ وَالصُّوَى فَكَأَنَّمَا مَوْجُودُهُ مَفْقُودُ^(٥)
 مَنْ مَبْلَغُ فَخْرِ الْمُلُوكِ رِسَالَةٌ أَعَيْتَ عَلَيَّ يَقُولُهَا الْمَجْهُودُ؟^(٦)
 أَتَرَى لِيَالِي اللَّوَاتِي طِبْنَ لِي فِي ظِلِّكَ الْوَافِي عَلَيَّ تَعُودُ؟^(٧)
 وَمَتَى أَزُورُ رِبْعَ أَرْضِكَ زَوْرَةً وَعَلَيَّ مِنْ نَسْجِ الرَّبِيعِ بُرُودُ؟^(٨)
 وَمَتَى أَرَاكَ وَأَنْتَ تُسَجِّلُ مُعَلِّنًا بِفَضِيلَتِي بِكَ وَالْأَنَامُ شُهُودُ؟^(٩)
 وَأَنَا الَّذِي مِنْ بَعْدِ نَأْيِكَ نَازِحٌ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ الْهَوَى مَطْرُودُ^(١٠)

(١) المعنى: والحقيقة أنني أحب الشباب وإن غدا قديمًا، ويُعزف عن الشيب مع أنه جديد.
 (٢) المعنى: أرجو من أيام الشباب ألا تغرب عن ساحتي، ومع علمي ببعدها عني فإنني أدعوها لوقوعي في الوجد.
 (٣) المعنى: ما أحلى أيام الشباب حين كانت الحسان ترميني بنظراتها، وتصطادني كما اصطادها.

(٤) المعنى: كانت المطايا تسرع حثيثًا على نغمات حادٍ عذب الصوت.
 (٥) المفردات: المعالم: الآثار، مفردها المعلم. الصُّوى: الحجارة ترصف على الطريق يُستدل بها. السبَسب: المفازة.

المعنى: كانت المطايا مسرعة في الصحارى المستوية الواسعة على غير هدى، ومن غير وجود مَعلَمَات هادية في الطريق، وكأن من يمر بها مَفْقُود حتمًا.
 (٦) المعنى: طلبت من هذا الركب المسرع أن يقول لفخر الملك رسالتي التي استحال علي إيصالها:

(٧) المعنى: ورسالتي هي أنني أتساءل أيمن لأيام الوصال الماضية التي نعمت فيها بظلك أن تعود؟

(٨) المعنى: وهل تمكنتي الظروف من زيارة ديارك الخضراء مرة فأكتسي بثياب ربيعك؟
 (٩) المفردات: تسجل: تكثر وتفيض.

المعنى: وهل أراك يومًا فتفيض عليّ، وعلى أعين الملاء، بفيض من محبتك؟
 (١٠) المفردات: النَّأي: البعد. النَّازح: البعيد.

المعنى: ولقد غدوت بعيدًا بعد بُعدك عني، مطرودًا من أي أنواع الحب.

أُضْحِي أَرَى مَا غَيْرُهُ عِنْدِي الرُّضَا
لِلَّهِ حِلْمُكَ وَالرُّوَاقُ يُرَى بِهِ
وَالْقَوْلُ يُرْزَقُهُ الشَّجَاعُ وَيَمْتَرِي
فِي مَوْقِفٍ يَنْتَابُ تَامُورَ الْفَتَى
وَعَلَى الْأَسْرَةِ مِنْ ضِيَائِكَ بَارِقُ
وَكَأَنَّ وَجْهَكَ قَدْ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى
لَاذُوا بِمَنْ ثَمَرُ الْمَرْوَةِ يَانِعُ
وَالْمَنْهَلُ الْعِدُّ النَّمِيرُ، وَحَيْثَمَا
يَا فخرَ مُلْكٍ بَنِي بُوَيْهِ وَمَنْ لَهُ
وَأُرِيدُ كُرْهًا مَا سِوَاهُ أُرِيدُ^(١)
لِلسَّامِينَ مِنْ بَعْدِ الْوُفُودِ وَفُودُ!^(٢)
مِنْهُ وَيُحَرِّمُ نُطْقَهُ الرُّعْدِيدُ^(٣)
لِلرُّعْبِ إِقْرَارًا بِهِ وَجُحُودُ^(٤)
أَوْ كَوَكَبُ «جَهَر» النُّجُومِ فَرِيدُ^(٥)
أَوْ مِنْ سَنَا قَمَرِ الدُّجَى مَقْدُودُ^(٦)
مِنْهُ وَأُمُّ الْمَكْرُمَاتِ وَلُودُ^(٧)
يُذْنِي الْمَذُودُ وَيُمنَحُ الْمَحْدُودُ^(٨)
ظِلٌّ عَلَى هَذَا الْوَرَى مَمْدُودُ^(٩)

- (١) المعنى: أزمع على الرضا عن شيء وأفاجأ برضا عن نفسي عن شيء آخر، وأريد أن أكره شيئاً فأراها تكره غيره.
- (٢) المعنى: ما أحلمك يا فخر الدولة ورواق حكمك يتوافد عليه النبلاء والوفود تلو الوفود!
- (٣) المفردات: يمتري: يشك.
- المعنى: الرجل الجريء لا يخاف من التعبير عن رأيه في حين أن الجبان لا تطاوعه شجاعته بأن يعلن عما يريد.
- (٤) المفردات: التامور: غشاء القلب.
- المعنى: بهذا التعبير يعتري فؤاد المرء ما يدل على خوفه أو على رفضه.
- (٥) المفردات: جهر النجوم: أراها نوره وجماله.
- المعنى: إنك وأنت تجلس على كرسي حكمك تلمع لمعاناً يذهل نجوم السماء ويخيفها.
- (٦) المفردات: قد: قطع.
- المعنى: يمدح وجهه بأنه قطعة من الشمس في وضوح النهار، أو أنه امتزج من نور قمر الليلة الظلماء.
- (٧) المعنى: وقد التجأ الناس إلى صاحب المروءة والنخوة وإلى أصل المكرمات المتجدد.
- (٨) المفردات: العِدُّ: الماء الكثير. النمير: الماء عذباً كان أو غير عذب. المذود: المطرود.
- المحدود: المحروم.
- المعنى: والتجؤوا إلى النبع الثر بمائه، ولكرمه يقرب المطرود ويعطى المحروم.
- (٩) المعنى: يتلاعب بلفظ اسم ممدوحه، ويجعله فخر بني بويه وموطن اعتزازهم، والذي عم خيره خير البرية كلها.

والمُعْتَلِي قَمَمَ الْعَلَاءِ بِهِمَّةً قَامَتْ وَهَمَّاتُ الرُّجَالِ قُعُودٌ^(١)
والمُنْشَىءُ الْغُرَّ الْغَرَائِبِ فِي النَّدَى حَتَّى تُعْلَمَ مِنْهُ كَيْفَ الْجُودُ^(٢)
هِيَ دَوْلَةٌ مَا زِلْتَ تَرَأُبُ شَعْبَهَا وَتَذُبُّ عَنْهَا كَالْتَأَا وَتَذُودُ^(٣)
تُنْمَى إِذَا انْتَسَبَتْ إِلَيْكَ وَمَالُهَا إِلَّاكَ أَبَاءٌ لَهَا وَجُدُودُ^(٤)
وَرَدَدَتْهَا بِالْأَمْسِ ثَلَّةٌ قَفْرَةٍ شَطَّتْ فَأَخْرَزَهَا عَلَيْنَا السَّيْدُ^(٥)
أَوْقَدَتْهَا بَعْدَ الْخَبُورِ فَمَا لَهَا أَبَدَ الزَّمَانِ تَطَامُنٌ وَخُمُودُ^(٦)
مَنْ ذَا الَّذِي يَرْنُو إِلَيْهَا طَالِبًا وَلَهَا بِبَابِكَ عُذَّةٌ وَعَدِيدُ؟^(٧)
لَوْلَا دِفَاعُكَ مَا اسْتَقَرَّ بِمَفْرَقِي ذَاكَ الْمَتَوَجَّجَ تَاجَهُ الْمَعْقُودُ^(٨)
وَلَزَالَ هَذَا الْمَلِكُ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَلِمَالَ عَنْهُ دِعَامُهُ الْمَعْمُودُ^(٩)
كَمْ ذَا صَلِيَتْ وَقَايَةً لِنَعِيمِهِ يَوْمًا يَذُوبُ بِحَرِّهِ الْجَلْمُودُ^(١٠)
فِي ظَهْرِ مُسْتَلَبِ الْفُتُورِ كَأَنَّهُ هَيِّقٌ بِأَجْوَارِ الْفَلَاقَةِ شَرُودُ^(١١)

(١) المعنى: أنت الذي يرقى قمم المجد بعزيمة ناهضة، بينما أحجم عنها الرجال.

(٢) المفردات: الغر: مفرداها الأغر، وهو الأبيض من كل شيء والشيء الحسن.

المعنى: هذا الذي يبذل الحسن والنادر في كرمه، فكان قدوة لأهل الجود.

(٣) المفردات: ترأب: نُصَح. الكالىء: الحافظ.

المعنى: وهمتك في إصلاح ما فسد في الدولة وتحميتها وتحفظها.

(٤) المعنى: وليس للدولة غيرك؛ فأنت موطن عزتها، وأنت أبوها وجدها إذا انتسبت إلى مؤسس.

(٥) المفردات: الثلثة: الجماعة من الغنم عامة. شطت: بعدت. السيد الذئب.

المعنى: ولقد كانت الدولة ضالة كالغنم في الصحراء، ابتعدت فاحتواها الذئب.

(٦) المفردات: التطامن: السكون.

المعنى: أحيتها بعد أن كادت تخبو، وبك لن تجد سكونًا ولا خمولًا.

(٧) المفردات: يرنو: يديم النظر.

المعنى: ولن يجرؤ أحد على التفكير بالوصول إليها ما دامت محمية بجنودك وعتادك.

(٨) المعنى: يشير إلى أمير بني بويه الذي حماه فيقول: لولا حمايتك للأمير لطار تاجه عن رأسه.

(٩) المعنى: وبسببك دامت حياته واستقرت دعائم ملك أسرته.

(١٠) المفردات: صلي: احترق.

المعنى: لقد عانيت كثيرًا كي يهنا بعيشه، وهمك أن ينعم ولو جوبهت بما يذيب الصخر.

(١١) المفردات: الهيق: ذكر النعام.

المعنى: ويظل محرومًا من الاستقرار، وكأنه ظليم تائه في أطراف البداء.

وكأنه ينسابُ في خَلَلِ القَنَا يومَ الكريهةِ أَرْقَمَ مَزُودُ^(١)
 في غِلْمَةٍ سَلَكُوا طَرِيقَكَ في الوَغَى والبيضُ منهم رُكَّعٌ وسُجودُ^(٢)
 مُتَسَرِّعِينَ إلى القِرَاعِ كأنَّهم وعليهم زُبُرُ الحديدِ حَدِيدُ^(٣)
 يُزْدُونَ مَنْ شَاؤُوا بغيرِ مَنِيَّةٍ فهُمْ وَإِنْ غَلَبُوا الْأَسودَ أَسودُ^(٤)
 لَا يَأْخُذُونَ المَالَ إِلَّا بِالقَنَا تحمرُّ منه ترائبٌ ووريدُ^(٥)
 أَوْ مِنْ ظُبَا لَمْ تَعْرِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ إِلَّا وهاماتُ الكُماةِ غُمودُ^(٦)
 لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ العَدُوِّ صَغِيرَةً وازدُدْ مَكِيدَةً مَنْ تَرَاهُ يَكِيدُ^(٧)
 وَإِذَا اسْتَرَبَّتْ بِمَنْ خَبَرْتَ فَلَا تَنْمِ فالدَّاءُ يُغْدِي والقَلِيلُ يَزِيدُ^(٨)
 إِنَّ الحَسودَ هُوَ العَدُوُّ، وَإِنَّمَا سَتَرُوا قَبَائِحَهُ فَقِيلَ: حَسودُ^(٩)

(١) المفردات: الأرقم: الحية. المزود: المدعور.

المعنى: ولبدا هاربًا مدعورًا من بين تضارب الرماح يوم الحرب، أشبه بحية هاربة لا تلوي على شيء.

(٢) المفردات: الغلمة: جمع غلام، ويقصد رجال فخر الدولة.

المعنى: ولقد كانوا شديدي الشهوة إلى تقليدك في الحرب وسيوفك لا ترتفع إلا لتضرب.

(٣) المفردات: الزبر: مفردا الزبرة، وهي القطعة من الحديد.

المعنى: وهؤلاء الرجال أتباعك كانوا يخوضون غمار الوغى في قوة كالحديد الذي يرتدونه.

(٤) المعنى: وهم يقتلون الخصوم قبل أن تأتيهم منيتهم، وخصومهم أقوىاء كالأسود، ولكنهم ينتصرون عليهم.

(٥) المفردات: الترائب: من عظام الصدر، مفردا التريبة. الذوائب: خصل الشعر.

المعنى: وهم لا يحظون بالغنائم إلا بنصرهم وبعد أن تحمر رماحهم من ضرب الصدور وقطع الأوردة.

(٦) المفردات: الظبا: حد الرماح والسيوف. الكماة: مفردا الكمي، وهو الشجاع أو لابس السلاح.

المعنى: أو يأخذونه بحد السيوف في الحرب حين تكون رقاب خصومهم الشجعان مقطوعة.

(٧) المعنى: إياك أن تهمل أي صغيرة تصدر عن خصمك، ورُدْ كيد الكائدين.

(٨) المعنى: وإذا شككت بمن جربته فلا تتوان عن متابعته، لأن الداء يتقل بالعدوى، وكل قليل يزداد مع الأيام. والعجز تشبيه ضمني.

(٩) المعنى: والحسود لا يقل عداً عن غيره، وهم حين وصفوه بالحسد فلكي يستروا عيوبه المشينة.

والضَّغْنُ تَطْمُرُهُ الْأَنَاةُ فَتَعْتَزِي حِزْقًا إِلَيْهِ ضَغَائِنٌ وَحَقُودُ^(١)
والعودُ إِنْ طَرَحَ التَّقَادُمُ قَادِحًا فِيهِ وَلَمْ تَذَلْكُهُ ظِلُّ الْعُودِ^(٢)
لَوْلَا الصَّلَاحُ بَأَنَّ يُعَاقَبَ مُجْرِمٌ مَا كَانَ وَعْدٌ مُطْمِعٌ وَوَعِيدُ^(٣)
ضَمِنْتَ لَكَ الْأَقْدَارُ كُلَّ مَحَبَّةٍ وَأَحَلَّكَ الرَّحْمَانُ حَيْثُ تَرِيدُ^(٤)
وَنَعِمْتَ بِالنَّيْرُوزِ نِعْمَةً نَاشِدٍ أَضْحَى وَحَشُو يَمِينِهِ الْمُنْشُودُ^(٥)
وَعَرَّتْكَ فِيهِ جَلَالَةٌ وَإِدَالَةٌ وَأَتَتْكَ مِنْهُ مَيَامِنٌ وَسُعودُ^(٦)
حَتَّى يَقُولَ الْمُسْتَزِيدُ: لَكَ الْعُلَا مَا فَوْقَ هَذَا فِي الْعَلَاءِ مَزِيدُ^(٧)

- 145 -

وقال في الطيف: [من الطويل]

أَلَا لَيْتَ عَيْشًا مَاضِيًا عَنْكَ بِالْحِمَى وَإِنْ لَمْ يَعْذُ مَاضٍ عَلَيْكَ يَعُودُ^(٨)
وَيَا زُورَنَا لَمَّا سَمَحْتَ بِزُورَةٍ سَمَحْتَ بِهَا وَهْنَا وَنَحْنُ هُجُودُ^(٩)

(١) المفردات: الأناة: التؤدة والحلم. الضغن: الحقد. تعتزي: تتسبب. الحزق: الجماعات.

المعنى: وتنبه إلى أن الحقد تخفيه الأناة، فتجتمع الأحقاد إلى بعضها بعضًا.

(٢) المعنى: ويتابع كلامه على أساس التشبيه الضمني، فكما أن الأناة تدفن الأحقاد ليقودها الزمان، فكذلك العود إن لم تدلكه يظل عودًا، ولأزال التقادم وَزِيَةً.

(٣) المعنى: يرى الشاعر أن الخير في معاقبة المجرم، ولولا ذلك لما وجد ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد.

(٤) المعنى: إن ما تتحلى به من شمائل جعلك محبوبًا بفعل الأقدار، ومنحك الله المرتبة التي تطمح إليها.

(٥) المعنى: واهنا بأفراح الربيع النيروزية كما تريد وأنت ترفل بما تتمنى.

(٦) المفردات: الإدالة: الغلبة والنصر. عرتك: ألمت بك.

المعنى: وغشيتك المهابة والغلبة ووافتك السعود والحظوظ.

(٧) المعنى: وتظل السعادة تواكبك حتى يقال لك: ليس بعد هذا المجد من مجد.

(٨) المعنى: أتمنى يا حبيبي أن تعود أيامك الماضية في هذه الديار، وإن لم يعد ماضيك.

(٩) المفردات: الزور: الزائر، للمفرد والمثنى والجمع.

المعنى: ألا أيهذا الزائر حين مننت علينا بزيارة جاءنا طيفك ونحن نائمون.

على غفلة جاء الكرى باعثاً لنا بلا موعِدِ والزائرون هُمُودُ^(١)
 فيا مرحباً بالطَّارِقِ بعدَ هَجْعَةٍ تَقَرُّ بهِ الأحلامُ وهو بعيدُ^(٢)
 وعَلَّمَنِي كَيْفَ المُحَالُ لِقَاؤُهُ وَأَنْى التَّقَاءِ وَاللِّقَاءِ كَوُودُ؟^(٣)
 وما نحنُ إلَّا في إِسَارِ عَدَامَةٍ وعندَ كَرَانَا أَنَّ ذاكَ وجودُ^(٤)

- 146 -

وقال في فنون وأغراض من الأدب، ويقال إنه وازنٌ بها اليتيمة: ^(٥) [من الكامل]

هَبَّتْ تَلُومٌ عَلَى النَّدَى هِنْدُ يَا هِنْدُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى حَمْدُ^(٦)
 الْحَمْدُ يَبْقَى لِي وَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِي وَفَاتَ الْأَهْلُ وَالْوُلْدُ^(٧)
 وَالْمَالُ تَأْكُلُهُ النَّوَائِبُ وَالْأَحْدَاثُ حَتَّى مَا لَهُ رَدُّ^(٨)
 وَيَبِيتُ يَحْرُسُهُ - وَإِنْ دَفَعْتُ عَنْهُ الْكَرَامُ - الطُّفْلُ وَالْعَبْدُ^(٩)
 وَالْحَمْدُ لَا يَسْطِيعُ يَأْخُذُهُ مِنْ رَاحَتِي النَّاكِلُ الْوَعْدُ^(١٠)

(١) المعنى: فاجأتنا بزيارتك لنا حين داهمنا النوم والناس جميعاً غارقون في نومهم.

(٢) المعنى: فأهلاً بالزائر في نومنا الذي يسعدنا في أحلامنا، على رغم بعده عنا.

(٣) المفردات: الكؤود: الشاق.

المعنى: وأدركت من زيارة طيف المحبوب أن المحال يمكن تحقيقه، وأنه لا لقاء معه، لأن اللقاء عسير.

(٤) المفردات: الإِسَار: القيد. العدامة: الفقر.

المعنى: ونحن في حال اليقظة مقيدون بالحرمان، حتى إذا غفونا وفد علينا الخير.

(٥) المفردات: اليتيمة: قصيدة رائعة في الغزل، وقد اختلف النقاد في اسم صاحبها وفي القصد الذي قيلت فيه. ولها قصة طويلة انظرها في كتابنا (المعجم المفصل في الأدب: ٢/ ٨٨٩).

(٦) المعنى: انتفضت هند تعاتبني على كرمي، فقلت لها: إن الحمد الذي أجنه من كرمي أفضل من غنائي.

(٧) المعنى: المال زائل لكن الحمد باق حتى بعد موتي وفناء أهلي وأولادي.

(٨) المعنى: والمعروف أن المصائب تفني الأموال وتكملها الأحداث المتواترة.

(٩) المعنى: ونحن مهما دافعنا عن المال ونضع عليه الحراس فإن المصائب ستفنيه.

(١٠) المفردات: الناكل: الجبان.

وَإِذَا سَرَيْتُ سَرَىٰ مَعِيَ وَضِيحًا وَهَنَّا وَجُنَحُ اللَّيْلِ مُسَوِّدٌ^(١)
يَا هِنْدُ إِنَّ الدَّارَ زَائِلَةٌ والقربُ يأتي بعده بُغْدٌ^(٢)
عُمْرِي يَرُوحُ وَمَا أَهَبْتُ بِهِ ذَاكَ الْحِمَامُ بِهِ وَلَا يَغْدُو^(٣)
مَا كُنْتُ بِالْمُنْقَادِ فِي يَدِهِ لَوْ كَانَ فِي أَيْدِي الرَّدَى بُدٌّ^(٤)
وَالْمَرْءُ غَايَةٌ لُّبْسِهِ كَفَنٌ يَبْلَى، وَآخِرُ بَيْتِهِ اللَّخْدُ^(٥)
كَمْ مَعَشِرٍ هُجِرَتْ دِيَارُهُمْ بِأَسَا وَعَرَجَ عَنْهُمْ الْقَضْدُ^(٦)
مَتَجَاوِرِينَ بَدَارٍ مَضِيْعَةٍ لَا حَرَّ عِنْدَهُمْ وَلَا بَرْدُ^(٧)
مَا فَارَقُوا إِلَّا بِرَغْمِهِمْ فِي النَّاسِ مَنْ عَشِقُوا وَمَنْ وَدُّوا^(٨)
وَإِذَا دَعَا وَجَدَا يُدِلُّ بِهِ عِنْدَ الْمَنِيَّةِ خَائُهُ الْوُجْدُ^(٩)
وَالْخُلْدُ مُنِيَّتُهُ وَلَيْسَ لَهُ مُكْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَلَا خُلْدُ^(١٠)
يَا هِنْدُ لَيْسَ يُجِيرُ مِنْ حَذَرٍ خَوْفَ الرَّدَى غَوْرٌ وَلَا نَجْدُ^(١١)

=المعنى: والمال إن زال فإن حمد الناس لي لا يقدر الجبان اللئيم سلبه مني.

(١) المفردات: الوضح: المضيء. الوهن: متصف الليل. جنح الليل: طائفة منه.
المعنى: والحمد يتابعني حيث أسير ليلاً، ويظل مشرقاً مضيئاً في عتمة الليل، أي في أسوأ الأيام.

(٢) المعنى: ألا يا هند إن حياتنا زائلة، وعيشنا معاً سيفرقنا البعاد يوماً.

(٣) المفردات: أهاب به: دعاه وناداه. الحمام: الموت.

المعنى: إن عمري ينتهي، ومهما دعوت الموت فلن يستجيب لي.

(٤) المعنى: ولست مطواعاً للموت لو كان ذلك بإمكانني.

(٥) المعنى: ولا بد للمراء من أن يلتف بكفنه ويأوي إلى قبره.

(٦) المعنى: وقد لاحظت أن كثيراً من الناس رحلوا وهجروا ديارهم غصباً، والموت لم يرحمهم.

(٧) المعنى: وما هم مدفونون بعضهم إلى جوار بعض لا يحسون بالحر أو بالبرد.

(٨) المعنى: ولم يتركوا أحباءهم وأصدقاءهم إلا بالرغم منهم.

(٩) المفردات: الوجد(مثلثة الواو): الغنى. يدل: يثق ويعتز.

المعنى: والميت منهم لو نادى على ماله الكثير مستغيثاً به لم يلبه ماله.

(١٠) المعنى: كان أمله أن يخلد في هذه الحياة، ولا جدوى من أمله.

(١١) المفردات: النور: ما انخفض من الأرض. والنجد: ما ارتفع منها.

المعنى: يا هند، لا مهرب من الموت صعوداً في البلاد أو هبوطاً.

كُلُّ النَّفُوسِ وَإِنْ غَفَلَ عَنْ هَوَىٰ
 وَالنَّدْبُ فَسَلَّ فِي الزَّمَانِ إِذَا
 لَوْ فَاتَتْ تَشْعِيثُ الزَّمَانِ فَتَى
 وَنَجَتْ وَعَوْلُ هَضَابٍ كَاطِمَةٍ
 وَتَوَدُّ هِنْدٌ وَهِيَ مُشْفَقَةٌ
 وَتَرُدُّ عَنِّي كُلَّ طَارِقَةٍ
 وَتَقُولُ: لَا عَيْثَ الْبِعَادُ بِنَا
 وَتَوُدُّهَا الْبِأَسَاءُ إِنْ نَزَلَتْ
 وَتُرِيدُ لِي مَا لَيْسَ فِي يَدِهَا
 وَتُعِيدُنِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهَا
 تَسْلِينَ إِنْ زَلَّتْ بِنَا وَبِكُمْ
 بَيْنَ الْجِمَامِ وَبَيْنَهَا وَغَدُ^(١)
 أَهْوَىٰ لَهُ وَالْوَاهِنُ الْجَلْدُ^(٢)
 فَاتَ الْأَصَمَّ الْيَابِسَ الْجَلْدُ^(٣)
 مِنْهُ وَمَا شَقِيتَ بِهِ الرُّبْدُ^(٤)
 أَتَى خَلَدْتُ وَفَاتَهَا الْوُدُ^(٥)
 أَتَى وَلَيْسَ يَطِيعُهَا الرَّدُّ!^(٦)
 وَتَضِلُّ عَمَّنْ خَانَهُ الْبُغْدُ^(٧)
 دَارِي وَعَرَسَ عِنْدِي الْجَهْدُ^(٨)
 أَمَدًا عَلَى الْأَيَّامِ يَمْتَدُّ^(٩)
 مِنْ رَاحَةٍ مَا بَعْدَهَا كَدُ^(١٠)
 قَدَمٌ وَطُولٌ بَيْنَنَا الْعَهْدُ^(١١)

- (١) المعنى: لا بد من مجيء الموت وإن سها الناس عنه، وهم على موعد معه شاؤوا أم أبوا.
- (٢) المفردات: الندب: السيد الغيور. الغسل: الضعيف. أهوى له: مد يده ليأخذه. الواهن: الضعيف. الجلد: الصبور.
- (٣) المعنى: والناس في هذا الزمان إما سيد ضعيف وإما خوار صبور أمام الموت المداهم.
- (٤) المفردات: الجلد: الصلب. التشعيث: التفريق.
- المعنى: لو أن الزمان امتنع عن مهاجمة أحد لامتنع عن الرجل الصلب.
- (٥) المفردات: كاظمة: اسم موضع. الربد: مفردا الربداء وهي النعامة.
- المعنى: ولأنقذ سكان كاظمة المقدسين. وشبههم بالوعول وشبههن بالنعامات.
- (٦) المعنى: وقد تمت هند لي الخلود حباً بي، وفاتها الأمانى لاستحالتها.
- (٧) المعنى: وتبدي استعدادها لأن تحول عني كل مصيبة، كيف هذا والأمر مستحيل؟!.
- (٨) المعنى: وتدعو هند ألا يفرق شملنا مفرق، وتنسى من سبقنا وفارقنا.
- (٩) المفردات: تؤودها: تثقلها. البأساء: الشدة. عرس المسافر: نزل للاستراحة. الجهد: البلاء.
- المعنى: وتثقلها الشدائد حين تحل داري أو حين يحل بي البلاء.
- (١٠) المعنى: وتتمنى لي ما لا تملكه، وهو طول العمر.
- (١١) المفردات: تعيدني: تدعو لي بالحفظ.
- المعنى: وتدعو لي، والدعاء لا ينفعها، ألا ألقى الراحة الأبدية التي ليس بعدها عناء.
- (١٢) المعنى: تتساءلين إن وقع الحين بي أو بك وطال الفراق.

كم جاء مثلك وهي ذاهلة من حادثٍ بعضُ الذي يبدو^(١)
 إنَّ الرّدى لا بدَّ أوردّه مستوخماً يُوبى له الوردُ^(٢)
 يلجُ البيوتَ وليس يدفعه هزلٌ يراذ به ولا جدٌ^(٣)
 لا تخذشي خذاً عليّ فما ردّ الفتى أن يُخدشَ الخدُ^(٤)
 وتعلّمي إن كنتِ عالمةً أن الحِمامَ على الورى يغدو^(٥)
 ما إن جنى وزدٌ عليك ردى حتّى يُعطَ لذلك البُردُ^(٦)
 لا تحفلي بالشامتين فما أنا في المنية دونهم وخذُ^(٧)
 لم يدركوا بعدي الطلابَ ولا سدّوا بمثلي الخرقَ إن سدّوا^(٨)
 ولقد كفيئهم وما شعروا كيدَ العدا ولكيدهم وقدُ^(٩)
 وعَلتُ بهم لما جذبتهم بيديّ قسراً تلكم الوهدُ^(١٠)
 نزعوا الخمولَ بما كسوتهم من مآثراتٍ حشوها المجدُ^(١١)

- (١) المعنى: إن هذا قد يقع لغيرك كما يقع لك، والدنيا لا تعرف لمن تضرب.
- (٢) المفردات: مستوخماً: مستكرهاً. يوبى: يذم.
- المعنى: لا بد لي من أن أذوق الموت مع أنه مورد مستكره مذموم.
- (٣) المعنى: فالموت يدخل المنازل ولا سبيل إلى منعه بجدّ أو بهزل.
- (٤) المعنى: وأنا إن متُ فلا تبكي علي ولا تجرحي خديك بالدمع، فالموت لا يعيد المرء من موته.
- (٥) المعنى: ألا فاعلمي وزيدي علمك بأن الموت يلاحق الناس.
- (٦) المفردات: يعط: يشق.
- المعنى: حالما يداهم الموت بعض من حولك حتى تأخذي بتقطيع ثيابك.
- (٧) المفردات: وحد: منفرد.
- المعنى: وقد تلقين من يشمت لموت، فلا تعبني بهم فلست الوحيد الذي يأتيه الموت.
- (٨) المفردات: الطلاب: المطالبة بالحق له عليه، والفعل طالب.
- المعنى: فإن مت خسروا ما يطالبونني به ولا قدروا على رأب ما يعترضهم من معضلات.
- (٩) المعنى: وأنا الذي منع من يكيد لهم، بل هم لم يشعروا كم كان كيد أعدائهم عنيماً.
- (١٠) المفردات: قسراً: قهراً. الوهد: المنخفض.
- المعنى: ولولا عوني لهم لوقعوا في المكاره غصباً عنهم، وأنا الذي حال دون ذلك ورفعهم.
- (١١) المفردات: المآثرات: مفرداتها المآثرة، وهي المنقبة والمكرمة.
- المعنى: كانوا خاملين مهملين فمُنحتهم المكارم التي توصلهم إلى المجد.

وتناهبوا الأوساق من شَرَفِ
وأنا الذي وسَطَ الخميس إذا
وعَلَيَّ من خِلَعِ القنا حَلَقُ
في حيث يُنجيك الطَّعَانُ ولا
مَنْ لي بعاري المَنَكِبِينَ مَنْ الذِّ
يَنجُو قَذاها غيرَ مُتَّيِدٍ
وَيَصُدُّ عن تَزْوِيقِ زِينَتِها
وَجَنَاهُ منها الصَّبْرُ عن مَلَقٍ
يا مُرَّةً ويظنُّ ذائقُها

لا صاعَ فيه لهم ولا مُدٌّ^(١)
ناديتُ: شُدُّوا بالقنا شَدَّوا^(٢)
لم يَدْنُها نَسِجٌ ولا سَرْدُ^(٣)
يُنْجِي الأَقْبُ القارحُ النَّهْدُ^(٤)
دُنْيا لَهُ عن خَثَلِها شَدُّ؟^(٥)
مِثْلَ الوَسِيقَةِ لَزَّها الطَّرْدُ^(٦)
حيثُ اسْتُثِيرَ فَأَعَوَزَ الصَّدُّ^(٧)
تُنْبي بِهِ أسبابُها النُّكْدُ^(٨)
أَبَدَ الزَّمانِ بَأَنَّها شَهْدُ!^(٩)

- (١) المفردات: الأوساق: مفردها الوسق وهو مكيال يستوعب ستين صاعاً، والصاع: ثلاثة أمداد. والمُدُّ: ما يسع ملء كفي الإنسان المتوسط.
- المعنى: وحين سهَّلت لهم كسب الشرف عرفوا منه قدر ما يستطيعون.
- (٢) المعنى: ودافعت عنهم في الحرب ودعوت الرجال للحرب وأنا في وسط المعركة.
- (٣) المفردات: السرد: حلق الدرع.
- المعنى: وقد تكسرت الرماح عليَّ فكانت أشبه بالدروع وبالحلق لها.
- (٤) المفردات: الأقب: الضامر البطن الدقيق الخصر. القارح: الذي شق نابه وطلع. النهْد: المرتضع.
- المعنى: وفي ساحة الحرب تُنقذ من الطعن، ولكن الطعن ينزل في الخيل الضامرة الفتية المرتفعة.
- (٥) المفردات: الختل: الخدع.
- المعنى: أروني واحداً أنقذ من خداع الدنيا وتخفَّف من أوزارها.
- (٦) المفردات: الوسيقة: الجماعة من الخيل. لزها: طعنها أو ضايقها. ينجو: يسرع.
- المعنى: يسرع أذى الدنيا إليه من غير توقف تماماً كجماعة الخيل وقد ضايقها المطاردة.
- (٧) المفردات: التزويق: التزيين. أعوز: تعذر.
- المعنى: ونحرمها من لذة تزيين نفسها لهياج الأحزان واستمالة منعها.
- (٨) المفردات: الجنى: ما يجتنى. الملق: أشد الفقر. تنبي: تنبئ.
- المعنى: وقطف الصبر منها على قلته ما يدل عليه حزنها.
- (٩) المعنى: أيتها الدنيا أنت مُرَّة ويظن المرء أنك حلوة كالعسل دائماً.

ما دَامَ غِيْثُكَ وَهُوَ مِنْكَ هَوَى
 كم ذا عَقَدْتَ عَلَى الْوَفَاءِ وَمَا
 وَذَنُوبُ صَرَفِكَ إِنْ عُدِدْنَ لَنَا
 أَمَا دِيَارُ السَّاكِنِينَ إِلَى
 لَا جَزَسَ فِيهَا غَيْرَ أَنْ صَدَحَتْ
 وَبَكَى عَلَى مَنْ حَلَّهَا وَمَضَى
 زَجِلاً كَأَنَّ صَلِيلَ هَيْدَبِهِ
 أَيْنَ الَّذِينَ عَلَى الْقِنَانِ لَهُمْ
 مُدَّوَا النِّعَمِ فَحِينَ تَمَّ لَهُمْ
 مِنْ كُلِّ أَبَاءِ الدُّنْيَا لَمْ
 فَيَدُومُ فِيكَ وَيَذْهَبُ الرُّشْدُ^(١)
 يَنْفَكُ يَضَعُفُ ذَلِكَ الْعَقْدُ!^(٢)
 فَتَى الزَّمَانُ وَمَا انْقَضَى الْعَدُّ^(٣)
 نَجْوَاكِ فَهِيَ الدَّرْسُ الْمُلْدُ^(٤)
 قُمْرِيَّةٌ أَوْ قَفْقَعُ الرَّغْدُ^(٥)
 مُسْحَنُكَ الْقَطْرِينَ مُزْبَدُ^(٦)
 زَارَتْ وَقَدْ رِيَعَتْ بِهِ الْأَسْدُ^(٧)
 شَرَفٌ عَزِيزٌ بَحْرُهُ عِدُّ؟^(٨)
 سُلْبُوهُ وَانْقَطَعَ الَّذِي مُدَّوَا^(٩)
 يُفْلَلُ لَهُ فِي مَطْلَبٍ حَدُّ^(١٠)

- (١) المعنى: أنت يا دنيا تعشقين الضلالة، وهو طبع مستديم عندك وبك يُفقد العقل الصائب.
- (٢) المعنى: وكم وعدتنا أن تكوني وفية مخلصه، ولكنك دائماً تخونين الوعد الذي قطعته.
- (٣) المفردات: صرف الدهر وصروفه: نوائبه وحدثانه.
- المعنى: إن نوائبك علينا عديدة، ونحن إن أردنا إحصاءها انتهى العمر ولم ينته عدنا لها.
- (٤) المفردات: الدرس: المندرسات. الملد: مفردها الملداء وهي الملساء.
- المعنى: أما ربيع الناس الذين اطمأنوا إلى أسمارك فهي خاوية على عروشها.
- (٥) المفردات: الجرس (وتكسر): الصوت. القمرية: الحمامة.
- المعنى: لا نسمع في تلك الرباع إلا أهازيج القمرية وهدير الرعد.
- (٦) المفردات: المسحنك: الأسود. المربد: المتغير.
- المعنى: ومر على الديار الغراب الأسود المتلبد اللون ونعاها ورحل.
- (٧) المفردات: الزجل: ذو الصوت. الصليل: صوت تضارب الحديد. الهيدب من السحاب: المتدلي إلى الأرض.
- المعنى: كان لصوته صليل ممتد أخاف الأسد ودفعها إلى الزئير.
- (٨) المفردات: القنان: مفردها القنة وهي من الجبل أعلاه. العد: الماء الكثير.
- المعنى: وإنني لأتساءل عن هؤلاء الذين بلغوا قمم العلاء وحازوا شرف السيادة كله.
- (٩) المعنى: هؤلاء الذين بسطت لهم سبل السعادة، حتى إذا تم لهم ما طمحوا إليه استرجعت الدنيا منهم كل سعادتهم.
- (١٠) المعنى: وافت المنية كل من يأبى الضيم ويرفض التراجع عن آماله.

كاللَّيْثِ أُبْرَزَ شَخْصَهُ خَمَرَ^(١) والسَّيْفِ أَعْلَنَ مَثْنَهُ غَمَدُ^(١)
 دَعَنْتُ لِعَزَّتِهِمْ وَهَيْبَتِهِمْ الشَّيْبُ فِي الْأَحْيَاءِ وَالْمُزْدُ^(٢)
 وَيَسُودُ طِفْلُهُمْ تَمِيمَتُهُ لَمْ تَنْفَصِمِ وَقَرَارُهُ الْمَهْدُ^(٣)
 رَدُّوا الْخُطُوبَ فَعُدْنَ نَاكِصَةً لَكِنَّهُمْ لِلْمَوْتِ مَا رَدُّوا^(٤)
 وَكَأَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِمَا سَكَنُوا الـ أَحْدَاثَ مَا هَزَلُوا وَمَا جَدُّوا^(٥)
 مَا نَافِعَ جِدِّي إِلَى أَمَدٍ جَدَّ الْفَتَى وَقَدِ التَّوَى الْجَدُّ^(٦)
 فَلَيْتَنِي فُقِدْتُ فَإِنَّ لِي كَلِمًا حَتْمًا خَوَالِدَ مَا لَهَا فَقْدُ^(٧)
 تَفْرِي الْبِلَادَ وَمَا يُحَسُّ بِهَا عَنَقٌ عَلَى دَوٍّ وَلَا وَخْدُ^(٨)
 مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ مُرْقِصَةٍ يَشْدُو بِهَا الْغَرِيدُ إِنْ يَشْدُو^(٩)
 وَإِذَا تَضَوَّعَ نَشْرُ نَفْحَتِهَا قَالَ الْعَرَارُ: تَضَوَّعَ الرَّنْدُ^(١٠)
 طَلَعَتْ كَشْمَسٍ ضُحَى عَلَى أَفُقٍ بِيضَاءَ لَا يَسْطِيعُهَا الْجَحْدُ^(١١)

- (١) المفردات: الخمر: ما وارى من شجر وغيره.
 المعنى: وهو كالأسد يبرز من بين الأشجار، أو السيف دل عليه غمده.
- (٢) المعنى: هؤلاء السادة الأشاوس الذين طأطأ برؤوسهم الأعجاز والفتيان إجلالاً لهم.
- (٣) المفردات: التميمة: الرقية من الحسد. تنفصم: تنقطع.
- المعنى: حتى طفلهم الرضيع يصبح سيداً بين الناس، تحميه الرقية من حسد الحاسدين.
- (٤) المعنى: لقد استطاعوا أن يردوا المصائب على عقبيها، إلا الموت فقد استحال عليهم.
- (٥) المفردات: الأجداث: القبور.
- المعنى: وغدوا وهم في قبورهم لا يعرفون السرور ولا الجد.
- (٦) المفردات: الجد: الاجتهاد. الجد: الحظ.
- المعنى: إن سعبي ليس بنافعي دائماً ولا سيما حين ينقلب الحظ.
- (٧) المعنى: وحينما أموت تبقى أفعالي خالدة لا تزول.
- (٨) المفردات: تفري: تشق. العنق: الإعجال في السير. الدو: المفازة. الوخد: الجري السريع.
- المعنى: أفعالي تجوب الأرجاء بنفسها من غير أن تحث على الانتقال وقطع المسافات.
- (٩) المعنى: ومن أفعالي ما أنظمه من شعري الذي تراقص قوافيه وتتغنى بها الأطيبار.
- (١٠) المفردات: تَضَوَّعَ: انتشر وفاح. العرار والرند: نباتان طيبا الرائحة.
- المعنى: حتى إذا فاح عبيرها أعلن زهر العرار عن انتشار عبق الرند.
- (١١) المعنى: وقصيدتي كشمس الصباح المنتشرة لا يجرؤ مستنكر لها.

وكأَنَّمَا أَغْرَاضُهَا شَرَرٌ فِي وَهْيِ لَيْلٍ شَبَّهَا زَنْدٌ^(١)
 سَيَّارَةٌ جَمِيعُ الْكَلَامِ لَهَا سَمَحٌ وَخُرٌّ فَصِيحُهَا عَبْدٌ^(٢)
 يُثْنِي عَلَيْهَا الْحَاسِدُونَ عَلَى إِحْسَانِهَا وَخُصُومُهَا اللَّذُّ^(٣)
 فَلَوْ أَنَّ جَوْهَرَ لَفْظُهَا جَسَدٌ لِأَضَافِهِ فِي سِلْكِهِ الْعِقْدُ^(٤)

- 147 -

وقال في الغزل: [من البسيط]

هَلْ شَافَعُ لِي إِلَى نَعْمٍ وَسِيلْتُهَا؟ وَلَا وَسِيلَةً إِلَّا السُّقْمُ وَالْجُهُدُ^(٥)
 لَمْ تَطْعَمِ الْحَبَّ فَارْتَابَتْ لَطَاعِمِهِ وَلَمْ تَجِدْ بِي فِلْمٌ أَوْقَنْ بِمَا أَجْدُ^(٦)
 فِي الْقَرَبِ وَالْبَعْدِ هَجْرَانٌ وَمَقْلِيَّةٌ فَلَيْسَ يَنْفَعُنِي قَرَبٌ وَلَا بُعْدُ^(٧)
 مَا نَامَ ذِكْرُكَ فِي قَلْبِي فَيُوقِظُهُ بَرَقٌ سَرَى مُوهِنًا أَوْ طَائِرٌ غَرْدُ^(٨)
 أَحِبُّ مِنْكَ، وَإِنْ مَا طَلَّتْ عَنْ أَرْبِي، وَعَدَا وَكَمْ أَخْلَفَ الْمِيعَادُ مِنْ يَعِدُ^(٩)

(١) المفردات: الوهن: منتصف الليل.

المعنى: أما أغراض قصيدتي فشر متطاير يلمع في هدأة الليل وقد أوراها الزند.

(٢) المفردات: جمع الفرس: تغلب على راكبه وذهب به لا يثنى.

المعنى: وهي كثيرة السير والتجوال، كلامها يتغلب على كل ما أمامه، يتعشق الناس محاسنها.

(٣) المعنى: لا يجرؤ الحساد والخصوم إلا أن يثنوا عليها.

(٤) المفردات: الجسد: المسك.

المعنى: ولو أن أصل ألفاظها مسك عطر لا نسلك هذا المسك في عقدها المنظوم.

(٥) المعنى: هل من يشفع لي بالوصول إلى نعم، ولا وسيلة إليها إلا السقم والعناء.

(٦) المفردات: لم تجد بي: لم تعرض إلي.

المعنى: نعم لم تذوق طعم الحب فشكت بذائقه، فلم تعرض إلي ولم أثق بما أجده منها.

(٧) المفردات: المقلية: البغض.

المعنى: إن حياتي معها مفعمة بالهجران والبغضاء سواء كنا معاً أو بعيدين، ولهذا لم أجِدْ

خيراً في قربها ولا في بعدها.

(٨) المفردات: الموهن: القادم في منتصف الليل. سرى: سار ليلاً.

المعنى: لم يتوقف حبي لك ولم ينم، ولذا فهو لا يحتاج إلى أن يوقظه برق لامع ليلاً ولا

طائر مفرد.

(٩) المفردات: الأرب: الحاجة.

ما أطعمَ الحبَّ يأسًا ثمَّ مَطْمَعَةً لو كان لي بالذي يجني عليَّ يدٌ^(١)
 لا موقفَ الحبِّ أنساهُ ونحنُ على رَضِفٍ منَ البينِ يخبو ثمَّ يَتَّقِدُ^(٢)
 حبُّ استندتُ إلى صبري فأسلمني والشوقُ يأخذُ مِنِّي كلَّ ما يجدُ^(٣)

- 148 -

وقال في الأدب: [من الوافر]

أودُّ بأنني أبقي وبِبقى لي الولدُ المحبَّبُ والتَّلاذُّ^(٤)
 ولا أقذَى ولا أودَى بشيءٍ وأولُ خائبٍ هذا الودادُ^(٥)
 وأني بينَ أثناءِ الليالي صلاحٍ لا يخالطُهُ فسادُ^(٦)

- 149 -

وقال في غرض له: [من الطويل]

عصيتُك والأنفاسُ مِنِّي هواجرُ فكيفَ تُرجِّني وقيظُك باردُ؟^(٧)
 صحبتُ السُّرى حتى كساني ثيابهُ ونَظْمُ دَراريهِ عليَّ قلائدُ^(٨)

=المعنى: إنك دائماً تسوفين في مواعيدك ولا تصدقين، وأنا أحبك وأحب فيك غيابك عن مواعيدك.

(١) المعنى: الحب لا يطعم اليأس ولا الطمع، ولا قوة لي على منعه مما يؤذيني به.

(٢) المفردات: الحب: المحبوب. الرضف: الحجارة المحمّاة.

المعنى: لن أنسى موقف محبوبي حين كنا على جمر من البعد، وكان يخمد حيناً ويشتد لهيبه حيناً.

(٣) المعنى: وقد اتكأت إلى صبري من تعذيبه، وكانت الأشواق تزيدني عناءً وتسلبني راحتي.

(٤) المفردات: التلاذ: المال.

المعنى: أمنيته أن أظل حياً في هذه الحياة ويحوم حولي ما أملك من ولد ومال.

(٥) المعنى: وألا أصاب بأذى أو ألم، وأول ما يزعجني هذا الوداد غير الصادق.

(٦) المعنى: وأن يواكبني في أيامي عمل صالح لا يعتريه فساد.

(٧) المفردات: الهواجر: مفرداها الهاجرة وهي منتصف النهار عند اشتداد الحر.

المعنى: مع أنني ملتهب الأنفاس هجرتك فكيف يكون رد فعلي وحرارتك باردة؟

(٨) المعنى: كنت أساهر الليل حتى غطاني ظلامه وزيتني نجومه.

أَعَانَقُ سُمْرًا غَيْرَهُنَّ مِنَ الدَّمَى وَالثَّمُ بِيضًا غَيْرَهُنَّ الْخَرَائِدُ^(١)
 وَلِي حَاجَةٌ عِنْدَ الْأَسْتَةِ وَالظُّبَا تَهْمُ بِهَا نَفْسِي فَأَيْنَ الْمَسَاعِدُ؟^(٢)
 تُعَافُ لَهَا الْآمَالُ وَهِيَ نَوَافِقُ وَيَنْفَقُ فِيهَا الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ كَاسِدُ^(٣)
 إِذَا لَأَكْتَ الْهَيْجَاءُ فِيهَا نَفُوسَنَا فَلَيْسَ يَفُوتُ الشَّرْطَ إِلَّا الْمُجَالِدُ^(٤)
 مُرَادِي أَنْ تَسْتَلَّنِي فِي مُلِمَّةٍ فَإِنِّي حَسَامٌ صَانُهُ عِنكَ غَامِدُ^(٥)
 فَتَى يَلْبَسُ الْإِقْدَامَ وَالصَّبْرُ جَارِعُ وَيَكْرَعُ مَاءَ الصَّفْحِ وَالْحَلْمُ حَاقِدُ^(٦)
 وَكَمْ لِي مِنْ يَوْمٍ عَصَبْتُ بِهِ الرَّدَى وَسَمَرُ الْعَوَالِي لِلنُّفُوسِ تُرَاوِدُ^(٧)
 وَمَا ضَرَّ قَوْلُ الْكَاشِحِينَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْأَعَادِي لِلْمَعَالِي مَقَالِدُ^(٨)
 بِقَلْبِي غَرَامٌ لَيْسَ يَشْفِيهِ مَنْ أَرَى أَلَا كُلُّ مَا يَشْفِي الْمَرِيضَ الْعَوَائِدُ^(٩)
 وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي خَلِيٌّ مِنَ الْغِنَى وَوَفَّرُ الْعُلَا عِنْدِي طَرِيفٌ وَتَالِدُ^(١٠)

- (١) المعنى: أنا أحب السمر والبيض، وهي التي أعانقها وألثمها لا الحسان والعداري، وما السمر إلا الرماح وما البيض إلا السيوف.
- (٢) المعنى: وحاجتي متمثلة بين الرماح والسيوف، فهي التي تتعشقها نفسي، فهل من يساعدني عليها؟
- (٣) المفردات: تُعَافُ: تُكْرَهُ. يَنْفَقُ: يَرُوجُ.
- المعنى: وما أحبه يكرهه غيري لأنها ليست مطروح آمالهم، مع أنها رائجة عند محبي المجد، ومعها يروج الموت ويكثر وفي غيرها لا سوق له.
- (٤) المفردات: الْهَيْجَاءُ: الْحَرْبُ.
- المعنى: وإن عركتنا الحرب الضروس فلا ينجو منها إلا القوي الصبور.
- (٥) المعنى: غاية أملني أن تجردني لحرب شعواء، فأنا سيف صارم منعني عنك مانع.
- (٦) المعنى: تراني أرتدي الإقدام حين يكون الصبر خائفًا، وأرغب في المسامحة فيحقد الحلم علي.
- (٧) المعنى: أيام إقدامي كثيرة أربط فيها الموت والرماح تطالبي بالضرب.
- (٨) المفردات: الْكَاشِحُ: الَّذِي يَضْمُرُ الْعِدَاةَ. الْمَقَالِدُ: مَفْرَدُهَا الْمَقْلَادُ وَهُوَ الْمِفْتَاحُ.
- المعنى: ولم يهمني عتاب المبغضين، أما الأعداء فأعدُّ كلامهم وسيلة لبلوغ المجد.
- (٩) المعنى: إن قلبي عاشق لا يشفيه من أراه أمامي بل يشفيه من يهاجمني، تمامًا كالمرضى الذي يشفيه عَوْدُهُ.
- (١٠) المفردات: الْوَفَّرُ: الْكَثِيرُ. الطَرِيفُ: الْجَدِيدُ. التَالِدُ: الْقَدِيمُ الْمُرُوثُ.
- المعنى: ولا يهمني أن أكون فقيرًا، ذلك أن الذي يهمني غنى المجد الجديد والموروث.

وقال في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها: [من الطويل]

أفي كل يوم لي منى أستجدها وأسباب دنيا بالغرور أودها؟^(١)
 ونفس تنزى ليتها في جوانح لذي قوة يستطيعها فيردّها^(٢)
 تعامه عمدا وهي جد بصيرة كما ضلّ عن عشواء بالليل رُشدّها^(٣)
 إذا قلت يوما: قد تناهى جماحها تجانف لي عن منهج الحق بُغدها^(٤)
 ولي نقدّها من كل شرّ وربما يكون بخير لا توفيه وعدّها^(٥)
 وأحسب مولاها كما ينبغي لها وإنّي من فزط الإطاعة عبدها^(٦)
 ترى في لساني ما تشاء من التقى ومن حسنات، ثم فعلي ضدّها^(٧)
 وأهوى سبيلا لا أرى سالكا بها كأني أقلاها وغيري يودّها^(٨)
 وأنسى ذنوباً لي أتت فات حصرها حسابي وربّي للجزاء يعدّها^(٩)
 أقرّ بها رَغماً وليس بنافعي -وقد طويت صُحف المعاذير- جَحْدّها^(١٠)

(١) المعنى: نفسي تطالبني كل يوم بأمنية جديدة، وتغرني بما يدفعني في هذه الدنيا.

(٢) المفردات: تنزى (مخففة) أي تثب.

المعنى: نفسي هذه جموح كثيرة الثوب ليتني قوي العزيمة أمنعها من طموحاتها.

(٣) المفردات: العمه: عمى البصيرة. العشواء: التي لا ترى ليلاً.

المعنى: تتصنع العمى مع قدرتها على البصر، فهي أشبه بمن يتصنع العمى ليلاً رشيد العين.

(٤) المفردات: الجماح: الاستعصاء. تجانف: مال.

المعنى: إذا أظهرت ضجري من جموح نفسي إلى أقصاه عدل بعدها عن منهج الحق.

(٥) المفردات: نقدّها: عطاؤها.

المعنى: وإنني أدفع لها نقداً كي يتعد عن الشرور، ولعل من الخير أن تقصّر في تنفيذ ما وعدت.

(٦) المعنى: في الظاهر أنا سيدها كما هو معترف به وطبيعي، ولكنني أبدو عبداً على كثرة ما أطيعها.

(٧) المعنى: أظهر على لساني كثيراً من الورع والتقى، أما أفعالي فعكس ذلك.

(٨) المعنى: وأحب طريقاً لها لا يسير عليه غيري؛ فأنا أبدو الذي يبغضها وغيري الذي يحبها.

(٩) المعنى: وأنسى ما أذنبت ذنوباً عديدة، لا أحصيها ولكن الله يحصيها لحسابي.

(١٠) المعنى: وإنني لمعترف بها رَغماً عني ولا يتفني نكرانها بعد أن طويت الأعذار عنها.

ولمّا تراءت لي مَغْبَةً قَبِحَهَا
تَنَدَّمْتُ لَمَّا لَمْ تَكُنْ لِي نَدَامَةً
ولم أَرَ كَالدُّنْيَا تَصُدُّ عَنِ الَّذِي
وتسقيهم منها الأَجَاجَ مُصَرَّدًا
تعلّقْتُهَا وَزَهَاءَ لِلخَرْقِ نَسْجُهَا
يُدَالُ الهَوَى فِيهَا مِرَارًا مِنَ الْحِجَا
وما أَنْصَفْتُنَا تُظْهِرُ الصَّفَحَ كُلَّهُ
أَرَاهَا عَلَى كُلِّ الْعُيُوبِ حَبِيبَةً
وَحُبُّ بَنِي الدُّنْيَا الْحَيَاةَ مُسِيئَةً
أَلَا يَا أَبَاةَ الضَّيِّمِ كَيْفَ اطْبَآكُمُ
وكيف رَجَوْتُمْ خَيْرَهَا وَإِزَاءَكُمْ

وَعُرِّيَ عَنِ دَارِ الْمَجَازَاةِ بُرْدُهَا^(١)
فَالَا وَفِي كَفِّي لَوْ شِئْتُ رَدُّهَا؟^(٢)
يَوَدُّ مُحِبُّوْهَا فَيَحْسُنُ صَدُّهَا^(٣)
وكَيْفَ بِهَا لَوْ طَابَ لِلْقَوْمِ عِدُّهَا؟^(٤)
وللْمَنْعِ مَا تُعْطِي وَلِلْحَلِّ عَقْدُهَا^(٥)
وَيَقْتَادُهَا صُغْرًا كَمَا شَاءَ وَغَدُّهَا^(٦)
لِجَانٍ وَفِيهَا لَا تَرَى الْعَيْنُ حِقْدُهَا^(٧)
فِيَا لِقُلُوبٍ قَدْ حَشَاهُنَّ وَدُّهَا^(٨)
بِهِمْ ثَلَمَةٌ بِالنَّفْسِ أَعُوزَ سَدُّهَا^(٩)
-وغيرُكُمْ يَغْتَرُّهُ الرُّفْدُ- رِفْدُهَا؟^(١٠)
طَلَائِحُ أَرْدَاهُنَّ بِالْأَمْسِ كَدُّهَا؟^(١١)

- (١) المعنى: وحين اتضح لي نتائج قبح أفعالها وافتضح لي فعلها في الآخرة.
(٢) المعنى: ندمت ولات ساعة مندم، وكان الأمر بيدي أستطيع أن أمنعها من تماديها.
(٣) المعنى: وتعجبي الدنيا بطريقتها، فهي تحرم المرء مما يريد ولكن بطريقة لا تغضبه.
(٤) المفردات: الأجاج: الملح المر. المصرد: القليل. العد: الماء القليل.
المعنى: و تراها تقيهم النزر مع أنه ملح مر، وكم تكون سعادتهم عظيمة لو منحتهم القليل غير الملح؟
(٥) المفردات: الورهاء: الحمقاء.
المعنى: أحببت هذه الدنيا الحمقاء التي تخرق ما تنسج وتمنع ما تعطي وتعقد ما سبيله الحل.
(٦) المفردات: يدال: يعطى الغلبة. الحجا: العقل. صغرا: صغارا وذلا.
المعنى: في هذه الدنيا يتصر الهوى على العقل كثيرا، ويقودها الرذل إذلا لا لها كما يشاء.
(٧) المعنى: وهي جائزة الحكم علينا، فراها تصفح عن الخاطيء وتنفض الحقد في من لا تجد فيه ذلك.
(٨) المعنى: وأراها تتقبل كل العيوب، وأسفا على القلوب المفعمة بحبها.
(٩) المفردات: أعوز: تعذر. الثلم: الخلل.
المعنى: إن حب الناس لهذه الدنيا المسيئة دليل على خلل في نفوسهم يستلزم إصلاحه.
(١٠) المفردات: اطباكم: دعاكم. الرغد: العطاء.
المعنى: أيا من تأبون الظلم كيف قبلتم دعوة عطائها وغيركم الذي يغره العطاء؟
(١١) المفردات: الطلائح: مفردا الطليحة وهي الهزيلة المتعبة من الإبل. أرداهن: =

وقد كنتم جربتم غب نفعها وجرّعكم كأس المرات شهدها^(١)
تعاقب فيكم حرّها بعد بردها فما ضرّها لو حرّها ثم بردها؟^(٢)
ولو لم تترككم كارهين نعيمها لما ضرّكم كل المضرة جهدها^(٣)
سقى الله قلباً لم يبت في ضلوعه هواها ولم يطرق نواحيه وجدها^(٤)
ولم يخش منها نحسها فيبيته على ظمأ إلا محيائه سعدتها^(٥)
تخفف من أزوادها ملء طوقه فهان عليه عند ذلك فقدتها^(٦)

- 151 -

وقال في الشيب: [من الطويل]

بياضك يالون المشيب سواد وسقمك سقم لا يكاد يُعاد^(٧)
فقد صرت مكروهاً على الشيب بعدما عمزت وما عند المشيب أراد^(٨)
فلي من قلوب الغانيات ملالة ولي من صلاح الغانيات فساد^(٩)
وما لي نصيب بينهنّ وليس لي إذا هنّ زودنّ الأحبة زاد^(١٠)

=أهلكهن. إزاء: مقابل.

المعنى: وكيف أملت خير الدنيا وهي عنيدة؟ وشبه ما يعترض الإنسان منها بالإبل المرهقة التي أنهكها حث الدنيا لها.

(١) المعنى: وقد جربتموها بعد نفعها فلم تشربوا من عسلها سوى المرات والآلام.
(٢) المعنى: واندفعت عليكم بيردها ثم بحرّها أي بخيرها ثم شرّها، وماذا يضرّها لو أرسلت حرّها ثم بردها؟

(٣) المعنى: وإنها تقدم لكم خيرها غصباً عنكم ولهذا أضربكم عنها كثيراً.
(٤) المعنى: وإنني أهنيء امرأ لم يحبّها ولم يملأ صدرها بهواها ولم يشتق إليها.
(٥) المعنى: ولم يبتس لنحسها له فيركن إليه ويتألم. . هذا المرء يأتيه سعدتها لجرأته عليها.
(٦) المفردات: الطوق: الطاقة والقدرة. الزود: الزاد.

المعنى: ذلك المرء الجريء لم يحمل شيئاً من زادها جهد طاقته، وإن فقدتها هان عليه فقدتها.
(٧) المعنى: هذا البياض في شعري أسود مؤلم في عيني، ولونك سقم لي لا أمل في زواله.
(٨) المعنى: وبهذا الشيب مجّني الناس وكرهوني بعد أن شخّْتُ، ولا يريدوني شائباً.
(٩) المعنى: فما هي ذي قلوب الحسان عزفن عني، وخيري عندهن فاسد.
(١٠) المعنى: وانعدم نصيبي من حُبهنّ حين وزعن الحب على الأحبة.

وما الشَّيبُ إِلَّا توأمُ الموتِ للفتى وعيشُ امرئٍ بعدَ المشيبِ جهادٌ^(١)

- 152 -

وقال في الغزل: [من الطويل]

رأينا بوادي الرُمثِ ظنِّي صريمةً فصادَ قلوبًا لم يَصِدْهِنَّ صائدُ^(٢)
تقلَّدَ حُسْنًا زانهُ في قلوبنا وأغيننا ما لم تَزِنْهُ القلائدُ^(٣)
ولمَّا طَلَبْنَا الوصلَ لم يكُ وضلُّهُ لطالبهِ إِلَّا السُّها والفراقُ^(٤)
وما ثَغْرُهُ إِلَّا حصَى من عَمَامَةٍ وما فرْعُهُ في العينِ إِلَّا أساودُ^(٥)
وقالوا لقلبي: خلْ عنه وقارَه وما قَادَهُ إِلَّا الصَّبَابَةُ قائدُ^(٦)
وما يلتقي سألٍ وصَبٌّ إذا استَوَى فتى غيرُ ذي وَجدٍ ومَن هوَ واجِدُ^(٧)

- 153 -

وقال في الغزل: [من البسيط]

أحبُّ مَنْ ليس حظُّ في مودَّتِهِ وليس إِلَّا الهوى والهَمُّ والكَمدُ^(٨)
يسوؤه أَنَّهُ همِّي ويغضِبُهُ أنِّي شكوتُ إليه بعضَ ما أجْدُ^(٩)

(١) المعنى: ورأيي أن الشيب والموت توأمان للمرء، وإذا هو شاب كانت حياته بعد ذلك كفاحًا.

(٢) المفردات: الرُمث: نبت ترعاه الإبل. الصريمة: القطعة من الرمل.

المعنى: اعترضنا بوادي الرمث ظبي وحشي شارد، فاقتنص قلوبًا عنيده لم يسبق أن قنصها أحد.

(٣) المعنى: إن جماله علق في أفئدتنا وابصارنا وشدنا إليه بأكثر مما لو تزين بالأطواق.

(٤) المعنى: حتى إذا نشدنا منه الوصل رأيناه مستحيلًا، أصعب من الوصول إلى الكواكب العالية.

(٥) المفردات: فرعه: شعره. الأساود: مفردها الأسود، وهو من أخبث الحيات.

المعنى: وثغره رطب كقطعة من سحاب، وضافثر شعره متلوية كالثعبان.

(٦) المعنى: وطالبوا قلبي بأن يتنازل عن وقاره أمامه، وما علموا أن الهوى هو الذي يقوده.

(٧) المعنى: إنه لا يجتمع عاشق وخالي القلب مع اثنين.

(٨) المعنى: أحب من الناس الذي لاحظ له في صداقته، ولا يملك إلا الهوى والأحزان والهموم.

(٩) المعنى: يزعجه إذا كنت أهم به، ويغضبه أن عبرت له عن بعض حبي.

يا صاحبي لا تُلْمَنِي فِي هَوَى هَجَمَتْ به عليَّ التي ما رَدَّها أَحَدٌ^(١)
 وافى ولم تَسْعَ لي رِجْلٌ لِأَلْحَقَهُ حِرْصًا عليه ولم تُمَدِّدْ إليه يَدٌ^(٢)
 فإن يكن لك صَبْرٌ فيه أو جَلْدٌ فليس لي في الهوى صَبْرٌ ولا جَلْدٌ^(٣)

- 154 -

وقال في الغزل: [من الطويل]

ولمّا تفرّقنا كما شاءتِ النوى تبينَ حبٌّ خالصٌ وتودّدٌ^(٤)
 كأني وفد سارَ الخليطُ عشيّةً أخو جِنّةٍ ممّا أقومُ وأقعدٌ^(٥)

- 155 -

وقال في الشيب: [من البسيط]

صدّتُ أَسِيْمَاءَ عن شَيْبِي فقلتُ لها: لا تَنفُري فَيَاضُ الشَّيْبِ معهودٌ^(٦)
 عمرُ الشَّبابِ قَصرٌ لا بقاءَ له والعمرُ في الشَّيْبِ يا أَسْمَاءُ ممدودٌ^(٧)
 قالتُ: طُرِدْتَ عن اللَّذاتِ قاطبةً فقلتُ: إنّي عنِ الفَحْشاءِ مطرودٌ^(٨)
 ما صدّني شَيْبُ رَأْسِي عن تَقَى وعُلاّ لكُنّي عن قَذَى الأخلاقِ مصدودٌ^(٩)

(١) المعنى: لا تعاتبني يا صديقي على حب من داهمتني به ويحبها الناس جميعًا.

(٢) المعنى: قدم ولكنني لم أقدم خطوة نحوه ولم أمدّ يدي إليه مسلمًا، خوفًا عليه.

(٣) المعنى: فإن كنت تستطيع الصبر على بعده فإنني لا أقدر، وليس عندي صبر في هواه.

(٤) المعنى: حين حل وقت الفراق حسب رغبة الأقدار، اتضح لنا حبنا الصادق.

(٥) المفردات: الخليط: القوم الذين أمرهم واحد.

المعنى: حين سار ركب القوم ذات مساء اضطربت فرحت أقوم وأقعد كالمجنون.

(٦) المعنى: حين رأت أسيماء شيبني عزفت عني، فقلت لها: لا تهربي منه لأنه معروف.

(٧) المعنى: إن أيام الشباب معدودة سرعان ما تزول، في حين أن العمر مع الشيب أطول.

(٨) المعنى: ولكنها قالت لي: هيهات، حرمت من ألوان الملذات جميعًا، فقلت لها: إنني مطرود فقط عن الفحشاء، وعدا ذلك أرحب به.

(٩) المعنى: لم يحرمني الشيب من التقى ومن طلب المجد، لكنني حرمت نفسي من الأخلاق السيئة.

لولا بياض الضحى ما نيل مُفتَقْدٌ ولم يَبينَ مطلبٌ يَبقى ومقصودٌ^(١)
ما عادل الصُّبحَ ليلٌ لا ضياءَ به ولا استوث في الليالي البيضُ والسودُ^(٢)

- 156 -

قال يمدح القادرَ في ابتداء إفضاء الخلافة إليه: ^(٣) [من الكامل]
قرّث عيونُ بني النبيّ محمّدٍ بالقادرِ الماضي العزيمةَ أحمدٍ^(٤)
بموفّقٍ شهدَتْ له آباؤه أن سوفَ يشتملُ الخلافةَ في غدٍ^(٥)
جاءته لم يُتعبْ بها في صدره همّاً ولا أوما إليها باليدِ^(٦)
سَبَقَتْ مُخِيلَتُهَا إليه وأكرمُ الذّ نَعَماءِ طالعةٍ أمامَ الموعدِ^(٧)
ولقد علمتُ بأنّها لا تَنُتْضي إلا شبا ماضي الغرارِ مهتدٍ^(٨)
لما مشّت فيه الظُّنُونُ وأوسعتْ طَمَعاً يروحُ مع العدوِّ ويغتدي^(٩)
وتَنازعوا طُرُقاً إليها وغرّةً جاءته في سننِ الطريقِ الأَقْصدِ^(١٠)

- (١) المعنى: ويرهن لها بأن بياض الصباح سبب في اكتشاف المفقود، ووسيلة لمعرفة المطلوب.
(٢) المعنى: لا يقارن الليل المظلم بالصباح، حتى الليالي الحالكة لا تقارن بالليالي المضيئة.
(٣) ويشير إلى تعذر وصوله إلى الخلافة بعد البيعة له. وقد كان هذا الخليفة صديقاً للأخوين الرضي والمرتضى. وقد وصل إلى الخلافة سنة ٣٨١ هـ.
(٤) المعنى: الآن وبعد أن جلس القادر على سدة الخلافة صاحب العزيمة اطمأنت عيون النبي (ص).
(٥) المعنى: منذ القديم أدرك أهله أن القادر سينال الخلافة.
(٦) المعنى: جاءته الخلافة منقادة من غير عناء ولا إعمال فكر، بل إنه حتى لم يُشر إليها.
(٧) المفردات: المخيلة: السحابة المنذرة بالخير.
المعنى: تعجلت الخلافة منذرة له بالخير، ولا عجب فأفضل الأيادي البيضاء ما تبذل قبل موعداها.
(٨) المفردات: تنتضي: تستل. الغرار: الحد. الشبا: مفرداها الشباة، وهي العقرب.
المعنى: ولقد علمت أن الخلافة لا تستل إلا ظبا السيوف الهندية.
(٩) المعنى: وحين تحدث الناس عن خلافته من باب التظني وتحرك الطمع في نفوس الخصوم وراودهم هذا الطمع.
(١٠) المفردات: السنن: الطريق. الأَقْصد: الأقرب.
المعنى: واختلفوا وسلکوا طرقاً عسيرة عندئذ، (الجواب) انتقلت إليه بأقرب السبل.

عَلِقْتُ بِأَوْفَى سَاعِدٍ فِي نَصْرِهَا وَأَذْبْتُ عَنْ مِصْبَاحِهَا الْمَتَوَقَّدِ^(١)
قَرَمٌ يَضِيفُ صَرَامَةَ الْمَنْصُورِ فِي قَمْعِ الْعَدُوِّ إِلَى خُشُوعِ الْمَهْتَدِي^(٢)
كَالنَّارِ عَالِيَةِ الشُّعَاعِ وَرَبِّمَا أَخَفَّتْ تَضَرُّعُهَا بِطَوْنِ الرُّمْدِ^(٣)
يَقْظُ يَغْضُ جَفْوَنَهُ، وَهَمُومُهُ مِنْ كُلِّ أَطْرَافِ الْبِلَادِ بِمِرْصَدِ^(٤)
فَخْرًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ قَدِيمَكُمْ يَأْبَى عَلَى الْآيَامِ غَيْرَ تَجَدُّدِ^(٥)
شَرْفٌ يَمِيلُ بِيَذْبُلُ وَيَلْمَلَمُ وَعُلَا تُعْرَسُ فِي جَوَارِ الْفَرْقِدِ^(٦)
وَهِيَ الْخِلَافَةُ مَوْطِنٌ لَمْ يَفْتَقِدْ أَطْوَادَهُ وَشَرَارَةَ لَمْ تَخْمُدِ^(٧)
إِنْ نَلْتَهَا وَلَكَّمْ لِمَجْدِكَ عِنْدَهَا قَدَمٌ وَكَمْ فِي نَيْلِهَا لَكَ مِنْ يَدِ^(٨)
قَدْ وَازَنُوكَ فَكُنْتَ أَضْرَبَ فِيهِمْ عِزْفًا وَأَبْعَدَ غَايَةً فِي مَحْتَدِ^(٩)
وَدَعُوكَ لِلْأَمْرِ الْجَلِيلِ فَلَمْ تَكُنْ نَزَرَ الْفَخَارِ وَلَا قَلِيلَ السُّؤْدُودِ^(١٠)

- (١) المعنى: ووقعت الخلافة في ساعد قوي همه نصرها والدفاع عن نورها الوهاج.
(٢) المفردات: القرم: السيد. المنصور ثاني الخلفاء. المهتدي هو الخليفة الرابع عشر (ت ٢٥٦).
المعنى: هو سيد أصيل ورث الصرامة عن جده المنصور، والورع والتقى عن المهتدي بالله.
(٣) المفردات: الرمد: الرماد.
المعنى: وهو مثل النار المرتفعة اللهب، أو كالنار المضطربة تحت الرماد.
(٤) المعنى: وهو واع لما يجري وإن كان يغض طرفه، ويرقب همومه في أطراف المملكة ويرصدها.
(٥) المعنى: ولكم الحق يا بني العباس بأن تفخروا فهاهم خلفاؤكم الجدد يعيدون سيرة أوائلكم العظام.
(٦) المفردات: يذبل ويللم: جبلان. تعرس: تنزل. الفرقد: نجم في القطب الشمالي يهتدى به.
المعنى: إن شرف القادر لو وزن بالجبلين لرجحهما، أما علاه فدون الفرقد.
(٧) المفردات: الطود: الجبل العظيم.
المعنى: ما زالت الخلافة راسخة وفيها رجال كالجبال، أو شرر نار لم يخمد لهيبه.
(٨) المعنى: وقد بدا مقامها حين نقلت إليك فبان أن لمجدك علاقة بها وفي همتك مسعى لنوالها.
(٩) المفردات: أضرب عرفاً: أشد أهلاً. المحتد: الأصل.
المعنى: وقبل أن يختاروك لها قارنوك بغيرك فأروك أكثر أصالة وأعرق أصلاً.
(١٠) المعنى: ولم يجدوا إلا أن يدعوك لتقبل عرش الخلافة ولتحمل العبء العظيم، فلم تكن قليل الفخر قبلها ولا ضعيف المجد.

يا بنَ الدِّينِ إِذَا احْتَبَّوْا فِي مَفْخِرِ عَصَفُوا بِكُلِّ سِيَادَةٍ لِمَسْوَدٍ^(١)
الطَّاعِنُو ثَغَرِ الرِّجَالِ وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْمُسْلِمَ بِالْفِرَارِ هُوَ الرَّدِي^(٢)
وَإِذَا دُعُوا لِمِلْمَةٍ فَكَأَنَّمَا فُجِرَتْ لَهَا دَفَعُ الْغَمَامِ الْمُزِيدِ^(٣)
يَفْدِيكَ مَنْ يَغْشَى بِهَاؤُكَ طَرَفَهُ مِنْ كُلِّ رِغْدِيدِ الْجَنَانِ مُعَرِّدِ^(٤)
مُتَطَاوِلٍ فَإِذَا عَرَضَتْ لِلْخُظَيْهِ لَصِقَتْ أَسْرَةً وَجْهَهُ بِالْجِلْمِ^(٥)
لِلَّهِ دَرْكٌ وَالْعِجَاجُ مَحَلَّقٌ وَالْخَيْلُ تَعَثُّ بِالْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ^(٦)
وَالْيَوْمُ تَغْدُرُ بِالْمَطَالِجِ شَمْسُهُ فَيَطَالِعُ الدُّنْيَا بَوَجْهِ أَسْوَدِ^(٧)
مَا إِنْ تَرَى إِلَّا جَرِيحًا يَنْثَنِي ضَرَجَ الْقِيَمَصِ عَلَى طَرِيحٍ مُقَصِّدِ^(٨)
وَالْبَيْضُ تَعْلَمُ أَنَّهَا مَا جُرِّدَتْ بِيَدِكَ إِلَّا مِنْ حُشَاشَةٍ مُعْتَدِ^(٩)

- (١) المفردات: احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.
المعنى: أنت يا قادر من نسل من إذا جلسوا يبحثون عن الفخر فاقوا كل السادة حولهم.
- (٢) المفردات: الثغر: مفردا الثغرة، وهي نقرة النحر بين الترقوتين.
المعنى: وآباؤك أبطال يطعنون الأبطال في ثغور نحورهم، ويرون أن المستعد للفرار حقه الموت.
- (٣) المعنى: ويا فرحتهم إذا ناداهم المنادي للحرب فتراهم يندفعون كهطول المطر الغزير من السحب المتزاحمة.
- (٤) المفردات: الرعيد: الجبان. الجنان: القلب. المعرّد: الهارب.
المعنى: يفديك من يحبك ويتحلى طرفه بأنوارك، لينقذك من كل جبان هارب.
- (٥) المفردات: الجلمد: الصخر.
المعنى: لينقذك ممن يتناول عليك، في حين أنك إن حدجته بنظرة سقط بصره في الصخر رعبًا وخجلًا.
- (٦) المفردات: المتقصد، المتكسر.
المعنى: ما أعظمك وغبار الحرب متصاعد والخيول تداهم الرماح المتكسرة.
- (٧) المعنى: في هذا اليوم تحجم الشمس عن إشراقها وتسود الدنيا وتعبس.
- (٨) المفردات: الضرج: المخضب بالدم. المقصد: المطعون.
المعنى: فلا ترى في ساحة الوغى إلا الجرحى وثيابهم ملطخة بالدماء وهم مرميون على الأرض من جراحهم.
- (٩) المفردات: الحشاشة: بقية الروح.
المعنى: وسيفك اللامعة تعلم أن مهمتها بين يديك قبض ما تبقى من أرواح المعتدين.

وأنا الذي يُنمى إليك ولاؤه أبداً كما يُنمى إليكم مولدي^(١)
ما حاجتي إلا بقاءك سالماً تُعلي مقاماتي وتُدني مشهدي^(٢)
وإذا دنوتُ إلى الرّواقِ مُسلماً أقذيت بي فيه نواظرَ حُسدي^(٣)
وكسوتُ مرتبتي هناك فضيلةً تَبقى على عَقبي بقاء المُسندِ^(٤)
في ساعةٍ مَلأى بكلِّ تحيةٍ تُجّابُ عن أفواه قوم سُجْدِ^(٥)
ومواقفِ عَمَرَ الجلالِ فِناءها فالحسنُ فيها بالمهابةِ مُرتدِ^(٦)
لا يستطيعُ الطّرفُ يأخذُ لحظها إلا مُخالسةً كلحظِ الأرمِدِ^(٧)
وأحقُّ من لبسِ الكرامةِ مُخلصُ ما شابَ صَفو وداده بتودُدِ^(٨)
أُثني عليك وبيننا متمنّع صَغِبُ المرامِ على الرّجالِ القُصْدِ^(٩)
ولئن تحجّبَ نورُ وجهك بُرْهَةً عَنّي فهاتيكِ المناقبُ شُهْدِي^(١٠)
خُذها تَقَلّبُ بينَ لفظٍ لم يَطْفُ نُطقُ الرّواةِ به ومعنى أوحدِ^(١١)

- (١) المعنى: وأنت تعلم أنني أنمي إليك بصدق انتمائي إلى نسي.
(٢) المعنى: وكل أمني أن تظل سالماً ترفع من مقامي وتقرب مجلسي منك.
(٣) المعنى: فأنت إن أدنيتني منك وأسعدتني بسلامك أمرضت عيون حسادي.
(٤) المفردات: المسند: الدهر. عقي: أولادي وأحفادي.
المعنى: وبترحابك لي تُعلي مرتبتي التي سيعتز بها أولادي على طول الدهر.
(٥) المفردات: تنجاب: تنكشف.
المعنى: وأتمنى لترحابك أن يكون على ملا من الناس الذين ينحنون إجلالاً لك لشييع مقامي لديك.
(٦) المعنى: وأتمنى ذلك أن يتم في مشاهد عامرة بالأبهة ليسبغ حسنك على المهابة.
(٧) المعنى: في مشهد لا يجرؤ أحد على رفع بصره نحوك إلا خلصة تماماً كما ينظر الأرمِد بطرف عينه.
(٨) المعنى: فأنا أحق الناس جميعاً بإخلاصي بما تحبوني من كرامة، فأنا المخلص الذي لم يعكر إخلاصه تودُد ظاهر.
(٩) المعنى: وإنني اتمدحك رغم الحواجز التي تحول بيننا رغم حبي لك.
(١٠) المعنى: وإن حرمتُ من طلعتك البهية حيناً فإن أفعالي الكريمة شاهدة على محبتي.
(١١) المعنى: فإليك قصيدتي التي فاقت القصائد بمعانيها وألفاظها، والتي لم يجد الرواة مثيلاً لها.

غَرَاءَ تَسْتَلِبُ الْقَبُولَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ تَبَشِّرُ صَادِيًا بِالْمُورِدِ^(١)
 وَاسْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَزُودًا نِعْمَاءَ مَوْفُورِ الْحَيَاةِ مَخْلَدِ^(٢)
 تَفْنَى الْقُرُونُ وَطَوْدُ مَلِكِكَ رَاسِخٌ فِي خَيْرِ مَنْزِلَةٍ وَأَشْرَفِ مَقْعَدِ^(٣)

- 157 -

وقال وكتب بها إلى أخيه الشريف الرضي بعد عتابٍ أورث الرضا: [من

الطويل]

تَكْشَفَ ظِلُّ الْعَثَبِ عَنْ غُرَّةِ الْعَهْدِ وَأَعْدَى اقْتِرَابُ الْوَصْلِ مِنَّا عَلَى الْبُعْدِ^(٤)
 تَجَنَّبَنِي مَنْ لَسْتُ عَنْ بَعْضِ هَجْرِهِ صَفُوحًا وَلَا فِي قَسْوَةٍ مِنْهُ بِالْجَلْدِ^(٥)
 نَضَّتْهُ يَدُ الْإِعْتَابِ عَمَّا سَخِطَتْهُ كَمَا يُنْتَضَى الْعَضْبُ الْجُرَازُ مِنَ الْغَمْدِ^(٦)
 وَكُنْتُ عَلَى مَا جَرَّهُ الْهَجْرُ مُمَسِّكًا بِحَبْلِ وِفَاءٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ الْعَقْدِ^(٧)
 أَمِينَ نَوَاحِي السَّرِّ لَمْ تَسِرْ غَدْرَةٌ بِيَالِي وَلَمْ أَحْفَلْ بِدَاعِيَةِ الصَّدِّ^(٨)
 تَلِينُ عَلَى مَسِّ الْإِخَاءِ مَضَارِبِي وَإِنْ كُنْتُ فِي الْأَقْوَامِ مُسْتَخْشَنَ الْحَدِّ^(٩)
 وَلَمَّا اسْتَمَرَّ الْبَيْنُ فِي عُذَوَائِهِ تَغَوَّلَ عَفْوِي أَوْ تَرَقَّى إِلَى جَهْدِي^(١٠)

(١) المفردات: الغراء: العجبية. الصادي: العطشان.

المعنى: وقصيدتي حسناء تجذب الأسماع إليها، وهي أشبه بالنبع الذي يسعد العطشان به.

(٢) المعنى: وسلمك الله يا أمير المؤمنين وأنت ترفل بالسعادة الخالدة.

(٣) المعنى: ويطول عمرك على كرسي الخلافة الراسخ كالجبال على مدى قرون، وأنت في أعلى مقام وأشرف عرش.

(٤) المفردات: الغرّة: بياض في جبهة الفرس، ومن كل شيء أوله.

المعنى: كان لعتابك فضل أن بيّن صفاء العهد بيننا، وقرب الوصال على بعد المسافة.

(٥) المعنى: نأى عني من لا أقبل منه بعض الهجر، ومن لا أمتلك الصبر على قسوته.

(٦) المفردات: العضب: السيف. الجراز: القاطع. نضته: استلته.

المعنى: استله العتاب لسخطي كما يستل السيف القاطع من غمده.

(٧) المعنى: ومع أن الهجر استمر بيننا إلا أنني كنت محافظاً على حبل الوفاء المتين الذي لا ينقطع.

(٨) المعنى: ألا أيها الأمين المحافظ على الأسرار إنني لم أفكر قط بغدر أو بصد.

(٩) المعنى: وإنني أمام الأخوة لين العريكة، وإن كنت قاسيها مع الآخرين.

(١٠) المفردات: العدواء: البعد. تغوّل: أسرع.

=

أصاحبُ حُسْنِ الظَّنِّ والشُّكِّ مُقْبِلٌ
إذا اتَّسَعَتْ في خُطَّةِ الصَّدِّ فِكْرَتِي
وإنْ نَاكِرْتَنِي خَلَّةٌ مِنْ خِلَالِهِ
تَخَالُ رِجَالٌ مَا رَأَوْا لَضَلَالَةَ
وَكَمْ مُظْهِرٍ سِيَمَا الْوَدَادِ يَرُونَهُ
وَحُوشِيْتُ أَنْ أَلْقَاكَ سِبْطًا بظَاهِرِي
إِذَا تَرَكْتُ يُمْنِي يَدِيكَ تَعْلُقِي
إِيَابًا فَلَمْ تُشْرِفْ عَلَى غَايَةِ التَّوَي
فَلِلدَّرِ نَثْرٌ لَيْسَ يُدْفَعُ حُسْنُهُ
وَلَوْ لَمْ يَلَاقِ الْقَدْحُ زَنْدًا بِمِثْلِهِ
وَقَدْ غَاضَ سَخَطَانَا فَهَلْ مِنْ صُبَابَةٍ
بِوَجْهِي إِلَى حَيْثُ اسْتَرْتُّتُ عُرَا الْوُدِّ^(١)
تَجَلَّلَنِي هَمْ يَضِيقُ بِهِ جِلْدِي^(٢)
تَعَرَّضَ قَلْبِي يَفْتَدِيهَا مِنْ الْحَقْدِ^(٣)
وَلَنْ تُسْتَشْفَ الشَّمْسُ بِالْأَعْيَنِ الرُّمْدِ^(٤)
حَمِيدًا وَمَا يُخْفِي بَعِيدٌ مِنَ الْحَمْدِ^(٥)
وَأَنْ كُنْتُ مَطْوِيًّا عَلَى بَاطِنٍ جَعْدِ^(٦)
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ تَمَسَّكَ مِنْ بَعْدِي؟^(٧)
وَلَمْ نَتَأْ كُلَّ النَّأْيِ عَنْ سَنَنِ الْقَصْدِ^(٨)
وَلَيْسَ كَمَا ضَمَّتْهُ نَاحِيَةُ الْعِقْدِ^(٩)
لَمَّا انْبَعَثَتْ شُهْبُ الشَّرَارِ مِنَ الزَّنْدِ^(١٠)
بِرَأْيِكَ؟ إِنِّي قَدْ تَصَرَّمَ مَا عِنْدِي^(١١)

=المعنى: وحين طال أمد البعاد بيننا أسرع عفوي نحوك أو صعد راغبًا في العفو.

(١) المفردات: استرثت: بليت.

المعنى: إنني دائمًا أميل إلى حسن الظن كي أبعد عني الشك الذي يفرض انفكاك عرا المودة.

(٢) المعنى: وكلما أوغلت في فكرة الصد حام الهم حولي فضاقت به نفسي.

(٣) المعنى: وقد تراودني خلة من خلال الصد، فيفتديها قلبي ويخلصها من الحقد.

(٤) المعنى: فتظن أنهم رجال لم يحسنوا النظر ضلالة منهم، وهل يرى الأرمد عين الشمس؟

(٥) المفردات: السيماء: العلامة.

المعنى: وقد نرى من يظهر ملامح المحبة وهو في الواقع يخفي ما هو عكس ما يظهر.

(٦) المفردات: السبط: الكريم السهل. الجعد: خلاف المسترسل.

المعنى: وأخاف أن أراك سهلًا لينًا في الظاهر، بينما تنطوي على نفس عنيدة علي.

(٧) المعنى: إذا أهملت يدك العناية بي فإنني لأعجب إن مت بمن ستعتني.

(٨) المفردات: السنن: الطريق. القصد: الرشد.

المعنى: فعذ إلي ما دمننا لم نقطع حبل الوصال، وما دمننا لم نقطع وشائج الارتباط.

(٩) المعنى: فحبات اللؤلؤ المثورة لا يبرز حسناتها إلا إذا انسلكت في العقد.

(١٠) المعنى: إن الزند لا يوري إذا لم يقدح بزند مثيل له، وإلا لما تطايرت الشرارات منه.

(١١) المفردات: الصبابة: بقية الماء في الإناء. تصرَّم: انقطع.

هَلَمْ نُعِذْ صَفْوَ الْوِدَادِ كَمَا بَدَا إِعَادَةً مَنْ لَمْ يَلْفِ عَنْ ذَاكَ مِنْ بُدٍّ^(١)
وَنَعْتَنُمُ الْأَيَّامَ وَهِيَ طَوَائِشُ تُؤَاتِي بِلَا قَصْدٍ وَتَأْتِي بِلَا عَمْدٍ^(٢)
وَمِثْلِكَ أَهْدَى أَنْ يُعَادَ إِلَى الْهُدَى وَأَرْشُدُ أَنْ يَنْحَازَ عَنْ جِهَةِ الْقَضْدِ^(٣)

- 158 -

وقال يمدح الملك السعيد بهاء الدولة، ويشكره على خطابه بالشريف
الجليل المرتضى ذي المجدين: [من الخفيف]

قَدْ هَوَيْنَاهُ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَضَنِينًا بِالْوَعْدِ وَالْمَوْعِدِ^(٤)
وَرَضِينَا مَا كَانَ مِنْهُ وَإِنْ أَزْ مَضْنَا مِنْ تَجَنُّبٍ وَصُدُودِ^(٥)
يَمْطُلُ الشَّيْءُ فِي يَدَيْهِ وَزَادَ الـ حَمَلٌ لَوْ مَا أَنْ كَانَ بِالْمَوْجُودِ^(٦)
يَا خَلِيلِي وَالرَّكَائِبُ يَطْلُعُ نَ بِنَا مِنْ تَهَائِمٍ وَنُجُودِ^(٧)
وَقَفَّةً فِي زُرُودٍ، فَالْقَلْبُ يَهْوَى مِنْكُمْ وَقَفَّةً بِحَبْلِي زُرُودِ^(٨)
فَزُرُودٌ مِمَّا أَوْدُ وَإِنْ كَا نَ إِلَى الرِّكْبِ لَيْسَ بِالْمُودُودِ^(٩)

=المعنى: وها قد زال سخطنا، فهل عندك من تروية تحيي ما انقطع من جبل الود عندي؟

- (١) المعنى: وتعال نستعد مودتنا الصادقة التي نرى أن لا بد منها.
- (٢) المعنى: ولننهل الأيام التي لا تدرك ما حولها فتمنح من غير قصد وترفض من غير عمد.
- (٣) المعنى: وأنت أحق الناس في الرجعة إلى الهداية، وأعقل من أن تنحرف عن الصواب.
- (٤) المفردات: الضنين: البخيل.
- المعنى: أحيينا المحبوب مع أنه ينقض العهد ويبخل في تلبية الوعد المضروب.
- (٥) المفردات: أرمضنا: كوانا بالرمضاء وهي الحصى الصغار المحترقة بالشمس.
- المعنى: ووافقنا على تصرفه هذا مع أنه كوانا بابتعاده وصدده.
- (٦) المعنى: من دهائه أن يماطل في تلبية الطلب، ومن لؤمه أن يبخل بما لديه ويقدر عليه.
- (٧) المفردات: التهائم: مفردها التهامة، وهي الأرض المنخفضة المتصوبة نحو البحر.
- النجود: المرتفعات.
- المعنى: يا صديقي، والناس في رحيلهم صعدًا وانخفاضًا.
- (٨) المفردات: زرود: موضع. الحبل: المستطيل من الرمل.
- المعنى: توقفا عند زرود، فقلبي يتمنى منكم أن تترثوا عند رماله.
- (٩) المعنى: فزرود أملي وليس إلى من يمرون به.

وهناك الغرام أضحى وإن أو دى زروذ وأهلُهُ غير مُودٍ^(١)
وظباء غنين بالنظم في المي سم عن نظم لؤلؤ في عُقودٍ^(٢)
وبحلي قد صاغه الله في اللب بات والجيد عن حلي الجيد^(٣)
قلن لما رأين وخطا من الشيب ب برأسي أعيا على مجهودي^(٤)
كسنا بارق تعرض وهنا في حواشي بعض الليالي السود: ^(٥)
أبيض مُجدد في سواد؟ - كان قديمًا - لا مَرَجًا بالجديد^(٦)
يا لحاكُن من رماكُن بالحسد ن لِتَفْهَرَنَّا بغير جُنودٍ^(٧)
ليس يبيضي مني فأجري عليهن صُدودًا، وليس منكُن سُودي^(٨)
قلما ضرَكُن من شَعراتٍ كنَّ يومًا على الوقارِ شُودي^(٩)
لبهاء الملوك والدين والدُّو لة شكري والفرط من تمجيدي^(١٠)

(١) المفردات: أودى: أهلك. مود: متحركون.

المعنى: وفي زرود وقع غرامي وأهله مقيمون، وإن كان في زرود هلاكي.

(٢) المفردات: الميسم: الحسن والجمال.

المعنى: والغزالات تحلّين بالحسن أفضل من تحليهن بعقود اللؤلؤ.

(٣) المفردات: الحلي: زينة المرأة، جمعها الحلّي. اللبات: مفردا اللبة وهي المنحر أو موضع القلادة.

المعنى: وقد منحهن الله زينة في نحورهن أفضل من الزينة المضافة؛ إشارة إلى جمال رقاب الغزال.

(٤) المفردات: الوخط: ما خالط الشعر من الشيب.

المعنى: وحين رأين الشيب قد علا رأسي غصبا عني.

(٥) المفردات: الوهن: وقت منتصف الليل.

المعنى: وكان الشيب مضيئا كلمعان البرق بدا في منتصف الليل الأسود.

(٦) المعنى: حين رأين هذا الشيب قلن (جواب البيت ٤): لقد غزا شعرك الأسود بياض! ما أحلاه من شعر قديم، ولا أحلاه من شعر جديد.

(٧) المفردات: لحا الله فلانًا: قبحه ولعنه.

المعنى: قبح الله من وصفكن بالحسن لتتصرن علينا من غير جيش.

(٨) المعنى: تعاتبيني على بياض شعري مني حتى أخاصمه، ولا سواده من حسنكن.

(٩) المعنى: إنه نادرا ما تؤذيكن هذه الشعرات التي شهدت على وقاري.

(١٠) المفردات: الفرط: (هنا) الغلبة والإسراف.

وبأيامه السعيدة أعطيت ت لواء التعديل والتوحيد^(١)
وبجد منه أروح وأحرا ر المعاني وإن غمض عيدي^(٢)
كنت قبل اصطناعه أنظر الذر يا عزوقا وعفة من بعيد^(٣)
فأتاني منه كريم تولى مد ضبعي حتى أقام فعودي^(٤)
ودعاني ولو سواه دعاني ما رأي إلا بعيد الهجود^(٥)
قد أتنى نعماك يا مالك النا س على أنني بمرمى البعيد^(٦)
غافلاً عن مواهب منك واقف ن فحليني وقلدن جيدي^(٧)
جئن عفواً من غير كد وما نذ لك فينا بالنائل المكدود^(٨)
لقب كنت قبله كاليماني ي قد أتى عارياً بغير برود^(٩)
أو كدعوى صدق أضرب بها عند د ألد أن لم تكن بشهود^(١٠)
وإذا كنت مرتضى عند ملك النا س طراً فمن يكون نديدي؟^(١١)
بعد ما كنت ثاوياً في أناس أرتعي منهم جميم الحقود^(١٢)

=المعنى: ينتقل إلى المديح فيرفع شكره إلى بهاء الدولة وإسرافه في تمجيده.

- (١) المعنى: والشكر لأيامه السعيدة التي منحتني راية العدل والتوحيد.
(٢) المعنى: وأتجه نحوه بهمة فتساق عباراتي الحرة وقد غدت عبدة لي طيعة.
(٣) المعنى: وقبل أن تتم الصداقة بيننا كانت الدنيا في عيني ترك كل ما فيها والتعفف عن ملذاتها.
(٤) المفردات: الضبع: العضد، ومد ضبعه: نَعَشَه.
المعنى: فأولاني رعايته فأنعشني وحرك كياني.
(٥) المعنى: ودعاني لزيارته فليت الدعوة، ولو غيره دعاني لما استجبت إليه إلا بعد أن أستريح.
(٦) المعنى: لقد وصلتني هداياك مع بعدي أيها الملك.
(٧) المعنى: وصلت عطاياك وأنا غافل غير مستعد لها فزيتني وطوقت رقبتني مثلاً.
(٨) المعنى: لم تعان في بذلها، إذ ليس عطاؤك مرهقاً لك.
(٩) المعنى: منحتني لقباً فشرفت به، ولولاه كنت كرجل اليمن من ثيابه المعروفة بجمالها.
(١٠) المعنى: أو أن هذا اللقب دعوة صادقة عند العدو، ولكن من غير شاهد يثبتها.
(١١) المفردات: طراً: جميعاً، وهو منصوب على الحال. النديد والنذ: النظير.
المعنى: وإن كنت عندك يا ملك الناس جميعاً مرتضى، فمن هو نظيري؟
(١٢) المفردات: ثاوياً: مقيماً في المكان. أرتقي: أرعى. الجميم: الكثير.

نشدوا الحالَ حيثُ ساءَ فإنْ كا
 أنا نَضَلُّ سَلَلَتُهُ لأَعَادِي
 نَ جَمِيلًا فَلَيْسَ بِالْمَنْشُودِ^(١)
 كَ وَكَمْ ذَا سَلَلَتَ مِنْ مَغْمُودِ^(٢)
 وَبِتَشْرِيفِكَ الَّذِي يَرْفَعُ النَّا
 ظَرَ مَا بَانَ سَيِّدُ مِنْ مَسُودِ^(٣)
 أَيُّ عَزُّ بِحَيْثُ أَنْتَ لِمَنْ يَم
 تَارُ عَزًّا وَأَيُّ مَغْنَى وَفُودِ؟^(٤)
 وَإِذَا زَارَهُ الْعُفَاةُ أَصَابُوا
 هُ مَرَادَ النَّدَى وَمَخْنَى الْعُودِ^(٥)
 وَالْمَحَلُّ الَّذِي بِهِ نَظَمَ الد
 هُ مِنْ الْمَلِكِ كُلِّ شَمْلٍ بَدِيدِ^(٦)
 قَدْ رَأَيْنَا الَّذِينَ عَاصَوْكَ بِالْأُم
 رٍ وَحَادُوا عَنْ ظِلِّكَ الْمَمْدُودِ^(٧)
 بَيْنَ عَانٍ فِي الْقَيْدِ غَيْرِ طَلِيقِ
 وَقَتِيلٍ بِالسَّيْفِ غَيْرِ شَهِيدِ^(٨)
 وَشَرِيدٍ يَوَدُّ أَنَّ الرَّدَى صُبَّ
 بَ عَلَيْهِ فِي فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدِ^(٩)
 أَشْبِ بِالْقَنَا يُخَالُ وَأَبْنَا
 ءُ الْمَنَايَا فِيهِ عَرِينُ أُسُودِ^(١٠)

=المعنى: وذلك بعد أن كنت مقيمًا بين أناس لا أنال منهم سوى الحقد الكثير.

(١) المعنى: أرادوا لي كل سوء، وإن وجد الرأي الجميل استبعدوه.

(٢) المعنى: وإنني سيفك المدافع عنك وأنت سللته من غمدك لتحارب به أعداءك. وسيفوك المسلولة كثيرة.

(٣) المعنى: وتشريفك هو الذي يحدد مقام الناس سادة أو عبيدًا.

(٤) المفردات: يمتار: يطلب الميرة. المغنى: المنزل.

المعنى: ما أعظمك وفي أي مقام عزيز أنت تفتح دارك لطالب الرغد، وما أجمله من منزل وفود!

(٥) المفردات: العفاة: مفردها العافي وهو طالب المعروف. المراد: محل الارتياح.

المعنى: وإن قصدك طالبو المعروف كنت لهم ملاذ الكرم ومحط انحناء الغصن وعليه الثمر.

(٦) المعنى: وكنت المقام الذي هياه الله لجمع ما تفرق في البلاد.

(٧) المفردات: حادوا: انحرفوا.

المعنى: ورأينا ما جرى لمن عارضوك ومن انحرفوا عن خيرك العميم.

(٨) المفردات: العاني: الأسير.

المعنى: وصاروا جميعًا إما أسرى مكبلين بالحديد، أو قتلَى سيوفك، وهم ليسوا شهداء طبعًا.

(٩) المفردات: الفيلق: الجيش العظيم.

المعنى: أو هربوا من بين يديك مشردين يتمنون الموت السريع بيد الجيش العظيم.

(١٠) المفردات: الأشب: الملتف. العرين: بيت الأسد.

المعنى: أو أن الرماح تواكبت عليه فكأنه التف بها ورجالك بين هذه الغابة الرمحية عرين =

ورجالٍ لا يحفلون إذا ما
كصلالِ الرِّمالِ أو كذئابِ الـ
كلُّ مُستَرسِلٍ إلى القِرْنِ ثَبِتْ
مُنْتَمٍ إِنْ لَزَزْتَهُ عِنْدَ جُرْثُو
لا اقْتَرَبْنَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا زُرْ
وَقَضَى اللَّهُ فِي عَطَايَاكَ مِنْهُ
ثُمَّ نَادَى فِي دَارِ مُلْكِكَ: يَا دَا
وَمِنْ الْآنِ فَاسْتَمِعْ لِنَدَائِي
عَبَقِي بِالْقَبُولِ مَا كَانَ عَنْ حَبْ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى بَابِكَ الْمَعْدُ
رَثِمُوا الضَّيْمَ حَفْلَةً بِالْوَعِيدِ^(١)
قَاعٍ رُقْشًا هَبْنَنَ بَعْدَ رُكُودِ^(٢)
لِلْمَنَايَا كَالصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ^(٣)
مَةٍ فَخِرٍ مِنْهَا إِلَى خَيْرِ عَوْدِ^(٤)
نَاكَ إِلَّا عَنْ سَنِيكَ الْمُرُودِ^(٥)
وَعَطَايَاكَ عِنْدَنَا بِالْمَزِيدِ^(٦)
رُ أَقِمِي مُحْرُوسَةً لَا تَبِيدِي^(٧)
بِأَيَادِيكَ كُلَّ بَيْتٍ شَرُودِ^(٨)
بِ قُلُوبِ الرُّجَالِ بِالْمَطْرُودِ^(٩)
مُورٍ قَصْدِي لِعَائِقٍ فَقَصِيدِي^(١٠)

=الأسود.

- (١) المفردات: رثموا: ألفوا. حفلة: حافلة. الضيم: الظلم.
المعنى: وهؤلاء الرجال الأشاوس لا يهابون الظلم مهما حفلت بأنواع التهديد.
- (٢) المفردات: الصلال: مفردها الصل وهو الحية. الرقش: الملونة بالأسود والأبيض.
القاع: الوادي.
- (٣) المفردات: الرمال: الرمال أو كذئاب الوديان الملونة، هبت بعد خمولها واختبائها.
المفردات: القرن: الشجاع. الصيخود: الشديدة المحمّة بحر الشمس.
- (٤) المفردات: لززته: لصقته ونسبته. الجرثومة: الأصل.
- (٥) المعنى: وهؤلاء الشجعان من أصل عريق يتمنون إلى نسب مفتخر به.
- (٦) المعنى: ونحن لم نتقرب إلا إليك، ولم نترك إلا لعطائك الكثير.
- (٧) المعنى: وإن ما تهبه هو من الله، ولهذا فهي كثيرة.
- (٨) المعنى: منحك الله ما تهبه وأمر ديارك أن يطول بقاؤها محفوظة ثابتة.
- (٩) المفردات: عبقي: عطر. حبة القلب: سويداؤه.
- (١٠) المعنى: مقبول من الرجال لأنه عطر ناجم عن قلب صادق.
- (١٠) المعنى: وإن لم أستطع الوصول إلى بابك، فما هي ذي قصيدتي تطرق هذا الباب العامر بالسعادة.

وقال في غرض: [من البسيط]

ما خامر الرزق قلبي قبل فجأتيه ولا بسطت له في النائبات يدي^(١)
 كم قد ترادف لم أحفل زيادته ولو تجاوزني ما فت في عضدي^(٢)
 إن أسخط الأمر أدرك عنه مضطرباً وإن أريد بدلاً من مذهب أجدي^(٣)

وقال يمدح الملك السعيد، ويهنته بالنيروز الواقع في سنة ٤٠٠هـ: [من

الكامل]

يا طيف ألا زرتنا بسوادٍ لما تصرعنا حيال الوادي^(٤)
 ما كان ضررٌ والوشاة بمعزلٍ عنا جميعاً لو طرقت وِسادي؟^(٥)
 والرئي فيك وقد صدذت فقل لنا . منّا علينا - : كيف ينقع صادي؟^(٦)
 من أجل أنك تستبين على الكرى أهوى الرقاد ولات حين رقاد^(٧)
 والحب داء في القلوب سقامه خاف على الرقباء والعواد^(٨)
 يا زورة من باخل بلقائه عجلت عطيته على الميعاد^(٩)

(١) المفردات: خامر: لزم.

المعنى: لم يلزم الرزق فؤادي قبل أن يفاجأ بالمصيبة، ولم أفتح يدي للمصائب.

(٢) المفردات: فت في عضده: أضعفه.

المعنى: وكثيراً ما توافد الرزق علي إلا أنني لم أعبأ به، وإن بعد الرزق عني لم أضعف دونه.

(٣) المعنى: إن تضايقت من أمر وجدت له مخرجاً، وإن أردت تبديل طريقتي وجدت لها بديلاً.

(٤) المعنى: يخاطب الطيف الزائر ويرجوه أن يزوره ليلاً حين ينام قرب الوادي.

(٥) المعنى: فماذا يمنعك من زيارتي فهاهم ذا الوشاة بعيدون عني، ألا فادن من فراشي.

(٦) المفردات: الصادي: العطشان. ينقع: يروي.

المعنى: شربنا عندك ولكنك ابتعدت عنا فمن علينا برية، وإلا فكيف يشبع عطشان؟

(٧) المعنى: وسبب العناء أنك تبدو ونحن متجهون نحو النوم، نرتمي للنوم ولا نوم في أعيننا.

(٨) المعنى: والهوى مرض يعتري القلوب أعراضه تخفى على الرقباء وعلى عواد المريض.

(٩) المعنى: أذكر زيارة محب بخيل بزيارته التي جاءت قبل أوانها.

ترك البياض لآمن وأتى به فَرَقَ الوشاية في ثياب حداد^(١)
ولقد طرقت الخدر فيه عقائل ما قَلَنَ إِلَّا في ضمير فؤادي^(٢)
لما وردت خيامهن سقيني من كل معسول الرضاب بُراد^(٣)
ومخضب الأطراف صدَّ بوجهه لما رأى شبي مكان سوادي^(٤)
والغانيات لذي الشبَابِ حَبَابُ وإذا المشيبُ دنا فهنَّ أعاد^(٥)
شعرٌ تبدلَ لونه فتبدلت فيه القلوبُ شناءةً بوداد^(٦)
لم تجنيه إِلَّا الهمومُ بِمَفَرِّقي ويخال جاء به مع الميلاد^(٧)
ولقد تكلفني الوشاة وأفرجوا عن جامع مُتَصامم مُتَمَاد^(٨)
يلحى العذول، وتلك منه سفاهة وفؤاده في الحبِّ غيرُ فؤادي^(٩)
حتى كأنَّ له صلاحِي في الهوى دونَ الخلائقِ أو عليه فسادِي^(١٠)
مَنْ مبلغُ ملكِ الملوكِ رسالةً مِنْ رائجِ بثنائه أو غادِ؟^(١١)

- (١) المفردات: البياض (هنا) النهار. ثياب الحداد (هنا): الليل. الفرق: الخوف.
المعنى: لم يأت نهاراً بل تركه لمن لا يخاف وأتاه ليلاً خوفاً من الوشايات.
- (٢) المفردات: العقائل: مفردا العقيلة، وهي المرأة المخدرة. قَلَنَ: نزلن في القبلولة، وهي نومة الظهيرة.
- المعنى: دخلت المنزل فكان فيه صبابة غفون في خيالي.
- (٣) المعنى: فرحين بي لدى دخولي خيامهن وقبلني قبلات كالعسل.
- (٤) المعنى: لكن هذه الحسناء التي حُتَّتْ أناملها حين رأت شبي قد حلَّ بي أشاحت بوجهها عني.
- (٥) المعنى: تحب الصبايا الشباب حباً حمماً، حتى إذا رأينه استحال إلى المشيب عادينه.
- (٦) المفردات: الشناءة: البغضاء.
- المعنى: حين تغير لون شعري تحولت القلوب من المحبة إلى البغضاء.
- (٧) المعنى: ما هذا الشيب إلا من الهموم التي حطت على كاهلي، حتى ليظنُّ من كثرته أنه ولد معي أبيض.
- (٨) المعنى: التف الوشاة حولي يغيظونني، ثم تركوني لما رأوني عنيداً مقبلاً لا آبه لأقوالهم.
- (٩) المعنى: يلومني المعاتب، وعتابه سوء تصرف منه؛ لأن قلبه يختلف عن قلبي.
- (١٠) المعنى: ليدو من اهتمامه بي أنه يرى خيري في هذا الحب، أو أذاي فيه.
- (١١) المعنى: من يتطوع فيوصل رسالتي إلى الملك السعيد والتي تتضمن إشادتي به صباحي ومساني؟

كم زارني وأنا البعيدُ عن الندى من سنبِ كَفْكَ من لُها وأيادٍ^(١)
 عفوا كما انخرقت شآبيبُ الحيا من غيرِ إبراقٍ ولا إرعادٍ^(٢)
 نِعَمَ غلبنَ على المزيدِ فما ترى طَمَعًا يجاوزُهنَّ للمُزدادِ^(٣)
 لَمَّا كَثُرَنَ عليَّ منك تبرُّعًا وتفجُّرًا كَثُرَنَ من حُسَّادي^(٤)
 كنتُ المشمَّرَ قبلها ولِبِسْتُها فمَشِيتُ فيها ساحبًا أبرادي^(٥)
 مُتأطِّرًا أَشْرًا كزعزعةِ الصِّبا أفنانَ فرعِ الأيكةِ الميَّادِ^(٦)
 ولأنتَ يا ملكَ الورى في معشرِ طالوا مَدَى الأنجادِ والأمجادِ^(٧)
 فاتوا الأنامَ وحلَّقوا في شاهقٍ عالٍ على الأعلامِ والأطوادِ^(٨)
 لا يتركون ذُرَى الأسرَّةِ عزَّةً إلَّا إذا رَكبوا ظهورَ جِيادِ^(٩)
 قومٌ إذا اشتَجَرَ القنا ورأيتَه كالغابِ كانوا فيه كالآسادِ^(١٠)

- (١) المفردات: السيب: العطاء. اللها: مفردها اللهوة، وهي العطية. الأيادي: النعم. -
 المعنى: لقد شرفني كرمك عطاء ونعمًا، أنا الذي لا يعبأ بالعطاء.
- (٢) المفردات: الشآبيب: مفردها الشؤبوب، وهو الدفعة من المطر. الحيا: المطر.
 المعنى: عذرًا، إن كرمه الفياض أشبه باندفاع المطر الوابل من غير إنذار من برق أو رعد.
- (٣) المعنى: وعطاياه كثيرة جدًا فوق ما يطلبه المستزيد وأكثر مما يريده الطامع.
- (٤) المعنى: هذه العطايا التي وهبتي إياها أكثرت من حسادي، ولا سيما أنها تفوق حد الوصف.
- (٥) المفردات: المشمر: الكاشف عن ساقه؛ كناية عن العجلة.
 المعنى: كنت أسرع في طلبها من غيرك، حتى إذا وافتني منك تباهيتُ بها واعتراني الزهو، حتى سحبت مطارفي خلفي (للكبرياء).
- (٦) المفردات: متأطَّرًا: متعطِّفًا. الأشر: البطر. الأفنان: الغصون. الأيكة: الشجرة. المياد: المتمايل.
- المعنى: وكنت بعطاياك جذلان فرحًا متمايلًا كتمايل الأغصان من ربح الصبا.
- (٧) المعنى: إنك أيها الملك تنتسب إلى أناس ذوي مجد ونجدة.
- (٨) المفردات: الأنام: الناس. الأعلام: الأطواد: الجبال.
 المعنى: وقومك فاقوا الناس في عليائهم وارتفعوا إلى قمم جبال المجد.
- (٩) المعنى: وهم على عروشهم ورفعتهم لا يتزاحون عنها إلا ليركبوا ظهور خيلهم.
- (١٠) المعنى: وحين تلتحم الرماح في ساحة الوغى ويكثر عددها كالأشجار في الغابة رأيتهم كالأسود.

وَإِذَا مَضَتْ عَرَضًا أَحَادِيثُ الْوَعَى قَلَيْتَ سِيوفُهُمْ مِنَ الْأَغْمَادِ^(١)
الضاربينَ الْقَرْنَ وَهُوَ مُصَمَّمٌ بصوارم بيضِ المتونِ حِدَادِ^(٢)
وَالْحَاطِمِينَ غَدَاةَ كُلِّ كَرِيهَةٍ فِي الدَّارَعِينَ صَدُورَ كُلِّ صِعَادِ^(٣)
وَالرَّاسَخِينَ وَهَضْبُ يَذْبُلُ طَائِشُ وَالْمُقْفِرِينَ مَكَامِنَ الْأَحْقَادِ^(٤)
وَتَرَاهُمْ كَرَمًا خِلَالَ نَعِيمِهِمْ مُتَنَصِّتِينَ إِلَى غِيَاثِ مُنَادِ^(٥)
سَعَدَتْ بِطَالِعِكُمْ وَبَارَكَ رَبُّكُمْ فِيمَا حَوَى وَادِيَكُمْ مِنْ وَادِ^(٦)
فَفَنَاؤُهُ مَجْنَى الْمَكَارِمِ وَاللُّهَا وَمَجَائِمُ الطُّلَابِ وَالرُّوَادِ^(٧)
لِلَّهِ دَرْكُ نَضْبِ عَوْرَةِ حَادِثِ حَدْبًا تُرَامِي دُونَهَا وَتُرَادِي^(٨)
وَالْخَيْلُ دَامِيَةُ الْجُلُودِ كَأَنَّمَا لُطِخَتْ عَلَى أَجْسَادِهَا بِجِسَادِ^(٩)
فِي ظَهْرِ رَوْعَاءِ الْفَوَادِ كَأَنَّمَا نَجْمٌ تَهَوَّرَ أَوْ شَرَارُ زِنَادِ^(١٠)

- (١) المعنى : وإذا تناول الناس أطراف الحديث عن الحرب هاجت نفوسهم وتعطشت سيوفهم .
(٢) المعنى : وهم لا يصابولون إلا أقرانهم الأشداء ثم يضربونهم بالسيوف المصقولة الحادة .
(٣) المفردات : الدارعون : اللابسو الدروع . الصعاد : مفردها الصعدة ، وهي القناة المستوية .
المعنى : وهم الذين يحطمون صدور المدرعين برماحهم المستوية ساعة الحرب .
(٤) المفردات : يذبل : اسم جبل .
المعنى : وهم ثابتو الجأش أرسخ من جبل يذبل المهتز أمامهم ، والذين يطعنون الصدور التي هي مواطن الحقد .
(٥) المعنى : وحين يوزعون الأعطيات يدون في أسعد حال ، وهم يصغون إلى استنجاد المنادين .
(٦) المعنى : أسعدكم الله وبارك فيكم بما عرف في دياركم .
(٧) المفردات : الفناء : الساحة . اللها : مفردها اللهوة ، وهي العطية .
المعنى : فساحة دياركم مكان توزيع العطايا والندى ومربض طالبي الرشد والوافدين .
(٨) المفردات : ترادي : تحامي وتدافع . لله دره : لله ما خرج منه من خير .
المعنى : ما أعظمك من معين على الأحداث ، وما أحسن عطفك إذ تدفع وتبعد ما يعترضنا .
(٩) المفردات : الجساد : الزعفران .
المعنى : وترى خيلك ملطخة بدماء الأعداء فكأنها ضُمخت بالزعفران .
(١٠) المفردات : الروعاء : الفرعة . تهوّر : انهار وسقط .
المعنى : وأنت على فرسك الفرعة أشبه بنجم ساقط أو شرار قاذح . . يصف سرعتها .

والقوم أعناقٍ بغيرِ كواهلٍ حُصِدَتْ وأجسامٌ بغيرِ هَوادٍ^(١)
أما القلوبُ فهنَّ فيكَ أصادقُ ولَمَن سِوَاكَ مُصادِقٌ ومُعَادٍ^(٢)
أَلْفَتَهُنَّ على النَّدَى فتأَلَّفَتْ بَدَدَا على الإِثْناءِ والإِخْماءِ^(٣)
وأنا الَّذي واليتُ فيكَ مدائِحًا كالشَّمْسِ طالعةً بغيرِ بلادٍ^(٤)
يترنُّمُ الخالي بهنَّ وربُّما وَنَتِ الرُّكَّابُ فكَزَّ حَذَوُ الحادي^(٥)
يا لَيْتَهُنَّ عُرِضَنَ عندكَ من يدي وسُمِعَنَ حينَ سُمِعَنَ مِن إنْشادي^(٦)
فامْنُنْ بتقريبِ إليك أَفْزَ بهِ يا مالِكَ التَّقريبِ والإِبعادِ^(٧)
فالحِظُّ عندكَ عِصْمَتِي ووِثِيقَتِي والرَّأْيُ مِنْكَ ذَخِيرَتِي وَعَتَادِي^(٨)
وأحقُّ بالإِدْناءِ من حُجراتِكُم كَلِفٌ يُوالِي فيكُم وَيُعادي^(٩)
أنتُم ملاذِي في الخُطوبِ وأنتُم إنْ زَلَّ بالمَكْرُوهِ مِنْهُ عِمادِي^(١٠)
أَوْسَعْتُم لَمَّا نَزَلْتُ بِكُم يدي وَأَطْبَنْتُم لَمَّا أَضْفَنْتُم زادي^(١١)
وأريتموني بالمِكارِمِ أنْني لَم أَدْرِ كَيْفَ خَلَائِقُ الأَجْوادِ^(١٢)

(١) المفردات: الكاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق. الهوادي: مفردها الهادي وهو العنق.

المعنى: في هذه اللحظة ترى الأجساد مقطعة الأعناق، أو هي أعناق بلا أجساد.

(٢) المعنى: وقلبك عامر بالصدق في حين أن غيرك فيه ما يصدق وما يعادي.

(٣) المعنى: ولقد عودت قلبك أن يكون كريماً، فاعتاد الثناء والحمد.

(٤) المعنى: ولقد أسبغت عليك مدائحي المشهورة كالشمس المشرقة على العالم.

(٥) المفردات: ونت: تعبت.

المعنى: يتغنى بقصائدي الذي لا يعرف لمن قيلت، وقد تتعب النوق فيحدوها الحادي بشعري فيك.

(٦) المعنى: وكم أتمنى أن تبلغك قصائدي من يدي، وتسمعها مني، أي تأمر بزيارتي لك.

(٧) المعنى: فمَنْ عليّ بِسَماحِكَ وأنت مالِك من تَقَرُّبٍ ومن تَبَعْدٍ.

(٨) المعنى: فالقرب منك يعصمني ويوثق مكانتي، ورأسك أعتر به وأذخره للملمات.

(٩) المعنى: فأنا أحق من غيري في الاقتراب منكم، فأنا محب لكم وأعادي من يعاديكم.

(١٠) المعنى: أنت الملجأ الذي أحتمي به إن داهمتني مصيبة والعماد الذي ألوذ به في الملمات.

(١١) المعنى: وحين نزلت دياركم غمرتموني بأنعامكم، وقدمتم لي أفضل الزاد وأكثرتموه.

(١٢) المعنى: وعلمتموني كيف يكون الجود وكيف تكون أخلاق الكرماء بشمائلكم.

سَبَلٌ مِنَ الْآبَاءِ لَمَّا غُيِّبُوا فِي الْأَرْضِ عَنْهُ أَقَامَ فِي الْأَوْلَادِ^(١)
فَاسْلَمَ لَنَا مَلِكُ الْمُلُوكِ وَلَمْ تَزَلْ تَبْقَى عَلَى الدُّنْيَا بِغَيْرِ نَفَادٍ^(٢)
وَاسْعَدُ بَنِيروزِ أَتَاكَ مُبَشِّرًا بِبُلُوغِ كُلِّ مُحِبَّةٍ وَمُرَادٍ^(٣)
يَمْضِي وَيَأْتِيكَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ أَبَدًا يَلْفُ مَرَاوَحًا بِمَغَادٍ^(٤)
لَا رَابِنَا فِيكَ الزَّمَانُ وَلَمْ تَزَلْ يَفْدِيكَ مِنَّا كُلُّ يَوْمٍ فَادٍ^(٥)
فِي عِزِّ مُلْكِكَ كَالثَّرِيَا مُرْتَقَى شَيْنِ الْمَرَائِرِ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ^(٦)

- 161 -

وقال يهنىء فخر الملك بالنوروز سنة ٤٠٢هـ: [من مجزوء الوافر]

أَلَا يَا أَيُّهَا الْحَادِي قَفِ الْعِيسَ عَلَى الْوَادِي^(٧)
قَفِ الْعِيسَ فِي كَفِّكَ إِسْعَافِي وَإِسْعَادِي^(٨)
وَفِي الْأَظْعَانِ أَبَاءَ عَلَيْنَا غَيْرُ مُنْقَادٍ^(٩)
كَثِيبٌ غَيْرُ مُنْهَالٍ وَغُصْنٌ غَيْرُ مَيَادٍ^(١٠)

(١) المفردات: السبل: المطر الغزير.

المعنى: كرم شديد كالْمَطَرِ توارثه الأبناء عن الآباء الذين رحلوا.

(٢) المعنى: أطال الله لنا عمرك أيها الملك العظيم، وبقيت حيًا خالدًا.

(٣) المعنى: وليكن عيد النوروز سعادة لك، يشارك بتحقيق كل أمانيك.

(٤) المعنى: يذهب النوروز ويعيد الله عليك نوروزًا آخر ما دام العمر.

(٥) المعنى: ولا أوقعنا الزمان في شك بسعادتك، ونحن لك فداء واحدًا تلو الآخر.

(٦) المفردات: الشن: الغليظ. المرائر: مفردها المريرة، وهو الحبل الشديد الفتل.

المعنى: وتظل باقيا في عزك الملكي ساطعًا عاليًا كالثريا في ملك وطيد الأركان.

(٧) المعنى: أوقف إبلك قرب الوادي يا أيها الحادي.

(٨) المعنى: أرجو أن توقفها فبين يديك سعادتي ونجدتي.

(٩) المفردات: الأظعان: مفردها الظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج. الآباء: من

يرفض الضيم.

المعنى: إن من بين الطعائن امرأة تأبى علينا ولا تنقاد.

(١٠) المفردات: المياد: المتمايل.

المعنى: يصف ردفها بأنهما كثيب قاس من الرمل، وخصرها غصن لا يتلوى.

وَفَرَعُ أَجْعَدُ الشُّغْرِ وَلَكِنْ أَيْ إِجْعَادِ! (١)
يُرَامِينِي فَأَشْوِيهِ وَلَا يَرْضَى بِإِقْصَادِي (٢)
أَلَا قُولُوا لِمَنْ يَمْلِكُ كُ تَقْرِيْبِي وَإِبْعَادِي (٣)
وَمَنْ لَوْ شَاءَ يَوْمَ الْجَزْعِ عِ مَا ضَنَّ بِمِيعَادِي (٤)
وَمَنْ يُبْدِلُ إِصْلَاحِي فِي الْحَبِّ بِإِفْسَادِي: (٥)
مَتَى يَنْقَعُ مِنْ رِيْقِي كُ إِنَّ جُدْتَ بِهِ صَادِي (٦)
أَبْنُ لِي هَلْ عَلَى الْجَزْعِ ءِ فِي أَهْلِيْكَ مِنْ غَادِي؟ (٧)
وَهَلْ زَالَتْ خِيَامُ الْحَيِّ يِ عَنْ أَحْقَافِ أَعْقَادِي؟ (٨)
وَهَلْ مُحَّتْ رُبَا كُنْتُ بِهَا أَسْحَبُ أَبْرَادِي؟ (٩)
وَأَيْنَ الطَّيْفُ مِنْ ظَمِيَا ءِ أَمْسَى وَهُوَ مُعْتَادِي؟ (١٠)

(١) المفردات: الفرع: اشعر.

المعنى: وهي ذات شعر جعد غير مسترسل، وجعدته لذيدة جدًا.

(٢) المفردات: أشويه: أصيبه ولا أقتله؛ من الشوى: وهو ما كان غير مقتل من الأعضاء.
الإقصاد: القتل طعنًا أو رميًا.

المعنى: نترامى سهام الحب فيما بيننا، فأنا أجرحه وهو لا يرضى قتلي.

(٣) المعنى: فأخبروا من بيده رضاه وغضبه.

(٤) المفردات: الجزع: بطن الوادي. ضن: بخل.

المعنى: وقد كان يستطيع يوم التقينا بطن الوادي ألا يبخل بإعطائي الموعد.

(٥) المعنى: ومن بقدرته أن يصلح من حالي في الحب بدل إفساد.

(٦) المفردات: ينقع: يروى. الصادي: العطشان.

المعنى: قولوا له: متى يروي العاشق العطشان من رُضابه؟

(٧) المفردات: الجرعاء: الرملة المستوية لا نبت فيها.

المعنى: أخبرني أيفدُ أهلك إلى الرملة (وأنت معهم)؟

(٨) المفردات: الأحقاف: مفردها الحِقف، وهو ما اعوج من الرمل. الأعقاد: مفردها العقد،
وهو من الرمل ما انعقد وتراكم.

المعنى: وهل رحل الأهل وحلوا خيامهم عن منعقد الرمال؟

(٩) المفردات: مع: بلي.

المعنى: وهل بليت الروابي التي كنت أرودها وأجرر أذيالي على رمالها؟

(١٠) المعنى: بل أين هو طيف محبوبتي ظمياء قد عودني على زيارته؟

جَفَا صُبْحًا ووافاني صَرِيْعًا بَيْنَ رُقَادِي^(١)
وأعناق المطايا مِنْ كِلَالٍ بَيْنَ إِعْضَادِ^(٢)
تَلَاقِينَا بِأرواح وفَارَقْنَا بِأجْسَادِ^(٣)
ولَوَامٍ يُرِينِي الغَشَّ شَ فِي مَغْرِضٍ إِرْشَادِ^(٤)
وقد لَامَ وَلَكِنْ لِي سَ يَعْدُو عَنْ هَوَى عَادِ^(٥)
دَعِ العَذْلَ فغَيْرُ العَذِّ لِ أَضْحَى وَهُوَ مُقْتَادِي^(٦)
وغِبْرَاءِ كظهِرِ التُّز سِ أَكَالَةِ أَزْوَادِ^(٧)
وسَارِيهَا يَبِيعُ الغَمَّ ضَ مَغْبُونًا بِتَشْهَادِ^(٨)
وللرَّيْحِ بِهَا أَنَّ حَكِي غَمِّمَةً الشَادِي^(٩)
كَأَنَّ الرُّبْعَ وَالْخَرِيَّ تَ يَهْدِيهِمْ بِلَا هَادِ^(١٠)
تَعَسَّفْتُ بِوَجَافٍ عَلَى الإِعْيَاءِ وَخَادِ^(١١)

(١) المعنى: يهجرني صباحًا ويأتي قتيلاً علي رؤيتي والناس نيام.

(٢) المفردات: الإعضاد: المشي يمينًا وشمالًا.

المعنى: والمطايا تسير متمايلة الأعناق يمينًا وشمالًا من تعبها.

(٣) المعنى: وكان لقاء بالروح لا بالجسد.

(٤) المعنى: أما اللائم فيسعى إلى إيذائي عن طريق رشادي.

(٥) المعنى: لقد لامني وهو لا يقصد إلا العداء.

(٦) المعنى: دع عنك اللوم، فهدفي غير اللوم.

(٧) المعنى: ورب صحراء مغبرة ممدودة كالترس تأكل زادي من كثرة ما أزورها.

(٨) المفردات: الغبن في البيع والشراء: الخداع والمكر.

المعنى: والذي يسير في هذه الصحراء ليلاً كالتاجر المخادع فهو يقايض في السلع؛ فهو يشتري النوم ويبيعهم السهاد.

(٩) المعنى: حتى الرياح تصدر أنينًا عند هبوبها هو أشبه بما يهمهم به المغني بصوت غير مفهوم.

(١٠) المفردات: الخريت: الدليل الحاذق.

المعنى: وفي هذه الصحراء كأن الديار والماهر حائران تائهان من دون دليل.

(١١) المفردات: تعسفت: ركبت بلا روية. الوجاف: المسرع. الوخاد: الماشي الوخد، وهو السير السريع.

المعنى: فامتطيت جوادًا بسرعة ومن غير روية وعدوتُ به على تعب.

كَهَيْتِ الدَّوَّ لولا وضَّ غُ أنساعي وأقتادي^(١)
 لفخرِ المُلْكِ إنعامٌ على الحاضرِ والبادي^(٢)
 وجُودٌ يدعُ الأجوا دَ قَدَمًا غيرَ أجوادِ^(٣)
 وأبوابٌ يفتُخَنَ لطلابٍ وقُصَادِ^(٤)
 وأموالٌ يُسَوِّقَنَ إلى حاجةٍ مُرتادِ^(٥)
 فتى لا يُركِبُ الخُلْفَ قَرا وغدٍ وإيعادِ^(٦)
 ولا يُرضيه في المأزَقِ إلا ضربةُ الهادي^(٧)
 ولا يَبْذُلُ للأضيا فِ إلا صَفْوَةَ الزَّادِ^(٨)
 ولا يوردُ إلا العِدَّ دَ ممدودًا بأعدادِ^(٩)
 ولا يُزوي لدى الهَمِّ بأزدامٍ وأسدادِ^(١٠)
 إذا لُذتَ به لُذتَ بطُودٍ بينَ أطوادِ^(١١)

- (١) المفردات: الهيق: ذكر النعام. الدوّ: المفازة. الأنساع: مفردها النسع، وهو سير جلدي عريض تشد به الرحال. الأقتاد: مفردها القتد، وهو خشب الرحل.
- المعنى: حسبت جوادي أشبه بالظليم في الصحراء لولا السيور الجلدية وخشب الرحل.
- (٢) المعنى: أعترف بأن لفخر الملك فضلًا على سكان الحاضرة وسكان البادية.
- (٣) المعنى: أما جوده فلا يرقى إليه جواد، بل إن الكرماء القدماء ليسوا شيئًا أمامه.
- (٤) المعنى: وأبوابه تفتح على مصراعيها لكل طالب رفق أو قاصد.
- (٥) المعنى: كما أنه يرسل الأموال إلى راغبيها.
- (٦) المفردات: القرا: الظهر. الإيعاد: الوعيد بالشر.
- المعنى: وهو إن قال فعل من غير وعد منه أو تهديد.
- (٧) المفردات: الهادي: العنق.
- المعنى: وإذا تأزمت الأمور فليس عنده إلا قطع الأعناق.
- (٨) المعنى: أما أضيافه فلا يقدم لهم إلا أفخر الأطعمة.
- (٩) المفردات: العِدّ: الماء الكثير.
- المعنى: ولا يسقي إلا الماء الكثير بأعداد وافرة.
- (١٠) المفردات: الأزدام: مفردها الردم، وهو الحائط أو السد. يزوي: يقبض ويمنع.
- المعنى: ولا يمتنع عن تقديم العون في الملمات، فلا يضع سدودًا دون مساعدته.
- (١١) المفردات: الطود: الجبل.
- المعنى: إن لجأت إليه فكأنك لجأت إلى جبل راسخ لا يهتز.

وإن ضلّت به ضلّت ت بليث بين آساد^(١)
يوم كمحلّ القذ ر حشوه بإيقاد^(٢)
تراه أبدا يضر ب أنجادا بأنجاد^(٣)
تسرّبت بنسج الطغ ن فيه ثوب فرصاد^(٤)
وأبدلت الظبا بالها م أعمادا بأعماد^(٥)
جدارا يا بني الإشفاف ق ليث الغابة العادي^(٦)
ثوى الخيس وإن كان من القاع بمرصاد^(٧)
عزيز الطعم ما كان لخوار بمصطاد^(٨)
ومطويا كطي الم رس التف على واد^(٩)
له في كل إشراق لديغ بين عواد^(١٠)
وكم من نعم تؤم له عندي وأفراد^(١١)

(١) المعنى: وإن استنجدت به في مصالوة العدو لبأك وأراك أنه أسد في مصالوته.

(٢) المعنى: ما زلت أذكر معركة جرت كانت مثل قدر تحتها نيران مقحمة متقدة.

(٣) المفردات: الأنجاد: مفردا النجد، وهو الشجاع.

المعنى: كان لقوته يضرب الشجعان بالشجعان.

(٤) المفردات: الفرصاد: صبغ أحمر والتوت.

المعنى: رأيتك ساعتها والدماء على ثيابك كأنك ارتديت نسيجاً مصبوغاً بالفرصاد الأحمر.

(٥) المعنى: وعوضاً عن أن تغمد سيوفك في أماكنها أغمدتها في رؤوس الأعداء.

(٦) المعنى: وإنني أشفق عليكم فاحذروا أسد الغابة المهاجم.

(٧) المفردات: ثوى المكان وفيه وبه: أقام. الخيس: مكن الأسد.

المعنى: هذا الأسد ربض في مكمنه، ولكنه متربص لكم منذ وجوده في الوادي.

(٨) المفردات: الخوار: الجبان الضعيف.

المعنى: إن اصطياذ هذا الأسد الهصور عسير لا يمكن نفسه للجبان الضعيف.

(٩) المفردات: المرس: الحبل.

المعنى: وتراه ملتقاً حول نفسه كالثعبان المتكئ في الوادي يتربص لفريسته.

(١٠) المعنى: ولا بد له من أن يلدغ فريسة عند كل إشراق نهار.

(١١) المعنى: أنعامه علي لا تحصى، وهي واحدة واحدة أو مزدوجة.

مُنِيفَاتٍ عَلَى الْحَاجِ مَرُوقَاتٍ عَنِ الْعَادِ^(١)
 يُعَارِضْنَ سُيُولَ الْمَاءِ إِمْدَادًا بِإِمْدَادِ^(٢)
 فَقَدْ طُلُنَ مَدَى شُكْرِي وَبِرَّحْنٍ بِأَحْمَادِي^(٣)
 أَنْسَاكَ وَإِذْنَاؤُكَ يُعَلِّينِي فِي النَّادِي؟^(٤)
 وَتَخْصِيصِي بِنَجْوَاكَ مِنْ الْقَوْمِ وَإِفْرَادِي^(٥)
 وَإِخْرَاجُكَ أَضْغَانِي مِنْ الْقَلْبِ وَأَحْقَادِي^(٦)
 وَتَكْثِيرُكَ بِالنِّعْمَا عِدَائِي وَخُسَادِي^(٧)
 وَيَفْدِيكَ مِنَ الْأَقْوَا مَ سَيَّارَ بِلَا حَادِ^(٨)
 أَبِي الْخَيْرِ فَمَا يَرْتَا دُ إِلَّا شَرَّ مُرْتَادِ^(٩)
 وَمَنْ يَأْتِي إِذَا آتَى بِإِنْزَارٍ وَإِزْهَادِ^(١٠)
 وَمَنْ يَهْفُو بِإِصْدَارٍ كَمَا يَهْفُو بِإِيرَادِ^(١١)
 بِأَغْلَالٍ مِنَ الْعُرْفِ إِذَا سَيْلَ وَأَقْيَادِ^(١٢)

(١) المفردات: منيفات: زائدات. الحاج: الحاجة. مروقات: خارجات ومارقات. العاد: هي العد والإحصاء، وخفضها ضرورة.

المعنى: عطاياه زائدة عن الحاجة، تفوق العد.

(٢) المعنى: عطاياه تضاهي سيل الماء في كثرتها وفي مدّها بعد المدّ.

(٣) المعنى: وإنني لأعجز عن شكري له من أجلها، وقصر حمدي له.

(٤) المعنى: لا أقدر على تناسيك، لأن تقريبي لي إعلاء لمكانتي بين القوم.

(٥) المعنى: وخصصتني بأحاديثك الودية وحدي من بين الناس جميعًا.

(٦) المعنى: وأنت الذي أزال ما احتدم بي من الأحقاد نحو الناس.

(٧) المعنى: وأكثرت العطاء لحسادي وأعدائي ليكفوا عني.

(٨) المعنى: الناس كلهم يحبونك من غير أن يحثهم على ذلك أحد، وهم جميعًا يفدونك.

(٩) المعنى: ومنهم من رفض الخير فلا يروم إلا شر طريق.

(١٠) المفردات: الإنزار: الإقلال؛ من النزر. الإزهاد: مثلها. آتى على الشيء: وافقه.

المعنى: وهذا الذي رفض الخير قد يأتي بالقليل الزهيد إن وافق.

(١١) المفردات: يهفو: يسرع.

المعنى: ومن يسرع إلى الإرسال كما يسرع إلى الاستقبال.

(١٢) المفردات: العرف: المعروف. سئل: سُئل.

أَتَمَّ اللهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ آدٍ^(١)
وَهُنَّيْتِ بَنِيروزِ كَ هَذَا الرَّائِحِ الْغَادِي^(٢)
وَعَشْنٌ حَتَّى تَمَلَّ الْعِيْدَ شَ عُمْرًا غَيْرَ مَعْتَادٍ^(٣)

- 162 -

وقال في الغزل: [من المنسرح]

جَرَّعَنِي حُبُّهُ وَبَاعَدَنِي فَلَمْ أَنْلِ وَصْلَهُ وَلَمْ أَكِدِ^(٤)
وَزَارَنِي قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَنِي فَصَرْتُ عَبْدًا لَهُ فَلَمْ يَغْدِ^(٥)
يُضْحِكُ عَنِ لَوْلُؤٍ فَإِنْ يَكُنِ الْ لَوْلُؤُ ذَا صُفْرَةٍ فَعَنْ بَرْدٍ^(٦)
وَلَسْتُ أَرْضَى تَشْبِيهَ لُقَيْتِهِ بِسَاعَةِ الْأَمْنِ أَوْ جَنَى الشَّهْدِ^(٧)

- 163 -

وقال يعتذرُ إلى فخر الدولة من تأخره عن صحبته في إصعاده إلى البلاد
العليا، ويهنئه بالمهرجان^(٨): [من المنسرح]
إِنْ كُنْتَ بِالْعَفْوِ لَيْسَ تَعْذِرُنَا فَلَا اعْتَذَارُ مِنَّا إِلَى أَحَدٍ^(٩)

=المعنى: وهو مكبل بالمعروف إن سئل فعله.

(١) المفردات: الآد: القوة.

المعنى: أكمل الله عليك العز والقوة مما يعطيك إياه.

(٢) المعنى: وهناك الله بعيد النوروز متواتراً متتابعاً.

(٣) المعنى: أطال الله عمرك طويلاً حتى تمل من حياتك.

(٤) المعنى: أذاقني حبه ثم نأى عني، فلم أقدر على وصله ولا أدنى من وصله.

(٥) المعنى: وقبل أن يملكني زارني، فصرت له عبداً، لكنه رحل ولم يعد.

(٦) المعنى: وهو إن ضحك بدت أسنانه كاللؤلؤ، فإن قلت إن اللؤلؤ يميل إلى الصفرة فقل إن أسنانه كحبات البرد.

(٧) المعنى: ولا أقبل أن أصف لقاءه بلحظة الأمان لي أو كالعسل.

(٨) المهرجان: عيد الخريف عند الفرس ويبدأ في ٢٣ أيلول.

(٩) المعنى: إن لم تقبل عذرنا وتعف عنا فلن نعتذر إلى أحد بعدك.

والعبدُ علمًا بحلم سيِّده يُذنبُ عمدًا وغيرَ مُعتمدٍ^(١)
ما حُجَّتِي عُدَّتِي لَكُنْ تَغَا ضِيكَ عَنِ الْمَذْنِبِينَ مِنْ عُدْدِي^(٢)
يا رَاكِبًا بَلَغَ السَّلَامَ إِذَا شِمْتَ خِيَامًا شَطَّتْ عَلَى بُعْدٍ^(٣)
وَقُلْ لِفَخْرِ الْمُلُوكِ قَاطِبَةً مِنْ وَالِدٍ قَدْ مَضَى وَمَنْ وَلَدٍ^(٤)
وَمَنْ حَبَاهُ الْإِلَهِ مَنْزِلَةً كَمْ طَلَبُوهَا فَلَمْ تُنَلَّ بِيَدٍ^(٥)
عَبْدُكَ جَلَّدَ عَلَى الْخُطُوبِ وَمُذْ نَأَيْتَ عَنْهُ أَضْحَى بِلَا جَلَدٍ^(٦)
يُطْرِقُ مُسْتَوْحِشًا لِمَا فَاتَهُ مِنْكَ وَمَا بِالْأَجْفَانِ مِنْ رَمَدٍ^(٧)
قَدْ سَارَ قَلْبِي لَمَّا ارْتَحَلْتَ وَمَا خَانَ وَإِنْ كَانَ خَانَهُ جَسَدِي^(٨)
إِنِّي يَا ذَا الْجَلَالَتَيْنِ وَقَدْ خُلِفْتُ عَنْكُمْ كُرْهًا وَلَمْ أَرِدِ^(٩)
كَخَائِفٍ فِي بِلَادٍ مَضْيَعَةٍ مُسْتَتِرٍ بِالظُّلَامِ مُنْفَرِدٍ^(١٠)
أَوْ حَامِلٍ وَالظُّمَاءُ يُحْرِقُهُ بَعْدَ مَعِينٍ عَذِبٍ عَلَى ثَمَدٍ^(١١)
يَا كَثْبِي مِنْهُ عُذٌّ عَلَيَّ وَيَا بُغْدِي بِاللَّهِ قَطُّ لَا تَعُدِ^(١٢)

- (١) المعنى: فالعبد يخطيء بعلم سيده عمدًا ومن غير عمد معتمدًا على حلم سيده.
(٢) المعنى: لم أتبعك للدفاع عن نفسي بما أعددت، ولكن عن طريق تساهلك عن الخاطئين.
(٣) المفردات: شمت: نظرت. شطت: بعدت.
المعنى: إن رأيت أيها الراكب خيامًا مضروبة بعيدًا فبلغ أهلها سلامي.
(٤) المعنى: وأخبر فخر الملوك، جميعًا كبارًا وصغارًا.
(٥) المعنى: ذلك الذي منحه الله مكانة لم يخصها غيره رغم مساعيها.
(٦) المعنى: قل له إن عبدك صابر على المصائب، لكن بعدك عنه جعله خائر القوى.
(٧) المعنى: إنه يطرق ببصره كالمصاب بالرمد وليس مريضًا، ولكنه مستوحش لفقدك.
(٨) المعنى: ونجم عن سفرك أن تبعك قلبي، وقلبي لم يخن، لكن جسدي خان قلبي.
(٩) المعنى: لقد غدوت يا صاحب الجلالة بعد أن أكرهت على عدم مرافقتكم.
(١٠) المعنى: كالخائف في بلاد يتيه المرء فيها، وزيادة على ذلك وحيدًا يسير في الظلام.
(١١) المفردات: المعين: الماء الجاري. الثمد: القليل من الماء.
المعنى: أو أنني أحمل حملًا على كتفي والعطش إلى بعض الماء يحرقني بعد أن كان الماء كثيرًا بك.
(١٢) المفردات: الكتب: القرب.
المعنى: ويا أيها القرب عد ثانية إلي، ويا أيها البعد أرجوك ألا تعود.

وقل لحساد ما خُصصتُ به: رُدُّوا زماني واستأنفوا حَسَدي^(١)
وابقَ لنا في ظلالِ مملكةٍ أعزُّ عزًّا من جانبِ الأسدِ^(٢)
وليُهنِكَ المِهْرَجَانُ مُتَّئِدًا بماترُجِي وغيرِ مُتَّئِدِ^(٣)
يمضي ويأتي منه لنا خَلْفٌ وأنتَ باقٍ لنا على الأبدِ^(٤)
وعن قليلٍ أزورُ من بَلَدِي دارَكَ معمورةً على «بَلَدِ»
وليس يحتاجُ - في الوصولِ إلى آمَدٍ مفتوحةٍ - إلى آمَدِ^(٥)

- 164 -

وقال يمدح فخر الملك: [من البسيط]

هل هاجَ شوقك صوتَ الطائرِ الغرِدِ في الرِّبعِ والرِّبعُ عُريانٌ بلا أحدٍ؟^(٦)
غناكَ ما قلبه شوقًا بمُكتَـبٍ وليس دمعٌ له حُزنًا بمطرِدِ^(٧)
وربُّما هاجَ أحزانَ الفؤادِ وما يَذري خَلِيٍّ مِنَ الأشجانِ والكَـمَدِ^(٨)
أما الذينَ رَمَتْ عَسْفانَ عِيْرُهُمْ بكلِّ مَوارةٍ عَيْرانَةٍ أَجْدِ^(٩)

(١) المعنى: أطلع الحساد ولستُ منهم: أعيّدوا عليّ زماني مع فخر الملك كما كان وعودوا إلى حسدكم لي.

(٢) المعنى: وأملنا أن تبقى على حكمك عزيزًا أعز مما يكون قرب الأسد.

(٣) المفردات: المتئد: المتمهل.

المعنى: نرجو من الله أن يسعد المهرجان بك جاء متمهلًا كما تشتهي أو غير متمهل.

(٤) المفردات: بلد: بليدة شمال الموصل في العراق.

المعنى: وسأتشرف قريبًا بزيارة دارك العامرة في بلدة بلد.

(٥) المفردات: آمَد: بلدة في شمال الجزيرة الشامية، وهي اليوم في تركيا.

المعنى: وإنك لا تحتاج إلى وقت طويل لتفتح آمَد.

(٦) المعنى: هل أثاركَ صوت الطائر الغريد في الديار القفر، وبعث فيكَ الأشواق ولا أحد في الديار؟

(٧) المعنى: إنه يغنيك من غير أن يكون قلبه معلقًا بحزين، ولا يرسل دمعًا مدرارًا على مكتب.

(٨) المعنى: فهو ربما يثير الأشجان ولا يدري ماذا يفعل، وهو خالي البال من الأحزان.

(٩) المفردات: عسفان: اسم موضع. المواردة: المتحركة. العيرانة: الفرس النافرة. أجد: قوية.

المعنى: أما من أوصلتهم نوقهم إلى عسفان، ونوقهم كثيرة الحركة والنفور.

ففي الفؤادِ على آثارهم جَزَعٌ لا يَسْتَفِيقُ وهمٌ غيرُ مُفْتَقَدٍ^(١)
 حنوا إليك وقد شَطَّ المزارُ بهم كأنهم لم يَصُدُّوا عنكَ من صَدَدٍ^(٢)
 قد قلتُ لَمَّا لَقِينَا الظَّعنَ سائرةً: ماذا يُفِيدُ لِقِينَاهُنَّ من غَيْدٍ؟^(٣)
 مِن كُلِّ مَوْسُومَةٍ بالحسنِ بَهْكَنَةٍ كأنما سُرقتُ من جَنَّةِ الخُلْدِ^(٤)
 مَن عاذري في الغواني غِبَّ مُنتَشِرٍ مَن المَشِيبِ كُنُوارِ الضُّحا بَدَدٍ^(٥)
 وافى ولم يَبِغِ مِنِّي أن أهيبَ به وحلَّ مِنِّي كَرْهَا حَيْثُ لم أُرِدِ^(٦)
 ولو جَنَّتْهُ يدي ما كنتُ طائِعَهَا لكنْ جناهُ على فَوَدَيَّ غيرُ يدي^(٧)
 دغ عنكَ كُلُّ لئيمِ الطَّبَعِ مُبْتَدِّلٍ أذَلَّ في عَرَصَاتِ الدارِ من وَتَدٍ^(٨)
 إنَّ همَّ بالخيرِ عاقَتُهُ عَوائِقُهُ وإنْ مَضَى في طريقِ الحمدِ لم يَعُدِ^(٩)

(١) المعنى: فإن قلبي مفعم حزنًا على آثارهم، وهما لا يزول.

(٢) المفردات: شط: بعد. الصد: القصد.

المعنى: أولئك الراحلون اشتد الحنين بهم على بعد الديار، حتى بدا لك أنهم لم يبتعدوا عنك عمدًا.

(٣) المفردات: القينة: المغنية والأمة، وهو يريد مجرد الفتاة. الغيد: الشني بلين ودلع.

المعنى: وحين رأيت الطعائن راحلات قلت لهن: لن ينفع حسناهن أن تتدلل بعد رحيلها.

(٤) المفردات: البهكنة: الشابة الغضة.

المعنى: وهؤلاء الصبايا جميلات غضات الشباب، كأنهن حوريات سرقن من الجنة.

(٥) المفردات: غب: بعيد. النوار: زهر أبيض. البدد: المتفرق.

المعنى: إنني أحب الغواني، ولن أجد من يلومني بعد أن عاث الشيب في رأسي وانتشر كانتشار النوار صباحًا.

(٦) المفردات: أهاب به: دعاه.

المعنى: قدم الشيب من غير أن أدعوه، وحط على كاهلي غصبا عني في مكان لم أرض أن يحط عليه.

(٧) المفردات: الفودان: شعر جانبي الرأس.

المعنى: لو أن يدي سبب قدومه لكنت رفضت، لكنه حل على جانبي رأسي من غير إرادتي.

(٨) المعنى: تناس كل شيء مرذول، مثل وتد مهمل في ساحة الدار.

(٩) المعنى: مهما حاول تقديم الخير فإن العجز يمنعه، وإن فكر في الشكر هرب ولم يعد.

ولا تُؤاخِ مَنْ الْأَقْوَامِ مُنْطَوِيًّا عَلَى الضَّغِينَةِ مَمْلُوءًا مِنَ الْحَسَدِ^(١)
نَشُوا مِنَ الْغِيِّ مَا لَمْ يَذَرِهِ أَبَدًا وَلَا يَمُرُّ بِمَا يَدْرِي مِنَ الرَّشَدِ^(٢)
يَا فَخَرَ مَلِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلَّهُمْ مِنْ وَالِدٍ قَدْ مَضَى مِنْهُمْ وَمِنْ وَلَدٍ^(٣)
وَمَنْ يَجُودُ عَلَى مَا فِي نَوَافِلِهِ بِالْفَخْرِ وَالْعِزِّ قَبْلَ الْجُودِ بِالصَّفَدِ^(٤)
لِلَّهِ دَرْكٌ تَمْرِي شَدَّ نَاجِيَةً هُوَ جَاءَ مَرُشُوشَةَ الْقَطْرَيْنِ بِالنَّجْدِ^(٥)
كَأَنَّهَا وَكَرِيمُ النَّجْوِ يَخْفِزُهَا إِلَى بُلُوغِ الْمَدَى سَيْدٌ عَلَى جَدِّ^(٦)
وَفِي يَدَيْكَ لَعُوبُ الْمَتَنِ مُبْتَدِرٌ إِلَى تَقْنُصِ نَفْسِ الْفَارِسِ النَّجْدِ^(٧)
مِثْلُ الرَّشَاءِ وَلَكِنْ لَا قَلِيبَ لَهُ يَوْمَ الْكَرْيَةِ إِلَّا مُنْحَنَى الْكَبْدِ^(٨)
مَاذَا يَرِيبُ الْعِدَى لَا دَرَّ دَرُّهُمْ مِنْ نَازِحٍ عَنْ مَقَامِ الْعَذْلِ وَالْفَنْدِ^(٩)
مَا زَالَ وَالظَّمُّ يَسْتَدْعِي مَكَارِعَهُ إِنْ فَاتَهُ الْعِدُّ لَمْ يُورْذَ عَلَى ثَمَدٍ^(١٠)

- (١) المعنى: لا تقدم على مؤاخاة من يضمرك لك الحقد ويعج قلبه بالحسد.
(٢) المعنى: إنه غارق في سكر الضلالة من غير أن يعلم، وهو لا يعي أين يمر.
(٣) المعنى: أنت مفخرة بني العباس قاطبة من كبيرهم الذي ولى ومن صغيرهم الذي لم يولد.
(٤) المفردات: النوافل: العطايا، مفردا النافلة. الصغد: العطاء.
المعنى: أنت تسخو على فيض عطايك بالفخر والعزة قبل أن تسخو بعطائك.
(٥) المفردات: تمرى: تستخرج وتمسح الضرع لتدر الناقة بلبنها. الشد: العدو. الناجية: الناقة. السريعة العدو. مرشوشة القطرين: مبتلة الجسم برشاش العرق. النجد: العرق.
المعنى: ما أعظم خيرك أنت تستحث الناقة النشطة على العدو المبتلة الجسم بعرق الأجهاد.
(٦) المفردات: النجو: سر القلب. السيد: الذئب. الجدد: الأرض المستوية.
المعنى: كأن هذه الناقة بسرعتها، وعواطف الفؤاد تدفعها، ذئب في السهول.
(٧) المفردات: المبتدر: السابق المعجل. التقنص: الاصطياد. النجد: الشجاع. المتن: الظهر.
المعنى: وأنت تمتطي جوادًا لين الظهر؛ سابق إلى اقتناص الفارس الشجاع.
(٨) المفردات: الرشاء: الحبل. القليب: البثر.
المعنى: يتلاعب تحتك يوم الوغى كتلاعب الحبل ولا بثر له إلا الأحشاء.
(٩) المفردات: النازح: الراحل البعيد. الفند: التكذيب. لا در دره: لا كثر خيره.
المعنى: بماذا يشك الأعداء لا أكثر الله خيرهم، وماذا يريدون من راحل بعيد عن كل عتاب وتكذيب؟
(١٠) المفردات: العد: الماء الكثير. الثمد: الماء القليل. المكرع: الموضع الذي تشرب الدواب منه الماء.

كم ذا لكفك من آثار مكرمة
 قلائد مثل أطواق الحمام لنا
 وحاطها وهي بالبيداء مصجرة
 من بعد ما غاب عنها كل منتصر
 وجبت أعداءها عنها فلو طلبت
 حتى استقرت وقد كانت مقلقلة
 لولا مكانك كانت يوم بطشتها
 من كان غيرك والرعيان قد هجموا
 ومن يدل - وقد ضلت حلومهم
 فالآن أصبح ما قد كان منتهكا
 في غنم مفتقر أو فك مضطهد^(١)
 تبيد أخرى الليالي وهي لم تبد^(٢)
 لأخذ مستلب أو لقم مزدرد^(٣)
 فمن جنى فيلا عقل ولا قود^(٤)
 لها عدوا طوال الدهر لم تجد^(٥)
 تساق من بلد ناء إلى بلد^(٦)
 بلا ذراع ولا كف ولا عضد^(٧)
 يضم أرجاء تلك الثلة الشرد^(٨)
 عن السداد - إلى شيء من السدد^(٩)
 ذؤابة النيق أو عريسة الأسد^(١٠)

=المعنى: إنه مستمر بحثا عن مواضع العطاء عطشا منه، وهو إن فقد الكثير لم يعبأ بالقليل.

(١) المعنى: إن مواقفك الجلية راسخة، فها هي ذي آثار كرمك على يدك وبقايا فضلك لتحرير معنى ظاهرة.

(٢) المعنى: إن أفضالك تطوق رقابنا وتزينها كأطواق الحمام الثابتة مع كز الليالي.

(٣) المفردات: المصحرة: السائرة في الصحراء. المزدرد: الحلقوم.

المعنى: لقد صانها وهي تعبر الصحراء للسلب والبلع.

(٤) المفردات: العقل: الدية. والقود مثلها.

المعنى: صانها بعد أن غاب عنها المناصرون، فالذي قطف منها كان بلا دية.

(٥) المفردات: جبت: قطعت.

المعنى: فمنعت أعداءها عنها، حتى استحال لها أن تجد عدوا طول العمر.

(٦) المعنى: حتى اطمأنت بعد قلق، وكانت تنتقل قبل من بلد بعيد إلى بلد آخر.

(٧) المعنى: ولولا وقوفك مدافعا عنها يوم ذلولها لتقطعت منها جوارحها.

(٨) المفردات: الأرجاء: الأطراف. الثلة: الجماعة من الغنم.

المعنى: ومن كان يقدر على الدفاع عنها وقد هجمت الذئاب (الأعداء) على القطيع؟

فأنت الذي دفع عنها الشر ولم شعنها.

(٩) المفردات: السداد: الصواب. السدد: الاستقامة.

المعنى: ومن كان سيهديها سواء السبيل بعد أن فقدت عقولها طريق الصواب؟

(١٠) المفردات: الذؤابة: أعلى الشيء. النيق: قمة الجبل. عريسة الأسد: بيته.

لا فأتنا لك دهرٌ لا تزالُ بهِ ولا انتهيتَ منَ الدُّنيا إلى أمدٍ^(١)
 وضلُّ عَنَّا الَّذي نَخْشَى ولا نَضْبُثُ هذي الغضارةُ عن أياَمنا الجُدُدِ^(٢)
 وعادكَ العيدُ أَعوامًا متى حُصِرَتْ بِالْعَدِّ كانتَ بلا حَضَرٍ ولا عَدَدٍ^(٣)
 في ظلِّ مَمْلَكَةٍ تَبْلَى الصُّخُورُ على طُولِ المَدَى وهي لا تَبْلَى على الأَمَدِ^(٤)

- 165 -

وقال يرثي أبا الحسين المعروف بابن الحاجب، وكان ملازمًا لدرسه^(٥):

[من الطويل]

إِلَامٌ أَرامي في المُنَى وأُرادي وحشُو صَلاحي في الزَّمانِ فَسَّادي؟^(٦)
 وفجعي بما نالتَ يدايَ موَكَّلٌ فما سَرَّني أَنِّي بِلَغَتْ مُرادي^(٧)
 فكم من مصيِّباتٍ إذا لم يُصَبِّني رَواحًا وإِمْساءً فَهَنَ عَوادٍ^(٨)
 كأَنَّ جَوادي يومَ يَطْلُبُني الرَّدَى ولا ناصرٌ لي منه غيرُ جَوادٍ^(٩)

=المعنى: أما الآن فانقلبت الأمور؛ إذ ارتقى ما كان متتهكًا إلى أعلى الجبل أو إلى داخل
 عرين الأسد.

(١) المعنى: لا حرمنّا الله من زمان أنت فيه، ولا غبتَ عنا من هذه الدنيا.

(٢) المفردات: نضبت: ذهبت وغارت. الغضارة: لين العيش.

المعنى: ولا جفت سعادتنا في أيامنا الجديدة، ولتأهنا من كنا نخافه.

(٣) المعنى: واستمرت الأعياد تترى، ولو شئنا عدها لعجزنا لكثرتها.

(٤) المعنى: تبقى سعيدًا في حكومتك التي تبلى الصخور وتهشم مع طول الزمان من غير أن
 يعتريها وهن.

(٥) ابن الحاجب من أهل الفضل والأدب، وله شعر. توفي سنة ٤٢٨هـ.

(٦) المفردات: أُرادي وأرامي: أداري.

المعنى: إلى متى أداري أمانِيَّ والفساد يملأ صلاحِي في هذا العصر؟

(٧) المعنى: وما فجعتُ به هو من فعل يدي، فلم يسعدني وصولي إلى مبتغاي.

(٨) المعنى: وكثيرًا ما تحوم المصائب حولي، فإن لم تدهمني مساءً فهي هاجمة علي صباحًا
 حتمًا.

(٩) المعنى: وإذا جاءني الموت ولا نصير لي ركبت جوادي لأدافع عن نفسي، فأرى جوادي
 غير جوادي.

ولا وَزَرَ مِنْهُ بِزُرْقٍ أَسْنَتِي ولا يَبِضُ أَسِيفِي وَسُمِرَ صِعَادِي^(١)
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْرَعُ الْمَوْتُ مَزَوَّتِي وَيُضْرِمُ أَحْشَائِي بِغَيْرِ زِنَادٍ؟^(٢)
فِيَا أَسْهَمًا يَمْضِينَ حَوْلَ جَوَانِبِي لِرَامِي الرَّدَى أَنَّى يُصْبِنَ فَوَادِي؟^(٣)
فَرُزْءٌ عَلَى رُزْءٍ وَفَجَعٌ يُبِيتُنِي عَلَى حَرٍّ جَمْرٍ أَوْ فِرَاشٍ قَتَادٍ^(٤)
وَهَلْ طَمَعِي فِي الْعَيْشِ إِلَّا جَهَالَةٌ وَفِي كَفِّ رُؤَادِ الْجِمَامِ قِيَادِي؟^(٥)
يُسَارُ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَى حُفْرِ تَطْوَى لَنَا بُوَهَادٍ^(٦)
وَمَا نَافِعِي فِي هَذِهِ الدَّارِ مَرَّةً بِنَاءِ أَهَاضِيبِي وَرَفْعِ عِمَادِي^(٧)
فِيَا قَرَبَ بَيْنَ الْفَقْرِ فِيهَا مِنَ الْغِنَى وَبَيْنَ اازْدِرَاعِي تَارَةً وَحَصَادِي^(٨)
وَمَا إِنْ وَفَى غَيْثُ الرَّدَى فِي أَصَادِقِي بَأَنَّ عَلِقْتُ يُمْنَاهُ لِي بِأَعَادٍ^(٩)
وَمَنْ كَانَ يُرْدِي ذَا حِذَارٍ وَفُطْنَةٍ فَمَاذَا مَلَأُ الْمُهْمَلِ الْمَتْمَادِي؟^(١٠)
سَلِ الدَّهْرَ عَنْ سَادَاتِ لَحْمٍ وَحَمِيرٍ وَأَبْنَاءِ نَهْدٍ بَعْدَهُمْ وَمُرَادٍ^(١١)

(١) المفردات: الوزر: الملجأ والملاذ. الصعاد: مفردها صعدة، وهي القناة المستوية. المعنى: ولا ملاذ لي منه ولا أستطيع دفعه برماحي القوية، وسيوفي المصقولة، وقناتي المستوية الهادفة.

(٢) المفردات: المروة: الصخرة الصلبة. وقرع الدهر مروته: أنزل به البلاء.

المعنى: ما لي أرى الموت يُنزل البلاء بي كل يوم، ويلهب كبدي من غير نار؟

(٣) المعنى: فيا أيتها السهام التي يرسلها الموت حولي متى تضربني في الصميم؟

(٤) المفردات: الرزء: المصيبة. القتاد: شجر صلب ذو شوك.

المعنى: فالمصائب تتواتر علي، فتجعلني أنام قلقاً وكأنني أستلقي على نار أو على شوك.

(٥) المعنى: ولماذا أتضايق والتفكير بالحياة الخالدة جهل، ومستقبلي مرهون بيد الموت؟

(٦) المفردات: تطوى: تبنى.

المعنى: وإننا نساق إلى الموت في كل يوم لنلقى في حفر مبنية في الوديان.

(٧) المعنى: فلا ينفعني في هذه الدنيا سكني في الأعالي ولا رفع أعمدة منزلي.

(٨) المفردات: ازدراعي: زرعي.

المعنى: ونحن في هذه الدنيا لا نختلف بين الغنى والفقير، ولا بين الزرع والحصاد.

(٩) المفردات: الأصادق: مفردها الأصدقاء وهي جمع صديق.

المعنى: فما دام الموت حلّاً بأصحابي فإنه علق بي ودنا.

(١٠) المعنى: وهذا الموت يقتل الحذر والحصيف، فلماذا يلوم المهمل المتردّي؟

(١١) المعنى: فأين هم سادات قبائل لحم وحمير ونهد ومراد؟

وهل بقيت للعين والقلب بهجةً وهل تركت أيدي الردى من مخبرٍ
 ولو كنت موعوظًا بشيءٍ عرفته مضوا بعد أن كانوا يُظنُّ بقاؤهم
 وقد قلّدوا الأعناق منّا وأترعوا فيا «هبة الله» ارتجعت إلى الردى
 وما زلت خراجًا عن الغيِّ والهوى وكنت لعيني ثم قلبي سواده
 فوالله ما أدري أغال نعيه على أنه ذرّ الأسى في جوانحي
 بهوج الليالي في ديارٍ إيادٍ؟^(١) لآل نزارٍ كلَّ يوم تنادٍ؟^(٢)
 يقلل حرصي لا تعظتُ بعدٍ^(٣) يكونُ على الدنيا بغير نفاذٍ^(٤)
 بطون الليالي من لها وأيادٍ^(٥) وقد كنت في فضل ذبالة نادٍ^(٦)
 مدى الدهر ولآجًا لكل رشادٍ^(٧) وليس بياض فيهما كسوادٍ^(٨)
 رقادٍ حزنًا أم أطار فؤادي؟^(٩) وأودع مني في الجفون سُهادي^(١٠)

- (١) المفردات: الهوج: مفردها الأهوج والهوجاء: الأحمق والطائش.
- المعنى: وهل بقي شيء من سعادة قبيلة إياد بعد أن هاجمتهم الليالي الطائشة؟
- (٢) المعنى: وهل أبقى الموت أحدًا من آل نزار كي يخبرنا كيف كانوا يجتمعون؟
- (٣) المعنى: ولو أنني أردت أن أتعظ بمن عرفت كي أخفف من حرصي على الحياة لتذكرت قبيلة عاد.
- (٤) المعنى: لقد هلك كل من ذكرْتُ وكانوا يظنون أنهم مخلصون.
- (٥) المفردات: أترعوا: ملؤوا. الله: مفردها لهوة وهي العطية. الأيادي: النعم.
- المعنى: أولئك من ماتوا غمرونا مع مسيرة الليالي بأعطياتهم وأنعامهم.
- (٦) المفردات: الذبالة: فتيلة المصباح.
- المعنى: فها أنت ذا يا هبة الله عدت إلى الموت، وما زال يحفظ ودك الناس الذين كنت نبراس مجالسهم.
- (٧) المفردات: الولاغ: الدخال.
- المعنى: لقد أمضيت عمرك مبتعدًا عن الضلالة والهوى ساعيًا إلى الخير.
- (٨) المعنى: وكنت أثيرًا لديّ؛ فأنت سواد عيني وسويداء قلبي، وفرق شاسع بين سوادهما وبياضهما.
- (٩) المفردات: غال: أهلك.
- المعنى: وإنني لأقسم بأنني حائر في موته، فهل الحزن عليه أفقدني نومي أم أطار صوابي؟
- (١٠) المعنى: وعلى أية حال فقد نشر الأحزان في ضلوعي وحرمني من النوم.

وما ضَرَّنِي والنَّوْمُ ليس يزورني
فإن لم أعزَّ جسمي عليك حِدادَه
وللهِ خطبٌ زارني بعدَ هَجْعَةٍ
وشرَّدَ عني باصطبارٍ عَهْدُهُ
وعرَّفَ ما بيني وبينَ بلابل
كأنِّي قضيفُ الجنبِ حُزْنًا ولَوْعَةً
ويا ليتني لما ثكلتك لم أكن
وليتك لم تحللَ ركابك عَفْوَتِي
وما بينَ قُربٍ واشتياقٍ عَهْدُهُ
سقى الله مَيْتًا لا يُرْجَى إِيَابُهُ
وجادَ عليه كلُّ أسْحَمٍ مُسْبِلٍ

دُجَى وضَحَى أَنِّي بغيرِ وسادٍ^(١)
فقلبي حُزْنًا في ثيابِ حِدادٍ^(٢)
فحرَّم في عينيَّ طعمَ رُقادي^(٣)
وأحرجَ حَيَزومي وأضعفَ آدي^(٤)
عمرتُ وما يمرزُن لي ببلادٍ^(٥)
وفرشي مَهيداتٍ بغيرِ مِهَادٍ^(٦)
جعلتك من سُكَّانِ دارٍ ودادي^(٧)
تراوحها صَبًا بها وتُعادي^(٨)
حَوْتُ أضلعي فرقٌ وبينَ بُعادي^(٩)
وحلَّ عليه رَبْطُ كلِّ مَزادٍ^(١٠)
بعذبِ صَقِيلِ الطَّرْتِينِ بُرادٍ^(١١)

(١) المعنى: ولم يقلقني أن النوم امتنع عني ليلاً ونهاراً لأنني أصلاً لا ألوذ بالفراش حزناً عليه.
(٢) المعنى: فإن أنا لم أبذل جسمي لك حداداً عليك فما هو قلبي ينضح بالحزن في ثياب العزاء.
(٣) المعنى: وكم آلمتني المصيبة التي بلغتني بعد استلقائي للنوم، فحرمت النوم عن عيني.
(٤) المفردات: الحيزوم: الصدر. الآد: القوة.

المعنى: وكان للنعي أثر كبير فيّ؛ فقد أفقدني اصطباري المعروف، وضيق صدري، وأنهك قوتي.

(٥) المعنى: وأحدث في نفسي قلقاً عشت كل هذا العمر ولم أر مثله.

(٦) المفردات: القضيف: الملقى على القضض، وهو الحصى المتفتت.

المعنى: ومن حزني كأن مستلق على الحصى، وفراشي ممهد من غير أرائك.

(٧) المعنى: ولما جاءني نعيك تمنيت ألا أكون عرفتكَ ولا كنت من أصحابي زوار داري.

(٨) المفردات: العقوة: ما حول الدار.

المعنى: وكم كنت أتمنى لو لم تحل ركابك في ساحة منزلي، تفد عليها صباحاً ومساءً لحب منك لي.

(٩) المعنى: وقد أدركت أضلاعي الفرق بين القرب والشوق الذي كان والبعد الذي جرى الآن.

(١٠) المفردات: المزاد: مفرداها المزايدة، وهي قرية الماء.

المعنى: يدعو الشاعر للميت الذي لن يعود بالسقيا وبحلّ زمام قرب الماء جميعاً.

(١١) المفردات: الأسحَم من السحاب: الأسود. المسبل: الماطر. صَقِيل الطرّتين: أبيض

لماع الجوانب. البراد: البارد.

له من وميض البرق ثوبٌ مَعْصَفَرٌ^(١) ومن رعدِه وهنًا زَماجرُ حادٍ^(٢)
ولا زالتِ الأنواءُ يَسْقِينُ ثُربَهُ إذا رائحٌ ولَّى تَصَوَّبَ غادٍ^(٣)
بلا موعِدٍ تَخشى له النَّفسُ خُلفَةً وخيرُ اللُّها ما لم تكن بوعادٍ^(٤)

- 166 -

وقال وكتب بها إلى الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم، وكان الوزيرُ بحلة
غريب بن مقن العقيلي^(٥): [من الطويل]

هل الدَّارُ تَدري ما أثارَتْ من الوجدِ عشيَّةٌ عثَّتْ للنَّواظِرِ مِنْ بُغْدٍ؟^(٦)
بكيثٌ ولولا نظرةٌ بمحجَّرٍ إلى الدَّارِ لم تجرِ الدَّموعُ على خَدَيَّ^(٧)
أيا صاحٍ لولا أنَّ دمعِي لم يَطِخْ وقد لاحَ رِسمُ الحيِّ لم تدرِ ما عندي^(٨)
كتمتُك وجدي طولَ ما أنتَ صاحبي فنادتْ دموعُ العينِ مِنِّي على وَجدي^(٩)
ولما أقرَّ الدَّمْعُ بأنَّ لك الهوى فلم يُغنِ إنكارِي الغرامَ ولا جَحدي^(١٠)
تذكَّرتُ نجدًا بعد ما عُرتُ موهِنًا وأينَ امرؤٌ بالغُورِ من ساكِنِي نَجْدٍ؟^(١١)

=المعنى: وأنزل عليه أمطار السحب السوداء بمياه عذبة صافية باردة.

(١) المفردات: المعصفر: الأصفر المصبوغ بالعصفر. وهنًا: منتصف الليل.

المعنى: ولهذه السحب السوداء لمعان برق أصفر، ولرعدُها ليلاً زمجرة الحادي.

(٢) المعنى: وأدام الله الأمطار تسقي تربته تباغًا؛ تذهب واحدة لتأتي أختها.

(٣) المفردات: اللها: مفردُها اللهوة، وهي العطية.

المعنى: تسقيه من غير إعلام تتوقعه النفس، وخير العطايا ما لم يكن على موعد مسبق.

(٤) سبق ذكره.

(٥) المعنى: أتعلم ما فعلت الديار بي من الإثارات مساء بدت لي من بعيد؟

(٦) المفردات: محجر: اسم موضع.

المعنى: شرعتُ يبكاني حتى إذا وقع بصري على الدار بمحجر انهلت دموعي على خدي.

(٧) المفردات: لم يطخ: من الفعل طاح يطوح، أي تاه وفُقد.

المعنى: كنت أكنم هواي ولولا أن دمعِي ضل وسال حين رأى رسوم الحي لم تعرف يا

صاحبي ما بي.

(٨) المعنى: لم أبح لك بوجدي طول أيام علاقتنا، لكن دموع عيني صاححت حبًا.

(٩) المعنى: وحين اعترف الدمع انكشف لك مقدار حبي، فلا يمكن بعدئذ أن أنكره.

(١٠) المفردات: غرت: دخلت الغور. الموهن: الداخل في وقت الوهن وهو منتصف الليل. =

وأذكرني شبه القضيبي - ونحن في
ومُعْتَجِرَاتِ بِالْجَمَالِ كَأَنَّمَا
لَهْنٌ صَبَاحٌ مِنْ وَجْهِ مُنِيرَةٍ
غَلَبْنَ عَلَى وَدِّي وَلَوْلَا مُحَاسِنُ
وَشَرَحَ شَبَابٍ كُنْتُ أَحَقُّرُ فَضْلَهُ
أَمَنْتُ بِهِ بَيْنَ الْغَوَانِي وَظَلُّهُ
وَقَدْ قُلْتُ لَمَّا ضَقْتُ ذَرْعًا بِخُطَّةٍ
فَتَى كَانَ دِرْعِي يَوْمَ تَحْصِيْبِي الْعِدَى
وَمَا جِئْتُه وَالرُّشْدُ عَنِّي بِمَعْزِلٍ
ظَهْوِرِ مَطَايَا - قَضِيْبٌ مِنَ الرُّنْدِ^(١)
بَسْمَنَ إِذَا يَسْمَنُ عَنْ لَوْلُو الْعِقْدِ^(٢)
تَخَلَّلَهَا لَيْلٌ مِنَ الْفَاحِمِ الْجَعْدِ^(٣)
جَلَوْنَ عَلَيْنَا مَا غَلَبْنَ عَلَى وَدِّي^(٤)
- إِلَى أَنْ مَضَى - وَالضُّدُّ يُعْرَفُ بِالضُّدِّ^(٥)
عَلَيَّ مُقِيمٌ مِنْ بَعَادٍ وَمِنْ صَدِّ^(٦)
شَمُوسِ الْقَرَا: أَيْنَ الْوَزِيرُ أَبُو سَعْدٍ؟^(٧)
وَيَوْمَ ضِرَابِي لِلطَّلَى مَوْضِعَ الرُّنْدِ^(٨)
فَأُطْلَعَنِي إِلَّا عَلَى ذِرْوَةِ الرُّشْدِ^(٩)

=المعنى: حين وصلت إلى الغور من تهامة في مسيري به ليلاً عن على خاطري نجد . .
وكم هي المسافة بعيدة من غور تهامة إلى نجد!

(١) المفردات: الرند: الآس البري.

المعنى: وبينما كنا في مسيرنا على مطاينا لمحت غصناً شبيهاً بالقضيبي، فترامى إلى
خاطري قضيبي لدن من الآس البري، ويعني به محبوبته.

(٢) المفردات: المعتجرات: الملتفات.

المعنى: (مستخدماً صيغة الجمع ويعني المفرد) تذكرتهن وقد التففن بالجمال، وحين
تبسمن كشفت بسمتهن عن أسنان كاللؤلؤ المنضود في العقد.

(٣) المفردات: الفاحم الجعد: صفة للشعر الأسود غير المسترسل.

المعنى: يشبه الشاعر وجهها بالصباح المشرق وشعرها بالليل الأسود الحالك السواد.

(٤) المعنى: جذبتني بحبها، ولولا جمالها الواضح ما جذبت إليها.

(٥) المعنى: حين كنت في عنفوان شبابي ما كنت أحبه حتى ولت أيام الشباب، ولا يُعرف
الضد إلا بالضد، واليوم عرفت فضله.

(٦) المعنى: وهذا الضد، يعني الشيب، ضمنت به راحتي عند الصبايا فليس غير البعد
والصد.

(٧) المفردات: الشموس: الصعبة الممتنعة. القرا: الظهر.

المعنى: وحين تضايقت من صدودهن انقدحت في ذهني خطة قوية فتساءلت مستنجداً:
أين وزيرنا أبو سعد؟

(٨) المفردات: الطلى: مفردها الطلية، وهي الرقبة.

المعنى: هذا الوزير كان الدرع الذي أتقي به وأضعه على زندي، لقطع أعناق أعدائي.

(٩) المعنى: ولم أقصده مسترشداً إلا قدّم لي أفضل النصيح مما يغرب عني.

- وكم لك فيما بيننا من مواقف
فبالسيف طورًا تولج الناس للهدى
وأنت حميت الملك من كل طالع
على كل مطواع إذا سُمته ردى
كأنك منه فوق غارب عاصف
وما لسفاه بل لفرط شجاعة
كأنك من بأس لبست قميصه
وما لك في هزل معاج وإنما
ولم يبق حلم أنت مالك رقه
فيا نازحًا عني وما لي بعده
- تسلمت فيها ربة الحمد والمجد^(١)
وطورًا بأسباب التكرم والرّفد^(٢)
عليه كما تحمي العرينة بالأسد^(٣)
وإن لم تسفه جزيه فهو لا يردي^(٤)
من الريح أو في ظهر هني من الرّبذ^(٥)
نزعت جلايب المضاعفة السرد^(٦)
لدى الروع في حشد وما أنت في حشد^(٧)
أتيت كما يؤتى الرجال من الجد^(٨)
بقلبك بعد الصفح شيئًا من الحقد^(٩)
على جور أيام إذا جرن من معد^(١٠)

(١) المفردات: الربة: العروة في الحبل.

المعنى: وأذكر لقاءات عديدة بيننا كنت فيها ممسكًا بزمام الأمور والرقى.

(٢) المفردات: تولج: تدخل. الرّفد: العطاء.

المعنى: وأنت تضوي الناس تحت كنفك إما بالسيف وإما بالسقاء.

(٣) المعنى: وكنت للملك حاميًا من كل نائبة تمامًا كالأسد الذي يحمي عرينه.

(٤) المفردات: يردي: يسرع بعنف. سام الخيل: أرسلها.

المعنى: تدافع عنه بجواد ينقاد لك ويسرع إن أرسلته، وإن لم ترسله لم يسرع.

(٥) المفردات: الغارب: الكاهل، وهو ما بين الظهر والسنام. الهيق: ذكر النعام. الربد: مفردها الربداء، وهي النعامة، أو الأربد ذكرها.

المعنى: تبدو وأنت تمتطي جوادك كأنك تركب ظهر ربح عاصفة، أو ظهر ظليم سريع.

(٦) المفردات: الجلايب: مفردها الجلاب، وهو الثوب أو القميص. السرد: حلق الدرع.

المعنى: وأنت حين تحارب لا ترتدي دروعك وليس عن غباء بل عن شجاعة فائقة.

(٧) المعنى: وتبدو للعيان كأنك ترتدي الدرع لما تبدي من قوة أمام حشود العدو، وما هم بحشود أمامك.

(٨) المفردات: المعاج: المكان الذي تعطف عليه.

المعنى: ولست ممن يميلون إلى الهزل، وإنما قصدت من الجد كما يقصد الرجال.

(٩) المعنى: وحلمك الواسع المشهود له لا يقبل أن يحقد إذا صفح عن المسيء، ذلك أنك مالك حلمك.

(١٠) المفردات: النازح: البعيد. المعدي: المعين.

أما آنَّ للقربِ الَّذي كَانَ بيننا فولَّى حَمِيدًا أَن يُدَالَ مَن البُعْدِ؟^(١)
ولم تَكْ دَارٌ أَنتَ فيها بعيدةٌ ولكُنِّي بالعذرِ في حَلَقِ القِدِّ^(٢)
وما أَنَا إِلَّا سائرٌ كُلَّ طُرُقِ إِلَيْكَ على عُرِيِ المِطْهَمَةِ الجُرْدِ^(٣)
فكم وطنٍ بالوُدِّ مِنِّي سَكَنَتْهُ وإنَّ لم أَجُرِّزْ في جوانِبِهِ بُزْدِي^(٤)
بقلبي كُلِّمَ مِن فراقِكَ مؤلِّمٌ وكم بالفتَى كُلِّمَ وما حَزَّ بالجِلْدِ^(٥)
ودمعي على ما فاتني منك قاطرٌ كأَنِّي دونَ النَّاسِ فارَقْتُني وَحْدِي^(٦)
سَقَى اللهُ أَيَّامًا مَضَيْنَ وَأَنْتَ بي حَفِيٌّ قَرِيبُ المُلْتَقَى سَبِلُ الرَّعْدِ^(٧)
لَهْنٌ بقلبي عَبَقَةٌ أَرْجِيَّةٌ تَبْرَحُ بالثَّفَحَاتِ من عَنِيرِ الهِنْدِ^(٨)
وقد حَالَ فينا كُلُّ شَيْءٍ عَهْدُهُ فلم يَبْقَ محفوظًا عَلَيْكَ سِوَى عَهْدِي^(٩)
ولولا هَنَاءٌ كُنْتُ أَقْرَبَ مَنْزِلًا وما كُلُّ سِرٍّ في جوانِحِنَا نُبْدِي^(١٠)

=المعنى: فيا أيهذا البعيد عني، ومن لا أجد معينًا غيره على رد ظلم الزمان.

(١) المعنى: ألم يَأْنِ أَنْ نستعيد لقاءنا بعد أن طال البعد من غير أذى؟

(٢) المفردات: القِد: قيد جلدي.

المعنى: إن دارك في الواقع ليست بعيدة ما دمتَ أنتَ فيها، لكن أعذاري كَبَلْتَنِي عن زيارتك.

(٣) المفردات: الطُرُق: الطريق. فرس عري: غير مُسْرَج. المِطْهَمَةُ: التامة الحسن. الجرد: مفردا الأجرد، وهو القصير الشعر من الخيل، وهي صفة حسن.

المعنى: وإنني قادم إليك الآن أقطع كل طريق مسرعًا على جواد غير مسرج.

(٤) المعنى: فقد استوطنت ديارًا كثيرة وتنقلت فيها من غير أن أطيل المكوث أو أسعد.

(٥) المفردات: الكلم: الجرح.

المعنى: إن فؤادي جريح على فقدك متألم، وآلام المرء كثيرة، ومنها ما يحزُّ بالرقبة.

(٦) المعنى: إن دموعي تهطل على ما أضعته من بعدك، كأني أنا الوحيد الذي فارقتني.

(٧) المفردات: الحَفِيّ: المبالغ في الأكرام والعارف للأمور. السَبِل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض.

المعنى: رحم الله أيام تلاقينا كنت فيها عطوفًا سخيًا في غاية السخاء سهل اللقاء.

(٨) المعنى: ولهذه الأيام ذكريات عطرة تنضح بأريج عنبر الهند.

(٩) المعنى: أما الآن فقد تحول كل شيء عن المعهود، فلم يبق شيء من الماضي سوى عهد المحبة.

(١٠) المفردات: الهنات: الداهية. الجوانح: الصدور.

المعنى: ولولا مصيبة حلت بي لدنوتُ من منزلك، لكننا لا نستطيع أن نبوح بكل أسرارنا.

فَإِنْ تَنَّا فَالْعَيُوقُ نَاءٍ وَإِنْ تَغِبَ
 وَلَا خَيْرَ فِي وَادٍ وَأَنْتَ بغيرِهِ
 وَإِنِّي مَغْمُودٌ وَإِنْ كُنْتُ بَاتِرًا
 فَإِنْ كُنْتُ يَوْمًا لَسْتُ تَرْضَى ضَرْبَةً
 لِحَا اللَّهِ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُمْ
 وَلَمْ يُرَ إِلَّا الْهَزْلُ يَنْفُقُ عَنْهُمْ
 وَمُخْتَلَطًا فِيهِ الذُّوَابُ كَالشَّوَى
 وَكَمْ فِيهِمْ لِلْجَهْلِ مَيْتٌ وَرَبِّمَا
 فَيَا لَيْتَ أَدَوَاءَ الزَّمَانِ الَّتِي عَصَتْ
 وَلَيْسَ وَفَاءً لِلْجَمِيلِ بِمَوْعِدٍ
 وَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ حَقُوقٍ كَثِيرَةٍ
 فَقَدْ غَابَ عَنَّا بُرْهَةٌ كَوَكَبُ السَّعْدِ^(١)
 وَمَا الْعَيْشُ مَطْلُولًا خِلَافَكَ بِالرَّغْدِ^(٢)
 وَلَا بَدْ يَوْمًا أَنْ أُجْرَدَ مِنْ غِمْدِي^(٣)
 فَإِنَّكَ تَرْضَى بِالضَّرْبَةِ عَنْ حَدِّي^(٤)
 بِتَيْهَاءٍ لَا تَذْنُو ضَلَالًا عَنِ الْقَصْدِ^(٥)
 فَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي، إِذَا بَعْتُهُ، جَدِّي؟^(٦)
 وَحُرُّهُمْ مِنْ لُبْسَةِ الذُّلِّ كَالْعَبْدِ^(٧)
 يَمُوتُ أَمْرًا لَمْ يَطْوِهِ الْقَوْمُ فِي اللَّحْدِ^(٨)
 وَأَغَيْتَ عَلَى كُلِّ الْمُدَاوَاةِ لَا تُعْدِي^(٩)
 لَدَيَّ وَيَأْتِينِي الْقَبِيحُ بِلَا وَغْدٍ^(١٠)
 أَنْفَنَ عَلَى حَصْرِي وَأَعْيَا بِهَا عَدِّي^(١١)

- (١) المفردات: العيوق: نجم أحمر يتلو الثريا.
 المعنى: وأنت مهما بعدت تظل لامعًا، فالعيوق نجم مضيء وهو بعيد، وإن غبت فكان كوكب الحظ غاب عنا.
- (٢) المفردات: العيش المطلول: الناعم البهيج.
 المعنى: لا حبذا السكن في وادٍ لست فيه، ولا عيشًا رغيدًا بدونك.
- (٣) المعنى: مع أنني سيف قاطع، إلا أنني في غمدي الآن، وسأجرد من غمدي حتمًا يومًا.
- (٤) المعنى: فإن كنت لا تقبل سجية منك فستقبل الضرب لحد الخاطيء وهو أنا.
- (٥) المفردات: لحا الله فلانًا: قبحه ولعنه. التيهاء: التي تضل الناس.
 المعنى: قبح الله أناس هذا العصر فإنهم في ضلالة لا تبلغهم مآربهم.
- (٦) المعنى: إنهم ميالون إلى الهزل والاستخفاف في كل حياتهم، وإن جدي كثير، فهل من يشتري؟
- (٧) المفردات: الذوائب: مفرداتها الذوابة، وهي شعر مقدم الرأس. الشوى: الأطراف.
 المعنى: لقد اختلطت الأمور عندهم، فضاعت الرؤوس بالأطراف، وتساوى السادة مع العبيد.
- (٨) المعنى: والجهل الذي عم بينهم كالموت، وقد يعد الناس موتى من غير أن يدفنوا.
- (٩) المعنى: وكم أتمنى ألا تعدي الأمراض المستعصية في هذا العصر.
- (١٠) المعنى: وإن ما أقوم به من العمل الجميل للناس لا يأتيني رده، في حين أن سوء تصرفهم يأتيه من غير أن أنتظره.
- (١١) المفردات: أنفن: زدن.

فإن فُتِنَ حَمْدِي كثرةً وزيادةً فَلَلهِ دَرُّ الفَائِتَاتِ مَدَى حَمْدِي^(١)
وإني لَمُهْدٍ كُلَّ يومٍ قصيدةً إِلَيْكَ وما يُهْدِي الأَنَامُ كما أُهْدِي^(٢)
يسيرُ بها عَنِّي الرُّوَاةُ، وإنَّها لَتَخْدِي وما تَخْدِي الرُّوَاةُ كما تَخْدِي^(٣)
من الكَلِمِ الباقي على الدَّهْرِ خالداً وكم كَلِمٍ لم يُؤْتَ شيئاً من الخُلْدِ^(٤)
هو الماءُ طَوْرًا رِقَّةً وسلاسةً وطَوْرًا إذا ما شئتَ كالحجرِ الصَّلْدِ^(٥)
وما قَدْ إِلَّا من قلوبٍ أديمُهُ فليسَ له فيهنَّ شيءٌ من الرَّدِّ^(٦)
فخذهُ رسولاً نائباً عن زيارتي فَإِنَّ قَصِيدِي فِيكَ أنْفَعُ مِن قَصْدِي^(٧)
ودُمَ لجلالٍ لستَ فيه مُشَارِكاً وبذلِ النَّدى في النَّاسِ والحلِّ والعَقْدِ^(٨)

- 167 -

وقال في الافتخار: [من الكامل]

باللهِ يا أَيَّامَ يثربَ عُودِي عُودِي لَبْلٌ حُشَاشَةِ المَعْمُودِ^(٩)
ما كَانَ أنْضَرَ بينهنَّ مَحَاسِنِي فِي أعْيِنِ رُمُقٍ وأخْضَرَ عودِي!^(١٠)

=المعنى: إن أفضالك عليّ عميمة لا يمكنني عداها ولا حصرها.

(١) المعنى: فإن فاقت أفضالك شكري فإنني أرجو الله أن يمكنني من الحمد لله.

(٢) المعنى: وإني أضع بين يديك كل يوم قصيدة هدية، وهديتي تختلف عن هدايا الناس.

(٣) المفردات: تخدي: تسرع.

المعنى: يتناقلها الرواة ويذيعونها، ولكنها تنتشر بين الناس بأسرع من الرواة.

(٤) المعنى: إنها من الكلام الباقي مع الزمان، وما كل كلام بخالد.

(٥) المعنى: وكلامي هذا حيناً رقيق سلس، وحيناً قاسٍ كالجلمود.

(٦) المفردات: قَدْ: قطع. الأديم: الجلد.

المعنى: ولم ينبع هذا الكلام إلا من القلب، ولا ردُّ لهذا الكلام.

(٧) المعنى: فتقبل شعري رسولاً إليك نائباً عن زيارتي فهو أجدي مني.

(٨) المعنى: وليدملك الله في مقام لا يرقى إليه أحد، ولا مثيل لك في الكرم وحل معضلات الأمور.

(٩) المفردات: الحشاشة: بقية الروح. المعمود: المريض.

المعنى: عودي ثانية يا أيام المدينة أرجوك كي تسعفي المريض المعنى.

(١٠) المفردات: الأعين الرمق: الحاسدات.

المعنى: لقد كان عودي تلك الأيام أخضر جميلاً بين الصبايا في أعين الحساد.

أَيَّامَ لَمْ يَحِنْ الثَّوَابُ صَعْدَتِي بِمُرُورِهِنَّ وَلَا لَوْنِنَ عَمُودِي^(١)
 كَلَّا وَلَا عَبَثَتْ بُيُضَاتُ الرَّدَى فِي مَفْرَقِي أَوْ عَارِضِي بِسُودِ^(٢)
 يَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ حَبَائِي وَالشَّيْبُ فِي فَوْدِي غَيْرُ بَعِيدِ^(٣)
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَقَدْ نُزِعْتُ شَبِيبَتِي أَنْ لَا نَصِيبَ فِي الظَّبَاءِ الْغِيدِ^(٤)
 قَدْ كَانَ لِي سَهْمٌ سَدِيدٌ فِي الدُّمَى لَكِنَّهُ بِالشَّيْبِ غَيْرُ سَدِيدِ^(٥)
 قُلْ لِلَّتِي ضُنْتُ عَلَيَّ بِنَظَرَةٍ ذَاتِ اللَّمَى وَاللَّوْلُؤِ الْمَنْضُودِ: ^(٦)
 لِمَ تَأْسَفِينَ عَلَى الْمَحَبِّ بِقُبْلَةٍ؟ فَكَأَنَّ ثَغْرًا مِنْكَ غَيْرُ بَرُودِ! ^(٧)
 خَلَّى الْقُطُوبَ مِنَ الْأَسْرَةِ وَاکْتَفَى عَنْ عَقْدِهِنَّ بِفِرْعَكِ الْمَعْقُودِ ^(٨)
 أَنْتِ الطَّلِيقَةُ فِي هَوَاهُ فَاعْلَمِي وَتَحْكَمِي فِي الْمَوْثِقِ الْمَصْفُودِ ^(٩)
 قَدْ كُنْتُ جَلْدًا فِي الْهَوَى لَكُنِّي يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَيْهِ غَيْرُ جَلِيدِ ^(١٠)
 كَمْ فِي الْهُوَادِجِ مِنْ قَضِيبٍ مَائِسٍ أَوْ مُرْتَوٍ مَاءَ الصُّبَا أُمْلُودِ ^(١١)

(١) المفردات: الصعدة: القناة المستوية.

المعنى: في تلك الأيام في شبابي ونضارتي لم تستطع المصائب أن تحني قامتي حين كن يمررن.

(٢) المعنى: كما لم تعبت الشعرات البيض - أساس الموت - في شعري.

(٣) المفردات: الفودان: جانب الرأس.

المعنى: ما أبعد المسافة بيني وبين أحبتي! في حين أن الشيب غير بعيد من طرفي رأسي.

(٤) المعنى: وإنني لأعلم بعد أن حل الشيب ورحل الشباب، أن لا نصيب لي في الغزالات الحسان.

(٥) المعنى: كان لي حظ كبير في الحسان الجميلات كالدمى، لكن أهدافي بدأت تنحرف بعد شيبتي.

(٦) المفردات: ضنت: بخلت. اللمى: سمرة مستحسنة في الشفاه. المنضود: المنتظم.

المعنى: قل لذات الشفاه والأسنان المنتظمة والتي بخلت علي بنظرة:

(٧) المفردات: البرود: البارد.

المعنى: قل لها لماذا تبخلين على المحب بقبله؟ أرضابك غير بارد؟

(٨) المفردات: الفرع: الشعر. الأسرة: مفردا السرير (هنا): مستقر الرأس من العنق.

المعنى: دعي عنك تقطيب جبينك، واكتفي بأن تعقدي التقطيبات على شعرك المربوط.

(٩) المعنى: لك الأمر في حبه فاعلمي هذا، ولك أن تتصرفي في هذا المقيد المصفد.

(١٠) المعنى: لقد كنت صبورًا في حبي، وفقدت هذا الصبر يوم الفراق.

(١١) المفردات: المائس: المتمايل. الأملود: الناعم الغض.

المعنى: كثير من الصبايا المتمايلات كالقضبان اللدنة، والمسقية بماء الشباب الغض في =

ما إنْ دَرى ماذا إليه يقودني من حُبِّه وَيَعُودني من عيدي^(١)
 ما لي وقد لفَّ الصُّباحُ خيامهم غيرُ الزَّفيرِ وأثَّةِ المورودِ^(٢)
 ومُماطِلٍ إنْ جاءَ يوماً وعدُّه غَلَطًا ومَكْرًا ضنَّ بالموعودِ^(٣)
 في جِده من حَسَنِ حَلْيٍ له والحَلْيُ خيرٌ منه حَسَنُ الجِيدِ^(٤)
 لي فُرقتان ففرقةٌ بيدِ النوى أو فرقةٌ لتجَنَّبِ وُصْدودِ^(٥)
 قُلْ للذي ساقَ الظَّعائنَ: ربِّما سَوَّقتَ قلبي بينَ تلكَ البِيدِ^(٦)
 ورميتَ في قلبي وفي عيني معًا بالنَّارِ ذاكَ وتلكَ بالتَّسْهِيدِ^(٧)
 وإذا دموعي يومَ سِلَنَ شَهدنَ بالـ ووجدِ المبرِّحِ لم يُفْذكِ جُحودي^(٨)
 ما ضرَّ مَنْ يَسْري سُرَاهُ ووجههُ خلفَ البدورِ على لِيالٍ سُوْدِ^(٩)
 في ليلةٍ بُزْدُ السَّماءِ موشَّحٌ بنجومها والنجمُ كالعنقودِ^(١٠)
 في كلِّ يومٍ تستجدُّ قَطيعةً وجديدُ لؤمِ المرءِ غيرُ جديدي^(١١)
 يا صاحبي فُزْ بالرَّشادِ واخلُني فلقد رضيتُ أَكُونُ غيرَ رشيدِ^(١٢)

=هذه الهواذج.

- (١) المعنى: إنه لم يعلم ما الذي يدفعني إليه من حبه ويسعدني في عيدي.
- (٢) المفردات: المورود: الذي وردت عليه الحمى.
- المعنى: حين أشرقت الشمس على خيامهم لم يبق لي سوى الزفير وأنين المحموم.
- (٣) المعنى: محبوبي يماطلني في لقائه، فإن جاء يوم الوعد المضروب غاب عن الحضور بخلاً ومكراً.
- (٤) المعنى: إن جمال جده زينة له، وجمال الجيد أفضل من الحلبي.
- (٥) المعنى: فأنا بين فراقين: فراق بسبب البعد، وآخر لبعدها وصدّها عني.
- (٦) المعنى: قل للحادي الذي يسوق الظعائن: حنانك فقد قدت قلبي معك في الصحراء.
- (٧) المعنى: ورميت قلبي بالنار وعيني بالأرق.
- (٨) المعنى: ولو أن دموعي يوم هطلت برهنت على حبي الشديد ولم ينفعك نكراني لحبك.
- (٩) المعنى: إنه لا ينفع أن يسافر ليلاً امرؤ ووجهه نحو الصبايا كالأقمار في ليال مظلمة.
- (١٠) المعنى: في تلك الليلة كانت السماء مزدانة بوشاح موزع النجوم.
- (١١) المعنى: إنها تبحث عن سبب للقطيعة كل يوم، وليس غريباً على اللئيم أن يجدد في لؤمه.
- (١٢) المعنى: لا تنصحني يا صاحبي ودعني، فأنا راض على عدم انتصاحي.

هب لي الملام على الغرام فأني
 قُمْ سَلْ قلبي كيف شئت ولا تَرْمُ
 لا تسألني أن أعيش بلا هوى
 قد كنت جاري في شبيهة أعصري
 وامزج صفاء قد عداك برمقه
 ما إن رأيت ولم أكن مُستثنيا
 وإذا التفتُ إلى الذين ذخرتهم
 أنا بينَ خالٍ من جميلِ قلبه
 وإذا صُددتُ عن المواردِ جمَّةً
 لا بُلُغتُ عِسي مَداها إن نَحَتَ
 ملآنٌ من عذلٍ ومن تَفْنيدٍ^(١)
 منه السُّلُوْ عن النِّساءِ الرُّودِ^(٢)
 فيهنَّ واسأل طارفي وتليدي^(٣)
 فكن المجاورَ في الزَّمانِ المُودي^(٤)
 واخلطَ زمانًا ناعماً بشديدٍ^(٥)
 في هذه الأيام من محمودٍ^(٦)
 لشديدي لم ألفِ غيرَ حَسودٍ^(٧)
 ومن القَبِيحِ وبينَ كلِّ حَقودٍ^(٨)
 فمتى يكونُ وقد ظمئتُ ورودي؟^(٩)
 غيرَ الكرامِ وقِيَّدتُ بقيودٍ^(١٠)

(١) المفردات: التَفْنيد: التقرير.

المعنى: افترض أنك تلومني على حبي، فاعلم أنني مفعم بالعتاب والتقرير.

(٢) المفردات: الرود: الشابة الحسنة.

المعنى: الأفضل لي أن تعمد إلى تسليتي بالطريقة التي تراها، شريطة ألا تعمد إلى نسياني النساء الشابات.

(٣) المفردات: الطارق: المال الحديث. التليد: المال القديم الموروث.

المعنى: لا تطالبني بالعيش بدون الجميلات، واسأل قديمي وجديدي عنهن ما أكثره.

(٤) المفردات: المودي: المهلك.

المعنى: لقد كنت جاري أيام شبابي، فلماذا لا تكون مجاوري في هذا الزمان الهالك؟

(٥) المفردات: الرنق: الكدر.

المعنى: وما عليك سوى أن تمزج صفاء الأيام بما دهاك بكدره، وأياماً حلوة بقاسية.

(٦) المعنى: إنني مع الأسف لم أر يوماً سعيداً في هذه الأيام قط.

(٧) المعنى: ولو أنني نظرت حولي من الأصحاب الذين توقعت مساعدتهم لم أجد أحداً سوى الحسود.

(٨) المعنى: إنني غارق في خضم أناس إما قلوبهم خالية من فعل الجميل، وإما ميالون إلى القبح، وإما حقودون.

(٩) المعنى: فإن منعت عن الاقتراب من المنابع الكثيرة، فمتى يسمح لي بالشرب وأنا ظامى؟

(١٠) المعنى: لا أبلغ الله نوقي إلى مبتغاها، وقيدتها بقيوده، لو أنها قصدت غير الكرام.

إِنَّ لَمْ أَثَرَهَا كَالْقَطَا نَحْوَ الْعُلَا يَطْوِينَ بِالْإِرْفَادِ كُلَّ صَعِيدٍ^(١)
 وَتَلَفُ أَيْدِيهَا عَلَى طَوْلِ الْوَجَا لَفَّ الْإِزَارِ تَهَائِمًا بِنَجُودٍ^(٢)
 لَا تَسْتَفِيقُ مِنَ الدُّؤُوبِ وَإِنَّمَا يَضْرِبْنَ بِيَدًا فِي الْفَلَاةِ بَبِيدٍ^(٣)
 فَعَرِيتُ فِي يَوْمِ الْفَخَارِ عَلَى الْوَرَى مِنْ فخر آبَائِي وَفخرِ جُدُودِي^(٤)
 قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا بِدَاعِيَةِ الْوَعَى طَلَعُوا النُّجَادَ عَلَى الْجِيَادِ الْقُودِ^(٥)
 لَا يَعْبُوْنَ إِذَا الرَّمَاخُ تَشَاجَرَتْ يَوْمًا بِمَا نَسَجَتْ يَدَا دَاوُدَ^(٦)
 وَدَفَاعُهُمْ وَقَرَاعُهُمْ أَدْرَاعُهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مِنْ طَعْنِ كُلِّ وَرِيدٍ^(٧)
 سَادُوا أَكَابَرَ قَوْمٍ كُلِّ عَشِيرَةٍ مِنْ قَبْلِ قَطْعِ تَمَائِمِ الْمَوْلُودِ^(٨)
 فَإِذَا سَرَخَتْ الطَّرْفَ بَيْنَ بَيُوتِهِمْ لَمْ تَلَقَ غَيْرَ مُغَبَّطٍ مُحْسُودٍ^(٩)
 وَأَنَا الَّذِي أَطْلَقْتُ أَسْرَ سَمَاحَةٍ فِي النَّاسِ أَوْ أَنْشَرْتُ مَيِّتَ الْجُودِ^(١٠)
 مَا الْفَرْقُ إِنَّ لَمْ أُعْطِ مَالِي مُغْدَمًا مَا بَيْنَ إِعْدَامِي وَبَيْنَ وُجُودِي؟^(١١)

- (١) المفردات: الإرفاد: ضرب من السير السريع. الصعيد: وجه الأرض.
 المعنى: وإن لم أتحها على أن تطير كالقطا نحو المراتب العالية، لتقطع المسافات بسرعة.
- (٢) المفردات: الوجا: الحفا أو أشد منه. تهائمًا ونجودًا: منخفضات ومرتفعات.
 المعنى: والنوق تسرع وهي تلف أطرافها حافية لتقطع التهائم والنجود كما يلف الإزار.
- (٣) المفردات: الدؤوب: التعب مع المتابعة للسير.
 المعنى: لا تصحو من تعب السير، بل تتابع سيرها بيدًا خلفها بيد.
- (٤) المعنى: أنا إن لم أفعل هذا العناء خسرت أمام الناس في يوم افتخاري بآبائي وجدودي.
- (٥) المفردات: القود: مفردا الأقود، وهو الجواد الذي طال ظهره ورقبته.
 المعنى: وهم قوم إذا نودي للحرب صعدوا الروابي بجياد قوية.
- (٦) المعنى: وهم لا يهابون تضارب الرماح لأنهم يرتدون دروعًا صنعها النبي داود.
- (٧) المعنى: وهم يدافعون عن أنفسهم ويقارعون خصومهم بهذه الدروع بالطنع يوم الحرب.
- (٨) المفردات: التمايم: مفردا التميمة وهي ما يعلق على الطفل حماية له من العين.
 المعنى: سادوا العرب منذ طفولتهم، بل قبل أن يقطعوا التميمة التي تعلق للرضع والصغار.
- (٩) المعنى: وإذا نظرت حول منازلهم من رجال وجدتهم جميعًا ذوي مكانة، فإما هم محسودون من الخصوم، وإما هم مغبطون من المحبين.
- (١٠) المفردات: أنشرت: أحييت؛ من النشور.
 المعنى: وقد كانت سماحتهم مطوية فأشعتها بين الناس، وكان كرمهم موجودًا فأحييته.
- (١١) المعنى: فلماذا لا أوزع أموالي الزائلة في حياتي؟

فلو أنَّ حاتمَ طيٍّ وقبيلَه
 ما للرجالِ إذا هُم حَذروا سِوى
 لم أتُلْ قطْ مسرَّةً بمضرَّةٍ
 نقضُ الجبالِ الشَّم لا يُغيي وقد
 وإذا عقدتُ فليس يطمع طامعٌ
 والحادثاتُ إذا طرَقنَ فلم أكنْ
 إنْ أضحَ عَضْبًا فالقًا قِمَمَ العِدَى
 ليس الأسودُ - وإنْ مُنِعنَ فرائسًا
 وإذا قعدتُ فسوف تبصرُ أعينُ
 أنا مُلجَمٌ بالحزمِ عن قولي الذي
 حتى متى أنا في ثيابِ إضامةٍ
 ألوى عن الأوطانِ لا تَذنو لها
 وفدوا عليَّ تعلَّموا من جُودي^(١)
 حَرَمي الأمينِ وظلِّي الممدودِ^(٢)
 فيهم ولا وِغْدًا لهم بوعيدِ^(٣)
 أعيًا على الأيَّامِ نقضُ عهودي^(٤)
 في أن يحلَّ براحتيه عُقودي^(٥)
 عنهنَّ نَوَامًا ولا بهجودِ^(٦)
 فلربَّ عَضْبٍ عِيقٌ عن تجريدِ^(٧)
 ورَبَضنَ في الغاباتِ - غيرَ أسودِ^(٨)
 منِّي قيامي في خلالِ قُعودي^(٩)
 لو قلته لأشَبْتُ كلَّ وليدِ^(١٠)
 أقري المناجي زفرةً المجهودِ؟^(١١)
 كفايَ ليَّ الأرقمِ المطرودِ^(١٢)

- (١) المعنى: ولو أن حاتم طيء وأهله عادوا إلى الحياة ووفدوا علي لتعلموا ما لم يعلموه من كرمي.
- (٢) المعنى: وإذا ابتعد القوم عن دياري الآمنة وكنفي الواسع حرما من كل شيء.
- (٣) المعنى: طبعي أن أمنح المسرات من غير أن أعقبها بالمضرّات ولا أقدم الوعد ثم أتبعه بالوعيد.
- (٤) المعنى: فما أقبح نقض العهد! إن هذ الجبال الشامخة لا يتعب بقدر ما يتعب نقض العهود.
- (٥) المعنى: وإذا عزمت على أمر لم أراجع عنه مهما طمع الطامعون في إذلاله.
- (٦) المعنى: وإذا وقعت النائبات لا أهملها أو أغفو عنها.
- (٧) المفردات: العضب: السيف.
- المعنى: إن قوتي لا تقارن، فلو كنت سيفًا يفلق رؤوس الأعداء فإن كثيرًا من السيوف حرمت من انسلالها من أغمادها.
- (٨) المعنى: فالأسود أسود وإن منعت من فرائسها وتربصت في غاباتها.
- (٩) المعنى: إنني متوثب دومًا، فإن قعدت تهيأ للقوم أنني قائم وأنا قاعد.
- (١٠) المعنى: إن ما قلته ليس شيئًا، فأنا مكوم الفم عن كلام لو صرّحت به لشاب الولدان.
- (١١) المفردات: الضامة: الحاجة، يريد بها قلة المال.
- المعنى: فإلى متى أنا بحاجة إلى المال، ولا أستطيع أن أبذل للمحتاج سوى الزفرات والآهات؟
- (١٢) المفردات: الأرقم: الحية.
- المعنى: أثنى عن زيارة الأوطان لا تقربها يداي، كما يثنى الشعبان المطرود.

وأُذاذٌ عنِ وزدي وبى صدأ وكم ظمآن قومٍ كان غيرَ مَذودٍ^(١)
أبغى الرّذاذُ منَ الجَهمِ وتارة أرجو وأمرى دَرٌّ كُلُّ جَدودٍ^(٢)
والخيلُ تعثرُ بالجماجم والطلّى مُخضلةٌ عن يابس الجُلمودِ^(٣)
للهِ دَرُكُمُ بني موسى وقد صُدِمَ الحديدُ لدى وغيّ بحديدٍ!^(٤)
ما إن تَرى إلّا صريعًا هافيًا كَرَعَ الحِمَامَ وليس بالملحدِ^(٥)
ومُجدلاً بالقاعِ طارَ بصفوه نَسِرُ وبقي شِلْوَه للسَّيدِ^(٦)
هذا وكم جيشٍ أتاَهُمُ ساحِبًا فوقَ الأكامِ ذيولَ كُلِّ بُرودِ^(٧)
غَصَّانَ مِن خيلٍ به وفوارسٍ ملآنَ من عُددٍ لَهُ وعديدِ^(٨)
ردّوا رؤوسًا كنَّ فيه منيعةً بالضربِ بينَ مُشجَّجٍ وحَصِيدِ^(٩)
ومتى استرَبْتَ بنَجدي في خُطّةٍ فَمِنَ الطَّعانِ أوِ الضُّرابِ شهودِ^(١٠)

- (١) المفردات: أذاذ: أطرّد. يريد بالصدأ الصدى وهو العطش.
المعنى: أمتنع عن شرابي وأنا عطشان؛ في حين أن غيري من العطاش لا يحرمون عن ورد الماء.
(٢) المفردات: الرذاذ: المطر القليل. الجهم: السحاب لا ماء فيه. أمري: أستحلب. الدر: اللبن. الجدود: الناقة جف ضرعها.
المعنى: أطمع بقليل من المطر من سحب جافة، أو أستحلب لبن ناقة انعدم اللبن من ضرعها.
(٣) المفردات: الطلى: مفرداها الطلية، وهي العنق. المخضل: المبتل.
المعنى: والخيل في ساحة الحرب تتعثر بالرؤوس والرقاب المبتلة وهي على الصخر اليابس.
(٤) المفردات: بنو موسى: أي أحفاد موسى الكاظم سابع أئمة الشيعة، مات في سجن الرشيد.
المعنى: عجباً لكم يا آل موسى حين تحتدم الحرب ويتضارب الحديد.
(٥) المفردات: هفا المال: ضاع عند الغرماء. الحمام: الموت.
المعنى: لا تراهم إلا قتلى ضائعين، شربوا الموت ولم يدفنوا (إشارة إلى الحسين).
(٦) المفردات: الشلو: العضو. السيد: الذئب. المجدل: المقتول.
المعنى: أو هم قتلى في الوديان انتقى النسر خير ما فيهم وترك الأشلاء للذئب.
(٧) المفردات: الإكام: مفرداها الأكمة، وهي التل.
المعنى: وكم حاربتهم جيوش وصرعتهم وسحبت ذيول ثيابهم فوق الأكمام.
(٨) المعنى: هذه الجيوش تغص بالخيل والفرسان والعتاد والعدد.
(٩) المعنى: قطعوا رؤوساً كانت ذات مهابة، فشجّوا بعضها وقطعوا بعضها.
(١٠) المعنى: وإن شككت بنجدي لك فقد أكون مشغولاً بالطنن والضرب.

خُذْهَا فَمَا تَسْطِيعُ تَدْفَعُ إِنَّهَا فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ التَّجْوِيدِ^(١)
 مَا لَأَكْهَا مِنْ شَاعِرٍ حَنْكَ وَلَا أَفْضَى إِلَيْهَا ذَهْنُ كُلِّ مُجِيدِ^(٢)
 غَرَاءَ لَوْ ثَلَيْتَ عَلَى ظُلْمِ الدُّجَى شَابَتْ لَهَا لِمَمُ الرِّجَالِ السُّودِ^(٣)
 يُنْسِيكَ نَظْمَ حَيْكَ بَيْنَ كَلَامِهَا نَظْمَ الثُّغُورِ وَنَظْمَ كُلِّ فَرِيدِ^(٤)
 لَيْسَ الَّذِي اعْتَسَفَ الْقَرِيضَ بِشَاعِرٍ وَإِذَا أَصَابَ فَلَيْسَ بِالْمَحْمُودِ^(٥)
 وَإِذَا التَّوَى الْكَلِمُ الْفَصِيحُ عَلَى أَمْرٍ يَوْمًا فَأَحْرَارُ الْكَلَامِ عَبِيدِي^(٦)
 وَإِذَا أَرَدْتَ تَعَاْفُ مَا سَطَرَ الْوَرَى فَاسْمَعْ قَصِيدِي تَارَةً وَنَشِيدِي^(٧)

- 168 -

وقال يمدح فخر الدولة: [من الرجز]

إِنْ قَطَعْتَنِي عِلَّتِي عَنْ قَصْدِي وَصَدَّنِي الزَّمَانُ أَيَّ صَدِّ^(٨)
 عَنْ مِشِيَّتِي وَخَبَبِي وَشَدِّي فَإِنَّنِي لِحَاضِرٍ بِوُدِّي^(٩)
 وَبِوَفَائِي وَبِحَسَنِ عَهْدِي سَيَّانٍ قَرِيبِي مَعَهُ وَبُعْدِي^(١٠)
 قُلْ لَعَمِيدِ الدَّوْلَةِ الْأَشَدُّ وَالْمَعْتَلِي فِي هَضَبَاتِ الْمَجْدِ^(١١)

(١) المعنى: فأليك قصيدتي التي لا تجرؤ على الرد عليها، لأنها في غاية الكمال.

(٢) المفردات: لأكها: مضغها.

المعنى: لم تخرج من حنك شاعر، ولم يبلغ أحد مستواها.

(٣) المفردات: الغراء: الحساء، والأبيض من كل شيء. اللمم: مفردها اللمة، وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن.

المعنى: إن بيضاء ذات حسن لو أنشدتها في ظلمة الليل ابيضت لها لحا الرجال السود.

(٤) المعنى: حين ترى نظمها المنسوج بكلامها تراه يفوق نظم شفاه الحسان ونظم خيرة اللائ.

(٥) المعنى: لا يعد شاعر من يقسو على نفسه كي ينظم، فهو إذا وزن صحيحًا لا يأتي المعنى سليمًا.

(٦) المعنى: وإذا استحال الكلام الفصيح على الناس فإن أحرار الألفاظ عبيد لقريحتي.

(٧) المعنى: وإن رغبت عن الكلام الذي دونه الناس فعليك بشعري أنشده وترنم به.

(٨) المعنى: إن استحال عليّ بلوغ قصدي ومنعني الزمان بشدة.

(٩) المعنى: عن سيري وركضي وعدوي فإن محبتي تظل حاضرة.

(١٠) المعنى: ويظل وفائي وصدق عهدي متشابهين في قربي وفي بعدي.

(١١) المعنى: ألا قل لعميد الدولة العتيد والذي يرتقي درجات الفخار.

والمشتري الغالي مَدَى من حمدٍ من ماله وجاهه بالتقْدِ (١)
مُمضي عطاياهُ بغيرِ وَغْدٍ: كم لك من بحرِ فخارِ عِدْ؟ (٢)
يفوتُ إحصائي ويُغيي عَدِي حوشيتَ من مكرِ اللَّيالي التُّكْدِ (٣)
ومن خصامِ النائباتِ اللُّدُ قد زاركِ الحولُ بكلِّ سَعْدِ (٤)
وبالبقاءِ الواسعِ الممتدُّ فاجرُزْ به ماشئتُه من بُزْدِ (٥)
فوتَ الرَّذَى ممتَّعًا بالخلدِ ثِقْ بِالإلهِ المتعالي الفرْدِ (٦)
ولا تخفُ في مطلبٍ من ردِّ ما لبني عبدِ الرَّحيمِ الأُسْدِ (٧)
مِنْ مُشبهٍ في سؤْدُدٍ ومجدٍ خيرِ كهولٍ في الورى ومُزْدِ (٨)
وخيرِ حُرٍّ بيننا وعبدٍ فيهم هَوَى حَلِي وفيهم عَقْدِي (٩)
إِنْ ركبوا يومًا لداءِ مُغْدٍ رأيتَ جُرْدًا فوقَ خيلٍ جُرْدِ (١٠)
متى أكنُ فيهم مُعينًا وحدي فلنُ ينالوا للعدَى بحَشْدِ (١١)
ولا يجِدُون لَديهم جِدِي غيرُ كلامي فيهم لا يُجْدِي (١٢)
وكلُّ زَنَدٍ غيرَ زندي يُكْدِي ما مَسَّهم فهوَ إليَّ يُعْدِي (١٣)

(١) المعنى: والذي يسعى إلى شراء الغالي من الثناء بماله أو مقامه.

(٢) المفردات: العِدْ: الماء الكثير.

المعنى: والذي يوزع أمواله ارتجالاً من غير موعد مسبق. قل له: إنك تملك فخاراً كثيراً.

(٣) المعنى: مما لا أستطيع عده ويرهقني ذلك، حماك الله من النكبات،

(٤) المفردات: اللد: مفردا اللدود، وهو الخصم. الحول: العام.

المعنى: ومن تضارب المصائب المعادية، فليزرك العام بكل سعد بهيج.

(٥) المعنى: ولينحكك الله طول العمر والبقاء الطويل، فاسعده وجرّ مطركك خيلاء كما يحلو لك.

(٦) المعنى: وانعم بالخلد في الحياة، وثق بالله الواحد الأحد المتعالي.

(٧) المعنى: ولا تخش أن يردّ لك طلب، قال عبد الرحيم الأسود.

(٨) المعنى: ليس لهم شبهة في المجد والفخار، وهم خير الناس شيئاً وشباباً.

(٩) المعنى: وهم خير من حولنا من الأحرار والعبيد، حبي فيهم وأملي.

(١٠) المعنى: إن تطلب منهم أن يركبوا لحرب رأيت خيلاً تركب خيلاً.

(١١) المعنى: فإن قدر أن أكون مساعدهم الوحيد ضمنوا تفرق الحشود من الأعداء.

(١٢) المعنى: ولن يروا من يخلص لهم إخلاصي، وسيعلمون أن كلامي وحده النافع لهم.

(١٣) المفردات: يكدي: يكل ولا يقدهح.

وما فَرَاهُمْ فَهَوَ فَارٍ جِلْدِي مَا لَهُمْ وَاللهُ مِثْلِي بَعْدِي^(١)

- 169 -

وقال يمدح الخليفة القائم بأمر الله، ويهنئه بابنه ذخيرة الدين^(٢) سنة

٤١٣هـ: [من الكامل]

قَم فَاثِنٍ لِي فَوْقَ الْوَهَادِ وَسَادِي فَالآنَ طَابَ بَفِيٍّ طَعْمُ رُقَادِي^(٣)
قَدْ شَرَّدْتُ نَصْبِي وَأَيْنِي رَاحَتِي وَاسْتَبَدَّلْتُ عَيْنِي الْكَرَى بِسُهَاذِي^(٤)
وَإِذَا رَعَيْتَ لِي الْإِخَاءَ فَهَنْتِي بَبْلُوغِ أَوْطَارِي وَنَيْلِ مُرَادِي^(٥)
لِلَّهِ يَوْمٌ مَلْتُ فِيهِ عَلَى الْمُنَى وَثْنَى الزَّمَانُ إِلَى السَّرُورِ قِيَادِي^(٦)
وَحَذَرْتُ دَهْرِي مِنْ أُمُورِ جَمَّةٍ فَانَاخَ فِيهِ الْأَمْنُ وَسَطَ فُؤَادِي^(٧)
نَفَحْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَطِيَّةً غَرَاءَ مِنْ وَافِي الْعَطَاءِ جَوَادِي^(٨)
جَبَلٌ مِنَ الْأَجْبَالِ، إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ الْوَرَى وَلَدٌ مِنَ الْأَوْلَادِ^(٩)
وَالسَّيْفُ أَنْتَ وَلَمْ يَكُنْ مَنْ سَلَّهُ فِينَا لِيَتْرَكَهُ بَغِيرَ نَجَادِي^(١٠)

=المعنى: ولن ينقذ غير زندي لهم، وما يعترهم من ملّات يعتريني.

(١) المفردات: فرى: شقّ وقطع.

المعنى: وإن دهاهم مصاب دهاني، وإن قطع جلدهم فكأنه قطع جلدي. وأقسم لهم إنهم لن يجدوا مثلي بعد موتي.

(٢) حرص القائم على تربية ابنه محمد ذخيرة الدين كي يكون ولياً للعهد، لكنه توفي في حياته سنة ٤٤٧هـ.

(٣) المعنى: انهض يا صاحبي ومدّ لي فراشي فوق المنخفض، فقد طاب الآن لي طعم نومي.

(٤) المفردات: الأين: التعب، ومثلها النصب.

المعنى: فقد طردت راحتي كل أتعابي، وحل بعيني النوم عوضاً عن الأرق.

(٥) المعنى: وإن كنت تعدني أخاً لك فهنتني على تحقيق أمانتي ورغباتي.

(٦) المعنى: ما زلت أذكر ذلك اليوم الذي أقبلت فيه على أمانتي، ومنحني الزمان سروري.

(٧) المعنى: وخفت دهري من أمور عديدة فاستقر قرار فؤادي منها.

(٨) المعنى: لقد أهدي الخليفة هدية حسنة من الله الكريم.

(٩) المعنى: هذه الهدية جبل يعتدّ به، وهو عند الناس وليد من الأولاد.

(١٠) المفردات: النجاد: حمائل السيف.

المعنى: لقد كنت سيفاً بيننا، لكن من يستل السيف لا بد له من نجاد.

والغَابُ أَهْيَبُ مَا يَكُونُ إِذَا ثَوَتْ
والطَّعْنُ فِي الْأَرْمَاحِ يُعَوِّزُ فِي الْوَعَى
وَالنَّصْلُ لَوْلَا حَدُّهُ وَغِرَارُهُ
قَالُوا: أَتَى وَلَدٌ. فَقُلْتُ: صَدَقْتُمْ
إِنْ كَانَ فِي مَهْدٍ رَضِيْعًا نُومَةً
وَتَرَاهُ إِمَّا فَوْقَ صَهْوَةٍ مِنْبَرٍ
مَا ضَرَّهُ مِنْ قَبْلِ سَلٍّ غَمْدَهُ
وَالْبَدْرُ يَطْوِيهِ السَّرَارُ، وَتَارَةً
حَيًّا إِلَهُ صَبَاحٍ يَوْمٍ زَارَنَا
رِيَّانَ مَنْ ظَفَرٍ وَنِيلٍ إِرَادَةٍ
فَلَنِنْعَمَ عَهْدًا عَهْدَهُ وَأَوَانُهُ

أَشْبَالُهُ فِيهِ مَعَ الْأَسَادِ^(١)
لَوْلَا الْأُسْتَةُ فِي رُؤُوسِ صِعَادِ^(٢)
مَا كُنْتُ حَامِلَهُ لِيَوْمِ جِلَادِ^(٣)
لَكِنَّهُ عَضُدٌ مِنَ الْأَغْضَادِ^(٤)
فَغَدًا يَكُونُ عَلَى ذُرَا الْأَعْوَادِ^(٥)
يَعِظُ الْوَرَى أَوْ فِي قَطَاةِ جَوَادِ^(٦)
أَنَّ السُّيُوفَ تُسَلُّ مِنْ أَغْمَادِ^(٧)
هُوَ بَارِزٌ وَسَطُ الْكَوَاكِبِ بَادِ^(٨)
فِيهِ وَحْيًا لَيْلَةَ الْمِيلَادِ^(٩)
مَلَّانَ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ^(١٠)
سَقَاهُ رَبِّي صَوْبَ كُلِّ عِهَادِ^(١١)

- (١) المعنى: الغابة ذات مهابة، وتزداد مهابتها إذا أقامت الأشبال مع آبائها الأسود.
- (٢) المفردات: يعوز: يتعذر ويصعب. الصعاد: مفردها صعدة وهي القناة المستوية.
- (٣) المعنى: يصعب الطعن بالرمح في الحرب لولا أن الأسته علت القنوات المستقيمة.
- (٤) المفردات: الفرار: حد السيف.
- (٥) المعنى: ونصل السيف لا يجدي لولا حده، ولما أعدده ليوم الطعن.
- (٦) المعنى: لقد صدقناهم حين قالوا: ولدٌ ولدٌ، وقلنا لهم: هو عضد سيعتد به.
- (٧) المفردات: النوم: الكثير النوم، وقد سَكُنَ الواو ضرورة.
- (٨) المعنى: وهو إن كان الآن يرضع في مهده ويكثر من النوم، فمستقبلاً سيكون في مقام رفيع.
- (٩) المفردات: القطاة: مركب الرديف من آخر الظهر.
- (١٠) المعنى: وستراه إما فارساً راكباً جواداً، أو تراه واقفاً على منبر يعظ الناس.
- (١١) المعنى: لم يزعجه أن تكون السيوف مسلولة من أغمادها من قبل أن تُسل السيوف.
- (١٢) المفردات: السرار: آخر ليلة من الشهر.
- (١٣) المعنى: فقد ترى القمر يغيب في نهاية الشهر، كما قد تراه مضيئاً بين الكواكب.
- (١٤) المعنى: حيا الله صباح ولادته، وحيا ليلة ميلاده.
- (١٥) المعنى: تراه مفعماً بالظفر وكسب المراد والإسعاف والإسعاد.
- (١٦) المفردات: العهد: مفردها عهدة، وهي أول مطر الربيع.
- (١٧) المعنى: جعل الله أيامه أسعد الأيام، وأنعم عليه بخيره كله.

لو أنصفَ القومُ الألى لم يُنصفوا جَعَلُوا بِهِ عِيدًا مِنَ الْأَعْيَادِ^(١)
يا خَيْرَ مَنْ حَنَّتْ إِلَيْهِ سِرِيرَتِي طُرًّا وَمَنْ حَنَّتْ إِلَيْهِ جِيَادِي^(٢)
وَابْنَ الَّذِي طَالَ الْخَلَائِقُ كُلَّهُمْ فَضْلًا وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْأَطْوَادِ^(٣)
مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا تَرَى شِبْهًا لَهُ أَبَدًا مِنَ الزُّهَادِ وَالْعُبَادِ^(٤)
رَوَى بِصَائِرِهِ تُقَى وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَهِيَ صَوَادِ^(٥)
فَكَأَنَّهُ لَخَشْوَعِهِ - وَلِبَاسُهُ حُلُّ الْخَلَائِفِ - مُرْتَدٍ بِنَجَادِ^(٦)
ذَخَرُوا النُّضَارَ لَهُمْ وَلَمْ تَكْ ذَاخِرًا إِلَّا ثَوَابَ لَهَا وَشُكْرَ أَيَادِ^(٧)
أَنَا ذَلِكَ الْمُحَضُّ الَّذِي جَرَّبْتُمْ أَبَدًا أُوَالِي فِيكُمْ وَأَعَادِي^(٨)
وَإِذَا بَلَغْتُكُمْ عَقْرَتُ رِكَائِبِي وَنَقَضْتُ مِنْ حَذَرِ النَّوَى أَقْتَادِي^(٩)
مَا إِنْ أَبَالِي بَعْدَ قُرْبِي مِنْكُمْ أَنْ كَانَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ بُعَادِي^(١٠)

(١) المعنى: لو أنصف الناس الذين لم يعتادوا الإنصاف لجعلوا ميلاد ذخيرة الدين عيدًا لهم.

(٢) المفردات: السريرة: النية.

المعنى: أنت أفضل من مالت نيتي إليه، ومن أحبته خيلي.

(٣) المفردات: الأطواد: مفردها الطود، وهو الجبل.

المعنى: وأنت ابن من فاق الناس خلقًا وفضلًا ولو وصلوا إلى أعالي الجبال (أعلى مكانة)،

(٤) المعنى: لم تجد ولن تجد شبيهاً له في تقاه وورعه.

(٥) المفردات: الصوادي: مفردها الصادية وهي العطشى.

المعنى: من تقاه أنه جعل بصره عفيفاً، أما يمينه فعافت الشهوات، مع أنه شاب متعطش.

(٦) المفردات: النجاد: مفردها النجد وهو ما ينجد.

المعنى: إنه خليفة وثيابه ثياب الخلفاء الفاخرة، ولكنه لأنه خاشع تظنه يرتدي ثياب الزهاد المنجدة.

(٧) المفردات: النضار: الذهب. اللها: مفردها لهوة، وهي العطية. الأيادي: النعم.

المعنى: لقد كنز الأولون الذهب لأنفسهم، أما أنت فلم تدخر سوى الكرم: وهو ثواب العطاء، وشكر الناس لإنعامك.

(٨) المفردات: المحض: الخالص الصريح.

المعنى: لقد جربتنى فرأيتني صديقاً مخلصاً؛ فأنا دائماً معك فيما ترى وأعادي من تعادي.

(٩) المفردات: نقضت: كسرت. النوى: البعد. الاقتاد: مفردها القند، وهو خشب الرحل.

المعنى: وحين أحل في دياركم أذبح ناقتي وأكسر خشب رجلي حتى أبتعد عنك.

(١٠) المعنى: وإذا قربت منكم لا يهمني بعد ذلك أن أبتعد عن الناس جميعاً.

وَإِذَا نَصَحْتُ لَكُمْ فَمَا أَلْوِي عَلَى مَا شَفَّنِي أَوْ فَتَّ فِي أَعْضَادِي^(١)
 إِنِّي لِرَاضٍ بِالسُّفَالِ وَأَنْتُمْ أَلْ مُغْلُونَ لِي وَلَقَدْ عَلَتْ أَجْدَادِي^(٢)
 أَبْوَابُكُمْ كَرَمًا وَجُودًا فَائِضًا عَطَنُ الْوُفُودِ وَغَايَةُ الْقُصَادِ^(٣)
 مَا إِنْ يُرَى إِلَّا عَلَيْهَا وَحْدَهَا وَفَدُ الْوَرَى وَتَزَاحَمُ الْوُرَادِ^(٤)
 حُوشِيْتُ أَنْ أَعْنَى بَغِيرِ دِيَارِكُمْ أَوْ أَنْ أَجَرَ بَغِيرِهَا أَبْرَادِي^(٥)
 وَإِذَا رَشَادِي كَانَ بَيْنَكُمْ فَمَا أَبْغِي إِذَا خُيِّرْتُ غَيْرَ رَشَادِي^(٦)
 وَكَأَنِّي ضَوَّعْتُ نَشْرَ لَطِيمَةٍ لَمَّا سَنَنْتُ مَدِيحَكُمْ فِي النَّادِي^(٧)
 مَا كَانَ لَوْلَا أَنْكُمْ قُدِّمْتُمْ مَنْ لِمَخْلُوقٍ عَلَى أَكْتَادِي^(٨)
 أَنَا فِي جَوَارِكُمْ بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ وَأَجَلُ مَنْزِلَةٍ وَأَخْصَبِ نَادِ^(٩)
 رَاضٍ بِأَنْ نَفْسِي فَذْتُكَ وَمَا حَوْتُ كَفَايَ لِي مِنْ طَارِفٍ وَتِلَادِ^(١٠)
 وَإِذَا الزَّمَانُ نَبَا بِنَا عَنْ مَطْلَبٍ وَغَطَا بِيَاضَ طَمَاعِنَا بِسَوَادِ^(١١)

(١) المفردات: فتَّ في عضده: أضعفه. شَفَّنِي: رق.

المعنى: وإن قدِّمت لكم النصيحة فلا يهمني ما يعتريني أو يوهن قواي.

(٢) المعنى: إني لأقنع بالقليل، ولكنكم تعلونني، وكان أجدادي ذوي مقام عال.

(٣) المفردات: العطن: مبرك الإبل حول الماء.

المعنى: إن أبوابكم محط رحال الوفود ومنتهى القاصدين لكرمكم وجودكم الفياض.

(٤) المعنى: وأبوابكم وحدها التي ترى الوفود قد حطت دونها.

(٥) المعنى: أستغفر الله أن أهتم لغير دياركم أو أن أتباهى بغيرها.

(٦) المعنى: وما دام رشادي بينكم فهل أطلب غيره لو سئلت؟

(٧) المفردات: ضوعت: نشرت الرائحة. اللطيمة: العنبر المخلوط بالمسك.

المعنى: وإنني حين جعلت مدحكم في النادي سئة متبعة فكأنني نشرت رائحة المسك مع العنبر.

(٨) المفردات: الأكتاد: مفردها الكتد، وهو مجتمع الكتفين من الإنسان. المن: الإنعام.

المعنى: ما كنت أقبل بأن يمن علي مخلوق لو لم تكونوا مقدِّمين على الناس جميعًا.

(٩) المعنى: وما دمت في جواركم فإنني أحيا أنعم عيشة، وأحيا في أرقى منزلة، وأقيم في

خير مجتمع.

(١٠) المفردات: الطارف: المال الحديث، التلاد: المال القديم الموروث.

المعنى: يرضيني ويسعدني أن أفديكم نفسي وأبذل أمامكم كل ما أملك من قديم وجديد.

(١١) المفردات: غطا: المجرد من غطى بمعنى ستر.

المعنى: إن انحرف الزمان عن مطلب لنا وغطى بياض ما نطمح إليه بالسواد،

قُمْنَا فَلْنَا مَا نَشَاءُ مِّنَ الْعُلَا شَائِي الْكَرَامِ بِفَضْلِهِ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ إِلَّا فِي السَّمَاءِ وَمَا ارْتَقَى لَا تَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيَّ لَخْدَمَةٍ وَمَتَى أَنْتَقَدْتَ فَلَنْ تَرَى لِي مُشَبَّهًا وَإِذَا أَرَدْتَ عَظِيمَةً فَاهْتَفِ بِمَنْ عَجَلٍ إِلَى دَاعِي الصَّرِيخِ كَأَنَّهُ أَنَا مِنْكُمْ نَسَبًا وَوَدًّا صَادِقًا أَجْدَى عَلَى الْقُرْبَى إِلَيَّ تَقَرُّبِي يَا أَيُّهَا الْمُتَحَكِّمُونَ عَلَى الْوَرَى حَسْبِي الَّذِي أُوتِيتُ مِنْ حُبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَلَلْتُمْ لِي بَيْنَكُمْ

بِالْقَائِمِ الْمَاضِي الشَّبَا وَالْآدِي^(١) طَوْرًا وَبِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ^(٢) قُلِّلَ الْمَعَالِي فِي بَطُونٍ وَهَادٍ^(٣) إِنِّي وَجَدْتُ خَيْرَ كُلِّ عِمَادٍ^(٤) فِي خِدْمَةٍ يَا أَخْبَرَ الثُّقَادِ^(٥) مَا دَبَّ فِيهِ عَلَى الْعَظِيمِ تَمَادٍ^(٦) مَتَوَقِّعُ أَبَدًا نَدَاءَ مُنَادٍ^(٧) أَبَدًا أُرَاوِحُ حِفْظَهُ وَأُغَادِي^(٨) وَأَحْبُّ مِنْ نَسَبِي إِلَيَّ وَدَادِي^(٩) بِالْعَدْلِ فِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ^(١٠) وَوَلَائِكُمْ ذُخْرًا لِيَوْمِ مَعَادِي^(١١) شَبَّهَهَا فَقَدْ كَثُرْتُ حُسَادِي^(١٢)

- (١) المفردات: الشبا: حد السيف. الآدي: القوي.
- المعنى: لم نجد إلا أن نقصد المجد الذي نريد بقوتنا وبحد سيفنا.
- (٢) المعنى: إما أن نطلبه بالكرم وإما بآبائنا وأجدادنا.
- (٣) المعنى: ولم يكن هذا إلا في السماء وما بلغ قمم العلاء في قبور الأجداد.
- (٤) المعنى: أنا رهن خدمتك، فلاكن أنا موضع اعتمادك، وأقسم لك إنني خير رجل يعتمد عليه.
- (٥) المعنى: فقل أني لا مثيل لي.. وأنت أخبر المقارنين الناقلين.
- (٦) المعنى: وإن كانت القضية جلالاً، فناد على من لا يطيل المكوث عند كبريات الأمور.
- (٧) المعنى: فأنا سريع تلبية الاستنجد، حتى لتحسبني أتوقع النداء في كل لحظة.
- (٨) المعنى: إنني محب لكم وأعد نفسي واحداً منكم نسباً وصداقة، أحافظ على ذلك صباحي ومسائي.
- (٩) المعنى: ذلك أن التقرب عندي أهم من القرابة، والوداد أصدق من النسب.
- (١٠) المعنى: ويخاطب آل العباس الذين يتحكمون في مصائر الناس عدلاً في كل شيء،
- (١١) المعنى: ويقول لهم: يكفيني ما غنمته من حبكم وولائكم، وسيبقى ذلك مدى الحياة ذخراً لي.
- (١٢) المعنى: إن كان شبيهي بينكم قليلاً فقد كنتم سبباً في زيادة حسادي.

لله دَرْكٌ فِي مُقَامِ ضَيْقٍ حَرُّ الرَّدَى مُتْلَهَبٌ الْإِيقَادِ^(١)
 وَكَأَنَّمَا الْأَقْدَامُ فِيهِ تَقَلُّقُلًا وَطُثْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ شَوْكَ قَتَادٍ^(٢)
 وَالسَّيْفُ يَرْتَعُ فِي يَدَيْكَ مِنَ الْعِدَى بِالضَّرْبِ بَيْنَ تَرَائِبٍ وَهَوَادٍ^(٣)
 وَالرُّمْحُ يَهْتِكُ كُلَّ ثَغْرَةٍ بَاسِلٍ طَعْنَا وَيَشْرَبُ مِنْ دَمِ الْأَكْبَادِ^(٤)
 وَإِذَا أَسَالَ مِنَ الْكَمِيِّ نَجِيعُهُ غَبَّ الطَّعَانِ أَسَالَ كَالْفِرْصَادِ^(٥)
 وَالخَيْلُ يَسْتَلِبُ الطَّعَانَ جُلُودَهَا فَكَأَنَّهَا خُلِقَتْ بِلا أَجْلَادٍ^(٦)
 حَتَّى وَفَتْ لَكَ نَجْدَةُ أَلْبَسَتْهَا فِي النَّاكِثِينَ الْوَعْدَ بِالْإِيعَادِ^(٧)
 وَقَضَتْ لِدِينِ اللَّهِ كَفْكَ حَقَّهُ وَبَلَغْتَ لِلْإِسْلَامِ كُلَّ مُرَادٍ^(٨)
 فَاسْمِعْ مَدِيحًا لَمْ تَشْنُهُ مَيْنُهُ تَسْرِي قَوَافِيهِ بِكُلِّ بِلَادٍ^(٩)
 قَطَاعَ كُلِّ ثَنِيَّةٍ وَتَنُوفَةٍ طَلَاعَ كُلِّ عَلِيَّةٍ وَنِجَادٍ^(١٠)
 زِينَتْ بِهِ الْأَعْرَاضُ فَهُوَ كَأَنَّهُ وَشَى الْجُسُومِ وَحَلِيَّةُ الْأَجْسَادِ^(١١)

- (١) المعنى: ما أكثر خيرك وقت الضيق حيث الأزمات واللهيب.
- (٢) المفردات: الرمضاء: الحصى الصغار تنفتحها الشمس فتحصى. القتاد: شجر صلب ذو شوك. المعنى: في هذا الوقت العصيب وحر الموت حيث تخطو الأقدام فوق شوك القتاد على الحصى الحارق.. باضطراب شديد.
- (٣) المفردات: الترائب: مفردا التربية، وهي أعلى الصدر. الهوداي: الأعناق. المعنى: والسيف يتلاعب بين يديك وهو يضرب رقاب الأعداء وعظام صدورهم.
- (٤) المعنى: أما رمحك فيطعن كل مكان بارز للبطل وينصبغ بدم كبده.
- (٥) المفردات: الكمي: الشجاع. النجيع: الدم. الفرصاد: صبغ أحمر. المعنى: فإذا أسال الرمح دم الأبطال بعد الطعان أساله أحمر قانياً.
- (٦) المعنى: وتبدو الخيل بلا جلود من كثرة ما تطعن.. فتبدو أنها من غير جلود.
- (٧) المعنى: حتى وافتك نجدة أعددتها للذين نكثوا عهودهم، فأرهبهم بها.
- (٨) المعنى: أنت رجل تقي، فكفك أدت حقها لدين الله، فبلغت في خدمة الإسلام كل ما يريده الإسلام.
- (٩) المفردات: شانه: نقصه. المينة: الكذبة. المعنى: فإليك مديحي لم يعبه كذب، ينتشر في كل البلاد.
- (١٠) المفردات: الثنية: الطريق في الجبل. التنوفة: المفازة. المعنى: وشعري هذا يقطع الجبال والمفازات ويركب الصعاب ويطلع النجاد.
- (١١) المعنى: وشعري تزدان به الأعراض وشياً وحلية.

رَفْدِي عَلَيْهِ حَسَنُ رَأْيِكَ إِنِّي رَاضٍ بِهِ مِنْ سَائِرِ الْأَرْفَادِ^(١)
لَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ لَمْ يُسْتَمْعَ مِنْ مَنَظِقِي وَيَزُفَّهُ إِنْشَادِي^(٢)

- 170 -

وقال يرثي جدّه الحسين عليه السلام، ومن قُتل من أصحابه: [من البسيط]
هل أنتَ راثٍ لصبِّ القلبِ مغمودٍ دوي الفؤادِ بغيرِ الخُرْدِ الخُودِ؟^(٣)
ما شَفَهُ هجرُ أحبابٍ وإنْ هَجَرُوا من غيرِ جُرمٍ ولا خُلفِ المواعيدِ^(٤)
وفي الجفونِ قذاةٌ غيرُ زائلةٍ وفي الضلوعِ غرامٌ غيرُ مفقودِ^(٥)
يا عاذلي - ليس وجدُّ بتُّ أكتُمُهُ بين الحشا - وَجَدْتُ تعنيفٍ وتفنيدِ^(٦)
شِربي دموعي على الخدين سائلةً إنْ كان شُرْبُكَ من ماءِ العناقيدِ^(٧)
ونمُ فإنْ جفونا لي مُسَهَّدةٌ عُمَرُ اللَّيالي ولكنْ أيُّ تسهيدِ؟^(٨)
وقد قضيتُ بذاك العذلِ مَأْرَبَةً لو كان سمعي عنه غيرَ مسدودِ^(٩)

-
- (١) المعنى: رضاك عن شعري هو خير عطاء عليه.
(٢) المعنى: لكن عيباً واحداً في شعري هو أنني لم أنشده على مسامعك بنفسي.
(٣) المفردات: المغمود: الذي هذه العشق. الخُرْد: مفردها الخريدة وهي الحسناء. الخود: مفردها الخود (بفتح الخاء) المرأة الشابة. الدوي: المريض.
المعنى: هل أراك ترثي العاشق الصب المريض القلب من غير الخرد الحسان؟
(٤) المفردات: شَفَهُ: أضناه.
المعنى: لم يرهقه هجر الأحبة من غير أن يخطيء معهم ولا يتوانى عن مواعيدهم.
(٥) المفردات: القذاة: ما يعترض العين من قشة تؤلمها.
المعنى: وفي جفنه قذاة مؤلمة لا تزول، وبين أضلاعه حب دفين دائم.
(٦) المفردات: التفنيد: اللوم.
المعنى: أيها المعاتب، ليس ما في أحشائي حب مخبوء، ولكن حب تعنيف وعتاب.
(٧) المعنى: إن كان شربك الخمرة فإنني أشرب دموعي السائلة على خدي.
(٨) المعنى: واطمئن أنت ونم قرير العين، أما أنا فإن جفوني غير مغمضة طول الليالي. حزناً.
(٩) المفردات: المأربة: الحاجة والقصد.
المعنى: كان بودي أن أستمع إلى نصحك وعتابك لو لم تكن أذناي مسدودتين.

تلوئمني: لم تُضبك اليومَ قاذفتي
 فالظلمُ عَذْلُ خَلِيِّ القلبِ ذا شَجَنِ
 كم ليلةٍ بَتْ فيها غيرَ مُرتفِقِ
 ما إن أَحْنُ إليها وهيَ ماضيةٌ
 جاءت فكانت كعُوارٍ على بَصْرِ
 فإن يودُ أناسٌ صَبَحَ ليلهمُ
 عشيَّةً هَجَمَتْ منها مصائبُها
 يا يومَ عاشورَ كم طأطأت من بَصْرِ
 يا يومَ عاشورَ كم أطردت لي أملاً
 أنت المُرْتَقُ عيشي بعدَ صفوتِهِ
 ولم يعذك كما يعتاذني عيدي^(١)
 وهُجَنَّةٌ لومٌ موفورٍ لمجهودٍ^(٢)
 والهمُّ ما بينَ محلولٍ ومعقودٍ^(٣)
 ولا أقولُ لها مستدعيًا: عُودي^(٤)
 وزايلتُ كزيالِ المائدِ المُودي^(٥)
 فإنَّ صُبْحِي صُبْحٌ غيرُ مودودٍ^(٦)
 على قلوبٍ عنِ البلوى مَحاييدٍ^(٧)
 بعدَ السموِّ وكم أذلت من جيدٍ^(٨)
 قد كان قبلكَ عندي غيرَ مطرودٍ^(٩)
 ومولجُ البيضِ من شَيْبِي على السُّودِ^(١٠)

(١) المعنى: أنت تعتب عليّ أن لم أنصع إلى رأيك ولم أحتفل معك في عيدك.

(٢) المفردات: الهجنة: النقيصة والعيب.

المعنى: إنه من الظلم الشديد أن يلوم خالي اللب من الهوى عاشقًا، ومن المنقصة أن يعتب المرتاح المرهق المجهد.

(٣) المعنى: كثير من الليالي أمضيتها وحيدًا إلا من الهموم التي تحوم حولي فأحلُ بعضها ويتعقد بعضها.

(٤) المعنى: ولا أحن إلى تلك الليالي الماضية ولا أطلب منها أن تعود.

(٥) المفردات: العوار: ما يصيب العين من مرض. الزيال: الفرقة. المائد: المتحرك. المودي: المهلك.

المعنى: قدمت تلك الليالي فأمضت العين، وافتقرت كفراق المهلك المتحرك.

(٦) المعنى: فإن رغب بعض الناس أن يزول ليلهم عن صباح مشرق، فإن صباحي لا أحبه.

(٧) المعنى: وكانت ليلة حلت فيها نوائبها على قلوب لم تعتد استقبال المصائب.

(٨) المفردات: عاشوراء: هو العاشر من محرم يوم مقتل الحسين في كربلاء. الجيد: العنق.

المعنى: الله يا يوم عاشوراء بدلت الأحوال؛ فقد أخفضت رؤوسًا وكانت قبل سامية، وأذلت رقابًا كانت مرفوعة.

(٩) المعنى: أضعت آمالي أيها اليوم، وكانت قبلك مشرقة.

(١٠) المفردات: المرنق: المكدر. المولج: المدخل.

المعنى: أنت أيها اليوم سبب في تنغيص حياتي، وإدخال الشيب في رأسي الأسود.

جُزْ بالطُّفُوفِ فَكَمْ فِيهِنَّ مِنْ جَبَلٍ خَرَّ الْقَضَاءُ بِهِ بَيْنَ الْجَلَامِيدِ^(١)
وَكَمْ جَرِيحٍ بَلَا آسٍ تَمْرُقُهُ إِمَّا التُّسُورُ وَإِمَّا أَضْبَعُ الْبِيدِ^(٢)
وَكَمْ سَلِيبٍ رِمَاحٍ غَيْرِ مُسْتَرٍ وَكَمْ صَرِيحٍ حِمَامٍ غَيْرِ مَلْحُودِ^(٣)
كَأَنَّ أَوْجُهُهُمْ بَيضًا مَلَأْلَأَةً كَوَاكِبُ فِي عِرَاصِ الْقَفْرِ السُّودِ^(٤)
لَمْ يَطْعَمُوا الْمَوْتَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَطَمُوا بِالضَّرْبِ وَالطَّعْنِ أَعْنَاقَ الصَّنَادِيدِ^(٥)
وَلَمْ يَعْذُ فِيهِمْ خَوْفُ الْجَزَاءِ غَدًا دَمًا لَثَرِبَ وَلَا لَحْمًا إِلَى سِيدِ^(٦)
مِنْ كُلِّ أَبْلَجٍ كَالدِّينَارِ تَشْهَدُهُ وَسَطَ النَّدِيِّ بِفَضْلِ غَيْرِ مَجْهُودِ^(٧)
يَغْشَى الْهِيَاجَ بِكَفٍّ غَيْرِ مُنْقَبِضٍ عَنْ الضَّرَابِ وَقَلْبٍ غَيْرِ مَزْؤُودِ^(٨)
لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ بَثِّ الْعُرْفِ بَيْنَهُمْ عَفْوًا، وَلَا طُبْعُوا إِلَّا عَلَى الْجُودِ^(٩)
يَا آلَ أَحْمَدَ كَمْ تُلَوَّى حَقُوقُكُمْ لِيَّ الْغَرَائِبِ عَنْ نَبْتِ الْقَرَادِيدِ^(١٠)

- (١) المفردات: الطفوف: مفردا الطف، وهي الأرض التي استشهد بها الحسين ومن معه. الجلمود: الصخر.
- (٢) المعنى: مر بالطفوف، فقد خرت جباله من بين الصخور الصلبة.
- (٣) المفردات: الآسي: الطيب. الأضبع: جمع قلة للضبع.
- (٤) المعنى: وقع الرجال على الطفوف جرحى ولا من يعتني بهم، فمزقتهم نسور السماء أو ضباع الصحراء.
- (٥) المعنى: وفي ذلك المكان كنت ترى العزل مرميين بلا غطاء، والصرعى بلا قبور تأويهم.
- (٦) المعنى: تشبه وجوههم المتلألئة الموزعة في ساحات البيداء السوداء كواكب بيضاء في السماء.
- (٧) المعنى: كانوا أبطالاً، فلم يذوقوا الموت إلا بعد أن قتلوا الشجعان من الأعداء ضرباً وطعنًا.
- (٨) المفردات: السيد: الذئب.
- (٩) المعنى: وهم لم يخافوا أن تراق دماؤهم على التراب ولا أن تكون لحومهم طعاماً للذئاب.
- (١٠) المفردات: الأبلج: الأبيض المضيء.
- (١) المعنى: هؤلاء الشبان كانت وجوههم مضيئة كاللذنانير وسط الملاء، وفضلهم لا ينكره جاحد.
- (٢) المفردات: المزؤود: المدعور.
- (٣) المعنى: يلجون ساحات الحرب غير هتابين من الضرب، وبأفئدة غير راجفة.
- (٤) المعنى: من طبعهم الأصيل أن يراعوا الناس بحسب الأعراف، ولم يعتادوا إلا الكرم.
- (٥) المفردات: القراديد: مفردا القرد، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض.
- (٦) المعنى: ينادي أهل البيت، ويعجب من حرمانهم حقوقهم كما يحرم الغريب من النبات بين الصخور.

وكم أراكم بأجوازِ الفلا جزراً
لو كان يُنصفكم من ليس يُنصفكم
حُسدتم الفضلَ لم يُحرزهُ غيركم
جاؤوا إليكم وقد أعطوا عهدَهُم
مُسْتَمْرَحِينَ بأيديهم وأرجلهم
تَهوي بهم كلُّ جرداءٍ مُطْهَمَةٍ
مُسْتَشْعِرِينَ لأطرافِ الرِّماحِ وَمِنْ
كَأَنَّ أصواتَ ضَرْبِ الهامِ بَيْنَهُم
حَمَائِمُ الْأَيْكِ تَبْكِيهِمْ عَلَى فَنٍّ

مبَدِّدِينَ وَلَكِنْ أَيُّ تَبْدِيدٍ؟^(١)
أَلْقَى إِلَيْكُمْ مَطِيْعًا بِالمَقَالِيدِ^(٢)
وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ مَحْرُومٍ وَمَحْسُودٍ^(٣)
فِي فَيْلَقٍ كَزُهَاءِ اللَّيْلِ مَمْدُودٍ^(٤)
كَمَا يَشَاوُونَ رَكَضَ الضَّمْرِ الْقُودِ^(٥)
هُوِيَّ سَجَلٍ مِنَ الْأَوْذَامِ مَجْدُودٍ^(٦)
حَدُّ الظُّبَا أَذْرُعًا مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ^(٧)
أَصْوَاتُ دَوْحٍ بِأَيْدِي الرِّيحِ مَبْرُودٍ^(٨)
مُرْنَجٍ بِنَسِيمِ الرِّيحِ أَمْلُودٍ^(٩)

- (١) المفردات: الجزر: مفردها الجزور، وهي المذبوحة. الأجواز: مفردها الجوز وهو الوسط.
المعنى: كثيرًا ما أراكم مذبحين مرميين في وسط الفلاة.
- (٢) المعنى: لو أنصفكم الجائر بحقكم لسلمكم مقاليد الأمور.
- (٣) المعنى: أنتم أصحاب الفضل بلا منازع، والناس جميعًا إما محرومون من الفضل، وإما محسودون عليه.
- (٤) المفردات: الفيلق: الجيش. زهاء: مقدار.
- المعنى: قدموا إليكم في جيش ضخم كالليل بطوله، بعد أن بذلوا العهد على صدقكم.
- (٥) المفردات: الضمر: مفردها الضامر وهو القليل اللحم. القود من الخيل: ما طال ظهرها وعنقها.
- المعنى: كان السرور يعتريهم من أيديهم وأرجلهم وهم مسرعون كما تركض الخيول النحيلة القوية.
- (٦) المفردات: الخيل المطهمة: التامة الحسن. السجل: الدلو العظيمة. الأوذام: مفردها الودمة، وهي الحبله بين أذني الدلو والخشبة المعترضة عليها. المجدود: المقطوع.
- المعنى: تسرع بهم خيل جرداء تامة الحسن بسرعة تعادل سقوط الدلو المقطوعة الودمات.
- (٧) المفردات: مستشعرين: يلبسون الشعار، وهو الثوب يلي البدن مباشرة.
- المعنى: قدموا يرتدون دروعًا قوية من نسج داود لاستقبال أطراف الرماح وحاد السيوف.
- (٨) المفردات: مبرود: متناول في أيديهم. الدوح: مفردها الدوحة، وهي الشجرة العظيمة.
- المعنى: يلذ لهم ضرب الأعناق؛ فهو عندهم أشبه بحفيف الأشجار وسط الرياح.
- (٩) المفردات: الأيك: الشجر الكثير الملفف، مفردها الأيكة. الفن: الغصن. الأملود: الناعم اللين.
- المعنى: كانت الحمايم تبكيهم من على الأغصان المتمايلة الناعمة.

نُوحِي ؛ فذاك هديرٌ منك مُحتَسَبٌ
أُحِبُّكُمْ وَالَّذِي طَافَ الْحَجِيجُ بِهِ
وَزَمَزَمَ كُلَّمَا قَسْنَا مَوَارِدَهَا
وَالْمَوْقِفِينَ وَمَا ضَحَّوْا عَلَى عَجَلٍ
وَكُلُّ نُسْكِ تَلْقَآءِ الْقَبُولِ فَمَا
وَأَرْتَضِي أَنِّي قَدْ مِتُّ قَبْلَكُمْ
جَمَّ الْقَتِيلِ فَهَامَاتُ الرُّجَالِ بِهِ
فَقُلْ لآلِ زِيَادٍ: أَيُّ مَعْضَلَةٍ
كَيْفَ اسْتَلَبْتُمْ مِنَ الشُّجْعَانِ أَمْرَهُمْ
فَرَّقْتُمْ الشَّمْلَ مِمَّنْ لَفَّ شَمْلَكُمْ
عَلَى حُسَيْنٍ فَتَعْدِيدُ كِتْفَرِيدِ^(١)
بِمُبْتَنَّى بِإِزَاءِ الْعَرْشِ مَقْصُودِ^(٢)
أَوْفَى وَأَرْبَى عَلَى كُلِّ الْمَوَارِيدِ^(٣)
عِنْدَ الْجِمَارِ مِنَ الْكُومِ الْمُقَاحِيدِ^(٤)
أَمْسَى وَأَصْبَحَ إِلَّا غَيْرَ مُرْدُودِ^(٥)
فِي مَوْقِفٍ بِالرُّدَيْنِيَّاتِ مَشْهُودِ^(٦)
فِي الْقَاعِ مَا بَيْنَ مَتْرُوكٍ وَمَحْصُودِ^(٧)
رَكَبْتُمُوهَا بِتَخْيِيبٍ وَتَخْوِيدِ؟^(٨)
وَالْحَرْبُ تَغْلِي بِأَوْغَادٍ عَرَادِيدِ؟^(٩)
وَأَنْتُمْ بَيْنَ تَطْرِيدٍ وَتَشْرِيدِ^(١٠)

- (١) المعنى: تابعي أيتها الحمائم نواحك، فتغريدك شبيه بالنواح على الحسين.
- (٢) المعنى: أحبك يا آل النبي (ﷺ) وأقسم على هذا بالكعبة التي طاف حولها الحجاج، والكعبة قريبة من العرش.
- (٣) المعنى: أحبك وأقسم على ذلك بززم التي كلما قسنا مياهها نراها في ازدياد.
- (٤) المفردات: الجمار: موضع رمي الجمرات، وهو من مناسك الحج في مكة، الكوم: مفرد الكوماء، وهي الناقة الضخمة السنام. المقاحيد: مفردا المقحاد، وهي الناقة العظيمة السنام.
- (٥) المعنى: وأقسم بمن وقفوا بعرفات وبما ضحوا مستعجلين من النوق السمان عند الجمار.
- (٦) المفردات: الردينيات: الرماح المنسوبة إلى الردينية، وهي امرأة اشتهرت بصناعتها.
- (٧) المعنى: وكم كان يسعدني أن أموت قبلكم في أحد المواقف المشهود بها بالرماح الردينية.
- (٨) المفردات: التخيب والتخويد: ضربان من السير السريع.
- (٩) المعنى: فقل لأبناء زياد بن أبيه (ويعني عبيد الله): أي مصيبة ارتكبتوها على عجل؟
- (١٠) المفردات: الأوغاد: الأندال. العرايد: مفردا العريد، وهو المنحرف عن القتال أو عن الطريق.
- المعنى: وقل لهم: كيف سرقتم أمر هؤلاء الشجعان في الحرب يكثر فيها الأندال المنحرفون؟
- (١٠) المعنى: لقد فرقتم الجموع المتكاثفة التي لمت شملكم حينما كتتم بين مطارد وشريد.

وَمَنْ أَعَزَّكُمْ بَعْدَ الْخَمُولِ وَمَنْ
لَوْلَاهُمْ كُنْتُمْ لَحْمًا لُمُزْدَرِدٍ
أَوْ كَالسَّقَاءِ يَبِيسًا غَيْرَ ذِي بِلَلٍ
أَعْطَاكُمْ الدَّهْرُ مَا لَا بَدَّ يَرْفَعُهُ
وَلَا شَرِبْتُمْ بِصَفْوٍ لَا وَلَا عَلِقَتْ
وَلَا ظَفِرْتُمْ وَقَدْ جُنَّتْ بِكُمْ نُوبٌ
وَحَوَّلَ الدَّهْرُ رِيَانًا إِلَى ظَمًا
قَدْ قَلْتُ لِلْقَوْمِ: حُطُّوا مِنْ عَمَائِمِهِمْ
نُوحُوا عَلَيْهِ؛ فَهَذَا يَوْمٌ مَصْرَعِهِ
فَلِي دَمَوْعٌ ثُبَارِي الْقَطَرِ وَاكِفَةٌ
أَدْنَاكُمْ مِنْ أَمَانٍ بَعْدَ تَبْعِيدٍ؟^(١)
أَوْ خُلَّةٌ لِقْصِيرِ الْبَاعِ مَغْضُودٍ^(٢)
أَوْ كَالْخَبَاءِ سَقِيطًا غَيْرَ مَغْمُودٍ^(٣)
فَسَالِبُ الْعُودِ فِيهَا مَوْرِقُ الْعُودِ^(٤)
لَكُمْ بِنَانٌ بِأَزْمَانٍ أَرَاغِيدٍ^(٥)
مُقْلَقَاتٌ بِتَمْهِيدٍ وَتَوَطِيدٍ^(٦)
مِنْكُمْ وَبَدَّلَ مَحْدُودًا بِمَجْدُودٍ^(٧)
تَحَقُّقًا بِمَصَابِ السَّادَةِ الصَّيْدِ^(٨)
وَعَدُّدُوا إِنَّهَا أَيَّامُ تَعْدِيدٍ^(٩)
جَادَتْ وَإِنْ لَمْ أَقْلَ: يَا أَدْمَعِي جُودِي^(١٠)

- (١) المعنى: فرقتم من منحكم العزة وكنتم محرومين منها، ومن قرّبكم بعد أن كنتم بعيدين.
(٢) المفردات: المعضود: القصير العضد، أو من تسانده النساء لضعفه. الخلّة: الصديق.
المعنى: ولولا هؤلاء الرجال كنتم طعامًا لآكلكم، أو كنتم أصدقاء لضعيف القوة واهن العزم.
(٣) المعنى: أو كنتم كالدلو الجاف الذي لم يبله الماء، أو كالخيمة الواقعة لأنها من غير عمود.
(٤) المعنى: لقد منحكم الدهر ما يسترجعه حتمًا، فالذي يسرق العود، لا بد له من أن يورق يومًا.
(٥) المعنى: ولن تشربوا الماء الصافي ولن تنعموا بالسعادة، ولن تروا السعادة يومًا.
(٦) المعنى: ولن تظفروا ما دامت المصائب تصخب فوق رؤوسكم ممهّدة لما هو أعظم.
(٧) المفردات: المحدود: المحروم. المجدود: الغني.
المعنى: وحول الزمان المرتوي إلى عطشان، والغني إلى محتاج.
(٨) المفردات: الصيد: مفردها الأصيد، وهو الذي يرفع رأسه زهواً.
المعنى: في هذا المشهد الأليم طلبت من الناس أن ينزلوا عمائمهم أسى على فقد السادة أصحاب الفخار.
(٩) المعنى: أبكوه، فالיום ذكرى مقتله، وعددوا مآثره إنها أيام العزاء.
(١٠) المعنى: وما هي ذري دموعي سيلها يسابق المطر، انسكبت من نفسها من غير أن أطلب منها ذلك.

وله من قصيدة: [من البسيط]

قومٌ ولاؤهمُ حصنٌ وودُّهمُ لِمَنْ أَعَدَّ نَجاةً أوْثَقُ العُدَدِ^(١)

وقال في النسيب: [من الطويل]

صَدَدَتْ بِلَا جُرْمٍ صَدُودَ قَطِيعَةٍ وَعِنْدَكَ أَتَيْ لَا أَجَازِيكَ بِالْصَّدِّ^(٢)
وَعَرَّكَ أَتَيْ فِي إِسَارٍ مِنَ الْهَوَى وَكَمْ فَلَْتَ الْمَاسُورُ مِنْ حَلَقِ الْقِدِّ^(٣)
فَلَا تَطْلُبِي مَا لَيْسَ عِنْدِي تَعْتَنَّا سِيكَفِيكَ مَنِّي لَوْ تَأَمَّلْتَ مَا عِنْدِي^(٤)

وقال في الغزل: [من الطويل]

وَمُنْتَقِبَاتٍ بِالْجَمَالِ أَتَيْنَا وَقَدْ مَلَّ مِنَّا كُلُّ رَاعٍ وَعَائِدِ^(٥)
فَقُلْنَ وَقَدْ أَنْكَرْنَ مَا بِي مِنْ ضَنْئِي: أَلَا مَا تَرَى مَا بَيْنَ تِلْكَ الْوَسَائِدِ؟^(٦)
فَقُلْتُ وَقَلْبِي وَاجِفٌ غَيْرُ سَاكِنٍ غَرَامًا وَدَمْعِي سَافِحٌ غَيْرُ جَامِدٍ: ^(٧)
وَجَدْتُ غَرَامًا مَا تَجِدْنَ وَمَا اسْتَوَى بِحَامِلٍ ثَقِلَ فِي الْهَوَى غَيْرُ وَاجِدٍ^(٨)

(١) المعنى: إن الولاء لأهل البيت ملاذ حصين، وجههم خير زاد للنجاة.

(٢) المعنى: لقد امتنعت عن لقائي من غير جرم ارتكبه، وأنت تعلمين أنني لا أعاملك بالمثل.

(٣) المفردات: القِدِّ: القيد.

المعنى: والذي دفعك إلى هذا أنني أسير هواك، ولم تعلمي أن الأسير قد يفلت من قيوده.

(٤) المعنى: فلا تطالبيني بما لا أملكه إذلاً منك، يكفيك ما ترين من حالي.

(٥) المعنى: قدم علينا سرب من الصبايا الحسان وقد اعترانا الملل؛ من ما زال يرعى حبه أو قد عاد منه.

(٦) المفردات: الضنى: الضعف والهزال.

المعنى: حين رأين ما بي من الإجهاد والإرهاق سألتني: وماذا ترى بين الوسائد؟

(٧) المعنى: فأجبتهم وفؤادي يرتجف هلعاً وعشقاً، ودموعي تنسكب مدراراً:

(٨) المفردات: الوجد: الحزن ولوعة العشق.

فَمِلَنَ كَمَا مَالَتْ غُصُونُ مَرِيحَةٍ يَضَاحِكُنَ مِنَّا حَاضِرَاتِ الْوَلَائِدِ^(١)

- 175 -

تأخر في مدحه لجلال الدولة، وألحت عليه رسله، فارتجل قائلاً: [من الطويل]

أيا ملك الأملاك قد جاءني الذي حبوت به من نعمة وتعهّد^(٢)
وأرسلت تستدعي المديح وإنه لرأسي تاج والسواران في يدي^(٣)
ولم يكن الشّريف لي درّ درّه سوى خز أثوابي ودُرّ مقلّدي^(٤)
وما أحرّ النّظم الذي كنت خاطباً به بين هذا الخلق في كلّ مشهد^(٥)
سوى مرضٍ حُوشيت منه وإنني لراضٍ بأنّي للأذى عنك مُفتدٍ^(٦)
وحال عن التّجويد ما قد شكوته ولم أرض قولاً فيك غير مجودٍ^(٧)
وليس لمعقول اللسان مقالةً تُقال ولا مشي لرجل المقيد^(٨)
وكيف أطراحي مدح من كان مدحه به الدهر تسبيحي وطول تهجّدي؟^(٩)
أصولُ به فعلاً على كلّ فاعلٍ وأزهى به قولاً على كلّ مُنشدٍ^(١٠)

=المعنى: لقد وقعت في حب لا تعرفه، ولا يتوازي مثقل بالهوى وخالٍ منه.

(١) المفردات: الولائد: مفردها الوليد وهو الصبي.

المعنى: فانشئت خصورهن كما تشني غصون مع الريح، وهن يضاحكننا كضحك الأطفال.

(٢) المعنى: بلغني منك يا ملك الملوك ما منحني إياه من أنعام واهمام.

(٣) المعنى: بعثت تطالبني بالمديح، وطلبك هذا تاج لرأسي وسوار في يدي.

(٤) المفردات: درّ درّه: أكثر الله خيره. الخز: الحرير.

المعنى: ولم يكن هذا الطلب المشرف، أكثر الله خيره، سوى الفخار لي؛ إذ يجعل ثيابي حريرية، وقلائدي لآلىء.

(٥) المعنى: ولم يمنعني من النظم الذي تطالبني به ليكون معلناً على الملأ في كل مقام.

(٦) المعنى: سوى مرضٍ اعترضني، أبعد الله عنك، وإنني لأقبل بأن يعتريني الأذى فداء لك.

(٧) المعنى: وقد ذكرت لك سبب عدم إجادتي، ولا أرضى لك إلا الكلام الجيد.

(٨) المعنى: إذ لا يمكن للمربوط اللسان أن يتكلم، كما يستحيل على المقيد أن يمشي.

(٩) المعنى: وهل يعقل أن أهمل مدح من كان مدحي له بمثابة التسبيح والعبادة مدى الحياة؟

(١٠) المعنى: فأنا أعده لكل فعل قادر على كل فاعل، وأتباهى بكلامي عنه على كل شاعر.

وكم لي في مدحي غلاك قصائد
يسرن على الأكوار شرقاً ومغرباً
ويطربن من أصغى لهن بسمعه
فإن غرد الشادي بهن تنغماً
خدمتك كهلاً مذ ثلاثون حجة
ولم تك مني هفوة ما اعتمدتها
وما كان إلا في رضاك تشرمي
تنام الدجى عني وأقطع عرضه
وأعلم أنني مستجاب دعاؤه
وكنت ملكة الرق مني سالفاً
فأما موالينا بثوك فإنهم
سيوف غوار بيننا وتسلط

فصلن افتخاراً نظم كل مقصد^(١)
ويقطعن فينا كل بر وفد^(٢)
كما أطربت ذا الخمر الحان معبد^(٣)
تناسيت تغريد الحمام المغرد^(٤)
أروح بما ترضاه مني وأغتدي^(٥)
فكيف لما تأتي يد المتعمد؟^(٦)
ولا كان إلا في هواك تجردي^(٧)
دعاء بما تهوى بجفن مسهد^(٨)
لصادق إخلاصي ومحض توددي^(٩)
فخذ ربقتي عفواً بملك مجد^(١٠)
علوا في سماء للعلا كل فرق^(١١)
كهوف قرار بيننا وتمهد^(١٢)

- (١) المعنى: إن مدائحي فيك كثيرة هي أبهى من شعر كل ناظم.
- (٢) المفردات: الأكوار: مفردا الكور، وهو الرحل. الفدند: الفلاة.
- المعنى: تطوف هذا المدائح شرقاً ومغرباً على ظهور الجمال، وتقطع الفلوات والبراري.
- (٣) المفردات: معبد: اسم مغن عباسي مشهور ذو ألحان.
- المعنى: ومن يستمع إلى مدائحي فيك يطرب وتأخذه نشوة السكران حين يستمع إلى معبد.
- (٤) المعنى: وإن ترنم المغني بها أنساك سجع الحمام المفرد.
- (٥) المعنى: وإنني منذ ثلاثين سنة في خدمتك أيام رجولتي، لا أتصرف إلا بما يرضيك.
- (٦) المعنى: ولم يصدر مني طيلة هذه المدة خطأ سهو قط، فكيف أخطيء معك في يقظتي؟
- (٧) المعنى: ولم أشمر عن ساعدي إلا ابتغاء رضاك، ولا كان ظهوري إلا حباً بك.
- (٨) المعنى: ينام الناس وأنا ساهر طول الليل أدعو لك بما تحب.
- (٩) المعنى: وإنني والحمد لله مستجاب الدعوة لإخلاصي ومودتي.
- (١٠) المفردات: الربق: حبل فيه عدة عرى، كل واحدة اسمها ربة.
- المعنى: لقد كنت رقيقاً لك منذ القديم، فجدد ملكك لي.
- (١١) المعنى: وأبناؤك سادتنا، وقد رقوا إلى أعلى ذرى المجد حتى ساموا الكواكب.
- (١٢) المفردات: الغوار: الغار.
- المعنى: وهم سيوف الغارات بيننا وسيوف السيطرة، ومرابط الفكر والاستعداد.

هُمْ وَرِثُوا تِلْكَ النَّجَابَةَ فِيهِمْ كَمَا شَتَّهَا عَنْ سَيِّدٍ بَعْدَ سَيِّدٍ^(١)
 حُسِدَتْ بِهِمْ لَمَّا تَنَاهَى كَمَالُهُمْ وَلَا خَيْرَ فَيَمْنٍ عَاشَ غَيْرَ مُحْسَدٍ^(٢)
 وَكَمْ لَهُمْ فِي الْمَلِكِ مِنْ عَبَقٍ بِهِ وَمَنْ مُرْتَقَى عَالِي الْبِنَاءِ مُشِيدٍ^(٣)
 وَتُعَرَفُ فِيهِمْ مِنْ شِمَائِلِكَ الَّتِي بَهَرَتْ بِهَا آثَارَ مَجْدٍ وَسُودِدٍ^(٤)
 وَلَمْ تَرَمْ لَمَّا أَنْ رَمَيْتَ إِلَى الْمَنَى بِهِمْ أَسْهَمًا إِلَّا بِسَهْمٍ مُسَدِّدٍ^(٥)
 فَلَا زِلْتَ مَكْفِيًا بِهِمْ كُلَّ رِيْبَةٍ وَلَا زِلْتَ فِيهِمْ بِالْغَا كُلِّ مَقْصِدٍ^(٦)
 وَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا شَهِدُوا الْوَعَى فَمَا شَتَّتَ مِنْ عَانٍ بِهَا وَفَتَى رَدٍ^(٧)
 وَمَنْ أَبْيَضَ عِنْدَ الضَّرَابِ مِثْلُكُمْ وَمَنْ أَسْمَرَ عِنْدَ الطَّعَانِ مُقْصَدٍ^(٨)
 أَبَوْا أَنْ يَسُدُّوا عَنْ عَظِيمِ أَنْاتِهِ وَأَنْ يُحْجَمُوا عَنْ جَاحِمٍ مَتَوَقَّدٍ^(٩)
 وَأَنْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِشَمْلِ مَجْمَعٍ جَنَوُهُ لَهُمْ مِنْ كَفِّ شَمْلِ مُسَدِّدٍ^(١٠)
 وَلَمْ يُرَ فِيهِمْ وَالْمَخَافُ جَمَّةٌ مَوْلٌ إِلَى أَمْنٍ وَلَا مِنْ مَعَرِدٍ^(١١)

- (١) المعنى: وقد ورثوا هذه الأصالة عن آبائهم وأجدادهم، كما ربيتهم عليها.
- (٢) المعنى: وقد حسدوك على تربية أبنائك تربية كاملة، ولا قيمة لمن لا يحسد.
- (٣) المفردات: العبق: توهج رائحة الطيب.
- المعنى: ولأبنائك مكانة كبيرة في الملك، وهمة في ارتقاء الأعالي.
- (٤) المعنى: وقد تلقنوا منك خصالك التي أثارت علائم المجد والمعالي.
- (٥) المعنى: ولم تقذف بهم إلى تحقيق الأماني إلا بسهام صائبة.
- (٦) المعنى: أرجو من الله أن تعتد بهم ليزودوا عنك كل مصيبة، وأن تبلغ بهم كل أمنية.
- (٧) المفردات: العاني: الأسير. الردي: الهالك.
- المعنى: وأنت من قوم إذا خاضوا الحروب لم يتركوا خصومهم إلا أسيرًا أو هالكًا.
- (٨) المفردات: المقصد: المكسر.
- المعنى: وسيوفكم مثلمة من كثرة الضرب، ورماحكم مكسرة من شدة الطعن.
- (٩) المفردات: الأناة: الحلم. الجاحم: الجمر المتوقد.
- المعنى: وقد رفضوا أن يتأنوا وأن يتراجعوا عن خوض جمر النار المتوقد.
- (١٠) المعنى: ورفضوا أن يؤوبوا إلا تحت راية واحدة مما اعتادوه من جمع شملهم.
- (١١) المفردات: المعرد: الهارب.
- المعنى: ورغم أن المخاوف كثيرة لكننا لم نجد منهم من يركن إلى الأمن أو يعتمد إلى الهرب.

ولم يَزْتَوُوا إِلَّا بما سألَ بالقَنا كما يَرتوي بالماءِ من عطشٍ صَدِ^(١)
 ودُمُ أبدأَ للمجد والحمدِ والنَّدَى تعومُ انغماسًا في بقاءٍ مُخلَدِ^(٢)
 وإن رَامَ دهرٌ أن يسوءَكَ صرفُهُ فأصغى بمصلومٍ وعَضَّ بأذَرِدِ^(٣)
 ولا طلعتْ يومًا على دولةٍ بها بلغنا بها إِلَّا كواكبُ أسْعَدِ^(٤)

- 175 -

وقال في الطيف: [من السريع]

ما ضرَّ مَنْ زارَ وجُنْحُ الدُّجَى يُكْحَلُ منه الأفقُ بالإِثْمِدِ^(٥)
 لو زارني والصُّبْحُ في شمسِهِ بلونها الفاقعِ في مِجْسَدِ^(٦)
 كيف اهتدى لي في قميصِ الدُّجَى مَنْ كان في الإصباحِ لا يهتدي؟^(٧)
 أخْلَفني وعدُّكَ في زَوْرَةٍ فكيفَ وافيتَ بلا مَوْعَدِ؟^(٨)
 ليستَ يدًا منك، وما زِدْتَنِي في التَّوْمِ شيئًا لم يَكُنْ في يدي^(٩)
 باتَ الكرى يُوهْمُني أَنَّهُ مُضاجِعٌ جِسمي على مَرَقِدِ^(١٠)

(١) المعنى: ولم يقبلوا إلا بأن يسيلوا الدماء بالرماح وهذا ما يشفي غليلهم، كما لا يروى العطشان إلا بالماء.

(٢) المعنى: أدامك الله للعلا والثناء والسخاء، تنعم بها طول العمر.

(٣) المفردات: المصلوم: المقطوع الأذنين. الأذرد: الذاهب الأسنان

المعنى: وإن عمد الزمان إلى أن يسيء إليك أصغى إلى مقطوع الأذنين، وذاهب الأسنان.

(٤) المعنى: أسعد الله دولة رفعت من مقامنا وأبلغتنا أسمى المراتب.

(٥) المفردات: الإثمد: حجر يكتحل به.

المعنى: ماذا يمنع من زارني في ظلام الليل حين اكتحل الأفق بحجر الكحل.

(٦) المفردات: المجسد: القميص الذي يلي البدن.

المعنى: ماذا يمنعه أن يزورني في الصباح مع إشراقة الشمس بلونها الفاتح وهي في لحظة إشراقها؟

(٧) المعنى: كيف وصل إلي في الليل مع أنه يفضل طريقه إلي في الصباح؟

(٨) المعنى: لقد تخلفت عن موعد ضربته لي، فكيف جئت بلا موعد؟

(٩) المعنى: الزيارة لم تكن منك، وهي في النوم ليست شيئًا.

(١٠) المعنى: أمضى النوم ليله يوهمني أنه ينام مع جسمي في فراش واحد.

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ بَدَأَ لَمَحُهُ كُنْتُ مَكَانَ الْأَنْزَحِ الْأَبْعَدِ^(١)
وَزَارَ قَلْبِي وَالْهَوَى كُلَّهُ زُورَةً طَرْفِي الْأَقْرَحِ الْأَكْمَدِ^(٢)

- 176 -

وقال في الشيب: [من الطويل]

أَمِنْ شَعْرٍ فِي الرَّأْسِ بُدِّلَ لَوْنُهُ تَبَدَّلَتْ يَا أَسْمَاءُ عَنِّي وَعَنْ وَدِّي؟^(٣)
فَإِنْ يَكُ هَذَا الْهَجْرُ مِنْكَ أَوْ الْقَلَى فَلَيْسَ بِيَاضُ الرَّأْسِ يَا أَسْمُ مِنْ عِنْدِي^(٤)
تَصُدِّينَ عَمْدًا وَالْهَوَى أَنْتِ كُلُّهُ وَمَا كَانَ شَيْبِي لَوْ تَأَمَّلْتِ مِنْ عَمْدِي^(٥)
وَلَيْسَ لِمَنْ جَازَتْهُ سَثُونُ حَجَّةٍ مِنَ الشَّيْبِ إِنْ لَمْ يُرِدْهُ الْمَوْتُ مِنْ بُدِّ^(٦)
وَلَا لَوْمَ يَوْمًا مِنْ تَغْيِيرِ صِبْغَتِي إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ التَّغْيِيرُ مِنْ عَهْدِي^(٧)

- 177 -

وقال في النسيب: [من المتقارب]

سَقَانِي السُّلَافَةَ مِنْ رِيقِهِ وَأَقْطَفْنِي الْوَرْدَ مِنْ خَدِّهِ^(٨)
وَعَوَّضْنِي بِقَصِيرِ الْوَصَالِ لِي عَمَّا تَطَاوَلَ مِنْ صَدِّهِ^(٩)

(١) المعنى: وحين أشرق الصباح كنت في المكان البعيد.

(٢) المفردات: الأقرح: المجروح. الأكمد: المغموم.

المعنى: وحين زارني محبوبي دخل قلبي فجرحه كما جرى لعيني الجريحتين المغمومتين.

(٣) المعنى: أتبدلت معاملتك معي يا أسماء وقلَّ حبك لي حين تبدل لون شعر رأسي؟

(٤) المفردات: القلى: البغض.

المعنى: هذا الهجر وهذه البغضاء منك أما بياض الشعر فليس من عندي.

(٥) المعنى: أراك تعمدين إلى الابتعاد عني مع أنك أنت كل حبي، وما كان شيب رأسي من عمدي.

(٦) المعنى: ومن بلغ الستين وجاوزها من الشيب لا بد أن يقتله الموت.

(٧) المعنى: ولا بد من تغير لون شعري، فلا تلوميني إنه من العمر، أو من تغير عهدك معي.

(٨) المفردات: السلافة: الخمرة.

المعنى: سقاني الخمرة من فمه، وجعلني أقطف الورد الأحمر من وجنتيه.

(٩) المعنى: وبعد غياب طويل وصدٍّ منه كثير منحني وصلاً قصير الأمد، فغطى به عما سلف.

وأوسعني الكثر من رفده وما كنت أطمع في وعده^(١)
وقلت لمن لام في حبه: غششت فمن لي من بعده؟^(٢)
وشاع غرامي به في الأنام فمالي سبيل إلى جخده^(٣)
ومن أين أطلب في حسنه له الشبه والحسن من عنده؟^(٤)

- 178 -

وقال في النسب: [من السريع]

قل للذي يحسدنا في الهوى والمرء لا يخلو من الحاسد^(٥)
قد زارني الطبي الذي لم يزل يفلت من أنشودة الصائد^(٦)
في ليلة ساهرها - نائلاً ما يشتهي - خير من الرائد^(٧)
قلت له والقول في حقه يستخرج الحقد من الحاقد^(٨)
ليتك لما كنت لي ممرضاً جئت مع العواد لي عائدي^(٩)
إنّ عناء الواجد المبتلى عتابه من ليس بالواجد^(١٠)

- 179 -

وقال في النسب: [من البسيط]

قادت حراني يوم النقر خرعةً وضلّ عني ما أوتيت من جلد^(١١)

-
- (١) المعنى: ومن علي بكثير من عطائه في حين أنني ما كنت أطمع في وعد منه.
(٢) المعنى: وعاتبني على حبي له، فقلت له: لم تصدق معي، فمن لي إن تركته؟
(٢) المعنى: لقد عرف الناس حبي له، فكيف أستطيع نكرانه؟
(٤) المعنى: وكيف آتي بمثل له في الجمال وقد ضمّ جمال العالم إليه؟
(٥) المعنى: قل لمن يحسدنا على حبنا، ولا بد للمرء من حاسد،
(٦) المفردات: الأنشودة: حباله الصائد.
المعنى: زارني الغزال، لكنه دائماً يفلت من حبال صيدي.
(٧) المعنى: زارني في ليلة، الذي يسهرها أفضل من النائم، لأنه سينال ما يشتهي.
(٨) المعنى: وقلت له والكلام له ينضح بالحقد:
(٩) المعنى: لقد جئت لزيارتي فأوقعني في المرض، فليتك عدتني كما عادني الآخرون.
(١٠) المعنى: وتبدو معاناة العاشق المنكوب في أن الذي يعاتبه لا يبادل له حبه.
(١١) المعنى: الحران: صعوبة الانقياد. النقر: الذهاب. الخرعة: الشابة اللينة الأعطاف. =

قضت عليّ ولم تعمد بنظرتها وكم أصاب صميماً غير معتمد^(١)
 كأنما مُهَجَّتِي والبُزْلُ مرحلة مطيعة للتوى في ماضِغِي أسد^(٢)
 فليتني ساعة أشكو صبايتها سرّاً إليها ولا أشكو إلى أحد^(٣)

- 180 -

قال في الشكوى من الزمان والأصحاب: [من مجزوء الطويل]

إلى كم أقودُ قومًا بطاءً إلى ودادي؟^(٤)
 وأهوى لهم دُنياً ويهوون لي بُعادي^(٥)
 وأضحى لهم صديقاً وما هم سوى أَعادي^(٦)
 وأبغى صلاحَ شأني بمن همُّه فسادِي^(٧)
 وكم ذا أجودُ دهري لمن ليسَ بالجوادِ^(٨)
 أرى معشراً غَضاباً لأنّ كنتُ ذا تِلادِ^(٩)

=المعنى: جذبتني يوم الرحيل وألانت قيادي حسناء لينة الأعطاف، ففقدت صبري

(١) المعنى: أذهبت قواي من غير أن تطيل النظر نحوي، وكثيراً ما يصاب المرء بهدف صميمي من رمية غير مقصودة.

(٢) المفردات: البزل: مفردها البازل، وهو الذي طلع نابه.

المعنى: وحين استعدت النوق القوية للرحيل انسأقت مهجتي مطيعة للبعد، وكأنها اتجهت نحو فكي الأسد.

(٣) المعنى: وأمنيّتي الوحيدة أن أشكو لها حبي مقدار ساعة سرّاً، ثم لا أبث شكواي بعدها أحداً.

(٤) المعنى: إلى متى أبحث أناساً على حبي؟

(٥) المعنى: أحب أن يدنوا مني ولكنهم يميلون إلى النأي عني.

(٦) المعنى: أبحث عن صداقتهم ويظلون أعداء لي.

(٧) المعنى: أحاول إصلاح حالي بينما بعضهم يريد فسادِي.

(٨) المعنى: وكم أبذل سخائي طول عمري لمن ليس أهلاً.

(٩) المفردات: التلاد: المال القديم الموروث.

المعنى: يغضب قوم أن ورثت المجد القديم.

وَأَنْ كُنْتُ فِي الثُّرَيَّا	وَكَانُوا ثَرَى الْوِهَادِ ^(١)
أَلَا طَالَمَا رَأَيْتُمْ	جُثُومِي عَلَى الْوِسَادِ ^(٢)
أَنَالَ الطَّوَى وَيُلْقَى	إِلَى رَاحَتِي مُرَادِي ^(٣)
وَأَعْطَى مَقَادَ قَزَمٍ	أَبِيَّ عَلَى الْقِيَادِ ^(٤)
وَتَجْرِي إِلَى الْأَمَانِي	فَلَا تَلْتَوِي جِيَادِي ^(٥)
وَلِي مَنْزِلٌ حَصِينٌ	مَكِينٌ مَنْ الْفَوَادِ ^(٦)
إِذَا هُمْ لِي بَلَاءٌ	فَلِي مِنْهُ أَلْفُ فَادٍ ^(٧)
وَأَنْتُمْ جُفَاءَ سَيْلٍ	مُطَارٍ بَخْبَتٍ وَادٍ ^(٨)
وَالَا فَسْفَرُ دَوْ	بَعِيدٍ بَغِيرٍ زَادٍ ^(٩)
سَرَوْا فِي الْقَوَاءِ صُبْحًا	عَطَاشَى بَلَا مَزَادٍ ^(١٠)
وَجَابُوا الْفَلَاةَ لَيْلًا	ضَلَالًا بَغِيرٍ هَادٍ ^(١١)

- (١) المعنى: وأن مقامي سام يدنو من الثريا، في حين أنهم تراب الوديان.
(٢) المعنى: رأيتهموني أجلس على الآرائك طويلاً.
(٣) المعنى: أحظى بما أريد ويقدم لي مرادي.
(٤) المفردات: القمر: السيد.
المعنى: أكلّف أن أقود السادة الذين تصعب سياستهم.
(٥) المعنى: وإن توجهت خيلي نحو ما أتمنى فلا أنثني.
(٦) المعنى: ومنزلي منيع لا يبلغه أحد ومحجوب.
(٧) المعنى: وإن داهمني مصاب فدانني به ألف محب.
(٨) المفردات: الجفاء: ما يلقيه السيل. الخبت: ما انخفض من الأرض.
المعنى: فما أنتم سوى زبد تافه يقذف إلى الوادي.
(٩) المفردات: السفر: المسافر. الدوّ: المفازة.
المعنى: وإلا فأنتم مسافرون في البيداء البعيدة من غير زاد.
(١٠) المفردات: القواء: الأرض الجرداء. المزاد: القرية.
المعنى: هؤلاء المسافرون ساروا في الأرض الجرداء صباحاً وهم عطاشى بلا طعام.
(١١) المعنى: وطافوا القلاة ليلاً (بعد النهار) ضالين طريقهم من غير دليل.

وقال في البرق: [من السريع]

قلتُ وقد لاحَ بريقُ الدُّجَى: مَنْ رَصَّعَ الظُّلَمَاءَ بالعسجدِ؟^(١)
كأنَّه يخفُّ رِيحٌ على رابيةٍ تلعبُ بالمِطَرَدِ^(٢)
هَدِيتني الطُّرُقَ ولو لم تُنَزْ لَكُنْتُ في الظُّلَماءِ لا أهتدي^(٣)
كأنَّه سَيْفٌ ولكِنَّهُ طَوْعُ بَنانٍ المُخْرِجِ المُغَمِّدِ^(٤)

وقال في الشيب: [من البسيط]

تقول لي: إِنَّمَا السُّتُونُ مُقْطَعَةٌ بَيْنَ الرُّجَالِ ووصلِ الخُرْدَ الغِيدِ^(٥)
وما اسْتَوَى يَفَنٌّ وَلَتْ نضارتهُ في الغانياتِ بغضٍ ناضِرِ العودِ^(٦)
فقلتُ: ما الشَّيْبُ إِلَّا لُبْسَةٌ لُبْسَتْ ما أثرتُ بي في بُخْلِ ولا جودِ^(٧)
ولا وفاءٍ ولا غدرٍ ولا كَلَفٍ ولا مَلالٍ ولا إنجازٍ مَوعودِ^(٨)

(١) المفردات: العسجد: الذهب.

المعنى: حين بدا ضياء الليل سألت: مَنْ زين الليل المظلم بالذهب؟

(٢) المفردات: المطرد: الرمح القصير.

المعنى: كأن هذا الضياء ريح تعبث برمح لامع على رابية.

(٣) المعنى: دللتني أيها الضياء على الطرق، ولو لم تتقد في الظلام لضللت طريقي.

(٤) المعنى: كأنك يا برق سيف يسله صاحبه ثم يعيده إلى غمده.

(٥) المفردات: الخرد: مفردها الخريدة وهي الحسناء. الغيد: مفردها الغيداء، وهي الفتاة التي تشقى.

المعنى: تقول محبوتي: هذه السنين الستون التي أمضيتها كان نصفها مع الرجال ونصفها مع الصبايا الجميلات.

(٦) المفردات: اليفن: الشيخ المسن.

المعنى: وهل يتساوى شيخ مسن ذابل الإهاب مع غانيات بضات غضات؟

(٧) المعنى: فقلت لها: إنما الشيب ثوب نلبسه، ولم يؤثر الشيب في بخلي أو في كرمي.

(٨) المعنى: ولم يؤثر وفائي أو غدري، ولا عشقي أو مللي، أو في تلبية الموعد.

إِنَّ الْحِفَاظَ - وَبَيَّضِي فِيهِ لَامِعَةً - خَيْرٌ مِنَ الْغَدْرِ لَوْ جَرَّبْتَ فِي سُودِي^(١)

- 183 -

وقال يرثي أحد رؤساء العرب: [من المتقارب]

- رَأَيْتُ فَلَمْ أَرَ فِيمَا رَأَيْتُ مُصَابَا كَيَوْمِ رَدَى الْأَوْحَدِ^(٢)
وَعَوَّدَنِي الرُّزْءَ مَرَّةَ الزَّمَانِ وَمِثْلُ الَّذِي حَلَّ لَمْ أَعْتَدِ^(٣)
وَفَارَقَنِي بَغْتَةً مِثْلَمَا يَفَارِقُ مَقْبِضُ سَيْفِي يَدِي^(٤)
عَلَى حِينَ دَأَنْتَ لَهُ الْآبِيَاثُ وَقَادَ الْقُرُومَ وَلَمْ يُقْتَدِ^(٥)
وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْجِمَامَ بَعِيدٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْعُدِ^(٦)
وَمَا كَانَ إِلَّا كَقَوْلِ الْعَجُولِ لِمَنْ قَامَ وَسَطَ النَّدَى: أَقْعُدِ^(٧)
وَسَاعَدَنِي فِي بَكَائِي عَلَيْهِ كُلُّ بَعِيدِ الْأَسَى أَضِيدِ^(٨)
تَلِينُ الْقُلُوبُ وَفِي صَدْرِهِ أَصَمُّ الْجَوَانِبِ كَالْجَلْمِ^(٩)
وَكَمْ ذَا رَأَيْنَا عَيُونًا بَكِينًا عِنْدَ الرِّزَايَا بَلَا مُسْعِدِ^(١٠)

(١) المفردات: الحفاظ: الذمام. السود: السيادة والسودد.

المعنى: إن صدق معاملتي ومحافظتي على الصداقة خيرٌ من الغدر في ساحة الحرب، لو جربت نبلي وسوددي.

(٢) المعنى: فتشت في أيامي فلم أجد أكبر مصيبة مما جرى من موت هذا الأوحده.

(٣) المعنى: لقد عوَّدني هذا الزمان على تحمل الأرزاء، لكن هذا الرزء مما لم أعتده.

(٤) المعنى: ولقد فارقني هذا الصديق بسرعة خاطفة، كما تبتعد يدي عن مقبض سيفي.

(٥) المفردات: الآبيات: مفرداتها الآبىة، وهي غير المنقادة، القروم: الشجعان.

المعنى: فقد كان بصرامته يقود من لا يقاد، كما يقود السادة الشجعان، ولم يستطع أحد أن يقوده.

(٦) المعنى: كنت أظن أن مثل هذا الرجل لا يأتيه الموت، وفوجئت بهجومه عليه.

(٧) المعنى: وما كان فراقه بأكثر من قول مستعجل لقائم بين الناس: اجلس.

(٨) المفردات: الأصيد: الرجل الذي يرفع رأسه كبراً.

المعنى: ولم أكن وحدي بالبكاء عليه؛ فقد زادني بكاءً نحيب شديد الحزن من السادة.

(٩) المعنى: رقت القلوب له، لكن لم يأبه لها لأن قلبه قد من صخر... ميت.

(١٠) المعنى: ولقاء هذا المصاب بكت عيون، ولم تر من يسعدها.

جَرَيْنَ فَالْحَقْنَ عِنْدَ الدَّمُوعِ صِحَاحَ النَّوَظِرِ بِالْأَرْمَدِ^(١)
 وَأَعَيْتَ مُحَاسُنَهُ أَنْ تُنَالَ فَإِنْ حَسَدَ الْقَوْمُ لَمْ يَخْسُدِ^(٢)
 وَكَمْ قَعَدَ الْقَوْمُ بَعْدَ الْقِيَامِ وَمِذْ قَامَ بِالْفَضْلِ لَمْ يُقْعَدِ^(٣)
 وَمَاتَ وَغَادَرَهُ جُودُهُ خَلِيَّ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَسْجَدِ^(٤)
 وَلَمْ يَدْخِرْ غَيْرَ عِزِّ الرِّجَالِ وَعِزٌّ يَبِينُ مَعَ الْفَرْقَدِ^(٥)
 وَغَيْرَ ضِرَابٍ يَقْطُرُ الرُّؤُوسَ إِذَا خَمَدَ الْجَمْرُ لَمْ يَخْمُدِ^(٦)
 وَطَعَنَ يَمْزُقُ أَهْبَ النَّحُورِ كَمَغْمَعَةِ النَّارِ بِالْفَرْقَدِ^(٧)
 وَكَمْ قَدْ شَهِدَنَاهُ يَوْمَ الْوَعَى وَبَيَضُ النَّصُولِ بِلَا أَغْمَدِ^(٨)
 يَشْلُ الْكُفَاةَ بِصَدْرِ الْقَنَاةِ شَلَّكَ لِلنَّعَمِ الشُّرْدِ^(٩)
 وَتَهْدِيهِ فِي الظُّلُمَاتِ السُّيُوفُ وَكَمْ ضَلَّ فِي الرَّوْعِ مِنْ مُهْتَدٍ^(١٠)
 فَتَى فِي الْمَشِيبِ وَمَا كُلُّ مَنْ حَوَى الْفَضْلَ فِي الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ^(١١)

- (١) المعنى: أذرفت الدموع، ومن شدة بكائها مرضت فشابهت العيون المريضة.
- (٢) المعنى: لقد حاولوا النيل من مكانته وأعماله، لكن حيل ذلك عليهم حسداً منهم أو من غير حسد.
- (٣) المعنى: وسعوا إلى النهوض بالفضل فخابت مساعيهم، أما هو فقام واستمر على فضله.
- (٤) المعنى: كان جوده شائعاً، وحين مات خلت الأيدي من جوده ومن ذبه.
- (٥) المعنى: لم يدخر مالا لآخرته، فلم يكن له معين سوى العز الذي يرقى إلى كواكب السماء.
- (٦) المعنى: ومما أذخره كذلك قطع الرؤوس الذي لا يهدأ وإن خمدت النيران.
- (٧) المفردات: الفرقد من الأرض: المستوى الصلب. الأهب: مفردا الإهاب، وهو الجلد. المعمعة: العمل على عجل.
- المعنى: ومما خلفه طعن يمزق جلود الرقاب، كتناول النيران للأرض المستوية.
- (٨) المعنى: وكثيراً ما رأيناه يوم الحرب يحمل سيفه من دون غمد.
- (٩) المفردات: يشل: يذود ويطرده.
- المعنى: ورأيناه يطرده الأبطال بصدر رمحه كما تطرده الأنعام الشاردة.
- (١٠) المعنى: ومن طبعه أنه في الليالي المظلمة يهتدي بلمعان السيوف، وكثيراً ما يضع الناس يوم الحروب.
- (١١) المعنى: إنه في مرحلة شيب الشعر، وما كل أسود الشعر ذا فضل.

ويا لوعتي فيه لا تَقْصُرِي	ويادمعتي فيه لا تجمُدي ^(١)
ويا سَلوتي فيه لا تقربي	وإن كنتِ دانيةً فابعدي ^(٢)
ويا لائمي في ثناءٍ له	هَجَذتْ وعيني لم تهْجِدِ ^(٣)
فلم أرْه وحده بل رثيتُ	معالم عُريْن من سُودَدِ ^(٤)
وما جادَ جَفني وقد كان لا	يجودُك إلا على الأجودِ ^(٥)
ووافقني بالوفاقِ الصَّريحِ	موافقةً النَّومِ للسُّهْدِ ^(٦)
وإنَّ التَّناسُبَ بينَ الرُّجالِ	بالوُدِّ خيرٌ منَ المَخْتِدِ ^(٧)
وخَلَّفني بانتحابٍ عليه	يقضُّ على أضلُّعي مرقدِي ^(٨)
فإنَّ عادَ مضجَعِي العائدون	خفيتُ نُحولاً على العُودِ ^(٩)
فَقُلْ للقنابِلِ: لا تَركبي	وقُلْ للكتائبِ: لا تحشُدي ^(١٠)
وقُلْ للصُّلاةِ بنارِ الحروبِ:	قد ذهبَ الموتُ بالمُوقِدِ ^(١١)
وقُلْ للصَّوارمِ مَسْلولةً:	فُجِغْتُنَّ بالصَّارمِ المُغْمَدِ ^(١٢)

- (١) المعنى: وإنني أطلب أحزاني بالأنا تتوقف، وبدمعتي ألا تجمد.
- (٢) المعنى: وأرجو من نسيانه ألا يفد علي، وإن كان قريباً مني فليبتعد.
- (٣) المعنى: ويا من تعاتبني على الإشادة به، لقد نمتَ ولم تنم عيني.
- (٤) المعنى: إياك أن تظن أنني رثيته وحده، بل رثيت معه كل معالم السيادة والكمال.
- (٥) المعنى: وتعاتبني على بكائي! إن عيني لا تبكي إلا على الجيد من الرجال.
- (٦) المعنى: ولقد وافقني دمعي وفاقاً صادقاً كما يتفق النوم مع المصاب بالأرق.
- (٧) المفردات: المحتد: الأصل.
- المعنى: أن يتفق الرجال بشكل مناسب خير من أن يتفقوا في الأصل الواحد.
- (٨) المعنى: ولقد تركني أبكي عليه بكاء يؤلمني في فراشي ويقلق أمني.
- (٩) المعنى: وإنني على فراش مرضي لو زارني الأصحاب ليطمئنون علي لم يجدوني لنحولي.
- (١٠) المفردات: القنابل: مفردها القنبلة، وهي الطائفة.
- المعنى: فلا تستعدوا أيها الفرسان ولا تتجمعوا يا كتائب.
- (١١) المفردات: الصُّلاة: موقد النار.
- المعنى: فتوقفوا يا موقدي نيران الحروب، فقد ولى مُلهبها.
- (١٢) المعنى: ويا أيتها السيوف القوية المسلولة، أصبتنَّ بسيف دخل غمده.

وَقُلْ لِلجِيَادِ يَلْكُنَ الشَّكِيمَ بلا مُسْرِجٍ وبلا مُلَبِدٍ: (١)
أَقِمْنَ فَمَا بَعْدَهُ لِلخِيُولِ مقاديرُ حَتَّى مع القُوْدِ (٢)
وَقُلْ لَأَنَابِيْبِ سُمْرِ الرِّمَاحِ: ثَوِيْنَ حَيَامًا بلا مَوْرِدٍ (٣)
فَلَا تَطْلَعْنَ فَوْقَكُنَّ النُّجُومُ فذاك طُلُوعٌ بلا أَسْعَدٍ (٤)
وَكَيْفَ يَرِذْنَ نَجِيعَ الكُمَاةِ بغيرِ شَدِيدِ القُوى أَيْدٍ؟ (٥)
وَقَالُوا: تَسَلَّ، وَكُلَّ امْرِئٍ أَرى ذَا أَسَى فِيمَنْ أَقْتَدِي؟ (٦)
وَكَيْفَ السُّلُوءُ وَعِنْدِي الْغَرَامُ يَبْرُحُ بِالرَّجُلِ الْأَجَلَدِ؟ (٧)
وَلِي أَسْفٌ بَافْتِقَادِ لَهُ نَفَذْتُ حَنِينًا وَلَمْ يَنْفَدِ (٨)
فِيَا غَافِلًا عَنْ طُرُوقِ الْحَمَامِ رَقَدْتَ اغْتِرَارًا وَلَمْ يَرْقُدِ (٩)
وَيَا كَادِحًا جَامِعًا لِلأُلُوفِ وَغَيْرُكَ يَأْخُذُهَا مِنْ غَدٍ (١٠)
وَهَلْ لِلْفَتَى عَنْ جَمِيعِ الْغِنَى سِوَى بَلٍّ أَنْمَلُهُ مِنْ يَدٍ؟ (١١)

(١) المفردات: الشكيم: الحديدية التي تعترض فم الفرس.

المعنى: واطلب من الخيل التي تلوك بشكائهم متحمسة للحرب، وهي لا تملك من يسرجها ويعدها:

(٢) المعنى: اهدأن فقد فقدت من يركاك حتى القواد ليسوا أهلاً لك.

(٣) المفردات: حيامًا: دائرات.

المعنى: وقل لقضبان الرماح السمر: توقفن في مكانكن فلم يعد لكن مورد للطعن.

(٤) المعنى: فلن تبزغ النجوم فوقكن، وما ترينه بزوغ بلا سعد.

(٥) المفردات: النجيع: الدم. الأيد: القوي.

المعنى: وكيف يبلغن دماء الشجعان من غير ذلك القوي الشجاع؟

(٦) المعنى: وطلبوا مني أن أسلو هذا البطل، وكل من رآه حولي حزينًا عليه.

(٧) المعنى: كيف أسلوه وحيي لهذا الرجل الصلب مُستعر؟

(٨) المعنى: وإن أسفي شديد عليه، بل فقدت هذا الأسف بفقدتي لهذا الرجل، وما زلت على حرقة نحوه.

(٩) المعنى: فيا أيها الغافل عن طرق الموت، غرتك الحياة فغفوت، لكن الموت لك بالمرصاد.

(١٠) المعنى: ويا مرهق نفسك في جمع المال، سيرثك غيرك غداً.

(١١) المعنى: وهل يستفيد من يجمع ماله أن يستفيد منه إلا القليل؟ بقدر بلّ إصبع من يد كاملة.

فَبَيْنَ مَثَلْمَا بَانَ ظِلُّ الْغَمَامِ عَنْ طَالِبِي سَحْهِ الرُّوْدِ^(١)
وَبِثْ كَارَهَا فِي بُطُونِ الثَّرَابِ وَكَمْ سَكَنَ الثَّرْبَ مِنْ سَيِّدِ^(٢)
وَلَا زَالَ قَبْرُكَ بَيْنَ الْقُبُورِ يُنْضَحُ بِالسَّبِيلِ الْمُزْبِدِ^(٣)
وَيَنْدَى وَإِنْ جَاوَرَتْهُ الْقُبُورُ وَفِيهِنَّ بِالْقَاعِ غَيْرُ النَّدَى^(٤)
وَحَيَّاكَ رَبُّكَ عِنْدَ اللَّقَاءِ بَعْفُو وَمَغْفِرَةِ سَرْمَدِ^(٥)
وَخَصَّكَ يَوْمَ مَفَرِّ الْعِبَادِ بِالْعَطْنِ الْأَفْسَحِ الْأَرْغَدِ^(٦)

* * *

-
- (١) المعنى: فابتعد كما ابتعدت السحب عن المتوقع لهطولها.
(٢) المعنى: ونم غصبًا عنك في بطن التراب، فقد سبقك إليه سادة القوم.
(٣) المفردات: السبل: المطر أو ما سال منه كالسيل.
المعنى: وانعم في قبرك بالسقيا، فما زالت السيول تنضح بمائها عليه.
(٤) المعنى: والمياه تسقيه، وكثير من القبور ترقد في قاع الوادي وهي جافة.
(٥) المعنى: ورحبت بك مغفرة الله وعفوه الدائم.
(٦) المفردات: العطن مبرك الإبل.
المعنى: وليمنحك الله يوم النشور بالمكان الواسع الرغد.

فهرس المحتويات

(المجلد الأول)

٥	القسم الأول: ترجمته
٧	عصره
٨	اسمه ونسبه
٨	أسرته
٩	الأخوان الرضي والمرضى
١٠	نقابه ومذهبه
١٠	شيوخه
١٠	صفاته ومكانته
١١	ثقافته وعلومه
١١	تصانيفه
١٢	مكتبته
١٣	المصادر عنه
١٤	ديوانه
١٤	شاعريته
١٧	القسم الثاني: ديوانه
١٩	قافية الهمزة
٣٥	قافية الباء

١٨١.....	قافية التاء
٢١٩.....	قافية الثاء
٢٢٤.....	قافية الجيم
٢٤٤.....	قافية الحاء
٢٩٥.....	قافية الخاء
٢٩٧.....	قافية الدال